



حائط الصواريخ في أكتوبر ١٩٧٣ م حرب رمضان ١٣٩٣ هـ

اللواء أ.ج. / محمد سعيد علي



انتهت حرب رمضان 1393 هـ - أكتوبر 1973 م بانتصار
مصر على إسرائيل انتصاراً فاق كل التوقعات والتقديرات.
انتصاراً لم تتمكن إسرائيل من إخفاء بريقه، كما لم يؤدِّ
العبور اليائس للقوات الإسرائيلية غرب قناة السويس
إلى طمس حقيقته أو التقليل من قدره وقيمه. إن
الآداء الرائع الذي أداه حائط الصواريخ خلال حرب رمضان
والذي قلب كثيراً من موازين الفكر العسكري وأساليب
استخدام القوات الجوية في الحرب الحديثة لم يكن سوى
حصيلة فكر واع، وجهد رائع، وعرق مستمر قام به هؤلاء
الرجال الذين قاتلت بهم فكانوا خير الرجال وأعظم الأبطال.

ISBN# 9789774487606



6 221149 033290

٢٥ جنيه

الهيئة المصرية العامة للكتاب



حائط الصواريخ

علي، محمد سعيد.

حائط الصواريخ في حرب رمضان ١٣٩٢ هـ

أكتوبر ١٩٧٣م / تأليف: محمد سعيد علي -

القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٤.

٤٨٠ ص: ٢٤ سم.

تدملك ٦ ٧٦٠ ٤٤٨ ٩٧٧ ٩٧٨

١ - مصر - تاريخ - أنور السادات (١٩٧١م - ١٩٨١م)

٢ - الصواريخ.

١ - العنوان.

رقم الإيداع بدار الكتب ٢٨٣٤ / ٢٠١٤

I. S. B. N 978 - 977 - 448 - 760 - 6

ديوي ٩٦٢.٠٧١

حائط الصواريخ

في
حرب رمضان ١٣٩٣هـ
أكتوبر ١٩٧٣م

تأليف
اللواء أ.ح./ محمد سعيد علي





الجيش المصرى

الجيش المصرى

سلسلة تصدر عن

الهيئة المصرية العامة للكتاب

رئيس مجلس الإدارة

د. أحمد مجاهد

الإشراف الفنى

ماد لىن أيوب

تصميم الغلاف

أحمد أشا

رئيس التحرير
جمال الغيطانى
سكرتير التحرير
رشا المصطفى



حقوق الطبع محفوظة للهيئة المصرية العامة للكتاب

الهيئة المصرية العامة للكتاب

ص. ب. ٢٢٥ الرقم البريدى ١١٧٩٤ رمسيس

www.gebo.eg

e-mail@gebo.gov.eg

الإهداء

إلى كل الرجال الذين قاتلوا في معركة الكرامة
والحرية، إلى هؤلاء الذين قدموا دماءهم الطاهرة
بسخاء، إلى شهداء مصر الأبرار.

محتويات الكتاب

٩	تقديم	
١٣	الباب الأول - الموقف السياسي والعسكري	الفصل الأول
١٥ الموقف السياسي	الفصل الثاني
٣٧ الموقف العسكري	
٥١	الباب الثاني - من الهزيمة إلى حائط الصواريخ	الفصل الثالث
٥٣ عودة الصواريخ إلى الجبهة	الفصل الرابع
	الحرب الجوية بين حرب الاستنزاف ومعركة بناء	
٦٣ قواعد الصواريخ	
٨١	الصواريخ تعود ثانية إلى الجبهة ومعارك يوليو ١٩٧٠	الفصل الخامس
	الدروس المستفادة من حرب الاستنزاف ومعارك يوليو	الفصل السادس
١٠٥ ١٩٧٠	
١٢١ بناء حائط الصواريخ	الفصل السابع
١٣٣	الباب الثالث - القوات الجوية الإسرائيلية	
١٣٥ نشأتها وتطورها وإمكاناتها	الفصل الثامن
١٥٣ العدو وحائط الصواريخ	الفصل التاسع
١٦٧	الباب الرابع - الإعداد والاستعداد	
١٦٩ إعداد حائط الصواريخ	الفصل العاشر
١٩٩ الإعداد	الفصل الحادي عشر

٢٢١	الباب الخامس - حرب رمضان - أكتوبر	
٢٢٣	التحضير للمعركة	الفصل الثاني عشر
٢٣١	إصدار تعليمات القتال	الفصل الثالث عشر
٢٤٩	الباب السادس - أعمال قتال حائط الصواريخ	
٢٥١	المرحلة الأولى للقتال من ٦/١٠ - ١١/١٠/١٩٧٣	الفصل الرابع عشر
٣٠٧	المرحلة الثانية للقتال من ١٢/١٠ - ١٥/١٠/١٩٧٣	الفصل الخامس عشر
٣٤١	المرحلة الثالثة للقتال من ١٦/١٠ - ٢٥/١٠/١٩٧٣	الفصل السادس عشر
٤٠٧	المرحلة الرابعة للقتال من ٢٥/١٠ - ٢٩/١١/١٩٧٣ ..	الفصل السابع عشر
٤١٩	الباب السابع - التعليق والدروس المستفادة	
٤٢١	التعليق	الفصل الثامن عشر
٤٣٥	الدروس المستفادة من حرب أكتوبر	الفصل التاسع عشر

تقديم

انتهت حرب رمضان ١٣٩٣ - أكتوبر ١٩٧٣ بانتصار لمصر على إسرائيل انتصاراً فاق كل التوقعات والتقدير، انتصاراً لم تتمكن إسرائيل من إخفاء بريقه، كما لم يؤدّ العبور اليائس للقوات الإسرائيلية غرب قناة السويس إلى طمس حقيقته أو التقليل من قدره وقيمته، فكان أول انتصار تسجله القوات المسلحة المصرية بعد حروب ثلاث مريرة لم يكتب فيها النجاح والتوفيق.

لقد وجدت من الواجب - وقد شاركت في هذه الحرب كقائد للفرقة الثامنة دفاع جوي - أن أكتب هذا الكتاب وأقدمه للقراء كي يكون سجلاً ناصعاً أمام الجميع، سجلاً ينطق بالحق ويتعد عن الهوى، سجلاً يوضح بجلاء أحداث هذه الحرب ووقائعها متوخياً الصدق والأمانة، واضعاً كل الأمور في نصابها. وإن كنت قد سلطت الكثير من الأضواء على الأحداث والمواقف التي عاصرتها قبل هذه الحرب أو خلالها بما لها وما عليها فإنني أمام الكثير من الاعتبارات وجدت نفسي مضطراً إلى إبعاد هذه الأضواء أو تسليطها من بعد على كثير من الأحداث أو بعضها، وقد جاهدت نفسي في ذلك جهاداً استلزم الكثير من الوقت والعناء. ومما لاشك فيه أنه سيأتي يوم قريب تصبح فيه هذه الأحداث واضحة مضيئة، فتاريخ الأمم وحروبها وانتصاراتها لا يمكن أن يحتل زوايا النسيان، أن يطغى عليه التأويل والتحريف بل يجب أن يكون حقاً كما أراده الله سبحانه وتعالى أن يكون.

لقد كانت الفرقة الثامنة دفاع جوي أو ما تعارف عليه الجميع بحائط الصواريخ المصري معروفاً للعدو والصديق قبل الحرب وأثناءها. فقبل الحرب كان حائط الصواريخ علماً بارزاً، وسمة مميزة أسلوباً وتسليحاً لكبر حجمه وتنوع صواريخه، أما

خلال الحرب وما بعدها فقد أصبح حائط الصواريخ حدثًا فريدًا بل لا يزال هذا الحائط بأدائه الرائع وقدرته الفذة وأسلوبه الفريد في قتال القوات الجوية الإسرائيلية مثارًا للدراسة والتحليل بواسطة كثير من الدوائر العسكرية الغربية والشرقية، علاوة على الدراسة التي تقوم بها شركات الأسلحة المتخصصة، وما كل ذلك إلا لاستخلاص الدروس واستنباط النتائج بغرض تطوير العقائد العسكرية للقتال، أو لتلافي أوجه النقص في صناعة الطائرات أو الصواريخ الموجهة أرض - جو، أو وسائل الحرب الإلكترونية والوسائل المضادة لها.

إن الأداء الرائع الذي أداه حائط الصواريخ خلال حرب رمضان ١٣٩٣ - أكتوبر ١٩٧٣ والذي قلب كثيرًا من موازين الفكر العسكري وأساليب استخدام القوات الجوية في الحرب الحديثة لم يكن سوى حصيلة فكر واعٍ، وجهد رائع وعرق مستمر قام به هؤلاء الرجال الذين قاتلت بهم فكانوا خير الرجال وأعظم الشجعان.

لقد أثبت هؤلاء الرجال أنهم لم يكونوا نداءً للقوات الجوية الإسرائيلية فحسب بل كانوا أكثر قوة وأصلد عزمًا وأكثر تضحية من أعدائهم - فكان أن دانت لهم سماء المعركة منذ الساعات الأولى، وتمكنوا من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات الجوية الإسرائيلية، تعتبر أول هزيمة تمر بها أي قوات جوية في التاريخ المعاصر، وأكبر نصر يمكن للصواريخ الموجهة أرض - جو أن تحققه حتى الآن.

لقد كان لي شرف الخدمة بالفرقة الثامنة دفاع جوي كرئيس للأركان في ٢ / ٤ / ١٩٧٠ ذلك الوقت الذي كان يجري فيه الاستعداد لإعداد التشكيل ماديًا ومعنويًا وقاتليًا لدفعه لجهة القتال لردع القوات الجوية الإسرائيلية، وإيقاف عملية الإدماء اليومي، وفعلاً تم دفع التشكيل لذلك الغرض وتمكن من قتاله خلال شهر يوليو ١٩٧٠ ومن التصدي للقوات الجوية الإسرائيلية مما أدى في النهاية إلى قبول مبادرة روجرز وإيقاف إطلاق النار في ٧ / ٨ / ١٩٧٠ وفي يونيو ١٩٧١ توليت قيادة هذا التشكيل، وكان عليّ أن أعمل على إعداده للحرب المنتظرة متخطيًا كل العقبات والصعاب، وقد كان لي في معاوني من الرؤساء والقادة الذين عملوا تحت قيادتي خير عون على تحقيق ما كنت أهدف إليه. وكانت حرب رمضان / أكتوبر أوضح دليل على ذلك.

إن معركة حائط الصواريخ مع القوات الجوية الإسرائيلية لم تبدأ في حرب رمضان/ أكتوبر، بل سبقت هذه الحرب بكثير، بدأت منذ وجد حائط الصواريخ واتخذ أوضاعه القتالية غرب القناة؛ ولذا كان عليّ أن أسجل هذه الفترة، وفي ضوء ذلك اشتمل الكتاب على أبواب سبعة تؤلف فيما بينها نسيجاً مترابطاً يشع من ثنياه قصة من أعظم قصص البطولة، وملحمة من أعظم ملاحم التاريخ العسكري في العصر الحديث.

لقد تناولت في الباب الأول الأثر السياسي والعسكري لهزيمة يونيو ١٩٦٧ بطريقة مجملّة، أما الباب الثاني فقد خصصته لحرب الاستنزاف ومعركة إدخال الصواريخ إلى جبهة القتال، حتى وقف إطلاق النار في أغسطس ١٩٧٠، وما ترتب على ذلك من بناء حائط الصواريخ. أما الباب الثالث فقد أفردته للقوات الجوية الإسرائيلية حجماً وتدريباً وأسلوباً ووسائل، في حين احتوى الباب الرابع على إعداد حائط الصواريخ لحرب رمضان/ أكتوبر. أما الباب الخامس فقد اشتمل على إجراءات التحضير للحرب واشتمل الباب السادس على أعمال قتال حائط الصواريخ منذ بدء القتال يوم ١٠ رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ إلى انتهاء القتال مع القوات الجوية الإسرائيلية يوم ٢٩/١٢/١٩٧٣ وكان من الضروري أن يشتمل الكتاب على تعليق على الحرب مع إبراز بعض الدروس المستفادة فكان الباب السابع، وبذا أكون قد وفيت تاريخ حائط الصواريخ حقه تاركاً ما لم تسمح الاعتبارات بنشره إلى وقت آخر.

والله ولي التوفيق،

الباب الأول
الموقف السياسى والعسكرى

الفصل الأول

الموقف السياسى

الأثر السياسى لحرب الأيام الستة

انتهت حرب الأيام الستة بكارثة عسكرية تعتبر فى شكلها الأولى فى التاريخ العسكرى الحديث، فقد تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية بضربة جوية مفاجئة من تدمير القوات الجوية المصرية وهى فى قواعدها، ومن ثم أحرزت إسرائيل السيادة الجوية بثمن بخس، وما إن تأكدت من نجاحها فى ضربتها الجوية حتى بدأت فى عملياتها الهجومية ضد القوات المصرية المحتشدة فى سيناء، مما أفقد القيادات المسئولة عن إدارة الحرب توازنها. يستوى فى ذلك القيادة السياسية والقيادة العسكرية، فكان قرار الانسحاب التاريخى الذى تم اتخاذه بمعرفة القيادة السياسية والعسكرية دون ترو، وتبصر وتفهم للموقف، مما أدى فى النهاية إلى الكارثة.

إن هزيمة يونيو ١٩٦٧ ستظل نقطة سوداء فى حياة الشعب المصرى وفى تاريخ العسكرية المصرية، لقد أدى عدم وضوح الرؤية للموقف السياسى مع التردد بين الهدف السياسى والهدف العسكرى إلى حشد ما يقرب من مائة ألف جندى فى شبه جزيرة سيناء، دون أن تكون لهم أى مهام محددة، وكانت النتيجة الطبيعية الهزيمة التى تمت.

وإن كانت هذه الهزيمة ستظل محل دهشة وتساؤل من الأجيال المقبلة لمعرفة الدواعى والملابسات التى أدت إليها فإنها يجب أن تكون دائماً محل دراسة من الناحية

الاستراتيجية، ولا أقصد هنا الاستراتيجية العسكرية فقط، وإنما يجب أن تتعدى الدراسة هذه الناحية إلى مضمون الاستراتيجية الشاملة في العصر الحديث، الاستراتيجية بمضمونها السياسي والاقتصادي والاجتماعي والعسكري والمعنوي، للوصول إلى الأسباب الحقيقية لهذه الهزيمة في ضوء الأسباب التي أدت إليها والوقائع والحوادث التي حدثت منذ ١٥ مايو ١٩٦٧ حتى ١٠ يونيو ١٩٦٧.

انتهت حرب يونيو ١٩٦٧ بقرار وقف إطلاق النار الذي أصدره مجلس الأمن، وأصرّ الشعب المصري على استمرار القتال لتحرير الأرض مهما كان الثمن الذي سيدفعه، ولم يكن هذا القرار نابعا من عواطف شعبية تم التأثير عليها، وإنما كان رد فعل طبيعيا متماشيا مع القوانين الطبيعية للحياة، نابعا من أصالة شعب عريق، تمتد حضارته في جذور التاريخ، شعب لم يقبل الهزيمة يوما ما برغم كثرة ما تعرض له من موجات غازية، شعب وهبه الله قدرات وصفات، شوهتها إلى حد ما بعض العادات الدخيلة غير أن معدنه لا يزال - كما هو - سلميا إلى حد كبير، وإن كنا في تاريخنا الحديث لم نحاول أن نبحث عن أنفسنا ونحدد ملامح شخصيتنا وقدراتنا لتسخيرها فيما يعود على هذا الشعب بكل خير.

اعتبرت الدول العربية الهزيمة التي حاقت بكل من مصر والأردن وسوريا هزيمة للأمة العربية جمعاء، وبات الخطر على الدول العربية الأخرى يزداد في ضوء انهيار القوة العسكرية المصرية والسورية، تلك القوة التي تعتبر الخط الأول الذي يواجه إسرائيل، والدرع الواقعي الذي يحتل النطاق الوقائي الذي يمنع تقدم إسرائيل نحو عمق الأمة العربية نحو العراق شرقا والجزيرة العربية جنوبا والمغرب العربي غربا.

ولو وضعنا في اعتبارنا أهداف الصهيونية العالمية في بناء دولة إسرائيل الكبرى التي تمتد من الفرات شرقا إلى المدينة المنورة جنوبا إلى النيل غربا لاتضح لنا مدى الخطر الذي بات جاثما على قلب الأمة العربية من وراء نكسة يونيو ١٩٦٧؛ لذا كان لا بد لها من أن تجمع أمرها لتقف لأول مرة يدا واحدة في مواجهة التوسع الصهيوني، وعلى ذلك تم اجتماع ممثلي الدول العربية في أوائل أغسطس بالقاهرة لدراسة الموقف العربي وتحديد الخطوات الواجب اتخاذها حيال الموقف، وانجلى هذا الاجتماع على عقد أول مؤتمر قمة عربي في الخرطوم، وقد انجلى هذا المؤتمر على القرارات المهمة التالية:

أ - لا مفاوضة ولا صلح مع إسرائيل

ب - عدم الاعتراف بإسرائيل

ج - دعم دول المواجهة عما فقدته حتى يمكنها مواصلة إعداد قواتها في القتال - وفي ذلك الصدد تقرر دعم مصر مادياً بما يعادل الدخل الذي كان يعود عليها من قناة السويس.

في الوقت نفسه كانت الجهود الدولية وخاصة تلك الجهود التي كانت تقوم بها دول أوروبا الغربية، ودول المعسكر الاشتراكي ودول عدم الانحياز آخذة في التصاعد والتناسق، والتكامل منذ صدور قرار وقف إطلاق النار، وذلك لإصدار قرار من الأمم المتحدة بانسحاب إسرائيل إلى خطوط ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧، وإزاء الجهود المكثفة تمكنت هذه القوى من إصدار قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ / ١٩٦٧ في ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذي نص على ما يلي:

أ - انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في يونيو ١٩٦٧

ب - إنهاء حالة الحرب في المنطقة والاعتراف بسيادة كل دولة ووحدة أراضيها وحقوقها في العيش في سلام داخل حدود آمنة معترف بها خالية من التهديد أو أعمال القوة.

ج - وقد أكد القرار الصادر الحاجة إلى تحقيق ما يلي:

(١) ضمان حرية الملاحة في الممرات المائية الدولية في المنطقة.

(٢) التوصل إلى تسوية عادلة لمشكلة اللاجئين.

(٣) ضمان عدم انتهاك أراضي كل دول المنطقة واستقلالها السياسي، عن طريق اتخاذ إجراءات تتضمن إنشاء مناطق منزوعة السلاح.

بدأت إسرائيل في التسوية وعدم الالتزام بقرار مجلس الأمن متذرة بأن هذا القرار يهدد أمنها مباشرة؛ لأنه ينص على انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ - وتبعاً لذلك قامت الأمم المتحدة في ديسمبر ١٩٦٧ بتعيين مندوب لها في المنطقة للتقريب بين وجهات النظر لكلا الطرفين (العرب وإسرائيل)

واختارت لذلك الدكتور يارنج سفير السويد في الاتحاد السوفيتي على أساس أنه ينتمي إلى بلد محايد هو السويد، ونظرًا لسابق خبرته في العمل الدبلوماسي كسفير لبلاده في واشنطن ثم موسكو بعد ذلك فقد توفرت لديه الحنكة اللازمة لفهم كل من الدبلوماسية الأمريكية والروسية بما يمكن من التوفيق بين أهدافها المتعارضة في المنطقة وبرغم تأييد الحكومتين الأمريكية والروسية لمجهودات يارنج فإنه فشل في التوصل إلى أي حل، ومع أن الدول العربية قد رحبت بوجود يارنج فإن إسرائيل رفضت كل ما عرضه عليها مبعوث الأمم المتحدة وطالبت بالمفاوضات المباشرة بينها وبين العرب كأساس للانسحاب من الأراضي التي احتلتها عام ١٩٦٧ مع احتفاظها بحق تعديل حدودها - وفقًا لمقتضيات أمنها - كما سيتم عليه الاتفاق في المفاوضات المباشرة.

لاقى هذا الاتجاه الإسرائيلي رفضًا تامًا من جانب مصر والدول العربية المعنية، وبات واضحًا أن إسرائيل كالمعتاد لن تنصاع لقرار مجلس الأمن، وأن التسوية والتمسك بنظرية الأمن سيكون السلاح الذي ستستخدمه إسرائيل في وجه الأمم المتحدة. وبعد شهور طويلة من المفاوضات لم يحرز يارنج أي نجاح واضطر يارنج في النهاية أن يتخلى عن مهمته كي تنام في سبات عميق.

وأمام هذا العناد والإصرار الناتج عن فرط الثقة من انتصار ١٩٦٧ بدأت جمهورية مصر العربية حرب الاستنزاف في مارس ١٩٦٩ على التوازي مع تصاعد أعمال المقاومة الفلسطينية في الداخل، وذلك بغرض تحقيق عدة أهداف، أولها هو الهدف السياسي، فلقد كانت جمهورية مصر العربية تبغي إشعار دول العالم كلها بأنها لن تتخلى عن تحرير أرضها بالقوة، وأن الصدمة التي حلت بها عام ١٩٦٧ تم امتصاصها تمامًا، وذلك في محاولة لكسب الرأي العام في جانبها، وإكساب قضيتها في المجتمع الدولي صفة التوتر الذي قد يؤدي بالعالم إلى صراع مسلح، أما ثاني هذه الأهداف فقد كان عسكريًا، وكان يهدف إلى تدمير الاستحكامات التي أقامها العدو على قناة السويس ومنعه من إقامة استحكامات جديدة، وإلحاق أكبر ما يمكن من الخسائر بأفراده ومعداته حتى يترك العناد جانبًا وينصاع لقرارات الأمم المتحدة. وأخيرًا كان هناك الهدف المعنوي، وكان يهدف إلى العمل إلى إحياء الأمل لدى الشعب المصري خاصة،

والشعوب العربية عامة في قدرة جمهورية مصر العربية على استعادة أراضيها بالقوة، ردًا على ما كانت تردده أبواق الدعاية الإسرائيلية ومن يسير في كنفها من انتهاء القدرة المصرية إلى سنين طويلة، وأن الطريق الوحيد لحل الموقف هو الاستسلام دون قيد أو شرط لما تملّيه إسرائيل. غير أن إسرائيل - لم تنصع لتلك الحرب الجديدة أو لتلك الخسائر التي حاقت بها من جرائها، وذلك راجع إلى أن نظرية الأمن والحدود الآمنة هي دائمًا المشكلة المسيطرة على الإسرائيليين وعلى تفكيرهم تمامًا، وليس أدل على ذلك من تصريح جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل في يونيو ١٩٦٩ أثناء وجودها في لندن عندما أكدت ذلك بقولها «إنها لا تتصور أن إسرائيل ستوافق على أي تسوية ستؤدي إلى اعتماد إسرائيل في أمنها على الغير» إننا أذكاء أكثر من ذلك، لقد وصلنا إلى نتيجة مهمة بعد خبرة عشرين عامًا أن الناس الذين يمكن أن نعتمد عليهم في تحقيق أمن إسرائيل هم شعب إسرائيل نفسه».

أدى تصعيد الموقف في جبهة قناة السويس في مارس ٦٩ إلى أن تدفع إسرائيل بسلاحها الجوي في المعركة وله السيادة الجوية ضد سيادة المدفعية المصرية مما أدى إلى زيادة حدة التوتر في المنطقة، ومن ثم بدأت القوات العظميان في التشاور لإيجاد حل سلمي للمشكلة، فكان إعلان الاتحاد السوفيتي لأول مرة عن رغبته في إيجاد حل عادل يضمن للمنطقة استقرارها وأمنها مما كان له أثره في التقارب بين القوتين العظميين. كان من أثر هذا التقارب أن قام الاتحاد السوفيتي معلنًا عن حسن نواياه بإبداء رأيه في أسلوب تنفيذ القرار ٢٤٢ وذلك عن طريق جدول زمني يحقق عملية الانسحاب على أن تعلن الأطراف المعنية رغبتها في تنفيذ القرار وعن رغبتها في إيجاد تسوية سلمية وتحديد ميعاد محدد لانسحاب إسرائيل من الأراضي العربية، وبعد أن يتهاء الوقت يتم الاتصال بين الأطراف المعنية على المسائل الأخرى مثل الحدود، الملاحاة في خليج العقبة وقناة السويس، حقوق اللاجئين، نظام للأمن يتم ضمانه بمعرفة مجلس الأمن، إزاء المبادرة التي أعلنها الاتحاد السوفيتي أقنتعت الولايات المتحدة الأمريكية أنها يقفان على أرضية مشتركة تتحدد في أن النزاع في المنطقة لا يخدم أى طرف منها^(١). وأنها ليسا على استعداد للدخول في حرب بينهما من أجل هذا النزاع؛ ولذا فالحل السلمي للمشكلة

(١) خطاب وزير خارجية أمريكا في مؤتمر جلاس ٦٩/١٢/٩.

هو الطريق الأمثل، ومن ثم سكلت القوتان العظميان إزاء المشكلة عدم تصعيد الموقف والعمل على تجميده.

أدى هذا الموقف إلى أن تنفذ إسرائيل المبادأة السياسية مع القوى الخارجية في الوقت الذي كان الضغط المصري يزداد في قناة السويس، ومن هنا تشجعت القوتان العظميان وقامتا بعمل مسودتين لمعاهدتين بين مصر وإسرائيل^(١) والأردن وإسرائيل، ونظرا لأن التطورات السياسية والعسكرية وقتئذ لم تكن في صالح إسرائيل مما يفقدها القدرة على المسالمة من موقف القوة بدأت إسرائيل في تصعيد الموقف العسكري بتكثيف غاراتها الجوية على جبهة قناة السويس ولم يأت أكتوبر ٦٩ إلا وتمكن السلاح الجوي الإسرائيلي من كسب السيادة الجوية على جبهة قناة السويس مما حدا بالاتحاد السوفيتي إلى سحب مسودة المعاهدة التي قدمها لعدم ممارسة الولايات المتحدة الأمريكية الضغط على إسرائيل لإيقاف هجماتها الجوية. ومن ثم قامت الولايات المتحدة الأمريكية بتقديم مسودة معاهدتها في ٢٨ / ١٠ / ٦٩ لكل من جمهورية مصر العربية — الأردن — إسرائيل ولم توافق جمهورية مصر العربية على هذه المسودة كما لم توافق عليها إسرائيل وأعلنت مستر مائير بأن إسرائيل لها الحق في أن ترفض سياسة الولايات المتحدة الأمريكية إذا كانت تتعارض مع الأمن القومي للشعب الإسرائيلي^(٢).

بنهاية ديسمبر ٦٩ كان السلاح الجوي الإسرائيلي قد تمكن من القضاء على أى مقاومة حيوية غرب القناة فقد زادت الخسائر المصرية كثيرا وبدأت المعنويات في التأثر رغم جلاء ما يقرب من مليون مواطن من منطقة قناة السويس وعادت المبادأة في ضوء ذلك إلى إسرائيل، وأصبحت المشكلة التي تواجه القادة الإسرائيليين هي كيفية تحويل هذا التفوق العسكري لصالحهم سياسيا، وكان أمامهم أحد الاحتمالات الآتية:

(١) الاتجاه إلى المساومة السياسية نظرا لعدم تأثير الرئيس عبد الناصر بهذا الضغط.

(١) مجلة نيويورك تايمز، ديسمبر ٦٩.

(٢) هذه المعاهد تنص على وجود قوة مصرية محدودة شرق قناة السويس بمسافة ١٠ كم وتعرف هذه المعاهدة باسم مبادرة روجرز الأولى.

(ب) استمرار الضغط العسكرى على أساس أن الفرصة السياسية التى سنحت مع العالم العربى هى نوع من كسب الوقت قد تؤدى بالرئيس عبد الناصر للتخلى عن موقفه بجانب ما يؤديه إلى استعادة إسرائيل للتأييد الدولى الذى كانت تتمتع به.

اختارت إسرائيل الحل الثانى، وبدأت فى تصعيد عملياتها الجوية بالقيام بغارات استراتيجية ضد العمق المصرى والأغراض الاقتصادية المتعددة من قناطر ومصانع^(١) مما جعل جمهورية مصر العربية تلجأ إلى الاتحاد السوفيتى لإمدادها بأسلحة جديدة للدفاع الجوى لإيقاف هجمات السلاح الجوى الإسرائيلى، فى ٢٢ / ١ / ١٩٧٠ طلب الرئيس عبد الناصر أسلحة متطورة وطائرات ميج ٢٥ للوقوف ضد الطائرات الفانتوم الأمريكية أو أى سلاح آخر للردع كالصواريخ أرض - أرض بجانب المزيد من كتائب الصواريخ أرض - جو وخاصة التى يمكنها التعامل مع الطائرات المنخفضة جدًا.

كان الخيار أمام الاتحاد السوفيتى صعبًا فإما أن يلجأ إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإجبار إسرائيل على إيقاف هجماتها أو تزويد ج.م.ع. بالأسلحة المطلوبة، وهى أسلحة فى نظره معقدة ويحتاج التدريب عليها وقتًا طويلاً، فأما عن الخيار الأول فيعنى إعطاء الولايات المتحدة الأمريكية فرصة أكبر للانحياز لإسرائيل، أما الخيار الثانى فعدم الموافقة عليه يعنى وضع القوات المسلحة المصرية فى موقف لا تحسد عليه سيؤدى فى النهاية إلى ضيق الشعب المصرى بالاتحاد السوفيتى^(٢) وفى حالة الموافقة عليه فإن الأمر يحتاج إلى وقت طويل لتدريب هذه القوات بجانب ما سيؤديه من تسرب قدر من المعلومات التكنولوجية التى يعتبرها الاتحاد السوفيتى سرًا حتى بالنسبة لدول شرق أوروبا، ومن خلال المقارنة بين هذين الخيارين قرر الاتحاد السوفيتى إمداد مصر بعدد من كتائب الصواريخ سام ٢ ، ٣ وطائرات الميراج ٢١ للدفاع عن الأغراض الحيوية والاقتصادية الموجودة فى العمق المصرى على أن يعمل فى كتائب سام ٣ أطقم روسي لحين إتمام تدريب العناصر المصرية هذا بجانب تواجد وحدة روسية سام ٦ بعد للدفاع عن السد العالى.

(١) أعلن موشى ديان فى ٢٥ / ١ / ٧٠ أن الدفاع الجوى المصرى قد انتهى وأن ج.م.ع أصبحت كلياً مسرح قتال.

(٢) قارن بين هذا الخيار وما كان يعلنه الرئيس السادات خلال عامى ٧١ ، ٧٢ ، حتى كان قرار إخراج القوات السوفيتية والخبراء من مصر..

بدأت إسرائيل في تصعيد عملياتها الجوية ففي الفترة من يناير ٧٠ إلى إبريل ١٩٧٠ قام السلاح الجوي الإسرائيلي بما يقرب من ٣٣٠٠ طلعة طائرة وأسقط ٨٠٠٠ طن قنابل كل ذلك خلال أربعة أشهر وباقتراب منتصف أبريل توقفت الهجمات الجوية الإسرائيلية ضد الأغراض الموجودة في العمق واستمرت حدثها على جبهة قناة السويس.

وأدى فشل مبادرة روجرز الأولى في ديسمبر ٦٩ إلى توقف المحادثات السياسية بين القوتين العظميين إلا أن إمداد ج.م.ع بمعدات عسكرية للدفاع عن نفسها بجانب التواجد المؤقت لبعض القوات الروسية جعل الولايات المتحدة الأمريكية تبدي رغبتها في منافسة التوازن القوي بين ج.م.ع وإسرائيل أو إيقاف تسليح القوات المصرية عند هذا الحد، وفي حالة عدم الموافقة على ذلك فإن الولايات المتحدة ستقوم من جانبها بإمداد إسرائيل بالسلاح فوراً وفعلاً تم ذلك. أدى الموقف العسكري المتصاعد من أكتوبر ٦٩ إلى مايو ٧٠ وبروز السيطرة الجوية الإسرائيلية وخطورتها على الأغراض المصرية ومدى ما لاقته القيادة السياسية والعسكرية في الحصول على أسلحة جديدة أو دعم إضافي للوقوف في وجه السلاح الجوي الإسرائيلي أدى كل ذلك إلى أن يعلن الرئيس عبد الناصر في عيد العمال في مايو ١٩٧٠ بأن الموقف قد آن لأن تعمل الولايات المتحدة الأمريكية على إيجاد حل سلمي للمشكلة مما جعل رئيسة وزراء إسرائيل تعلن قبول إسرائيل للقرار ٢٤٢ والمفاوضات غير المباشرة في مراحلها الأولى. لقد عرفت الولايات المتحدة الأمريكية من خلال المبادرة الأولى عدم رغبة إسرائيل في إدخال الاتحاد السوفيتي كشريك في المفاوضات، كما أن أمريكا كان يزعمها في الوقت نفسه تواجد قوات عسكرية روسية في ج.م.ع.

مبادرة روجرز الثانية

نتيجة للمساعي الدولية التي تجري في الخفاء وتتم بين الدول الكبرى ودول عدم الانحياز أعلن وزير خارجية أمريكا مبادرته الجديدة المعروفة باسم مبادرة روجرز الثانية في ١٩ مايو. ١٩٧٠، وكانت هذه المبادرة تنص على إيقاف إطلاق النار من كلا الطرفين لمدة ثلاثة شهور، وذلك لخلق جو أفضل للبدء في مفاوضات السلام على أن يبدأ تاريخ مهمته من جديد في تنفيذ القرار ٢٤٢، وقد أحيط الاتحاد السوفيتي علماً بها ولكنه اشترط وجود جدول زمني للانسحاب.

كانت ج.م.ع تعلم أن هناك مبادرة أمريكية على وشك أن تعلن، ومن ثم رأت أن يتم قبولها للمبادرة من موقف القوة ولن يأتي في ذلك إلا بإيقاف سيطرة السلاح الجوي الإسرائيلي على جبهة القناة فكان القرار بدفع تشكيل الفرقة الثانية دفاع جوي إلى جبهة القناة يوم ١٥ مايو ٧٠ إلا أن بعض الظروف أدت إلى تأجيل ذلك إلى يوم ٢٩ يونيو ١٩٧٠ حيث قاتل وتمكن من إنزال خسائر محدودة بالسلاح الجوي الإسرائيلي أزعجت الإسرائيليين إلى حد كبير

قبلت جمهورية مصر العربية وإسرائيل تلك المبادرة، وتم إيقاف إطلاق النار ليلة ٨/٧ أغسطس ١٩٧٠. وفي ضوء ذلك بدأ يارنج مهمته مرة أخرى، وبدأ الاتصال بكلا الطرفين لتمهيد الطريق للوصول إلى حل سلمي للمشكلة، وتنفيذ قرار مجلس الأمن.

بدأ يارنج مهمته في ٢٥ أغسطس ١٩٧٠ إلا أن مهمته لم تلبث أن توقفت في ٨ سبتمبر ١٩٧٠، فقد رفضت إسرائيل الاشتراك في المباحثات بحجة أن جمهورية مصر العربية لم تلتزم بشروط وقف إطلاق النار. كما جاءت في مبادرة روجرز إذ أن جمهورية مصر العربية قامت بتحريك بطاريات الصواريخ في جبهة القتال إلى الأمام والواقع أن هذا العامل لا يعتبر كافياً لرفض مبادرة روجرز، وانسحاب إسرائيل من المباحثات، فلقد كانت هناك ضغوط داخلية شديدة على الحكومة الإسرائيلية، مما جعلها تنسحب من المفاوضات حفاظاً على مركزها.

ولقد بدأت هذه الضغوط من الأحزاب المعارضة للحكومة، ثم ما لبثت أن ظهرت داخل حزب العمل الحاكم، وكانت كلها تركز إلى ضرورة تواجد حدود آمنة لإسرائيل، وذهبت الآراء في هذه الناحية مذاهب شتى، فالكل يساوم بنفس الأسلوب التجارى الذى برع فيه الإسرائيليون منذ القدم، يساوم في مقدار الأرض التى يرى ضمها إلى إسرائيل حتى تصبح لها حدود آمنة.

تجدد مد فترة إيقاف إطلاق النار المرة تلو المرة حتى جاء عام ١٩٧١، ولم ترضخ إسرائيل بل لم تستجب لمجهودات المبعوث الدولى يارنج، الذى استمرت مهمته زهاء

ثلاث سنوات دون أى تقدم يذكر. وفي ٨ فبراير ١٩٧١ قبل انتهاء فترة امتداد إطلاق النار الذى بدأ فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ تقدم يارنج بمطالب موضحة لكلا الطرفين.

ففى مطالبه من جمهورية مصر العربية طلب الدخول فى مفاوضات صلح على الأسس التالية :

- أ. انتهاء جميع الدعاوى أو حالات الحرب.
- ب. احترام السيادة الإسرائيلية على أرضها واستقلالها السياسى.
- ج. الاعتراف بحق إسرائيل فى العيش فى سلام داخل حدود آمنة معترف بها.
- د. أن تبذل جمهورية مصر العربية كل ما فى طاقتها لمنع أى عدوان ضد الأهالى أو الممتلكات الإسرائيلية لا ينظم أو يتم من الأراضى المصرية.
- هـ. عدم التدخل فى شئون إسرائيل الداخلية.
- و. حرية الملاحة فى الممرات المائية بما فى ذلك قناة السويس.

أما من إسرائيل فقد طالب المبعوث الدولى بالانسحاب من سيناء إلى خطوط ما قبل ١٩٦٧.

وافقت جمهورية مصر العربية على مطالب يارنج لتوضح حسن نواياها لإنهاء مشكلة النزاع فى الشرق الأوسط، بل أعلنت أنها ستوافق على مرور السفن الإسرائيلية فى خليج العقبة وقناة السويس، كما وافقت على وجود منطقة منزوعة السلاح على كلا طرفى الحدود، وعلى أن يتواجد بها قوات الأمم المتحدة، ولا مانع من أن تشترك القوات العظميان فى هذه القوات.

أما إسرائيل فلم توافق على مطالب يارنج، وكان ردها عليه فيما يختص بالانسحاب إنها توافق على الانسحاب إلى حدود آمنة معترف بها، يتم الاتفاق عليها فى معاهدة سلام، كما تضمن الرد أيضًا أن إسرائيل لن تنسحب إلى حدود ما قبل ٥ يونيو ١٩٦٧ وعلمت إسرائيل فيما بعد أسباب هذا الرد على المبعوث الدولى بأن الحكومة تجد

مقاومة كبيرة داخل الكنيسة الإسرائيلية، مما يجعلها لا توافق على مطالب المبعوث الدولي. وقد كان ذلك الرفض للتسوية السلمية هو المقدمة الحقيقية لحرب أكتوبر ١٩٧٣، والجدير بالذكر أن الولايات المتحدة لم تحاول الضغط على إسرائيل لقبول المبادرة التي قدمتها، بل كانت في الواقع تؤيدها في موقفها، وقد كان ذلك راجعاً إلى النقد الذي واجهه الكونجرس والشعب لحكومة نيكسون بسبب إحجامها عن اتخاذ نهج أكثر مناصرة لإسرائيل، والدليل على ذلك أن رئيسة حكومة إسرائيل في عام ١٩٧١ حصلت على تعهد بتزويد إسرائيل، بطائرات القتال والمساعدات الفنية لتطوير صناعة الأسلحة الإسرائيلية، وهى الصناعة التي تعتبر أكثر الصناعات تعقيداً للوصول فيها إلى كفاية ذاتية، وقد يكون الداعي لذلك هو تحريك الصواريخ أرض جو إلى منطقة التسكين الذي اشترطت مبادرة روجرز عدم التحرك إليها أو قد يكون الرغبة في التخلص من الوجود الروسى في المنطقة - كما أعلن هنرى كسنجر ذلك في صيف ١٩٧٠.

تحول في الاستراتيجية المصرية

وفي ٧ مارس ١٩٧١ رفضت جمهورية مصر العربية مد فترة وقف إطلاق النار، وأصبح من الضروري وضع استراتيجية جديدة تصبح منطلقاً لتحرير الأرض التي احتلت عقب هزيمة ١٩٦٧، ولكن ما الاستراتيجية الواجب اتباعها؟ حتى يمكن عن طريقها تحقيق ذلك الغرض الذى تبلور منذ حرب يونيو ١٩٦٧ فى غرضين هما:

أ. تحرير الأراضي العربية التي احتلتها إسرائيل عقب حرب يونيو ١٩٦٧.

ب. إيجاد حل عادل للمشكلة الفلسطينية والمحافظة على الحقوق المشروعة لشعب فلسطين.

ولكن ما لسييل إلى تحقيق هذه الاستراتيجية؟ كان هناك العديد من الاتجاهات التي يجب السير فيها وزيادة فاعليتها لخدمة الاستراتيجية المصرية. هذه الاتجاهات المتعددة يمكن تلخيصها فيما يلى:

١ - وحدة الصف العربي

وهي المشكلة الأساسية، وهذه المشكلة أولاً وقبل كل شيء تهم الدول العربية جميعاً، لقد لعب الاستعمار الغربى أثناء تواجده بالمنطقة دوراً فريداً في تفريق - أو إن شئت قلت تفتيت كلمة العرب، وكان سلاحه في ذلك المبدأ المألوف لديه ألا وهو اتباع سياسة فرق تسد، لقد استخدم الاستعمار لتحقيق شعاره هذا، الدسائس والمؤامرات بين الحكام العرب والحرب النفسية الموجهة، مما خلق جوّاً من عدم الثقة بين الحكام العرب، بالإضافة إلى إذكاء التفرقات الطائفية وتغذية الأقليات الوطنية.

٢ - اكتساب الرأي العام العالمى

هذا الاتجاه ولو أنه مبدأ من مبادئ الحرب إلا أن هذا المبدأ حيوى في الصراع المسلح الحديث، ذلك الصراع الذى أصبح لا يؤثر على الدول المتحاربة فقط بل تعداه إلى الدول الأخرى، وذلك بعد أن تشابكت المصالح السياسية والاقتصادية بين الدول، وليس أدل على أهميته من أننا في حرب يونيو ١٩٦٧، ونحن المعتدى علينا وقف العالم كله يؤيد إسرائيل في قتالها ضد جيرانها العرب، وخرجت الصحافة العالمية يوم ٦ يونيو ١٩٦٧ تؤيد إسرائيل وتحث شعوبها على معاونتها في قتالها ضد العرب، ومن واقع الأمر اتضح من تحليلنا لذلك الموقف أن إسرائيل بذلت جهداً سياسياً وإعلامياً ممتازاً، مما أوجد تعاطفاً كبيراً وتأييداً أكبر لطلباتها، وخاصة في ضرورة أن تعيش في سلام داخل حدود آمنة ومعترف بها. لقد كان هذا المبدأ في استراتيجيتنا القديمة غير معتنى به، كان يعتمد على دعم وتأييد دول عدم الانحياز والمعسكر الاشتراكي لمشكلة الشرق الأوسط، إلا أن ذلك اتضح أنه غير كاف، فالمبدأ مطلق وليس محدوداً، وكلما زاد عدد الدول المؤيدة لقضية ما كان دعمها السياسى والمعنوى ثم المادى إن أمكن ذا أثر كبير على طبيعة الصراع المسلح الدائر، وهذا ما حدث بالنسبة لاستراتيجيتنا الحديثة التى بدأت تتطلع إلى دول أوروبا الغربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط، على أساس أن الصراع الدائر في المنطقة يؤثر على مصالحها فيها. فبدأت جمهورية مصر العربية الأخذ بسياسة التقارب مع فرنسا الديبلوماسية التى أثمرت وأدت إلى تعاطف كبير من جانب فرنسا نحو مشكلة الشرق الأوسط، ثم تابعت هذه السياسة بذكاء مكنها في النهاية من اكتساب

أوروبا الغربية في جانبها، بل نجحت هذه السياسة في إيجاد تعاطف للسياسة الأمريكية تجاه مشكلة الشرق الأوسط مما جعل أمريكا تبدأ تشعر بما يفرضه عليها دورها كدولة كبرى في العالم حيال هذه المشكلة.

٣- الاعتماد على القوة الذاتية

أدى فشل الاتجاه السلمى لحل مشكلة الشرق الأوسط عن طريق المبادرة الأمريكية المعروفة باسم مبادرة روجرز نتيجة للتسويق الذى التزمه الجانب الإسرائيلي والذى كان نابعاً في الواقع من الغرور والصلف الذى سيطر على القيادات السياسية والعسكرية في إسرائيل عقب انتصار يونيو ١٩٧٦ - أدى هذا إلى تحديد أكثر للاستراتيجية المصرية، وهو أن الصراع المسلح في منطقة الشرق الأوسط في ضوء كل مبادرات السلام التى تمت لا يمكن حله أو حسمه إلا عن طريق العمل العسكرى، وبات من الواضح أن بناء القوة الذاتية المصرية في ضوء المهام التى ستكلف بها أمر ضرورى، وتبعاً لذلك بدأت الاتصالات بالاتحاد السوفيتى سواء بزيارات المسئولين أو بزيارة الوفود التخصصية للحصول على نوعيات محددة من الأسلحة اللازمة لدعم القوة الذاتية لجمهورية مصر العربية إلا أن الاتحاد السوفيتى وإن كان قد أبدى استعداداً طيباً في تزويد جمهورية مصر العربية بما تحتاج إليه من أسلحة هجومية وخاصة الطائرات القاذفة المقاتلة إلا أنه سرعان - مع مرور الأيام - ما تراجع تراجعاً تدريجياً عما وعد به، وذلك بأسلوبه المعروف، وهذا التغيير في سياسة الاتحاد السوفيتى وإن لم يكن تغييراً في الخط الاستراتيجى الذى ينتجه منذ بدء علاقاته مع جمهورية مصر العربية فإنه كان تغييراً في الأسلوب التكتيكى الذى يتبعه لتنفيذ هذه الاستراتيجية - ذلك التغيير الذى يحتاج إلى دراسة تحليلية ليس محلها هنا - لقد بدأ إمداده بالمعدات ينذر، ويتحدد في النوع كذا إمداده بقطع الغيار بأخذ نفس الاتجاه. لقد كان الاتحاد السوفيتى هو المصدر الوحيد الذى يمد مصر بالسلاح منذ عام ١٩٥٨، وبالخبراء اللازمين للتدريب على هذا السلاح إلا أن ما كان يمد به من سلاح كان دون المستوى من الناحية التكنولوجية، ولا يتناسب حجمه مع مطالب القوات المسلحة المصرية، وستعرض لذلك بإسهاب في سرد الموقف العسكرى في الفصل الثانى. وإجمالاً يمكن القول إن جميع الأسلحة التى كانت موجودة في ذلك الوقت تعتبر إلى حد ما غير مساسبة للمعركة الحديثة.

لقد بدأت القيادة السياسية في جمهورية مصر العربية تعمل على دعم القوة الذاتية لمصر تحقيقاً للاستراتيجية التي ارتضتها لنفسها. فعملت على الاتصال بالاتحاد السوفيتي على أساس أنه الدولة الصديقة التي تساند كفاح الشعوب، وهو المصدر الوحيد لتوريد السلاح، بغية الحصول على أسلحة معينة، وخاصة الأسلحة الهجومية وعلى رأسها الطائرات القاذفة المقاتلة، وفي كل محاولة تمت اقتصر الأمر على الوعود. ولا شك أن التطور السياسي في جمهورية مصر العربية والذي عرف باسم ثورة التصحيح في ١٥ مايو ١٩٧١. وقضائه على مراكز القوى كان له أثر في عدم تنفيذ الاتحاد السوفيتي بما وعد به إذ إن هذه المراكز كانت هي الدعامات التي يعتمد عليها الاتحاد السوفيتي لنشر أيديولوجيته الاجتماعية داخل البلاد، ومن المتبع للأحداث يجد أن الموقف السياسي تجاه الاتحاد السوفيتي بدأ يأخذ شكلاً جديداً في أعقاب ثورة التصحيح اعتبره الاتحاد السوفيتي لغير صالحه برغم محاولات جمهورية مصر العربية العديدة في توضيح الغرض من ثورة التصحيح والخطوط الواضحة لسياستها، واعتبارها الاتحاد السوفيتي الصديق الأول لها. غير أنه برغم ذلك باتت سياسة الاتحاد السوفيتي في دعم القوة الذاتية المصرية أكثر تشدداً.

لقد باءت جميع المحاولات الخاصة بالحصول على أسلحة هجومية بل دفاعية من الاتحاد السوفيتي كلها بالفشل، مما جعل الرئيس السادات يصرح بأن أزمة الشرق الأوسط عند الروس ليست المشكلة رقم (١) في استراتيجيتهم كما هي بالنسبة لنا وبرغم اقتناعه بذلك فإنه في الفترة من ٢٧ - ٢٩ أبريل ١٩٧٢ أثناء تواجده في موسكو حاول ملحاً الحصول على ما يريد من سلاح ولكن دون جدوى، فقد كانت روسيا لا ترغب في مجابهة بين الدولتين العظميين وخاصة أن مؤتمر القمة بينهما على الأبواب ولم تف بشيء بل نصحت وألمحت إلى أن الحل السلمي هو الأسلوب الأمثل لذلك.

لقد أكدت الأيام صدق التقدير المصري للاستراتيجية السوفيتية إزاء مشكلة الشرق الأوسط. ففي مايو ١٩٧٢ لم يشر البيان الختامي لمؤتمر القمة الروسي الأمريكي إلى أزمة الشرق الأوسط إلا في فقرتين ضئيلتين أي الإشارة للمشكلة بشكل عابر، ومن هنا أدركت جمهورية مصر العربية أن موسكو لن تساعد على استعادة الأرض التي فقدتها بالقوة.

وأمام المحاولات المتعددة التى بذلت إما رأساً أو بواسطة دول صديقة للعمل على تغيير سياسته تشدد الاتحاد السوفيتى إزاء تزويد جمهورية مصر العربية بالأسلحة وبدأ يتضح للقيادة السياسية فى ضوء الموقف الدولى وبوادر التقارب الذى بدأت تظهر ملامحه من بعد بين الاتحاد السوفيتى وأمريكا. إن كلتا الدولتين العظميين قد ارتضى واقتنع وأقنع الآخر ببقاء الموقف فى الشرق الأوسط على ما هو عليه مجمداً، وهو ما اصطلاح عليه بحالة اللاسلم وحالة اللاحرب.

وكان من الضرورى للوصول بالقوة الذاتية المصرية إلى قدرتها الكاملة على تحرير الأرض من أن يدعمها اقتصاد وطنى قوى قادر على سد احتياجاتها، ولا شك أن مطالب الجيوش الحديثة والنفقات اليومية التى تستهلكها تصل إلى أرقام كبيرة تنوء باقتصاديات كثير من الدول؛ لذا أضحت من المستلزم تطويع الاقتصاد المصرى لخدمة المعركة وسد متطلباتها، لدعم القوة الذاتية فى أمد قصير.

مشكلة الشرق الأوسط بين الاستراتيجية الشاملة والاستراتيجية المحدودة

سيظل عام ١٩٧٢ عام التحول فى الاستراتيجية العالمية، وبالتالى فى نظرة كل من القوتين العظميين للمشكلات العالمية. فلقد أدت زيارة الرئيس الأمريكى نيكسون على الصين والاتحاد السوفيتى إلى إطفاء جذوة الحرب الباردة القائمة بينهما منذ أواخر الخمسينيات. لقد كان الدافع على ذلك عظيمًا فكلتا القوتين لا ترغب فى مواجهة نووية وكلتاهما تستنزف من دخلهما القومى الكثير مما أصبح يهدد اقتصادياتها وينشر شبح البطالة بين أفرادها.

لقد أدى التقارب الأمريكى الصينى فى فبراير ١٩٧٢ إلى ظهور الصين على المسرح العالمى - كدولة كبرى لها وزن كبير فى القارة الآسيوية، وقوة بشرية واقتصادية هائلة، علاوة على امتلاكها للأسلحة الذرية والهيدروجينية والصواريخ العابرة للقارات، كل ذلك جعل أمريكا تسعى إلى التقارب نحوها وإذابة ثلوج الحرب الباردة كى يؤدى ذلك إلى خلل فى ميزان القوة العالمية لصالح أمريكا نظرًا للعداء الموجود بين الصين والاتحاد السوفيتى سواء كان سببه اختلاف النظرة الأيديولوجية أو كان سببه مشكلات الحدود

بين الدولتين. أما التقارب مع الاتحاد السوفيتى وتوقيع معاهدة الحد من الأسلحة الاستراتيجية فى مايو ١٩٧٢ فقد كان نابعاً بالإضافة إلى العوامل السابقة - إلى أن سباق التسلح بين الدولتين خلال السنتين السابقتين أوضح بما لا يدع مجالاً للشك بأن السيادة الحربية لأيهما أمر مشكوك فيه، وأن التوازن الاستراتيجى بينهما أصبح أمراً واقعاً، وأن الأهمية السياسية لكليهما فى تسيير الشئون الدولية أمر يستلزمه المجتمع الدولى، وهنا تخلت أمريكا عن دورها - لأول مرة - بعد الحرب العالمية الثانية عن دور رجل الشرطة العالمى كما كانت تسمى، وتبعاً لذلك التقارب تم عقد العديد من المعاهدات، وبدأ التبادل التجارى على نطاق واسع بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة يأخذ مظهرًا جديدًا يوضح مدى نمو العلاقات بين الدولتين.

لقد أدى هذا التقارب إلى تخفيف حدة التوتر فى أوروبا، وإلى التفكير الجدى فى خفض قوات كلا الطرفين فى أوروبا - قد كان هذا التقارب سبباً فى إضعاف رغبة القوتين العظميين فى التدخل لإنهاء النزاع فى منطقة الشرق الأوسط.

ولا شك أن هذا الموقف يخدم مصالح كلتا القوتين العظميين، فمن ناحية الولايات المتحدة الأمريكية يؤدى تجميد الموقف إلى تمسيحه وتضييع كثير من الحقوق المشروعة، ويؤدى إلى تنازلات فى المستقبل تخدم مصالح إسرائيل، وترضى أطرافها الإقليمية فى المنطقة، وذلك كنتيجة للحالة السيكلوجية التى يعيشها الشعب المصرى نتيجة لهذا التميع والتى ستؤدى به فى النهاية إلى قبول المزيد من التنازلات لإنهاء الجمود والشلل الذى أصاب الحياة فى بلاده بعد هزيمة ١٩٦٧، أما من ناحية الاتحاد السوفيتى فإن استمرار هذا الوضع سيؤدى على إرهاب اقتصادى تام لموارد جمهورية مصر العربية يجعلها تعيد النظر فى سياستها، وتحاول من جديد فتح صفحة جديدة فى علاقتها مع الاتحاد السوفيتى.

هذا بالإضافة إلى أن خلق حالة اقتصادية متدهورة فى البلاد ستساعد على زيادة المناخ القائم لأولئك الناقمين على النظام الاجتماعى المصرى، الراغبين فى التحرك تجاه الاتجاه اليسارى كاملاً •

ولاشك أن هؤلاء الناقمين كانوا في نظر مخططي الاستراتيجية السوفيتية عددًا هائلًا، إلا إنه أتضح فيما بعد أن تقديرهم في ذلك خانهم إلى حد كبير . غير أن مثار العجب كيف تتفق القوتان العظميان على مشكلة مثل هذه المشكلة برغم كبر المتناقضات الموجودة بينهما والتي أعلن سياستها عدة مرات أنه لا يمكن لكلا النظامين أن يتعايشا معًا تحت سقف واحد أو على سطح الكرة الأرضية، فلا بد لأحدهما أن يقضي على الآخر، لقد بذل كل طرف قصاري جهده في التقدم العلمي والأبحاث التكنولوجية الخاصة بالسيطرة على الفضاء الخارجي وفي إنتاج الأسلحة الذرية والهيدروجينية والبيكتريولوجية مما أدى إلى إنفاق أموال طائلة أدت بكلتا القوتين إلى إرهاب اقتصادي جعلنا نشهد تدهورًا واضحًا في أسواق النقد، وأزمات اقتصادية متعددة جعل كلتا القوتين تعمل على تغيير واسع في استراتيجيته ويميل بها نحو سياسة الوفاق أو التعايش في ظل الأنظمة الاجتماعية المختلفة، وبذا ارتضى العسكريون والسياسيون في أوائل السبعينيات بما رفضوه طول الخمسينيات والستينيات من هذا القرن .

وقف إزاء الإستراتيجية السوفيتية

دأبت الاستراتيجية السوفيتية منذ بدء الستينيات على مساندة مصر سياسيًا وعسكريًا وأدى اتجاه مصر الاشتراكي الذي بدا واضحًا بعد ذلك إلى التقارب مع الاتحاد السوفيتي . الذي بدأ يقدم العون الاقتصادي اللازم لدعم القدرة الاقتصادية في مصر، وكان المفروض أن يزداد الدعم الاقتصادي عامًا بعد عام، وأن يهدف إلى نشر الرخاء في المجتمع المصري، وأن يصاحب هذا الدعم الاقتصادي دعم عسكري يهدف بالدرجة الأولى إلى إنشاء قاعدة صناعية عسكرية ولو محدودة، تنمو مع الأيام لتقف أمام إسرائيل على قدم المساواة غير أن ما حدث كان عكس ذلك تمامًا برغم أن جمهورية مصر العربية كدولة اشتراكية كانت تمثل مركزًا مرموقًا بين دول العالم الثالث ولها وزنها الدولي وحضارتها التي تمتد إلى أعماق التاريخ.

هل كان مخططو الاستراتيجية السوفيت يخططون بالأسلوب العلمي وهم الذين درسوا نظريات الجيوبولتكس تمامًا تلك النظريات التي ظهرت في أواخر القرن التاسع عشر على يدها وزهوفر الألماني، وانتعشت على يد ماكيندر الإنجليزي أو كانوا يخططون

بأسلوب الواقع، واقع وجود النفوذ الأمريكى فى منطقة البحر الأبيض المتوسط، وواقع وجود الأحلاف التى تحيط بالاتحاد السوفيتى كنطاق صحى خارج أرضه وأرض دول المعسكر الاشتراكى فى شرق أوروبا؟

أولا هذا ولا ذلك وإنما عودة إلى الاستراتيجية القيصرية القديمة التى وضع أسسها بطرس الأكبر، وهى ضرورة الوصول إلى البحار الدافئة، وطالما تحقق ذلك بالوصول إلى البحر الأبيض ومنه إلى باقى البحار يمكن القول إن الاستراتيجية الروسية تحققت.

الحقيقة لقد شهدت أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات تضاربًا كبيرًا فى الاستراتيجية السوفيتية كمبادئ، إلا أننا لو أمعنا النظر لوجدنا أن هذا التضارب كان ينبع من طبيعة النظام الاجتماعى السوفيتى - والمشكلات التى يعانىها، وحاجة الاتحاد السوفيتى إلى توفير الإمكانات اللازمة لرفع مستوى معيشة الشعب، خوفاً من أن تحدث انهيارات داخلية فتذهب بكل ما تم خلال ٥٠ عامًا من قيام الثورة البلشفية، ويثبت للعالم فشل الأيديولوجية الماركسية وهو أخشى ما يخشاه الشيوعيون فى روسيا.

إن ما أذيع من أن سبب الجفاء هو الغضب الذى انتاب السوفيت نتيجة لعدم استخدام المصريين للأسلحة التى فى أيديهم فى يونيو ١٩٦٧، إنها هو تبرير غير منطقي لطبيعة الموقف والذى بتحليلنا له يجعلنا نخرج بأن الاستراتيجية السوفيتية اتجهت لتدعيم النظام الماركسى فى موطنه خوفاً عليه من الانهيار وفى سبيل ذلك بدأت سياسة التقارب مع المعسكر الغربى.

فطنت جمهورية مصر العربية للتطور الذى صاحب الاستراتيجية السوفيتية ولم تصبح الجفوة القائمة بينهما هى ميل جمهورية مصر العربية الظاهرى للبعد عن الخط الاشتراكى، كما أذاع السوفيت فى ذلك الوقت بل كان سببها تمسك الاتحاد السوفيتى بالمبادئ التالية فى سبيل تحقيق الاستراتيجية السوفيتية :

أ. الإبقاء على حالة اللاسلم واللاحرب فى المنطقة.

ب. الاحتفاظ بتوازن القوى فى المنطقة لتحقيق المبدأ الأول.

ج. اعتبار الحل السلمى لحل النزاع فى الشرق الأوسط هو الوسيلة المثلى لحل المشكلة، والترويج له داخليًا وخارجيًا على أساس أنه المنفذ الوحيد لحل المشكلة القائمة.

د. التلويح لمصر بأن الحرب صعبة للغاية، وأن الخسائر المتتظرة مريرة وذلك لتحقيق المبدأ الثالث والتركيز على ذلك في المحيط العسكرى، وخاصة بين القادة المسئولين عن المعركة المصرية.

هـ. إذكاء العداء الطبقي في الوسط العالمى والطلابى لإثارة الشغب لفتح جبهة أخرى أمام القيادة السياسية لخدمة المبدأ الثالث والرابع، وللتأثير على معنويات القوات المسلحة بإظهار التفتت الواضح في الجبهة الداخلية، وعدم سلامتها لمقابلة الحرب مما يخدم المبدأ الأول.

وفي يوليو ١٩٧٢ لم تجد مصر بداً من الاستغناء عن الخبراء السوفيت الموجودين بها الذين كانوا بحكم تبعيتهم يعملون على نشر وتحقيق المبادئ التى تؤدى في النهاية إلى تحقيق الاستراتيجية التى ارتضاها الاتحاد السوفيتى لنفسه إزاء مشكلة الشرق الأوسط، ولم يقتصر الأمر على ذلك بل تم الاستغناء عن القوة العسكرية السوفيتية التى كانت تعمل على بعض معدات الصواريخ أرض جو منذ مارس ١٩٧٠، ولا شك أن هذا الاستغناء قد وفر قدرًا كبيرًا من الأموال بالإضافة إلى أنه حل مشكلة التناقضات التى كانت موجودة داخل القوات المسلحة المصرية.

لقد نشأت التناقضات نتيجة لرغبة المستشارين السوفيت في السيطرة على مقدرات القوات المسلحة المصرية، وتحويل القادة على جميع المستويات إلى مجرد يبيغاوات تتكلم باللغة العربية، وتنفذ كل المخططات التى يضعها المستشارون السوفيت. تلك المخططات التى توضع على مستوى القيادة السوفيتية ويشرف عليها وينفذها كبير الخبراء الذى يتمتع بسلطات سياسية وعسكرية، ويمثل مكانًا مرموقًا في الحزب الشيوعى السوفيتى.

لقد نجح السوفيت في السيطرة على كثير من المراكز المرموقة في القوات المسلحة سواء في القيادة العامة أو في قيادات الأفرع الرئيسية أو قيادات التشكيلات المقاتلة.

واعتقد كثير من القادة أن مجاملة هؤلاء هو الوسيلة للاستحواذ على ثقتهم، وقد أدى ذلك في النهاية إلى أن أصبح كثير من المراكز القيادية في يد قادة على قدر محدود

من القدرات العسكرية. وبهذا تقوضت أسس البناء العسكرى السليم وضاعت أهدافه.

ولا شك أن هذا الجو خلق مزيداً من القلق النفسى لدى كثير من القادة المصريين الأصلاء والقلق على مستقبلهم كبشر وقلق على مستقبل بلادهم وهى تسير فى وسط هذا التيه الذى لا آخر له، ولا حدود تحده، كما أن المنظر والأسلوب الذى كان يعمل به المستشارون فى سبيل تحقيق المبادئ التى حددتها الاستراتيجية السوفيتية للمشكلة أثار الكثير من الضباط، وذلك لعدم قيام هؤلاء المستشارين بأى عمل، بالإضافة إلى جهل عدد كبير منهم بأساليب القتال الحديثة.

لقد أعلنت مصر أن عام ١٩٧٢ سيكون عام الحسم إلا أن عام ١٩٧٢ انتهى ولم يتم فيه أى عمل عسكرى فى ميدان الشرق الأوسط، وإنما تم فى ميدان الشرق الأقصى. ففى الشرق الأقصى وقع حادثان على جانب كبير من الأهمية أولهما هو حرب الهند وباكستان الهند ويؤيد ويدعمها الاتحاد السوفيتى، وباكستان وهى عضو فى الحلف المركزى، وقامت الحرب وانتهت ولم تتدخل الولايات المتحدة لمعاونة دولة من دول الحلف المركزى الذى تنزعمه، والواقع أن أمريكا التزمت بعدم المواجهة فى الأزمة برغم إتمام بعض التحركات العسكرية وتحليل هذه الحرب من الوجهة الاستراتيجية يبين بوضوح كيف أن القوتين العظميين اتفقتا لأول مرة، فباكستان برغم أنها عضو فى الحلف المركزى فإنها على علاقات وثيقة بالصين بحكم الجوار كما أن الهند برغم علاقتها الوثيقة بالاتحاد السوفيتى فإنها على عداء مستحكم مع الصين بسبب النزاع على مناطق الحدود، والصين هى القوة العظمى الجديدة فى شرق آسيا، والتى تنافس أمريكا فى المحيط الهادى، وفى الوقت نفسه هى على خلاف أو فى عداء مستحكم مع الاتحاد السوفيتى، نظراً للاختلاف الأيديولوجى بينهما فى تنفيذ النظرية الماركسية، وعلى ذلك اتفقت مصلحة أمريكا والاتحاد السوفيتى ضد الصين التى تساند الباكستان لإظهارها بمظهر الدولة غير القادرة على مساندة أصدقائها وإن ذلك راجع لعجزها، فساعد الاتحاد السوفيتى الهند، بل أعدها تماماً للحرب ولم تقم أمريكا بمساعدة باكستان ولا بنجدها أثناء الحرب.

أما الحادث الثانى فهو حادث الهجوم الجوى الاستراتيجى على فيتنام، والذى وقع فى ديسمبر ١٩٧٢، ذلك الهجوم الذى وضع حدًا للحرب الفيتنامية وأنهاها بصلح باريس. والمحلل لهذه الحرب يجد أنها خططت لإجبار الفيتناميين على قبول شروط الصلح المعروضة فى مؤتمر باريس، ولم يمد الاتحاد السوفيتى وهو الصديق الوفى لفيتنام، لم يمدّها بالأسلحة الكافية لإيقاف هذا الهجوم، وهو على علم مسبق به إذ إن الغرض من هذا الهجوم كان واضحًا، وهو إيقاف الحرب والاتجاه نحو حل المشكلة بالحلول السلمية.

من هذين الحربين يتضح لنا كيف أن استراتيجية الاتحاد السوفيتى أخذت تميل تجاه حل المشكلات الدولية سلميًا ونبد سياسة الحرب أو التهديد بالحرب، وقد لاقت هذه السياسة ترحيبًا من الولايات المتحدة الأمريكية، فكان أن عملت على جنى ثمارها باللقاءات التى تمت مع القادة على مختلف المستويات فى الصين والاتحاد السوفيتى فيما بعد.

من كان ذلك كان على مصر أن تدعم استراتيجيتها التى حددتها فى مارس ١٩٧١، ١٩٧٢. وأن تتلافى أوجه القصور فيها نتيجة للتجربة التى عاشتها خلال عامى ١٩٧١، ١٩٧٢.

وأن تعمل من منطلق واحد وهو القتال بالقدرة الذاتية المصرية بما هو متيسر لديها من أسلحة ومعدات دون الاعتماد على أى شىء من الخارج.

الفصل الثانى

الموقف العسكرى

على هامش الكارثة

انتهت كارثة يونيو ١٩٦٧ بخسائر جسيمة في المعدات إذا فقدت جميع الوحدات والتشكيلات التي كانت في سيناء كل معداتها تقريباً إما نتيجة للقتال المباشر مع العدو أو نتيجة لتدميرها لمنع وقوعها في يد العدو لعدم القدرة على نقلها ولعدم توفير الوقت اللازم؛ لذلك أصبح لا يتوفر لدى القوات المسلحة المصرية أي معدات ثقيلة كالمدفعية والدبابات تجابه بها العدو . لقد فقدت القوات المسلحة المصرية ما يقرب من ٩٠٪ من معداتها، ووقفت قناة السويس كمانع مائي في وجه أي تقدم إسرائيلي تجاه الغرب.

إن ما حدث في يونيو ١٩٦٧ من انهيار عسكري للقوات المسلحة المصرية، كان مفاجأة تامة للقيادة الإسرائيلية، إذا لم تضع في حساباتها ما حدث، وبالتالي لم تخطط له على أساس أنه حدث منتظر الوقوع، ولذلك فوقع الكارثة أذهل القيادة الإسرائيلية وجعلها في حيرة من أمر هذا الانهيار والإجراءات الواجب اتباعها حياله لدرجة أن بعض قادتها صرح بأن ما حدث فاق كل الأحلام وعلى ذلك يمكن القول إن عمليات التقدم في سيناء غرب المضائق كانت عمليات غير مخططة، وتمت بأسلوب عشوائي وساعد على نجاحها قرار الانسحاب الطائش الذي أصدرته القيادة المصرية.

لقد تأكدت إسرائيل في اليوم الثالث للقتال من أنها دمرت القوات المسلحة المصرية، وأن القوات المصرية التي انسحبت إلى غرب القناة، في هيئة فلول، لم تحمل معها من أسلحتها إلا بعض الأسلحة الخفيفة، وفي ضوء ذلك قدرت القيادة العسكرية

الإسرائيلية أن مصر أمامها لتستعيد موقفها العسكري ربح طويل من الزمن، لا يقل عن عشر سنين، وهنا يبرز لأول وهلة السبب الذي جعل القوات الإسرائيلية لا تتابع تقدمها غرب القناة، لإجبار مصر على قبول طلباتها وإنهاء حالة الحرب القائمة منذ عام ١٩٤٨، والحقيقة أن إسرائيل لم يكن في مقدورها متابعة التقدم غرب القناة حتى ولو توفرت لها معدات العبور للمانع المائي الضخم وهي لم تكن متوفرة وقتئذ وذلك راجع للآتي:

أ- محاولة التقدم غرب القناة تحتاج إلى قوات أكبر من طاقة إسرائيل البشرية، فالأرض غرب القناة مفتوحة وصالحة للعمليات في جميع أجزائها، بعكس الأرض شرق القناة فالعمليات فيها محدودة بمحاور التقدم الثلاثة والأرض الصالحة للتحركات حولها.

ب- محاولة التقدم غرب القناة ستقود القوات الإسرائيلية للقتال في أرض زراعية أهلة بالمكان بها العديد من الموانع المائية، وهذه هي أخطر حرب يقابلها أي جيش منظم.

ج- محاولة التقدم غرب القناة معناه حرب طويلة الأمد، وهذا ضد العقيدة العسكرية الإسرائيلية المبنية على أسلوب الحرب الخاطفة.

لقد فقد الدفاع الجوي - أو ما يسمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ - الكثير من معداته فقد تقريباً معظم وحدات المدفعية المضادة للطائرات وأجهزة الرادار التي كانت في سيناء، إذ عاد الكثير من الوحدات بدون معدات في حين عاد البعض ببعض قطع من المدفعية المضادة للطائرات، أما أجهزة الرادار وهي العصب الرئيسي لوحدات المدفعية المضادة للطائرات فكانت الأهداف الأولى لهجمات العدو الجوية، وما نجا منها لم تتمكن الوحدات من سحبه للخلف لثقل هذه الأجهزة وحاجتها إلى وقت طويل نسبياً لتجهيزها للتحرك، ولم تيسر ظروف الانسحاب ذلك الوقت للوحدات، هذا بالإضافة إلى ما فقده من وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط أرض - جو، لعدم القدرة على سحبها للخلف من سيناء أو ما فقد كنتيجة مباشرة لهجمات القوات الجوية الإسرائيلية عليها خلال أيام القتال.

ومنذ بدء إعداد القوات المسلحة المصرية من جديد بدء في إعداد قوات الدفاع الجوي، وقبل أن نتكلم عن إعداد وتجهيز قوات الدفاع الجوي والمعارك التي خاضتها منذ بدء تكوينها في يونيو ١٩٦٨ حتى معركة ٦ أكتوبر التاريخية والخالدة في تاريخ الدفاع الجوي يجب أن نتقف وقفة قصيرة عند هزيمة ١٩٦٧ ونحللها من وجهة نظر الدفاع الجوي؛ حيث إن النجاح كان حليف القوات الجوية الإسرائيلية - التي وجهت ضربة جوية شاملة إلى القوات الجوية وعناصر الدفاع الجوي (سعت ٩٣٠) يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ وتمكنت بها من إحراز السيادة الجوية مما كان له أكبر الأثر في سير العمليات الحربية في سيناء بعد ذلك. وعلى ذلك فما الذي حدث - وكيف حدث - وما هي الأسباب التي أدت إلى ذلك. هل كان الدفاع الجوي - أو ما كان يسمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ غير كاف من الناحية العددية، أو غير مساير للتطور العلمي والتكنولوجي من الناحية النوعية أو أن أساليب القتال التي اتبعت لا تتفق مع الأساليب التي اتبعتها العدو في حرب يونيو ١٩٦٧ أو أن هذه المسببات كلها كانت موجودة، أو أن هناك أسباباً أخرى لذلك القصور الذي أودى بالقوات الجوية في ضربة واحدة خسرت مصر فيها نحو ١٥٠ - ١٦٠ طائرة وهي رابضة على الممرات داخل المطارات.

كان الدفاع الجوي أو ما كان يسمى بالمدفعية المضادة للطائرات وقتئذ يتكون من عدة وحدات من المدفعية المضادة للطائرات وعدة وحدات صواريخ أرض - جو من نوع سام ٢ معدل، وكانت أنواع المدفعية المضادة للطائرات الموجودة عبارة عن عدة أعيرة مختلفة تدرج من الرشاشات ٧, ١٢ مم إلى المدفعية المضادة للطائرات المتوسطة عيار ١٠٠ مم وكانت المدفعية المضادة للطائرات موجودة مع جميع الوحدات من مستوى الكتيبة المشاة فأعلى. وكان جزء كبير منها مخصصاً للدفاع عن الأغراض الحيوية كالمناطق الصناعية - المدن الكبرى - الموانئ المهمة والكباري - القناطر - الخزانات والسدود - بالإضافة إلى الدفاع عن القواعد البحرية للقوات البحرية في الإسكندرية، وبور سعيد، والغردقة، والقواعد الجوية، والمطارات التي تستخدمها القوات الجوية. أما الدفاع بالصواريخ فقد كان يتمثل في ٣٠ كتيبة صواريخ أرض - جو من نوع سام ٢ معدل تقوم بالدفاع عن الإسكندرية وشمال الدلتا ومنطقة القناة، والقاهرة، وأسوان.

وكانت خطة الدفاع الجوي الموضوعة للدفاع عن جمهورية مصر العربية وفقاً للإمكانات المتيسرة جاهزة ومنفذة، وجميع الوحدات متخذة لمواقعها القتالية، وكانت خطة المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ أرض - جو موضوعة ومنسقة وتتم بالتعاون مع المقاتلات، وكانت القيادة على جميع عناصر الدفاع الجوي في ذلك الوقت إلى قائد القوات الجوية والدفاع الجوي، وكان بحكم وضعه هذا يقود المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ أرض - جو عن طريق قيادة شكلت لذلك الغرض وسميت باسم قيادة مدفعية الدفاع الجوي. أما المقاتلات فبحكم أن قائد الدفاع الجوي هو قائد القوات الجوية؛ لذا فقد كانت له السيطرة الفعلية على عملياتها من جميع الجوه، وكان يتولى هذا المنصب منذ عام ١٩٥٤.

وقبل أن نعدد أوجه القصور التي حدثت في حرب ١٩٦٧ فيما يختص بالدور الذي أدته المدفعية المضادة للطائرات يجب العودة إلى الوراء للتعرف على دورها في الحروب السابقة لقد أدت المدفعية المضادة للطائرات التي كانت موجودة في حرب ١٩٥٦ دوراً ممتازاً وتمكنت برغم قتلها من التصدي لطائرات الدول الثلاثة: إنجلترا، وفرنسا، وإسرائيل. ففي رفع، والعريش «وأبو عجيبة» أدت وحدات المدفعية المضادة للطائرات التي كانت تدافع عن القوات البرية دورها بنجاح أدى إلى صلابة القوات البرية في القتال، وانسحابها إلى غرب القناة بسلام أيضاً. كما أدت الوحدات التي كانت تدافع عن المعابر المقامة على القناة نفس الدور، ولم تتمكن القوات الجوية المعادية من تدمير المعابر مما يسر الانسحاب بنجاح إلى غرب القناة. كما أدت الوحدات التي كانت تتولى الدفاع عن قاعدة الإسكندرية البحرية ومينائها نفس الدور، ولم تمكن العدو من النيل منها، وكان معنى ذلك انتصاراً رائعاً للمدفعية المضادة للطائرات وهي متخلفة وقشدة عن الطائرات التي تعاملت معها، وكانت من أنواع: كاميرا، ومستير، وسوبر مستير، وسى فينرم. ولم يقتصر الأمر على ذلك بل أدى هذا النجاح إلى منع القوات البريطانية الفرنسية التي نزلت في بورسعيد من التقدم تجاه الإسماعيلية بل ولم يصب أي غرض من الأغراض الحيوية السياسية والاقتصادية والعسكرية التي كانت تقوم بالدفاع عنها، وهنا يبرز إلى الأذهان ما أسباب ذلك النجاح. إن المتبع لأحداث الحرب العالمية الثانية

على مصر يمكنه أن يلمس أسباب ذلك لقد كان ذلك النجاح راجعاً إلى هؤلاء الرجال الذين كانوا يعملون على المدفعية المضادة للطائرات، خلال الحرب العالمية الثانية، وأثناء قيامها، بالتصدي لهجمات دول المحور الفترة من ١٩٤١-١٩٤٥ هؤلاء الرجال الذين عاصروا هذه الحرب قادة أصاغر وتمرسوا فيها وتعلموا منها •

وكانت هذه الهجمات الجوية بالنسبة لهم بمثابة البوتقة التي انصهر فيها التكتيت والتكنيك، وبذلك يمكن القول إنهم وصلوا في نهاية هذه الحرب إلى أسس وقواعد متينة في استخدام المدفعية المضادة للطائرات بل أسس تطويرها •

لقد ظلت هذه الوحدات على ما عليه من رجال وعتاد فلم تزد شيئاً يذكر خلال السنوات ما بين ١٩٤٥-١٩٥٦، وكانت حرب السويس ١٩٥٦ وتمكنت من تحقيق النجاح الذي أوضحناه من قبل بفضل الأساس السليم الذي بنيت عليه هذه الوحدات، ويفضل إيمان قادتها وقدراتهم الفنية، وبفضل قدرة أفرادها- وهنا يظهر أول تساؤل طالما أننا كنا نمتلك في حرب السويس قدرًا محدودًا من المدفعية المضادة للطائرات، وتمكننا بها من الحد من قدرة دول التحالف الثلاثي، وتمكننا من وقاية مدننا، وموانينا، وقواتنا المسلحة التي تمكنت من الانسحاب من سيناء بخسائر محدودة، إذا فكيف كان العكس تمامًا في حرب ١٩٦٧ •

لقد استفادت إسرائيل من حرب السويس أيما فائدة، فقد كانت لها بمثابة البوتقة التي صهرت فيها ما تبنته من عقيدة عسكرية منذ نشأة دولتها عام ١٩٤٨، لقد اتضح لها في نهاية حرب السويس أن أسس بنائها لجيش الدفاع الإسرائيلي هي أسس سليمة، وأن المطلوب منها هو السير بسرعة لخلق حالة من التفوق النوعي على القوات المسلحة للدول العربية • والعقيدة العسكرية التي تبنتها المؤسسة العسكرية الإسرائيلية لم تكن نوعاً جديداً من العقائد العسكرية بل هي وليدة لما تمخضت عنه حرب الصحراء في الحرب العالمية الثانية بالإضافة إلى ما أملتته طبيعة موقع إسرائيل الجغرافي بين الدول العربية ومدى ما يتوفر لها من عمق • لقد أثبتت معارك الصحراء الغربية أن الدبابة والطائرة هما السلاحان السائدان في حرب الصحراء، ولا تزال معارك سيدي براني - الغزاة - ببر حكيم - العلمين • • إلخ خير شاهد على ذلك، وإذا كانت إسرائيل اعتنقت مبادئ حرب الصحراء فلأن مسرح قتالها مع الدول العربية غالبية مسرح

صحراوي، وخاصة مع جمهورية مصر العربية، وهى بحكم موقعها الاستراتيجي وإمكاناتها البشرية والاقتصادية والعلمية تعتبر أقوى خصم عربي يواجه إسرائيل ويقف أمام أطماعها التوسعية في المنطقة •

إن الدراسات التي تمت على معارك الحرب الثانية، والتي نشرها كبار القادة أمثال مونتجمري وروميل وجودريان، أو كبار الكتاب العسكريين أمثال فوللر، أو كبار المفكرين العسكريين أمثال ليدل هارت، تؤكد الحقيقة التي اعتنتها إسرائيل • • • كعقيدة عسكرية في تنظيم قواتها المسلحة •

أما كون إننا هنا في جمهورية مصر العربية لم نعتنق هذا الرأي فهذا هو ما لا يزال إلى يومنا هذا محل التساؤل ومثار الدهشة •

ظهر التنفيذ الحقيقي للعقيدة العسكرية الإسرائيلية عام ١٩٥٨ عقب صفقة الميراج ٣سى، التي تعاقدت عليها إسرائيل مع فرنسا وعددها ٥٠ طائرة • وكانت نذير الناهنا في جمهورية مصر العربية، فبدأنا في تطوير قواتنا الجوية وتزويدها بالطائرات ميج ١٧ - ثم ١٩، ثم ٢١ فيما بعد • أما من ناحية المدفعية المضادة للطائرات فتم تزويدها بالمدفعية م ط ٥٧ مم، ١٠٠ مم • وفي أوائل الستينيات عندما بدأ التطور الصناعي يحتل المكانة الأولى في جمهورية مصر العربية وإزاء التطور الذي يلاحق القوات الجوية الإسرائيلية وعند بدئها في التعاقد على شبكة صواريخ موجهة من طراز هوك لتقف ضد الطائرات الميجا ٢١ - بدأت جمهورية مصر العربية في التعاقد مع الاتحاد السوفيتي - وهو المورد الوحيد للسلاح وقتئذ - على إمدادها بعدد من وحدات الصواريخ أرض - جو، ووافق على ذلك، وبدأ إدخال الصواريخ الموجهة م/ ط في جمهورية مصر العربية منذ عام ١٩٦٣، واحتلت مواقعها كما سبق أن ذكرت للدفاع عن المدن المهمة كالإسكندرية والقاهرة •

لقد تم الدفاع عن القاهرة بواسطة ثلاثة أفواج مدفعية متوسطة تعادل في جملتها ٧٢ مدفعاً من أعيرة مختلفة ٧، ٣ - ١٠٠ مم - ٨٥ مم وكانت جميع المطارات حولها (أنشاص - الماظة - حلوان - غرب القاهرة) مدافعا عنها بمعدل فوج مدفعية م • ط ٢٤ مدفعاً إما وسط أو خفيف لكل مطار أما الدفاع بالصواريخ أرض - جو فقد كان يتم بلواءي صواريخ بقوة ١١ كتيبة صواريخ أرض جو سام ٢ معدل. أما منطقة القناة

فقد كان الدفاع يتم عنها بواسطة ٩ كتائب صواريخ أرض - جو أما المطارات الموجودة بها فقد كان الدفاع يتم عنها بمعدل فوج م - ط خفيف لكل مطار .

أما الإسكندرية فقد كان الدفاع يتم عنها بواسطة ٣ أفواج مدفعية م . ط وسط . وخفيف ، و ٤ كتائب صواريخ أرض جو أما شمال الدلتا وهى حلقة الوصل بين دفاعات الإسكندرية ومنطقة القناة - فقد تم ربط هذه الدفاعات بثلاث كتائب صواريخ أرض - جو وتم الدفاع عن المطارات الموجودة بها بمعدل كتيبة مدفعية م . ط خفيفة لكل منها .

إما منطقة أسوان فقد كان الدفاع يتم عنها بواسطة ثلاث كتائب صواريخ أرض - جو بالإضافة إلى فوج مدفعية م . ط خفيف هذا علاوة على أن جميع المطارات التي تستخدمها القوات الجوية تقع خارج تلك المناطق، سواء في سيناء أو في الداخل، وكان الدفاع يتم عنها بواسطة فوج مدفعية م . ط خفيف .

تقد بلغ إجمالي الوحدات القائمة بالدفاع الجوى عن الدولة وقتئذ ٧ أفواج وسط أي ما يعادل ١٦٨ مدفعا، ١٥ فوجا خفيفا م - ط أي ما يعادل ٣٦٠ مدفعا، ٦ كتائب خفيفة م . ط أي ما يعادل ١٠٨ مدافع، هذا بالإضافة إلى عدة مئات من الرشاشات م . ط من الأعية المختلفة . بجانب ٣٠ كتيبة صواريخ سام ٢ معدل موزعة كما سبق توضيحه . ومن العرض السابق يتضح أننا كنا في عام ١٩٦٧ نمتلك مدفعية مضادة للطائرات وصواريخ أرض - جو بقدر ليس كبيرا وليس محدودا، قياسا لما تمتلكه إسرائيل من قوات جوية .

لقد كانت القوات الجوية الإسرائيلية مكونة من الطائرات الآتية:

٥٥ طائرة ميراج ٣س

٨٠ طائرة فوجا ماجستر - تدريب

٢٥ طائرة فوتور

٥٥ طائرة مستير

٥٠ طائرة سوبر مستير

بالإضافة إلى بعض الطائرات القديمة من أنواع الأورجان، وبعض طائرات النقل والمواصلات، وجميع هذه الأنواع عدا الطائرات الميراج - لا تتعدى سرعاتها سرعة الصوت، وقدرتها على المناورة محدودة، كما أن قدرتها على حمل أسلحة الدمار محدودة أيضًا، ورغم كبر القوات الجوية الإسرائيلية والتي تبلغ نحو ٢٠٠ طائرة مقاتلة وقاذفة فإن قدرتها محدودة - وكانت جمهورية مصر العربية تمتلك عددًا مماثلاً تقريبًا لهذه القوة من طائرات الميج ١٥، ١٧، ١٩، ٢١، وسوخوى ٧، وكلها تقف على قدم المساواة إن لم تكن أفضل كما هو متيسر لدى إسرائيل وقتئذ إذا استثنينا الطائرة الميراج ٣س.

مما سبق يتضح أن وسائل الدفاع الجوي لدى جمهورية مصر العربية عام ١٩٦٧ كانت نداء للتصدي للقوات الجوية الإسرائيلية عدداً ونوعاً إن لم تكن متفوقة عليها، وهذا ما جعل قادة إسرائيل بعد تحقيق نجاحهم بتدمير القوات الجوية المصرية في المطارات لا يصدقون ما حدث، مما حدا بالقيادة العليا الإسرائيلية إلى إرسال قائد القوات الجوية الإسرائيلية الجنرال مردخاي هود وقتئذ ليطير فوق المطارات المصرية للتأكد من أن الطائرات التي كانت بها أصبحت خطاماً يشتعل، تأكيده لما حدث يعني إعطاء الإشارة لبدء العمليات البرية ضد القوات المسلحة المصرية في سيناء.

إن الضربة الجوية الشاملة التي وجهتها إسرائيل صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ لم تكن حدثاً جديداً من ناحية الفكر العسكري، بل كانت أمراً متوقعاً منذ أوائل الستينيات، منذ بدأت إسرائيل تعمل وتجد على تقوية قواتها الجوية، وتعمل بسرعة على بناء صناعة للطائرات لديها معتمدة على خبرة تكنولوجية محدودة، مع مراقبتها المستمرة للتطور في وسائل الدفاع الجوي المصري.

لم تكن الضربة الجوية الشاملة من الناحية العسكرية فناً عسكرياً مستحدثاً في العلم العسكري المعاصر وقتئذ، إذ أنها كانت نتاج السباق رهيب بين القوتين العظميين خلال الخمسينيات لا متلاك - أسلحة الدمار الشامل من قنابل ذرية وهيدروجينية

إلى أسلحة كيميائية وبكتريولوجية. وفي ضوء ذلك السباق الرهيب ظهرت نظرية الحرب الشاملة، والتي كانت تتلخص وقتئذ في أن القوة الجوية بما لديها من قدرة على حمل وسائل الدمار والخراب يمكنها بتوجيه ضربة جوية شاملة للمناطق السياسية والاقتصادية والعسكرية والصناعية ومراكز القيادة إلحاق خسائر بالغة بهذه المناطق، وشل عجلة الإنتاج التي تخدم المجهود الحربي، بالإضافة إلى ما تحدثه هذه الأسلحة من خسائر بشرية مما يجبر الخصم على الاستسلام وقبول مطالب الطرف الآخر.

حقيقة لم يكن لدى إسرائيل من أسلحة الدمار وقتئذ أي نوع منها. وكل ما كان لديها هو الأسلحة التقليدية من قنابل وصواريخ، فكيف إذن تطبق إسرائيل هذه الاستراتيجية الحديثة؟ لقد تعلمت إسرائيل من دروس حرب الصحراء عام ١٩٤٠ - ١٩٤٥ إن أي قوات عسكرية مهما كانت لديها من الأسلحة، ومهما كان مستواها التدريبي لا يمكنها أن تعمل دون غطاء جوي ييسر لها الوقاية من القوات الجوية المعادية فخططت على هذا الأساس. خططت على أساس الحصول على السيادة الجوية، وذلك بالقيام بضربة جوية شاملة على قواعد ومطارات القوات الجوية لجمهورية مصر العربية، بحيث تتم هذا الضربة في وقت واحد على كل المطارات والقواعد لإرباك القيادة العليا المصرية عامة والقيادات الجوية خاصة، وتدمير كل المطارات في ضربة واحدة، وعندما يتحقق لها النجاح تصبح قوتها البرية قادرة على أن تعمل بحرية كاملة تحت ستار المعاونة الجوية، التي يمكن أن تقدمها هذه القوات ضد قوات لا يتيسر لها أي غطاء جوي ضد هجمات العدو الجوية أو أي نوع من المعاونة الجوية في عملياتها، سواء أكانت دفاعية أم هجومية. وكما سبق أن ذكرت بدأت القوات البرية الإسرائيلية عملياتها بعد أن تأكدت إسرائيل من تدمير القوات الجوية المصرية وهى رابضة على عمرات المطارات. إن تدمير القوات الجوية المصرية بهذا الأسلوب يعتبر سذاجة عسكرية في عصر انتهت فيه السذاجات في عصر العلم والتكنولوجيا عصر ما بعد الحرب العالمية الثانية، عصر الحروب المحلية المحدودة من كوريا إلى فيتنام، ذلك العصر الذى لم نعرف به إلا مؤخرًا جدًا بعد أن وقعت الكارثة، رغم أن الدول المتقدمة دخلت منذ أوائل الخمسينيات، لقد قلنا على أنفسنا باب العلم والمعرفة، لدرجة أننا أقنعنا أنفسنا بأننا أقوى دولة، وأعلم دولة بل

أكثر الدول تقدماً في معدلات التنمية الاقتصادية، وللحقيقة و التاريخ لقد كانت هذه الضربة متوقعة منذ يوم ٧ يونيو ١٩٦٧، و قد تم إعطاء ما يلزم من تعليمات لتلقى هذه الضربة الجوية. وأياً كان القرار سليماً أو خاطئاً هو قرار سياسى ولا يغير من جوهر الحقيقة شيئاً في إلقاء التبعات على هذا أو ذلك. والواقع أن الإجراءات الواجب اتخاذها لتلافي مثل هذه الضربة لم تتم، لقد تمت الضربة بوسائل الدفاع الجوى كلها المقاتلات، و الرادار، و الصواريخ، و المدفعية م. ط في وضع استعداد لا يتفق مع خطورة الموقف. لقد كانت الوحدات قبل بدء الهجوم الجوى الإسرائيلى في حالة استعداد عال يسر لها التعامل مع العدو بنجاح أن هذه الحالة لم تدم لأسباب غير معروفة، رغم أن هناك من التعليقات الصادرة يوم ٢ يونيو ١٩٦٧ ما يؤكد أن العدو سيقوم بالهجوم على الجبهة المصرية خلال ٤٨-٧٢ ساعة على الأكثر بل على التحديد يوم ٤ أو ٥ يونيو، وأنه سيدأ عملياته بتوجيه ضربة جوية شاملة، وأن المطلوب من القوات المسلحة هو صد هذه الضربة الجوية ثم الانتقال بعد ذلك للهجوم.

والسؤال المطروح الآن هو هل استعداد قوات الدفاع الجوى كان كافياً لردع المعتدى؟

الحقيقة أننا لو سلمنا بذلك نكون قد جانبنا الواقع. فالاستعداد يمنع المفاجأة. وعدم تحقيق المفاجأة كان كافياً لتحقيق قدر من الوقاية للمطارات، والقواعد الجوية التى هاجمها العدو، فمجرد فتح النيران على العدو فى الوقت المناسب يخلق لدى طيارى العدو حالة من الذعر و الفرع تجعلهم يعملون على تنفيذ مهامهم بسرعة غير عابئين بدقة التنشين اللازمة لإصابة أهدافهم.

إن القصور الذى حدث في يونيو ١٩٦٧ بالنسبة للدفاع الجوى لم يكن مرده، إلى عدم الاستعداد فقط وإنما مرده إلى سنين طويلة قبل ذلك من الدعة والتواكل واللامبالاة وهى من السمات الواضحة خلال هذه السنين، ولم تكن المدفعية المضادة للطائرات وقتئذ بمنأى عن ذلك، لقد أفقدت هذه الأمراض الاجتماعية الثقة فى القادة، وفى الأسلوب القيادي، وبالتالي تأثرت كفاءة الوحدات القتالية، بل اضمحلت حتى وصلت إلى مستوى لا يدانيه مستوى فى الانخفاض، وما كان كل ذلك إلا نتيجة

مباشرة لأعمال القادة، الذين كانوا على قمة المسؤولية القيادية في ذلك الوقت. كل ذلك بالإضافة إلى الغرور المبني على التقدير الخاطئ لقوة العدو وإمكاناته وقدراته القتالية . ذلك الغرور الذي لا يمكن أن نمر عليه دون أن نوفيه حقه من الإيضاح، لقد كان هذا الغرور ناجماً عن الأسباب الآتية:

أ. اعتبار حرب ١٩٥٦ انتصاراً لا يدانيه أي انتصار برغم ما تم في هذه الحرب من أخطاء عسكرية قاتلة كانت سبباً في عدم كتابة تاريخ هذه الحرب حتى يومنا هذا .
ب. التوجيه الدعائي الخاطئ الذي حول هذه الحرب إلى انتصار باهر، واستمرار هذا التوجيه بوسائل الإعلام المختلفة، مما أدى إلى خلق مزيد من الثقة لدى القوات المسلحة أدت في النهاية إلى التواكل.

ج. بناء القوات المسلحة المصرية عام ١٩٥٨ من منطلق خاطئ لا يستند إلى علم عسكري ولا إلى خبرة قتالية ضارين عرض الحائط بالدروس المستفادة التي تمخضت عنها معارك الصحراء الغربية . ومرد ذلك الغرور إلى ما أصاب الهيئات التي قامت بوضع خطط بناء القوات المسلحة من ثقة زائدة، كذا الغرور الذي أصاب القيادة العليا كما جعلها تعتقد في سلامة التخطيط الذي وضع وليس أدل على ذلك الاعتقاد بأن العربية ذات العجل يمكنها أن تجارى العربية ذات الجنزير في مسرح قتال صحراوي، بل يتميز بصعوبة التحرك في كثير من أجزائه.

د. الاعتقاد الخاطئ في قدرات العدو وإمكاناته، ووضعه دائماً في الموضع الأقل، متجاهلين دائماً أسس العلم العسكري، والتي تنص على ضرورة وضع العدو بما يتناسب مع قدراته وإمكاناته وأسلوب قتاله، ويعنى ذلك ألا نقلل من شأنه، ونمنح أسلوب قتاله مما يولد لدينا شعوراً بالثقة يؤدي على مرور الأيام إلى غرور تام .

هـ. الأحاديث التي يذيعها المسئولون في قيادات القوات المسلحة من تكبير لقدراتها، والإدلاء ببيانات غير حقيقية عن كفاءتها القتالية مثل: أقوى جيش في الشرق الأوسط، وأكبر قوة جوية أو بحرية في الشرق الأوسط، وما شاكل ذلك من الشعارات التي كانت لا تخدم أي هدف سوى المصالح الشخصية لقائليها. مثل

هذه الأحاديث خلقت لدى الشعب المصري شعورًا بالاطمئنان المتزايد، كما خلقت لدى المقاتل المصري - عدا القليل جدا - نفس هذا الشعور .

و. تجسيم قتال القوات المسلحة في اليمن وتحويله إلى قصص بطولية وانتصارات رغم أن كثيرًا من المعارك لم تكن انتصارًا بأي حال من الأحوال، ولا قتالا بالمعنى المفهوم . لقد كان من المتوقع في ضوء خبرة القتال الدائر في فيتنام أن الهجمات الجوية في أي حرب مقبلة لابد أن تتم على ارتفاعات منخفضة جدا ما بين ٥٠ - ٥٠٠ متر وذلك لتحقيق الآتي :

أ- الحد من مسافة كشف الأهداف المهاجمة ما يسر زمنًا محدودًا لوضع وحدات الدفاع الجوي - مدافع - صواريخ - مقاتلات - في درجة الاستعداد المناسبة، وذلك راجع لطبيعة أجهزة الرادار عند التعامل مع هذا النوع من الأهداف .

ب- احتمال اختفاء الطائرات المهاجمة من أجهزة الرادار عند استغلالها لخصائص الأرض واتباعها للمنخفضات للطيران فوقها ما يحقق للعدو المفاجأة .

ج- الاستفادة من القصور الموجود في الأسلحة الدفاعية ضد هذا النوع من الأساليب، فقدرات المدفعية و الصواريخ والمقاتلات على هذه الارتفاعات المنخفضة تعتبر محدودة، وبالتالي فاحتمال تدميرها للطائرات على هذه الارتفاعات يعتبر ضئيلاً .

د- هذا النوع من الطيران يحقق المفاجأة الكاملة للمهاجم على المدافع - إذا لم يتخذ المدافع من الوسائل والإجراءات ما يحيد من هذه المفاجأة .

وفي ضوء حرب فيتنام والقصور الذي ظهر في دفاعها الجوي إزاء الهجمات الجوية الأمريكية تم مناقشة هذه المشكلة في أوائل عام ١٩٦٦، وذلك بمدرسة المدفعية م٠ ط التي كنت قائدا لها وقتئذ، وانتهت بضرورة تصعيد هذا الأسلوب إلى القيادة المختصة لاتخاذ ما يلزم من أساليب للتغلب عليه، والعمل على استكمال ما يلزم من تسليح يسر التعامل مع الطائرات المنخفضة جدًا .

إن هذا التصعيد وما تلاه من تحذيرات ذهب كله هباء ولم يعمل له أي حساب، لا من ناحية استيراد أسلحة جديدة وهي كثيرة - أو تطوير أسلوب استخدام الأسلحة

الموجودة للحصول على الفائدة المرجوة منها بفاعلية أكثر، مما يزيد من نسبة احتمال تدميرها للطائرات؛ لذا • فعندما قام السلاح الجوي الإسرائيلي بهجومه صباح يوم ٥ يونيو ١٩٦٧ مستخدمًا هذا الأسلوب لم يجد وحدات الدفاع الجوي مستعدة للتعامل معه أو قادرة على التعامل معه، على أساس استخدامه لهذه التكتيكات الجديدة فكانت بداية للنهاية ووقعت الكارثة، وبدأ التساؤل يدور بين الجميع عن الأسباب التي أدت إليها لا من البحث عن الأسباب الحقيقية بدأ الجدل والنقاش يتجه نحو الأسباب الثانوية لاتخاذها مسندًا نعلق عليه الأخطاء القاتلة والمميتة التي أدت إلى هزيمة ١٩٦٧.

لقد كان من نتائج هزيمة ١٩٦٧ أن فقد الدفاع الجوي ما يقرب من ٧٠ ط من المدفعية م ط، كما خسر كتائب الصواريخ التي كانت تدافع عن منطقة القناة في المنطقة الممتدة من بور سعيد شمالاً إلى السويس جنوباً وعددها ٩ كتائب، أمكن فيما بعد إصلاح بعضها وإدخال الخدمة ثانياً بواسطة المهندسين المصريين •

الباب الثانى

من الهزيمة إلى حائط الصواريخ

(الفصل الثالث)

عودة الصواريخ للجبهة

الحصول على السلاح

في ضوء مرحلة البناء التي بدأت لإعادة بناء القوات المسلحة من جديد، وصلت كميات كبيرة من المدفعية م^٥ ط غالبيتها من الاتحاد السوفيتي، وبعضها من الدول الاشتراكية الصديقة، كما قامت اللجان المختصة بشراء أي أسلحة م^٥ ط معروضة للبيع في السوق العالمية وما أندر المعروض منها، كما أن غالبية المعروض منها لا يساير التطور الموجود في الطائرات الحديثة من سرعة عالية وقدرة كبيرة على المناورة، ونظرًا لما اتبعه العدو خلال عمليات ١٩٦٧ من الهجوم على ارتفاعات منخفضة جدا انحصر نشاط هذه اللجان على شراء الأسلحة م^٥ ط عيار ١ / ٢ بوصة إلى ٢٠ مم، وهذه الأسلحة هي ما يصطلح عليها بالرشاشات م / ط وقد تم شراء كميات كبيرة منها .

لم تصل الأسلحة المتعاقد عليها مرة واحدة وإنما كانت تصل تباعًا وبوصولها تم تسليح الوحدات القائمة وبدئ في تشكيل وحدات جديدة حسب موقف السلاح المتيسر، وبمجرد انتهاء هذه الوحدات من تدريبها كانت ترسل للعمل على خط المواجهة مع العدو على قناة السويس، أو ترسل للدفاع عن القواعد الجوية والمطارات، وفي الوقت نفسه كان الدفاع بالصواريخ بواسطة الوحدات التي لم يهاجمها العدو قائما حول الإسكندرية والقاهرة وأسوان، وبمجرد أن تم إصلاح الكتائب التي أصاب العدو بعض معداتها بالتلف اتخذت أوضاعها في شمال الدلتا لتعزيز الدفاع عن القاهرة من اتجاه الشمال، دون تغيير في أسلوب استخدام هذه الوحدات رغم ما أظهرته حرب

يونيو ١٩٦٧، من أن هذا الأسلوب الذي كان مستخدمًا في توزيع الوحدات كان العامل الأساسي في أن تمكن العدو من التعامل معها وتدميرها بسهولة دون خسائر تذكر.

استمر تشكيل الوحدات الجديدة تبعًا لما يرد من الأسلحة وهي في عددها ونوعيتها هزيلة. ولقد سبق بعد الكارثة مباشرة أن حضرت إلى مصر عدة لجان متخصصة من الاتحاد السوفيتي وعلى مستوى عال من القدرات العسكرية، وقررت في ضوء الدراسة التي أجريت على معارك ١٩٦٧ دعم جمهورية مصر العربية بكميات كبيرة من الأسلحة م. ط المتطورة، وذلك لزيادة القدرات الدفاعية ضد الطائرات للوحدات والتشكيلات الميدانية والأغراض الحيوية بالدولة إلا أنه بمجرد استقرار الموقف في منطقة الشرق الأوسط وصدر القرار رقم ٢٤٢ لم يصل إلا القليل مما وعد به الاتحاد السوفيتي وهو دون المستوى وبات واضحًا أن فترة الإعداد للمعركة ستطول، والذي يدق في موقف الاتحاد السوفيتي بعد صدور هذا القرار يجد أنه بدأ ينهج نهجًا جديدًا ويبنى سياسة جديدة تهدف في النهاية إلى حل القضية حلاً سلميًا برغم بعض التصريحات التي كان يذيعها بين وقت وآخر من تأييد للحق العربي وضرورة انسحاب إسرائيل من الأراضي المحتلة وحق العرب في استرداد أرضهم بالقوة.

تدريب الوحدات

بدأ تدريب الوحدات سواء الجديدة منها أو القديمة بعزم وإصرار لرفع مستوى كفاءتها القتالية استعدادًا لخوض المعركة في أي وقت، فالسلاح الجوي الإسرائيلي الذي كسب حرب ١٩٦٧ بأقل ثمن أصبح هو سلاح الرعب الذي يسيطر على كل تفكير عسكري عند تقدير الاحتمالات المنتظر أن يقوم بها العدو، وفي ضوء ذلك الوهم الذي لازمنا طويلاً إلى أن انتهت خرافة هذا السلاح في أكتوبر ١٩٧٣ كانت خططنا الموضوعة لهزيمة العدو تتأرجح دائماً بين الإقدام والإحجام، بين إمكان التنفيذ المحدود واستحالة التنفيذ، خوفاً من هذا السلاح الرهيب، وعدم إمكان القوات البرية تنفيذ أي مهمة قتالية تحت ضغط طيران العدو.

أدت نكسة ١٩٦٧ إلى حدوث تغييرات كبيرة في القيادات، وكان على هذه القيادات الجديدة أن يبدأ في العمل الجاد لخلق وحدات قادرة على القتال في ضوء خبرة قتال ١٩٦٧. ومن ذلك الوقت بدأت الوحدات تجدد في تدريبها وتعمل على تلافى أوجه القصور في كفاءتها القتالية، وبدأ الجد في العمل يحل محل التراخي الذي كان سائدا قبل ذلك، كما بدأ الشعور بالمسئولية يحل محل اللامبالاة وظهر لأول مرة منذ سنين عديدة العقاب والثواب كجزاء على ما يبذل من جهد في التدريب.

لم تعرف السنوات التي سبقت نكسة ١٩٦٧ أي أسلوب من أساليب الجدية لتجهيز الوحدات للقتال، لقد كان إعداد القوات للقتال هو آخر متطلبات النواحي العسكرية في تلك الأيام، وكان كل ما يجري بشأن التدريب من إعداد واختبارات إنما هو تمثيلية.

لقد تم قبل النكسة بسنين اختبار لوحدات المدفعية م. ط وكان المستوى الذي تحصلت عليه أغلب الوحدات غير مقبول، بما لا ييسر لها إمكان القتال بكفاءة، إلا أن أسلوب الضغط والتخويف والإرهاب الذي كان سائداً في القوات المسلحة وقتئذ من مراكز القوى الموجودة بها - وما أكثرها - وتحكمها في مستقبل الضباط كان له أكبر الأثر على تغيير نتائج التدريب إلى الأفضل لظهور قادة ذلك الوقت بمظهر القادة الأكفاء القادرين، ولقد كان أسلوب التقييم أسلوباً خاطئاً يحيد عن الطريق السليم الواجب اتباعه في تقييم الكفاءة القتالية للوحدات والتشكيلات. ٠٠٠ أسلوباً ساد لفترة طويلة قبل هزيمة يونيو عام ١٩٦٧ كانت له آثاره الضارة على القوات المسلحة. ٠٠ لقد أخذ كثير من القادة منذ ظهرت مراكز القوى داخل القوات المسلحة في التقرب إليها بشتى الطرق طمعاً في رضائها والاستفادة من حولها، واستناداً إلى ذلك أهدر العمل العسكري وضاعت التقاليد العسكرية، وفي ظل ذلك ضاعت الوحدات وضعف التدريب وانعدمت الكفاءة القتالية، وكانت النتيجة الحتمية لذلك كارثة ١٩٦٧.

في أوائل عام ١٩٦٨ قامت الفرقة الثامنة د/ جو (أو ما سمي بحائط الصواريخ فيما بعد) باحتلال منطقة القناة بعدد ٧ كتائب صواريخ سام ٢ معدل وذلك من بور سعيد شمالاً إلى السويس جنوباً على مواجهة نحو ١٩٠ كم وكان احتلالها بهذا الشكل يعتبر احتلالاً مبعثراً لوحداتها، ييسر للعدو إمكان مهاجمتها وتدميرها بسهولة.

وفي ضوء قرار وقف إطلاق النار لم تقم هذه الوحدات بأي اشتباك مع الطائرات الإسرائيلية التي كان نشاطها فوق سيناء محدودًا • إذا إن إسرائيل قنعت بما حصلت عليه من مكاسب خلال عام ١٩٦٧، وأصبحت مواقعها تركز على مانع مائي كبير يصعب اقتحامه واعتقد أن ذلك هو نهاية المطاف مع مصر، وأن احتلالها لسيناء سيستمر إلى عشرات السنين، لأنه حسب تقديرها لن يتمكن المصريون من القيام بأي عمل عسكري قبل سنوات، وفي ضوء ذلك التقدير بدأت إسرائيل تطور قواتها الجوية على أسس حديثة فبدأت في الاعتماد في تسليحها على الطائرات الأمريكية، بدأ تزويد السلاح الجوي الإسرائيلي بأحدث أنواع الطائرات الأمريكية من طراز فانتوم وسكاى هوك، وقد استغلت إسرائيل تسليحها هذا في الحرب النفسية ضد الدول العربية، فبدأت عن طريق وسائلها الدعاية المختلفة والمنبثة في أنحاء العالم تذيع الكثير عن قدرات الطائرة الفانتوم وسكاى هوك، ومن ناحية قدرتها على تدمير الأغراض أو العمل ضد أنواع الأسلحة م • ط المختلفة، أو قدرتها على الوصول إلى أي هدف في أعماق الدول العربية، وذلك للضغط على الرأي العربي وجعله يشعر بأنه دون المستوى في التعامل مع القوات الجوية الإسرائيلية، وأن الأفضل لديه هو عدم القيام بأي عمل عسكري، خوفا على أغراضه الحيوية المتعددة الموجودة في أعماق الدول العربية من التدمير بهذه الطائرات في حالة استئناف القتال •

حرب الاستنزاف

بدأت حرب الاستنزاف في مارس ١٩٦٩ وبدأ العدو يستخدم طائرات الهليكوبتر للعمل كنقط ملاحظة لتصحيح نيران مدفعيته، وهنا قامت وحدات الصواريخ بتدميرها مما جعل العدو يبدأ في إقحام قواته الجوية في حرب الاستنزاف مما جعله يفقد عددا محدودا من طائراته واستمرار الموقف على ذلك المتوال حتى كان يوم ٢٠ يوليو ١٩٦٩ عندما بدأ العدو في مهاجمة كتائب الصواريخ مبتدئًا بكتيبة صواريخ بور سعيد وتمكن من تدميرها في دقائق، وفي يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٩ تمكن العدو من تدمير عدد كبير من كتائب الصواريخ الباقية • وبذا لم يأت آخر يوليو ١٩٦٩ حتى كانت الجبهة خالية تمامًا من كتائب الصواريخ، ومنذ ذلك الوقت وحتى ٣٠ يونيو ١٩٧٠ بادت

جميع المحاولات التي تمت لاحتلال وحدات الصواريخ لمواقعها مرة أخرى بالجهة مهما كان الثمن بالفشل • لماذا وكيف تم ذلك؟ وهل نجح العدو في تحقيق غرضه؟ وإلى أي مدى تمكن من النجاح؟

لقد كان نجاح العدو في تدمير وحدات صواريخ الفرقة الثامنة في يوليو ١٩٦٩ سبباً في حدوث خسائر تعتبر كبيرة نسبياً - بين رجال الصواريخ أدت إلى تثبيط الهمم وخفض الروح المعنوية وإلقاء مزيد من الحيرة بين رجال الدفاع الجوي، وأصبح السؤال الدائر على كل لسان يدور حول صعوبة التعامل مع الطائرة سكاي هوك وحول نوعية الصواريخ الموجودة، وعدم قدرتها على التعامل مع هذه الطائرة •

لقد أدى نجاح العدو في تدمير كُتائب الصواريخ في يوليو ١٩٦٩ إلى فرض سيطرته الجوية على جبهة القناة، ومن ثم بدأ يوجه هجماته الجوية إلى وحدات مدفعية الميدان القائمة بضرب مواقعه في خط بارليف بغرض إسكاتها، ولم تسلم وحدات الدفاع الجوي - وكلها من وحدات المدفعية م • ط الأعية المتوسطة إلى الرشاشات من تلك الهجمات، إذ إنها كانت الوسيلة الوحيدة المتيسرة للتعامل مع طائرات العدو المهاجمة ويرى أن كثيراً من قطع المدفعية م • ط طالما من أسلحة الحرب العالمية الثانية، فإنها قاتلت ببسالة وشجاعة نادرة، وأدت دوراً كبيراً في وقاية القوات، مما جعل الخسائر التي يهدف العدو إلى إلحاقها بقوات الجبهة وخاصة قطع مدفعية الميدان أقل بكثير مما كان يقدره العدو • لقد كان من الضروري أن تتواجد وحدات الصواريخ م • ط في الجبهة ولو بعدد محدود من الوحدات بغرض تحقيق الآتي :

أ. الحد من نشاط العدو الجوي على جبهة القتال ذلك النشاط الذي انفرد به بعد

تدمير كُتائب الصواريخ في يوليو ١٩٦٩ •

ب. رفع الروح المعنوية للقوات •

ج. تكبيد العدو خسائر في الطائرات لإكساب الثقة لوحدات الصواريخ وزعزعة ثقة العدو في قدراته.

ونظراً للخسائر التي لحقت بوحدات الصواريخ خلال يوليو ١٩٦٩ بدأ التفكير في وضع الصواريخ في مواقع محصنة من طراز معين، وفي ضوء القرار الذي اتخذ استقر

الرأي على بناء ٤ مواقع صواريخ تعطى وقاية كاملة للمعدات وأطقم الكتائب ضد القنابل زنة ٥٠٠ - ١٠٠٠ رطل، وتم تكليف شركات المقاولات المصرية بذلك ' على أن يتم الانتهاء منها خلال ثلاثة أشهر على الأكثر، ولقد كان هذا الوقت غير كاف في ضوء كمية الأعمال المطلوبة ' إذ إن الموقع الواحد يحتاج إلى الأعمال الهندسية التالية :-

٤٥٠٠ متر مكعب حفر

٣٠٠٠ متر مكعب ردم

٦٥٣٢ مترًا مكعبًا خرسانة عادية

١٩٨٥ مترًا مكعبًا خرسانة مسلحة

وفعلا بدأت الشركات أعمالها ولم يفطن العدو إلى ما يجري إعداداه؛ لذا لم يتدخل في بنائها. ولم يحل شهر ديسمبر ١٩٦٩ إلا وكانت المواقع الأربعة جاهزة، ودخلت وحدات الصواريخ إلى الجبهة بقوة محدودة لا تتعدى كتيبي صواريخ، وذلك في قطاع الجيش الثالث الميداني ' وتمكنت من قتال العدو بنجاح وإسقاط بعض طائرات العدو ' ولكن العدو تمكن في النهاية من التغلب عليها وإسكاتها .

لقد كان النجاح المحدود الذي لاقته وحدات الصواريخ في ٥ ديسمبر ١٩٦٩ داعيا إلى تطوير العمليات لقتال العدو بالصواريخ . ولكن على نطاق أكبر، وعلى ذلك تم إدخال ٦ كتائب صواريخ إلى الجبهة يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩، احتلت المواقع الأربعة المحصنة في «أبو صويرة أبو سلطان، جنيفة، العجرو» - واحتلت الكتيبان الباقيتان خطأ ثانيا خلفهما في مواقع ميدانية، وتم حشد أكبر قدر من المدفعية م . ط والرشاشات من الأعيةر المختلفة لتوفير الدفاع المباشر عن هذه الوحدات، بالإضافة إلى بعض عناصر محدودة من الصواريخ المحمولة على الكتف سام ٧.

بدأ العدو في صباح يوم ٢٥ ديسمبر بعد أن شعر بواسطة أجهزة الاستطلاع الإلكترونية المتوفرة لديه بوجود وحدات الصواريخ في القيام بنشاط استطلاعي، بغرض تحديد محلات كتائب الصواريخ، وما إن أمكنه تحديدها حتى بدأ في مهاجمتها بعنف وتمكن بعد ساعات من إسكات هذه الوحدات، بعد أن تمكنت من تدمير نحو

٥ طائرات للعدو، وقد أثبت الدفاع الخطى بالصواريخ فشله للمرة الثالثة 'كما أثبتت المواقع المحصنة قدرتها التامة على وقاية الأفراد والمعدات 'عدا محطة الرادار الخارجية التي بحكم خصائصها لا بد أن تعمل في العراء، مما جعل الفكر العسكري المضري يتجه إلى إقامة مواقع الصواريخ بالجبهة من المواقع المحصنة، وبدأ فعلاً في إعداد الخطة اللازمة لإتمام إقامة ١٦ موقعاً للصواريخ من النوع المحصن من نوعية أخرى بحيث تغطي جبهة القتال من القنطرة شمالاً حتى السويس جنوباً، ولنا أن نتصور ضخامة هذا العمل الهندسي، فالموقع المحصن الواحد يحتاج إلى حجم في الأعمال الآتية:

٣٠٢٦ مترًا مكعبًا حفراً

١٥٠٠٠ متر مكعب ردم

٢٢٧٢ مترًا مكعبًا خرسانة عادية

١٢٢٧ مترًا مكعبًا خرسانة مسلحة

ونظراً للسرعة المطلوبة لإتمام هذا العمل فقد جند لذلك الغرض كبرى شركات المقاولات المصرية إن لم يكن معظمها، وتخص لكل شركة موقع أو أكثر حسب قدرتها وكفاءتها، وبدأت الشركات مع الأشهر الأولى عام ١٩٧٠ في العمل .

لقد أظهرت معارك ١٩٦٩ بين وحدات الدفاع الجوى والقوات الجوية الإسرائيلية حقائق مهمة ودروساً قيمة بالدراسة للوصول إلى الأسلوب الأمثل للتعامل مع العدو، ولقد أوضحت هذه المعارك ما يلي:

أ. فشل نظام الدفاعي الخطى - ذلك النوع من الدفاع الذي تتواجد فيه وحدات الصواريخ على خط واحد تقريباً بفواصل كبيرة، فقد كان هذا النظام غير قادر على التعامل مع الهجمات الجوية الحديثة التي تتميز بكثافة كبيرة من الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة، وذلك راجع طبعاً إلى كبر الفواصل بين كتائب الصواريخ، بالإضافة إلى أن قدرة الصواريخ على العمل ضد الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة محدودة في المدى (المسافة) وسنوضح هذا فيما بعد .

ب. أهمية تدريب وحدات الصواريخ الموجهة م • ط على التعامل مع الطائرات على جميع الارتفاعات، ومع الهجمات الجوية المكثفة والمحدودة •

ج. الروح المعنوية في المعركة كانت ولا تزال وستستمر هي الصخرة التي تنكسر عليها إرادة المتحاربين •

د. ضرورة توفير الوقاية للأفراد والمعدات باستخدام أسلوب تجهيز هندسي محصن يلائم وحدات الصواريخ الموجهة م • ط •

هـ. إن الطائرات الحديثة التي زودت بها إسرائيل من أمريكا لها قدرات فنية وتكتيكية تيسر لها تقليل كفاءة وحدات الصواريخ الموجهة م • ط وإمكان الابتعاد عنها بالمنورة الحادة، بالإضافة إلى قدرتها العالية على تدمير الأغراض التي تهاجمها •
وسنوضح ذلك بإيجاز عند التكلم عن العدو •

و. إن عصر المدفعية إلى انقراض ' طالما أن العلم والتكنولوجيا الحديثة لم يقدم لها في مجال التطوير أي جديد يذكر •

ز. إن الخندق العميق أو الحفرة البرميلية (نسبة إلى شكلها) توفر الوقاية ضد القنابل من أي وزن.

ح. إن سماء أي دولة تعتبر مفتوحة أمام الطيران الحديث فلا يمكن أن يتواجد دفاع جوى قادر على سد أجواء أي دولة من جميع الاتجاهات دون أن يكون ذلك على مستوى رفاهية الشعب وتقدمه •

العدو يفرض السيطرة الجوية

بانتهاى يوم ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ انتهى تواجد وحدات الصواريخ الموجهة م • ط بالجبهة للمرة الثانية بعد هزيمة ١٩٦٧، وبهذه النهاية بدأت الحرب الجوية التي بدأها العدو في يوليو ١٩٦٩ تأخذ طابعاً فريداً في شكله، جديداً في نوعه، لم تألفه مسارح القتال من قبل • وقد يدعوننا ذلك الشكل والنوع إلى التساؤل عن الأسباب التي أدت بإسرائيل إلى اعتناق هذا النوع من الحرب الجوية، الواقع أن هناك عدة أسباب نجم لها فيما يلي :

أ- أدى نجاح إسرائيل خلال عام ١٩٦٩ في تدمير كتائب الصواريخ الموجهة م٠ ط بالجهة مرتين، وإخراجها من المعركة في دقائق محدودة أو أكثر - إلى إعطائها ثقة كبيرة في قدرة طيارها وطائراتها، وخاصة طائرات الفانتوم وسكاى هوك، التي بدأت إسرائيل تزود بها بأعداد كبيرة من الولايات المتحدة الأمريكية والتي ينتظر وصول المزيد إليها تبعاً خلال عام ١٩٧٠ وعلى ذلك يمكن إسرائيل في ضوء وصول أعداد جديدة إليها تطوير عملياتها الجوية على جبهة القناة بكثافة كبيرة .

ب- استدعت معركة كتائب الصواريخ الموجهة م٠ ط في الجبهة في المرة الثانية مجهوداً جويًا أكبر من المرة الأولى وحمولات مضاعفة إذا قورنت بالمرة الأولى، ويكفى أن نضرب لذلك مثلاً بما ألقاه العدو على إحدى كتائب الصواريخ الموجهة م٠ ط إذ تم قصفها بنحو ٢٠٠ قنبلة تتراوح أعيرتها بين ٥٠٠-١٠٠٠ رطل وقد كانت خسائر الطيران الإسرائيلي في هذه المعركة مخيبة لآمال الإسرائيليين، فلقد تضاعفت خسائرهم عن المرة الأولى إذ بلغ عدد الطائرات المدمرة ضعف ما تم تدميره في المرة الأولى، وكان ذلك راجعاً في المقام الأول إلى ما أضفته المواقع المحصنة على المعدات من وقاية يسرت لها بقاء أطول في القتال مع العدو دون أن تدمر، كما أشعرت المقاتلين بمدى الوقاية المتوفرة لديهم ضد جميع أنواع القنابل التي يستخدمها العدو، مما جعلهم يؤدون أعمالهم في أمن وطمأنينة الأمر الذي جعل القيادة الإسرائيلية تقرر عدم السماح لجمهورية مصر العربية ببناء أي مواقع صواريخ جديدة في الجبهة، وكان سلاحها في ذلك هو قواتها الجوية .

ج - وقوف إسرائيل على نوايا جمهورية مصر العربية فيما يختص بدعم دفاعها الجوي وذلك بشرائها أسلحة جديدة من نوع آخر أكثر تقدماً من النواحي الفنية، والقدرة على التعامل مع الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة، مما يهدد تفوقها الجوي في المستقبل، وكان من الضروري إظهار قدرتها الجوية بما يجيب الآمال المعقودة في أي سلاح تحصل عليه جمهورية مصر العربية مستقبلاً . لكل ما سبق استخلص الفكر العسكري الإسرائيلي من معركة الدفاع الجوي الثانية معركة ٢٥ ديسمبر ١٩٦٩ أن السماح بوجود وحدات الصواريخ في الجبهة في مواقع محصنة سيستلزم

من الطيران الإسرائيلي مجهودًا جويًا أكبر وحولات أكبر من القنابل مع مزيد من الخسائر، وأن هذا المجهود سيزداد وتزداد معه الخسائر بوصول الأسلحة الجديدة التي قررت مصر دعم دفاعها الجوي بها؛ لذا اتخذت إسرائيل منذ بداية عام ١٩٧٠ استراتيجية جديدة، وهي فرض السيادة الجوية على الجبهة من بورسعيد شمالاً إلى السويس جنوباً، وعلى طول ساحل خليج السويس حتى القصير جنوباً، وتبعاً لذلك بدأت أول حرب جوية من نوعها في التاريخ الحديث •

الفصل الرابع

الحرب الجوية بين حرب الاستنزاف و معركة بناء مواقع الصواريخ

بدأت هذه الحرب الجديدة في نوعها وشكلها مع بداية عام ١٩٧٠، وكانت الأغراض الاستراتيجية التي تسعى القيادة الإسرائيلية إلى تحقيقها تتلخص فيما يلي:

- ١- تدمير الروح المعنوية للقوات المسلحة المصرية.
- ٢- إيقاف حرب الاستنزاف وإشعار مصر بعدم جدواها، نظرًا لما تسببه للكيان الإسرائيلي من إدماء بطنىء.
- ٣- الحيلولة دون دخول أي وحدات للصواريخ م/ ط جبهة القتال.
- ٤- إنزال أكبر ما يمكن من الخسائر بالأفراد والمعدات.
- ٥- إقناع القيادة السياسية في مصر بعدم جدوى الحرب و قبول الأمر الواقع أو الاتجاه إلى حل المشكلة بالمفاوضات المباشرة، وتحقيق الاستراتيجية الإسرائيلية ألا وهى استراتيجية الاستسلام بما فيها من تنازلات عن الأرض التي تحتاج إليها إسرائيل لدواعي أمنها المزعوم.
- ٦- التأثير المعنوي على الجبهة الداخلية لزعة ثقتها في القيادة السياسية، والانطلاق من ذلك إلى مطالبتها بإنهاء الحرب وإيجاد وسيلة لإنهائها مستغلة في ذلك سوء الحالة الاقتصادية، والتيارات الاجتماعية المتضاربة في المجتمع المصري في مرحلة نموه وتطوره.

في ضوء تلك الأغراض بدأ التخطيط والتنفيذ لأول حرب جوية من نوعها، و حددت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية أهدافها لتكون بالأسبقية التالية:

١ - استنزاف القوات الجوية المصرية

لقد كانت إسرائيل تعلم أن مصر قائمة بإعداد قواتها الجوية من جديد، وأن هذا الإعداد يستلزم إعداد الطيارين الجدد، وتدريب القدامى، و شراء الطائرات، ورأت أن أفضل وسيلة لذلك هي سحب القوات الجوية المصرية إلى معارك عبارة عن كمان جوية في مناطق يتم اختيارها لذلك الغرض، وإجبار القوات الجوية المصرية على الدخول في معارك غير متكافئة لتدميرها بغرض تحقيق الآتى :-

(أ) إفقاد القوات المسلحة و الشعب الثقة في قواته الجوية وإظهارها بمظهر العاجز و عدم الجدوى في إعادة بنائها بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧ .

(ب) إفقاد الطيارين الثقة في قدرة طائراتهم على مقابلة الطائرات الإسرائيلية و بالتالى بث الخوف في نفوسهم عند دخولهم المعارك الجوية مما يجعلهم يفقدونها قبل بدئها أو بمجرد بدئها.

لقد نجحت إسرائيل في هذه الحرب نجاحًا كبيرًا، و لقد ساعد القيادة الإسرائيلية على ذلك عاملان أساسيان أولهما، معرفتها التامة بنفسية القيادة المصرية و مدى إصرارها على عدم قبول أي اختراق جوى لأجوائها مهما كان الثمن، أما العامل الثانى فهو معرفتها التامة بخصائص الطائرات المصرية و مدى قصر عملها و قلة زمن بقائها في المعركة الجوية، بعكس ما تتميز به الطائرات الإسرائيلية من مدى عمل طويل و زمن بقاء أطول في المعركة الجوية.

اختارت إسرائيل لذلك المنطقة الجبلية الممتدة على خليج السويس من السويس جنوبًا حتى الزعفرانة على خليج السويس، و قد تحقق لها في هذه الحرب الكثير إلا أنها لم تتمكن من أن تنال من معنويات طيارينا برغم الدعاية الإسرائيلية المكثفة، التى كانت تلازم هذه المعارك الجوية و التى كانت في حقيقتها حربًا نفسية موجهة للنيل من معنويات الشعب المصري و القوات المسلحة بصفة عامة، و معنويات الطيارين بصفة خاصة.

لقد كانت إسرائيل تعلم أن بناء قوة جوية مصرية من جديد إنها هو ضربة استراتيجية توجه إليها في الصميم، توجه إلى الذراع الطويلة التي تفاخر بها العالم كله - تلك الذراع التي مكنتها من النصر السريع عام ١٩٦٧؛ لذا كان من الضروري عدم وجود أي سلاح يعمل ضدها سواء المقاتلات أو الصواريخ الموجهة م/ ط.

لقد كانت إسرائيل تعلم تمامًا أن مصر تعد قواتها المسلحة لخوض معركة التحرير، وأنها قد تلقت كثيرًا من الأسلحة من الاتحاد السوفيتي خلال عامي ١٩٦٨، ١٩٦٩، وأنها ركزت جهودها على تدريب قواتها لهذه الحرب، وفي ضوء تقدير المؤسسة العسكرية الإسرائيلية كان عام ١٩٧٠ هو العام المنتظر أن تستكمل فيه مصر قدرًا كبيرًا من استعداداتها، مما يشجعها على القيام بعمليات هجومية، وذلك في ضوء كميات الأسلحة التي تدفقت على كل من مصر وسوريا، والإعداد الجارى للقوات في الحجم والنوعية.

وفي ضوء نجاح حرب الاستنزاف التي تمت خلال عام ١٩٦٩ والتي تكبدت فيها إسرائيل خسائر مادية كبيرة وضعت الخطط لإحباط أي هجوم تقوم به الدول العربية مجتمعة أو مصر منفردة معتمدة أساسًا على القوات الإسرائيلية.

وكانت الخطة الإسرائيلية العامة لذلك الغرض والتي أخذت الاسم الكودي «بليد» نسبة إلى نائب قائد السلاح الجوي الإسرائيلي وقتئذ وقائده خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣ تتلخص فيما يلي:

(أ) مهاجمة مطارات الدول العربية في وقت واحد بأسراب الفانتوم وسكاى هوك، وذلك في حالة قيام الحرب بين الدول العربية وإسرائيل، أو مهاجمة مطارات جمهورية مصر العربية فقط في حالة قيامها منفردة بالهجوم.

(ب) في مراحل الحرب الأولى ولتحقيق أكبر حشد من القوات الجوية الإسرائيلية لتدمير مطارات الدول العربية أو مصر فقط لن تخص أى معاونة للقوات البرية في عملياتها، وإذا حدث ذلك فسيكون ذلك من مهمة الطائرات الفوجا ماجستر، وهذا النوع من الطائرات مخصص لتدريب الطيارين.

(ج) تخصص الطائرات الفانتوم وسكاى هوك و الفوتور في الموجات الأولى للهجوم لقصف المطارات في حين تنفرغ الطائرات الميراج للدفاع الجوي.

(د) تخصص الطائرات الفانتوم أساسًا في الآتى:

١- تدمير مطارات رأس بناس و أسوان في مصر، و H3 على حدود الأردن والعراق، ومطارات سوريا البعيدة، و نظرًا لوجود دشم محصنة في جميع هذه المطارات لذا تستخدم القنابل الزمنية لتعطيل الإصلاح مع ضرب الممرات في الثلث الأول والأخير.

٢- يتم تدمير طائرات Tu16 قبل الدشم في مطار أسوان وذلك في حالة تواجد الطائرات في العراق.

٣- يتم تدمير دشم الطائرات بالقنابل الزمنية مع إسقاطها على مداخل الدشم حتى تتدحرج داخل الدشم فتدمر ما بداخلها من أفراد وطائرات ومعدات، مع العمل على تدمير مداخل الدشم مما يؤدي إلى عدم صلاحيتها.

٤- يجب على الطائرات عدم الدخول في معارك جوية أثناء الاقتراب لأغراضها المحددة لها وخاصة في العمق الاستراتيجي حيث يتعذر تقديم أى معونة جوية لها.

٥- تخص قوة الطائرات الميراج للدفاع الجوي عن إسرائيل ثم يتم تدعيمها بعد ذلك بالطائرات الفانتوم.

كانت هذه الخطة موضوعة و موزعة على أسراب القوات الجوية الإسرائيلية، و كانت الأسراب منذرة لتنفيذها بعد ٢٤ ساعة من إصدار الأوامر لها كما أن تطويرها و إجراء التعديل عليها كان يتم من وقت إلى آخر وفقًا لأوضاع القوات العربية أولاً، و وفقًا للنمو المضطرد في القوات الجوية الإسرائيلية ثانيًا، ولقد تحفظت الخطة على توقيت بدء القتال فحددت أنه في حالة نشوب الحرب ليلاً تؤجل ضربة الإحباط الجوية إلى أول ضوء اليوم التالي في حين تنفذ بعض الطلعات الجوية لأهدافها ليلاً على ألا تتخذ جبهة القتال طريقًا لاقتربها.

ب- منع بناء قواعد الصواريخ الموجهة أرض جو

لقد كانت إسرائيل تعلم كما سبق أن ذكرت مدى ما توفر هذه المواقع من وقاية للأفراد والمعدات، ولم تكن إسرائيل في تخطيطها لمنع إقامة هذه المواقع تبغى تعريض المعدات لهجمات قواتها الجوية وبالتالي سهولة تدميرها بقدر ما كانت تهدف إلى تعريض الأفراد الذين يعملون على المعدات لهذه الهجمات حتى يمكن إنزال أكبر خسائر بهم، وهي تعلم مقدماً مدى أهمية أفراد وحدات الصواريخ نتيجة للجهد والوقت الذي يتطلبه إعداد مثل هؤلاء الرجال كما يجعل أمر استعواضهم صعباً للغاية بعكس المعدات التي يمكن استعواضها بسهولة.

لقد أخذ السلاح الجوي الإسرائيلي على عاتقه هذه المهمة، فكان يعمل دورياً على استطلاع الجبهة لتحديد مواقع الصواريخ الجاري إنشاؤها وبمجرد تأكده من بدء العمل في إنشاء المواقع فإنه يبدأ على الفور في صب جام غضبه عليها.

لقد استخدم العدو أكثر من أسلوب لضرب المواقع الجاري إنشاؤها لقد بدأ أولاً في ضربها عند بدء الإنشاء أي بمجرد إتمام أعمال الحفر وتكديس مواد البناء، ولما وجد أن هذا الأسلوب لا يوقف العمل وإنما يعوقه فقط لجأ إلى أسلوب أكثر دهاءً وخبثاً إذ كان يترك الموقع حتى يتم بدء تجهيزها لصب القواعد الخرسانية ثم يبدأ العدو في مهاجمتها واتباع في ذلك أسلوب قصفها بالنابالم أولاً وبالقنابل ثانياً ليلاً ونهاراً، ولا شك أن هذا الأسلوب كان كافياً لتدمير المواقع، لما يسببه من إشعال للدعائم الخشبية المقامة.

لقد كان هذا الأسلوب كافياً لإيقاف العمل في مواقع الصواريخ خلال الأشهر الأولى من سنة ١٩٧٠، بل صرف النظر عن إقامتها نهائياً وذلك للأسباب التالية:-

- (١) كثرة الخسائر المادية في مواد ومعدات البناء والبلاد في أمس الحاجة إليها.
- (٢) كثرة الخسائر في العمال القائمين بعملية الإنشاء مما أدى إلى بث الرعب والخوف في أوساطهم، وجعل عدداً كبيراً منهم يترك العمل، ولقد لاحت بوادر نجاح العدو في هذا الاتجاه إلا أن الوطنية المصرية والإيمان بحق مصر في تحرير أراضيها جعل الجميع لا يبالون بالخسائر، بل أدى ذلك إلى استمرار العمل ليلاً ونهاراً تحت ضغط العدو الجوي لإتمام المواقع المطلوبة، إلا أن العدو زاد من ضغطه الجوي بأسلوب لم

يسبق له مثيل مما جعل العمل يتوقف نهائياً في إنشاء المواقع. وسنعود إلى ذلك فيما بعد.

ج-الإرهاق المعنوي والمادى للقوات :

لقد قاسى العدو من معارك الاستنزاف خلال عام ١٩٦٩ الكثير، فلقد تكبد العدو خسائر كبيرة في معداته وأفراده، كما أن عمليات العبور المختلفة التي تمت بوحدات فرعية أدت إلى زعزعة الروح المعنوية للعدو، وبث الثقة في قواتنا على مقاتلة العدو، ورفع روحها المعنوية، بل رفع الروح المعنوية للجبهة الداخلية التي كانت تعتبر عمليات العبور الناجحة بمثابة بشائر على الطريق لتحرير سيناء و طرد العدو، ولقد عرف العدو تأثير عمليات العبور الناجحة والمحدودة على قواته وقواتنا بوجه خاص و على الجبهة الداخلية بوجه عام، فأراد أن يضع حداً لتلك العمليات، فشن حرباً جوية تعتبر الأولى من نوعها في تاريخ الحروب الجوية منذ ظهرت الطائرات لأول مرة، حرباً لم يشهدها مسرح قتال حتى الآن سوى مسرح قتالنا في قناة السويس، غارات كثيفة من الطائرات يومياً تراوحت قوتها ما بين ٧٠-١٠٠ طلعة طائرة في اليوم خلال أشهر يناير و فبراير و مارس ١٩٧٠. ثم قفزت إلى ما بين ١٥٠ - ٣٠٠ طلعة طائرة في اليوم خلال أشهر أبريل و مايو ويونيو من نفس العام، هجمات تبدأ من الساعة ٦،٣٠ وتنتهى قبل الغروب أو تستمر إلى منتصف الليل أو تستمر إلى صباح اليوم الثانى، حرباً من نوع جديد أقل ما توصف به أنها حرب عريضة وتشنج عضلات.

لقد وجه العدو هجماته إلى أغراض متعددة بجبهة القتال إلى القوات لإلحاق خسائر بها و هدم معنوياتها، و إلى وحدات مدفعية الميدان لإنزال خسائر بها وإيقافها عن عمليات القصف الذي تقوم به على مواقع إلى مواقع الصواريخ الجارية إنشاؤها لإيقاف العمل فيها هذا إلى جانب عمليات التآثر التي كان يشنها ضد القطاعات التي يتم فيها عمليات العبور، و لم تكن الهجمات الجوية التي يقوم بها العدو على الأغراض السالفة تتم بطريقة عشوائية، وإنما كانت تتم بأسلوب علمي مخطط له تماماً، أسلوب يهدف في النهاية إلى النيل من عزيمة وثقة و معنويات المقاتل المصري، أسلوب جديد من الحرب النفسية، هو الحرب النفسية الساخنة التي تعمل بجوار الحرب النفسية الموجهة عن طريق وسائل الإعلام المختلفة.

فإزاء مواقع الصواريخ و منع أي تقدم في إنشائها كانت هجمات العدو تتم عليها مجزأة من الصباح حتى غروب الشمس، بل ليلاً على أضواء المشاعل، واتباع مثل هذا الأسلوب كان كافياً لأن يضمن للعدو عدم تنفيذ أي أعمال في مواقع الصواريخ، فجميعها عرضة للقصف في أى وقت بالإضافة إلى ذلك كان العدو حريصاً على عدم استفاد ما لديه من قنابل، و ذلك في حالة تكرار قصفه لبعض المواقع دون داع؛ لذا اتبع أسلوباً أمثل في ذلك، إذ كان يحدد عددًا معيناً من المواقع لهجمات الصباح على مستوى الجبهة كلها، على أن يستكمل باقي المواقع أو معظمها في هجمات بعد الظهر، و بهذا الأسلوب يضمن العدو مراقبته لعمليات الإنشاء بصفة دائمة، ويثير الخوف لدى القائمين بالإنشاء من محاولة العمل، هذا بجانب استخدامه القنابل الزمنية التي كان يلقيها بكميات كبيرة لمنع استمرار العمل بالمواقع، وإلحاق أكبر ما يمكن من الخسائر بالأفراد القائمين بالعمل فيها، تلك القنابل التي كانت تنفجر على فترات مختلفة تتراوح بين نصف ساعة وسبعة أيام حسب الربط الزمني الموجود عليها، مما يجعل دخول المواقع أمراً مستبعداً خوفاً من الخسائر التي تنجم من انفجار القنابل الزمنية بين فترة وأخرى.

لقد كان العدو يعلم مقدماً عن طريق مخابراته مدى الأهمية والجهد الذي تبذله الدولة على جميع المستويات لإنجاز هذه المواقع، كما كان يعلم مدى المعونة التي تقدمها القوات المسلحة ممثلة في الجيشين الميدانيين في تقديم أنواع المعونة للشركات القائمة بالإنشاء لقد كان العدو يهدف إلى إشعارنا بعدم جدوى محاولتنا القائمة والجادة لإنشاء هذه المواقع، لقد كان يريد أن يجعلنا نعتقد باستحالة التنفيذ في ضوء تلك العريضة الجوية، و فعلاً بدأ يدب الإحساس في الأوساط العسكرية بصعوبة تنفيذ عملية إقامة هذه المواقع تحت وطأة هذا القصف الجوي. وبدأت الخسائر في العاملين بالمواقع تزداد يوماً بعد يوم إلى أن وصل الإحساس لدرجة اليقين. غير أن عزيمة الإنسان المصري وقدراته لم تستسلم لذلك، وفكرت في وجود أسلوب آخر يمكن استخدامه، وفعلاً توصلت لأكثر من أسلوب تم استخدامها خلال مرحلة إدخال الصواريخ إلى الجبهة، و خلال معركة التحرير في رمضان ١٣٩٣ / أكتوبر ١٩٧٣.

أما أسلوب الثأر الذي اتبعه العدو ضد القوات التي كانت تقوم بعمليات العبور المحدودة على مواقع العدو في خط بارليف إما بقصد الحصول على معلومات عن قوة العدو وتجهيزه الهندسي أو بقصد الحصول على أسرى منه، فكان يصب عليها جام غضبه في اليوم التالي ولأجل أن تعرف معنى عربدته الجوية يكفى أن نقول إن المنطقة التي تحتاج إلى عدد ما من القنابل زنة ٥٠٠ رطل مثلاً كان يقذفها العدو بأربعة أضعاف هذا العدد من نفس الوزن على الأقل، وعلى فترات زمنية طويلة، حتى يضع أفراد الموقع تحت الإرهاق العصبي والنفسي أطول مدة ممكنة ليجعلهم لا يفكرون في القيام بأي عمليات عبور مستقبلاً وإلا سيكون جزاؤهم من نفس ما رأوه أو أكثر. تحية لهؤلاء الأبطال الذين لم تلن لهم قناة ولم تهزم معنوياتهم برغم ما وجهه العدو لهم من هجمات متتالية كانت تظل مستمرة لعدة أيام.

كانت النتيجة الطبيعية للحرب الجوية كما سبق أن وصفناها ما يلي :-

أ- إنزال خسائر كبيرة بالقوات الجوية، وذلك راجع إلى ذكاء العدو في تحديده منطقة القتال الجوي، وأسلوب القتال الذي تدرب عليه و جذقه، وقد أدى فرط الثقة لدى القيادة المصرية إلى الاستمرار في قتال العدو بهذا الأسلوب برغم الخسائر اليومية.

ب- التوقف في بناء مواقع الصواريخ نهائياً نهائياً وليلاً وذلك في عدد ١٦ موقعاً محصناً كان مقرراً إقامتها ولم يتيسر سوى إقامة ٣ مواقع حتى ١/٤/ ١٩٧٠ بجانب إصلاح ٣ مواقع سبق إقامتها من التدمير الذي أصابها في ديسمبر ١٩٦٩، أما باقي المواقع فكانت نسبة العمل فيها تتراوح بين ١٥٪ و ٦٠٪.

ج- إنزال خسائر مادية وبشرية بالقوات الموجودة في جبهة القتال.

د- إرغام القوات على البقاء داخل الخنادق أطول مدة ممكنة مما أدى إلى إرهاقها وإصابتها بما يسمى مرض الخنادق، وبالتالي جعل اليأس يتطرق إلى النفوس.

كانت نتائج الحرب الجوية خلال الفترة من أول يناير ١٩٧٠ إلى نهاية مارس ١٩٧٠ سبباً في التفكير جدياً في ضرورة تواجده أسلوب لوقاية القوات من هجمات العدو الجوية إذ أن تزايد الخسائر في الأفراد يوماً بعد يوم أصبح أمراً لا يمكن السكوت عليه، نظراً

لما فيه من آثار سيئة على إعداد القوات معنويًا بالإضافة إلى استحالة إتمام المهام التدريبية للقوات حتى يكتمل إعدادها للمعركة الفاصلة لتحرير الأرض مما سيؤدي في النهاية إلى تأخير هذه المعركة إلى أمد بعيد.

و في ضوء هذه الاعتبارات و في ضوء ما كان لدى القوات من وحدات مدفعية مضادة للطائرات وعدم قدراتها على توفير الوقاية المطلوبة للقوات إما لصغر حجمها أو لعدم ملاءمتها للقتال مع الطائرات الحديثة، وبرغم توقف العمل في بناء مواقع الصواريخ تمامًا. أخذت التقارير طريقها للوصول إلى الحل المناسب، ولم يكن هناك حل أمثل سوى إدخال عدد محدود من الصواريخ إلى جبهة القتال، على أن يتم ذلك في أقرب وقت بعدما يتم إعداد هذه الوحدات للقتال إعدادًا جيدًا في الخلف. فلو أضفنا إلى ذلك ما لاح في الأفق و ما تردد في المحافل الدولية من احتمال قيام أمريكا بتقديم مبادرة جديدة للسلام في منطقة الشرق الأوسط تنهى حالة الحرب و تعيد الأرض إلى أصحابها تلك المبادرة التي عرفت فيما بعد باسم (مبادرة روجرز) نسبة إلى مقدمها وزير خارجية الولايات المتحدة وقتئذ، و الواضح لنا بجلاء مدى اهتمام القيادة السياسية وقتئذ، و بالتالي القيادات العسكرية على مختلف مستوياتها بضرورة إدخال كتائب الصواريخ إلى جبهة القتال مع استمرار العمل في تجهيز المواقع المحصنة، التي تقرر إقامتها و لو جزئيًا وفقًا لظروف الموقف الجوي السائد. لكن ما العلاقة بين مبادرة روجرز والاستمرار في تجهيز مواقع الصواريخ المحصنة.

لقد أيقنت القيادة السياسية في مصر في ضوء التحرك السياسي لأمريكا أن الدافع وراء الحرب الجوية الإسرائيلية التي أُلقت فيها إسرائيل بمئات آلاف الأطنان من المواد المتفجرة هو الوصول في النهاية بعد تحقيق الأغراض التي سبق توضيحها إلى جعل إسرائيل في موقف القوة في أي مفاوضات أو محادثات للسلام، مما يحقق لها فرص التسوية التي ترغبها على الدول العربية المجاورة، و نظرًا لأن الوسائل العسكرية و الوسائل السياسية أداتان تعملان معًا بتنسيق تام في الصراع المسلح، رأت القيادة السياسية في مصر أن تضيق على إسرائيل ما تبغيه؛ ولذا أمرت بالاستمرار في بناء قواعد الصواريخ حتى يمكن دخول هذه الوحدات لمقاتلة العدو الذي لن يسمح بوجودها.

ونظرًا القرب تقديم المبادرة الأمريكية و في ضوء الغرض الذى تهدف إليه إسرائيل
تقرر دخول وحدات الصواريخ - الفرقة الثامنة د / جو - في منتصف شهر مايو ١٩٧٠
و تقرر تبعًا لذلك الإسراع في بناء قواعد الصواريخ، واستمرار العمل فيها ليل نهار،
مع ضرورة توفير الوقاية للعاملين فيها ضد هجمات الطائرات الإسرائيلية حتى يمكن
إنجاز العمل المطلوب قبل الموعد المحدد لدخول الصواريخ للجهة.

لقد وصلت وحدات الصواريخ الروسية في مارس ١٩٧٠، وبدأ احتلالها لبعض
المواقع في العمق لتوفير الوقاية للأغراض الموجودة في العمق الاستراتيجي، وإلى إمكان
الاستغناء عن وحدات المدفعية م / ط الموجودة في العمق، وإرسالها للجهة، وفعلاً تم
خلال النصف الثاني من أبريل حشد أكبر قدر من المدفعية م / ط من مختلف الأعيرة
١٠٠ مم، ٨٥ مم، ٥٧ مم، ٣٧ مم والحقيقة أنه تم حشد كل ما هو تيسر لدينا من
المدفعية م / ط في جبهة القتال عدا القليل الذى استمر في مهمة الدفاع عن الأغراض
الحיוية ذات الأهمية الكبرى كالسدود والقناطر، ولقد تم حشد ما يقرب من ألف
مدفع من مختلف الأعيرة وهذا العدد تواجد على المواجهة الممتدة من القنطرة شمالاً
حتى السويس جنوباً.

لقد اكتمل هذا الحشد الهائل من المدفعية قبل ٥ أبريل ١٩٧٠، وبدأ معاركه
اليومية مع العدو، ولكم كانت الدهشة بادية على وجه رجال المدفعية م / ط وخاصة
قادتهم من قلة أو ندرة الخسائر التى يحدثونها بالعدو وتساءلوا هل ذلك راجع إلى نقص
في الكفاءة الفنية للمعدات أو إلى نقص التدريب أو هو مزيج بين الاثنين أو أن طائرات
العدو لديها من الإمكانيات ما يفوق قدرات هذه الأسلحة ؟.

الواقع كما سبق أن أوضحنا أن المدفعية م / ط قادرة على التعامل مع الطائرات
التي تطير على سرعة وارتفاع واتجاه ثابت، أما الطائرات التي تقوم بالمناورات الحادة
للإفلات من النيران أو الغطس الحاد على الأغراض المطلوب مهاجمتها كالفانتوم
وسكاي هوك فالمدفعية م / ط تقف أمامها عاجزة، ولقد كان من المتعارف عليه من
خبرة الحرب العالمية الثانية أن ٤٠٠ طلقة من المدفعية م / ط المتوسطة، و ٧٠٠ طلقة من

المدفعية م/ ط الخفيفة كفيفة بإسقاط طائرة، لقد كان هذا القول أو الافتراض صحيحًا مع الطائرات التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، أما في معركتنا هذه فلقد كان الأمر على العكس بل كان مثيرًا للغاية، فلقد قامت إحدى الوحدات بضرب ٢٠٠٠ طلقة مدفعية من المدفعية المتوسطة، ولم تتمكن من إسقاط طائرة واحدة من نحو ٣٢ طائرة قامت بالهجوم عليها.

لقد قمنا بتحليل هذا العمل، واستعرضنا جميع العوامل المؤثرة، ووجدنا أن أوجه القصور كثيرة، ولكن برغم وجودها فإن عدد ما أطلق من قذائف كان كافيًا بأن يهديه ولو طائرة واحدة تكون عوضًا له عما أطلق من ذخيرة.

إن قدرات طائرات العدو وخبرة طياريه ليست هي السبب في إنجاح عمليات العدو الجوي ضد المدفعية م/ ط ولكن الأثر النفسي الذي تركته حرب ١٩٦٧ في نفسية المقاتلين كانت هي الأخرى عاملًا آخر، بل عاملًا مهمًا مما أدى إلى عدم نجاح المدفعية م/ ط في مواجهة الطيران الإسرائيلي.

لقد تحقق لي من خلال المعارك التي دارت بين وحدات المدفعية م/ ط والطيران الإسرائيلي وقتئذ أن عصر المدفعية م/ ط قد انتهى، وولّى إلى غير رجعة وليس في ذلك غرابة، فالتطوير العلمي والتكنولوجيا لم يقدموا في هذا الميدان جديدًا منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية. لقد اتجه التفكير جديًا تجاه الصواريخ الموجهة م/ ط فظلت المدفعية م/ ط على ما هي عليه كما كانت في حين قفز التطور العلمي بصناعة الطائرات قفزات واسعة أوصلتنا إلى ما نحن فيه وندرکه يومًا بعد يوم من تطور في السرعات، وصل إلى ثلاثة أمثال سرعة الصوت، وإلى قدرات عالية على المناورة.

أدى فشل المدفعية م/ ط بأعدادها الهائلة في إيقاف هجمات العدو الجوية أو منعه من قصف مواقع الصواريخ م/ ط الجارى تجهيزها إلى توقف العمل في بناء مواقع الصواريخ أو إتمامه ببطء ملحوظ، ولم تغلح الجهود التي بذلت مثل تقديم المعاونة المادية بالأفراد أو المعدات إلى الشركات القائمة بالبناء في دفع عجلة العمل إلى الأمام، ولاح في الأفق الفشل تمامًا في بناء المواقع المحصنة. وانهارت تبعًا لذلك الآمال التي كانت معقودة على

إنهائها، إلا أنه نظرًا لأهمية دخول وحدات الصواريخ م/ ط في ضوء الاعتبارات التي ذكرتها — وخاصة المبادرة الأمريكية — استلزم الموقف ضرورة التفكير في استخدام أسلوب آخر لإدخال الصواريخ إلى الجبهة. وكان الحل الذى أمكن التوصل إليه هو إنشاء عدة مواقع ميدانية، ونظرًا للوقت القصير المتيسر فقد شاركت جميع التشكيلات الميدانية بجهود خارقة في سبيل إنشاء هذه المواقع، غير أن مواقع وحدات الصواريخ من ذلك النوع الذى لا يمكن إخفاؤه، فمعدات الإطلاق للصواريخ — أى وسيلة إطلاق الصاروخ — لها شكل خاص، وتحتاج إلى تجهيز هندسى خاص، مما يجعل من الصعب إخفاء الموقع، ولما كان طيران العدو يمتلك السيادة الجوية على السماء غرب القناة فقد تمكن بوسائل استطلاع من تحديد هذه المواقع، وبدأ في قصفها هى الأخرى، إلا أنه نظرًا لأنها مواقع ميدانية فكانت خسائرها محدودة أو لا ومن السهل إصلاحها ثانيًا.

وفي ضوء قرار القيادة السياسية الذى سبق ذكره تحدثت لىالى ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠ لدخول وحدات الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى جبهة القتال، وبدأ الإعداد يتم على كل المستويات لذلك وفي سرية تامة، إلا أن هذا التاريخ لاشك في أنه تسرب إلى العدو، والدليل على ذلك التغيير المفاجئ في قتال العدو الجوى حجبًا وأغراضًا خلال هذين اليومين فقط، ومن واقع مذكراتي المدونة كان نشاط العدو الجوى على جبهة القتال محدودًا يتراوح بين ٦٠ - ١٠٠ طلعة/ طائرة في اليوم وذلك في الفترة من ٨ مايو إلى ١١ مايو ١٩٧٠ ثم قل خلال يوم ١٢ مايو فوصل إلى ٦٠ طلعة طائرة إلا أنه في هذا اليوم قام بطلعة استطلاع بعمق ٢٠ كم غرب القناة على ارتفاع ١٤ كم، وكانت هذه الطلعة تيسر للعدو وتحديد الأغراض بوضوح وإلى عمق كبير من الجبهة المصرية، وكان الغرض معرفة ما يدور في عمق الجبهة المصرية، وخاصة مواقع الصواريخ الجارى تجهيزها في الخلف.

وفي ضوء المعلومات التى تسربت للعدو عن دخول الصواريخ للجبهة - فلقد شهدت الجبهة أيام ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠ هجمات جوية مركزة استمرت يومى ١٤، ١٥ مايو لمدة ٢٤ ساعة إذ قام العدو خلال يوم ١٣ مايو بعدة هجمات مركزة بلغت

خلال اليوم ١٥٠ طلعة / طائرة، وركز العدو خلال هذا اليوم هجومه أساساً على وحدات المدفعية م / ط، مركزاً بمجوده الجوى على وحدات المدفعية م / ط في الجيش الثانى الميدانى. وفي اليوم الثانى يوم ١٤ مايو وجه العدو هجمات مركزة بلغت في قوتها ٢٠٠ طلعة / طائرة، ووجهها أساساً ضد مواقع الصواريخ المحصنة والميدانية، وإلى وحدات المدفعية م / ط القائمة بحماية العمل الجارى في هذه المواقع، وركز بمجوده الجوى خلال هذا اليوم على قطاع الجيش الثالث الميدانى. وفي اليوم التالى يوم ١٥ مايو وجه العدو هجمات مركزة بلغت في قوتها ١٦٠ طلعة / طائرة لنفس الأغراض التى سبق ذكرها.

غير أن ما يلفت النظر هو أن العدو خلال الليل اتخذ من نشاطه وسيلة لضرب العربات المتحركة على الطرق، وذلك بغرض منع التحركات، وهو عمل لم يسبق له مثيل من قبل في جبهة القتال منذ بدأ نشاطه الجوى، لقد خص العدو جزءاً من مجوده الجوى للعمل في هيئة دوريات قنص لاقتناص أى عربات متحركة ليلاً، وذلك بقصفها بالصواريخ جو أرض متخذاً من أنوار العربات المتحركة هدفاً للتنشيط عليها، وقد نجح العدو في ذلك نجاحاً كبيراً، فلقد أدى نشاطه الليلي هذا ونجاحه في تدمير العربات المتحركة ليلاً إلى إجبار العربات المتحركة على التحرك بدون أنوار، مما أدى إلى توقف التحركات في جبهة القتال.

لقد كان العدو يسعى من وراء ضرباته المركزة خلال أيام ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠ إلى ما يلى :

أ - إيقاف العمل في جميع أنواع الإنشاءات في مواقع الصواريخ، سواء المحصنة منها أو الميدانية الجارى تجهيزها.

ب - إنزال خسائر كبيرة بوحدات المدفعية م / ط القائمة بوقاية مواقع الصواريخ الجارى إنشاؤها أو تلك القائمة بوقاية القوات في الجيوش الميدانية حتى يحرم وحدات الصواريخ عند دخولها إلى جبهة القتال من معاونتها في توفير الدفاع المباشر عنها.

لقد استخدم العدو في هجومه على وحدات المدفعية م١ ط أساليب لم تكن جديدة علينا، ولكنها رغم كبر حجمها فإن النتائج التي حققتها من تدمير لطائرات العدو لم تكن مرضية، ولم يكن النقص راجعاً إلى الرجال الذين يعملون عليها بقدر ما هو راجع في المقام الأول إلى تخلف نوعياتها عن ملاحقة التطور كما سبق توضيحه من قبل.

لقد قاومت وحدات المدفعية م١ ط برجالها الأشداء غارات العدو بكل ما أوتيت من عزم ورباطة جأش، وتكبدت خسائر كبيرة نسبياً في المعدات والأفراد، واستمرت تؤدي واجبها برغم تلك الظروف غير عابثة بها ألحقة بها العدو من خسائر، ظن هو من ناحيته أنها ستؤدي إلى تثبيط عزيمتهم حتى يدين له جو جبهة القتال.

لقد ظهر بوضوح للقيادة السياسية أن الدخول بتجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى والذي تحدّد بعدد ١٣ كتيبة صواريخ موجهة م / ط سام ٢ معدل، سام ٣ في ضوء ما قام به العدو في منتصف شهر مايو ١٩٧٠ من نشاط مكثف لن يكتب له البقاء طويلاً في ضوء قوة العدو الجوية، وإمكانات طياريه للأسباب التالية :

أ - المواقع المحصنة التي توفر الوقاية للمعدات والأفراد لم يتنه إنشاؤها بالإضافة إلى قيام العدو بقصفها بالقنابل والنابال يومياً إما لتدميرها أو لمنع العمل فيها.

ب - تواجد وحدات الصواريخ في مواقع ميدانية في الأمام سيؤدي إلى كثرة الخسائر في المعدات والأفراد، وكلاهما في ذلك الوقت لا يوجد منه ما يسر استعواض هذه الخسائر؛ لذا تقرر تواجد جميع الصواريخ في مواقع ميدانية تحت ستر تجميع صواريخ القاهرة وبإمكاناته، ودرجة صموده يتحرك للأمام في مواجهة العدو، ولم يتحدد بعد تاريخ لتنفيذ ذلك.

استمرت وحدات الصواريخ المقرر دخولها إلى الجبهة في القاهرة تزيد وتصل من تدريبها، وتعمل على رفع كفاءة معداتها بجدة ونشاط، واستمر العدو في حربه الجوية بشدة تزداد أحياناً لدرجة العريضة وتقل أحياناً عندما يحل الإرهاق بالطيارين، وتراوح طلعاته اليومية ما بين ١٥٠ طلعة / طائرة إلى ٣٠٠ طلعة / طائرة، ومنذ ذلك التاريخ بدأ العدو يركز قصفه الجوى على مدينة بورسعيد والمنطقة شمال القنطرة والمعروفة باسم

جسر الحرش، كما استمر نشاطه الليلي لمراقبة التحركات على الطرق وضرب العربات المتحركة. إلى أن جاء الموعد الذى تقرر فيه دخول جميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى الجبهة، وكان مكوناً من ١٣ كتيبة صواريخ من طراز سام ٢ معدل، و ٣ كتيبة صواريخ سام ٣ مشكلة في لواءين فقط لا غير.

كان دخول هذا التجمع بداية إلى نهاية الحرب الجوية التى توقفت يوم ٧ أغسطس ١٩٧٠ بقبول وقف إطلاق النار و قبول كل من جمهورية مصر العربية وإسرائيل للمبادرة الأمريكية وبداية إلى بداية أخرى بالنسبة لميزان القوى في جبهة القتال، وبداية جديدة لإقامة حائط الصواريخ الذى تمكن في أكتوبر ١٩٧٣ من تدمير القوة الجوية الإسرائيلية.

معارك المدفعية المضادة للطائرات خلال حرب الاستنزاف:

قد يكون من غير المناسب أن أترك المدفعية المضادة للطائرات دون أن أبرز دورها الكبيرة الذى أدته في معارك الاستنزاف كنوع من الوفاء لهؤلاء الرجال الذين عملوا عليها، وضحووا بالكثير من الدماء أثناء قتالهم مع السلاح الجوى الإسرائيلي. فكما سبق أن ذكرت لقد خلعت جبهة القتال من الصواريخ المواجهة أرض / جوى يوم ٢٤ يوليو ١٩٦٩، وبدأت وحدات المدفعية المضادة للطائرات منذ ذلك الوقت تعتبر المسئولة عن توفير الوقاية للقوات والأغراض في جبهة القتال من بورسعيد شمالاً إلى السويس جنوباً. وإزاء انفرادها بمهمة الوقاية كان عليها أن تقاتل يومياً الطائرات الإسرائيلية، وأن تتصدى لها، وأن تعمل جاهدة على تدميرها.

دخلت المدفعية المضادة للطائرات هذه المعارك اليومية وهى موجودة على مستوى الوحدات المقاتلة كلها من الكتيبة المشاة إلى الجيش الميداني، وكما سبق أن ذكرت متعددة الأعية من الرشاش ١٢,٧ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وكلها نوعيات مختلفة إذا قيست بمدى التقدم الذي وصلت إليه الطائرات الحديثة. وكان عليها رغم ذلك أن تتصدى للعدو وتقاتل.

لقد ظهر لمقاتلي المدفعية المضادة للطائرات منذ بدء قتالهم مع الطائرات الإسرائيلية في معارك الاستنزاف الأولى، والتي استمرت من يوليو ١٩٦٩ إلى ديسمبر ١٩٦٩ أنهم

قادرون على منع العدو من إلحاق أى خسائر بالقوات أو الأغراض التي يدافعون عنها، مع تدمير نسبة ضئيلة من الطائرات، خاصة المستير والسوبر مستير والأورجان، مع عجز واضح في تدمير الطائرات الميراج، نظرًا لما لها من قدرة عالية على المناورة، إلا أن العدو فطن لكثير من النقائص الموجودة في الأسلحة، وأهمها مشكلة سخونة مواسير المدافع، مما يؤدي إلى عدم قدرتها على الاستمرار في الضرب، وبدأ يعمل في هجومه على الخداع بالمناورة لاستهلاك الذخائر من ناحية والوصول بالمدافع إلى مرحلة توقف النيران أو قتلها، ثم يبدأ في مهاجمة أغراضه. لقد حقق له هذا الأسلوب نجاحًا إلى حد ما، إلا أن الخسائر كانت محدودة نظرًا لضعف مستوى طياريه.

أدى وصول الطائرات الأمريكية في أوائل عام ١٩٧٠ من أنواع فانتوم وسكاي هوك إلى تعقد الموقف أمام المدفعية المضادة للطائرات. إذا وقفت جميع الأنواع عاجزة تمامًا، أمام هذه الأنواع الحديثة، وباتت معنويات رجال المدفعية للطائرات تتأثر، من نجاح العدو باستخدام هذه الطائرات الحديثة، وإزاء ذلك النجاح بدأ رجال المدفعية المضادة للطائرات يعملون على تطوير أسلوب الاشتباك مع هذه النوعيات، وأصبحت بعض الأساليب القديمة بما أدخل عليها من تعديلات ملائمة لتدمير العدو. لقد استخدمت الغللات الخطية بعد تعديلها وفقًا لأسلوب هجوم العدو وزاوية الغطس، وتمكنت الوحدات بهذا الأسلوب من توفير الوقاية لمواقع المدفعية م/ ط، تلك المواقع التي أصبحت هدفًا رئيسيًا لهجوم العدو الجوي. كما تمكن رجال المدفعية بتطوير أساليب إدارة النيران من التغلب على مشكلة سخونة المدافع وإمكان الاستمرار في فتح النيران على العدو، مما أذهل العدو وأدى إلى فشل هجماته الواحدة تلو الأخرى واليوم بعد الآخر.

لقد نجح العدو في الأماكن التي كان الدفاع عنها ضعيفًا أو محدودًا - ففي منطقة جسر الحرش والذي لا يزيد عرضه عن ٢٠٠ متر ويقع بين القناة وبحيرة المنزلة ويسيطر على طريق الإسمايلية بورسعيد، كان نجاح العدو ضعيفًا برغم قلة المدفعية م/ ط القائمة بالدفاع والتي كانت عبارة عن بعض الرشاشات والمدفعية الخفيفة المضادة للطائرات، والتي لا تزيد في جملتها عن ١٠ قطع، ورغم هذا الضعف الظاهر ورغم ما صبه عليها

صبه عليها العدو من قنابل من مختلف الأوزان بصفة دائمة يوميًا، فلم تترحز النقطة القوية في جسر الحرش شبرًا واحدًا، ولم تهتز عزيمة رجالها - تحية لهؤلاء الأبطال، كذلك في منطقة بورتوفيق كان نجاح العدو محدودًا، ولم يجد أمامه من مفر من ترك الأغراض والمواقع العسكرية ليصب قنابله على مدينة بورتوفيق بعيدًا عن نيران المدفعية المضادة للطائرات التي كانت نيرانها لا تصل إلى منطقة بورتوفيق إلا بالكاد، نظرًا لاستخدام العدو للارتفاعات العالية في قصف المدينة.

لن ينسى التاريخ معارك المدفعية المضادة للطائرات أيام ١٣، ١٤، ١٥ مايو ١٩٧٠، تلك الأيام التي تحددت لدخول جميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوي للجهة ذلك التوقيت الذي نمت إلى العدو، فصب جام غضبه خلال هذه الأيام على وحدات المدفعية المضادة للطائرات التي كانت قد اتخذت أوضاعها لتوفير الوقاية للمواقع الجاري إنشاؤها ولجميع الصواريخ عند دخوله للجهة. لاشك أن هذه الأيام لن ينساها رجال المدفعية المضادة للطائرات فبرغم ماكان فيها من ألم ومرارة، فإنها كانت نورًا وأملًا على طريق النصر، وطريق النصر ليس بالأمر الهين وإنما هو طريق طويل صعب لا يمكن اجتيازه والوصول إليه إلا بالعرق والدم.

لقد صمدت مدينتا بورسعيد والسويس لهجمات هوجاء قام بها العدو عليهما، ولم يكن غرضه من هذه الهجمات سوى تدمير وحدات المدفعية المضادة للطائرات القائمة بالدفاع عن هذه المدن. لقد قاست كلتا المدينتين الكثير من عريضة العدو الجوية، وبالأخص مدينة السويس، التي كان يلقي العدو عليها قنابله جزافًا دون تمييز بين أغراضه ساعده في ذلك صعوبة تحقيق دفاع متكامل عن السويس، نظرًا لوضعها الجغرافي بالنسبة لخليج السويس وجبل عتاقة. أما بورسعيد فعلى النقيض أمكن توفير دفاع قوي حولها؛ ولذا وجه العدو اهتمامه إلى وحدات الدفاع الجوي القائمة بالدفاع عنها، فهاجها يوم أول مايو ١٩٧٠ في الفترة من (سعت ١٦٠٠ إلى سعت ١٨١٧) بعدد ٨٢ طائرة في مجموعات كل من ٦-٨ طائرة، ووجه هجومه إلى مواقع المدفعية المتوسطة المضادة للطائرات في بورفؤاد - القابوطي الكارنتينا وتصدت الوحدات للعدو وأسقطت له طائرة وأصيب أخرى ولم تصب الوحدات إلا بخسائر محدودة

أمكن استعواضها قبل صباح يوم ٢ مايو، وإزاء فشل العدو لم يكرر هجماته عليها بهذا الثقل إلا يوم ٥/٣١ حيث قام العدو بالهجوم من (سعت ١٤٠٠) يوم ٥/٣١ حتى (سعت ١٩٠٠) من نفس اليوم بقوة ٨٠ طائرة في مجموعات كل من ٢-٤ طائرات مركزاً هجومه على وحدات المدفعية م/ ط والكباري التي تربط المدينة بباقي المدن المجاورة، ورغم عنف الهجوم واستخدام طائرات الفانتوم وسكاي هوك بكثرة فقد كانت خسائر الوحدات في الأفراد والمعدات محدودة، تحية لهؤلاء الرجال الذين وقفوا خلف مدافعهم ولم يبالوا بالقاء النابالم أو الصواريخ الحارقة عليهم لإثنائهم عن موقفهم الصلب، الذي كانوا يقفونه في القتال ضد العدو، وسلام على أرواح الشهداء من أبناء المدفعية م/ ط الذين استشهدوا في سبيل عزة ومجد أمتهم، وسطروا لنا جميعاً أروع مثل في التضحية والفداء.

الفصل الخامس

الصواريخ تعود ثانيًا إلى الجبهة

تحددت لىالى ٢٨ و٢٩ و٣٠ يونيو ١٩٧٠ لدخول وحدات الصواريخ فى مواقع ميدانية تحت حماية تجميع صواريخ القاهرة، واتخذت جميع احتياطات الأمن والسرية حتى لا يتكشف تحرك الوحدات فيها. العدو وهى متحركة أو قبل أن يكتمل وجودها فى أرض المعركة، وقد حققت هذه الاحتياطات ما كان مطلوبًا منها، إذ فوجئ العدو صباح يوم ٣٠ يونيو بوجود وحدات الصواريخ فى الجبهة، وكان هذا اليوم فى الوقت نفسه هو أول لقاء بين تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى والقوات الجوية الإسرائيلية.

كان هذا اللقاء هو أول لقاء يتم بأسلوب تكتيكى جديد مستفاد من دروس الماضى، ونحمد الله أنه أسلوب مصرى انبثق من فكر مصرى، لم يكن وليد المصادفة أو العشوائية، إنما كان نتيجة لدراسة مستفيضة لأسباب النكسات والخسائر التى آلت بوحدات الدفاع الجوى خلال قتالها منذ عام ١٩٦٧ حتى ذلك الوقت، وبرغم ما يتشدد به العدو من قدرة مخبراته العين الساهرة على أمن إسرائيل وما يتغنى به من قدرة قواته الجوية - تلك الذراع الطويلة فإن كلتا الوصيلتين فشلتا فى كشف دخول تجميع الصواريخ إلى الجبهة، فلا شك أن فشل مخبراته فى ذلك إنما هو دلالة على نجاح جهازنا المصرى فى كبت العدو ومراقبتهم، وإلى سلامة التخطيط الذى وضع لتحرك وحدات الصواريخ لدخول الجبهة، كما أن قواته الجوية برغم قيامها بالاستطلاع الجوى للجبهة يوم ٢٩ يونيو فلم يكتشف وجود وحدات الصواريخ رغم وجودها، كما أن

أجهزة الاستشعار sensors التي طالما عملنا لها ألف حساب لم تغن العدو شيئاً، فلم تتمكن هذه الأجهزة من التقاط شيء من الانبعاث الإلكتروني لتلك الوحدات.

قام العدو صباح يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ باستطلاع جوى للجبهة بدأه مبكراً بطلعة استطلاع للتصوير، وذلك قرابة (سعت ٨٠٠) أعقبها بطلعة أخرى (سعت ٩٠٠) ثم تلاها باستطلاع إلكتروني بعدما تأكد له أن هناك وحدات صواريخ في الجبهة نتيجة للاستطلاع بالتصوير من ناحية، ونتيجة لالتقاط إشعاع وحدات الصواريخ التي كانت جاهزة لقتال العدو منذ صباح ذلك اليوم، وبرغم أن نشاط العدو في اليوم بلغ ١٢٥ طلعة طائرة، وهو عدد كبير نسبياً فإن العدو لم يوجهه منذ الصباح إلى تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى حتى تم له تحديد الأوضاع على الأرض نتيجة للاستطلاع الجوى والإلكتروني الذي قام به وإتمام تجهيز خطة مهاجمة تجميع الصواريخ، فالعدو لا يقبل على القيام بأي هجوم إلا إذا كان عارفاً بمواقع الوحدات، ولقد ركز العدو هجماته الجوية منذ الصباح على المنطقة الواقعة بين رأس العش والقنطرة، ولم يكن الغرض هو قصف القوات الموجودة في هذه المنطقة وإنما كان سببه هو استمرار نشاطه بعيداً عن تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى الذي أحس بوجوده، وفعلاً كان القطاع الشمالى من الجبهة ذلك القطاع الذى ركز العدو عليه هجماته الجوية خارج مناطق التدمير.

(سعت ١٦٠٠) يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ بدأ أول هجوم للعدو على تجميع صواريخ الفرقة الثامنة دفاع جوى فتحت ستارة كثيفة من التداخل وأهداف المشاغلة، بدأ العدو في مهاجمة لواء الجنب الأيسر ل ٩٥ صواريخ للفرقة بنحو ١٦ طائرة فانثوم وسكاى هوك، واستمرت الهجمة لمدة ٢٠ دقيقة، ولم ينجح العدو في إصابة أى كتيبة من كتائب اللواء التى هاجمها سوى إصابه جهاز الإنذار لكتيبة واحدة.

وتمكنت كتائب اللواء في هذه الهجمة الجوية من تدمير طائرتين مؤكدة (فانثوم- سكاى هوك) وطائرة أخرى غير مؤكدة، وهبط ٣ من طيارى العدو أسرى في يد قواتنا. لقد كانت خطة العدو للهجوم على اللواء تتلخص في تركيز الهجوم على مواجهة اللواء مع التركيز على الجنب الأيسر اللواء بغرض تدمير كتائب هذا الجنب، وقد خصص

لذلك الغرض مجموعة من أربع طائرات. وانتهت هذه الهجمة ولم تتأثر الكفاءة القتالية للواء.

وفي (سعت ١٦٣٠) بدأت الهجمة الثانية للعدو على لواء الجنب الأيمن للفرقة اللواء ٩٧ صواريخ بنحو ٢٤ طائرة ميراج وسكاي هوك وفانتوم في مجموعات متتالية، واقتربت الطائرات فوق البحيرات المرة الكبرى في اتجاه مدينة فايد مستغلة هذا السطح المائي في الطيران على الارتفاع المنخفض جدًا، وبرغم ذلك فقد أمكن كشفها راداريا بواسطة وحدات الرادار والإنذار، وتم الإبلاغ عنها في حينه للوحدات، إلا أن طبيعة الأرض المرتفعة التي يتخللها العديد من الأودية العميقة قد ساعدت العدو في الاقتراب من الكتائب الأمامية للواء ٩٧ صواريخ دون أن تتمكن وحدات اللواء من اكتشافها، ولقد تمكن العدو بتغيير أسلوبه في مهاجمة الوحدات من النجاح في هذا القطاع، ولم يكن نجاحه هذه المرة راجعاً إلى أسلوبه الجديد الذي استخدمه في مهاجمة كتائب الصواريخ فقط أو في مدى ما قدمته له الأرض من مزايا في الاقتراب دون أن يتم كشفه رادارياً بواسطة محطات توجيه الصواريخ بقدر التردد وعدم التزام المبادأة بواسطة قادة الوحدات، مما مكن العدو من مهاجمة كتائب النسق الأول للواء وتدمير معظم سرية الرادار في كتيبتى صواريخ. هذا هو الهجوم الذى نجح العدو فيه في هذا اليوم، لقد استشهد كل من المقاتل شطا والعجمي، وهما قائدا أطقم القتال في الكتيبتين سالفتي الذكر وقت الهجوم، واستشهد معهم عدد من مقاتلى أبناء مصر، هؤلاء الرجال الذين وهبوا أنفسهم لمصر، ولم يبالوا ولم يتخاذلوا وهم يقاتلون العدو في مواقع مكشوفة لا تيسر لهم أى وقاية. وفي (سعت ١٩٠٠) انتهى قتال اليوم الأول مع العدو بانحسار نشاطه عن منطقة الجبهة.

لقد أدى تدمير الطائرات الإسرائيلية على مرأى من قواتنا وهبوط طيارى العدو بالمظلات إلى رفع معنويات قواتنا الموجودة بالجبهة والتي شاهدت أول معركة جوية بين وحدات الصواريخ والطائرات الإسرائيلية.

هالت خسائر يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ في الأفراد / خاصة في الضباط وفي المعدات - المسئولين، مما جعلهم يفكرون جدياً في عودة هذه الوحدات ثانياً - خوفاً من أن

تتكرر الخسائر، وفعلاً حضر رئيس شعبة عمليات الدفاع الجوى وقتئذ وتناقش معى شخصياً وأفهمنى أنه مكلف من رئيس أركان حرب القوات المسلحة بدراسة الموقف على الطبيعة، وفى ضوء العوامل التى عددها والتى كان أبرزها الخسائر فى الأفراد والمعدات واحتمالات الخسائر المتوقعة فى ضوء قلة الوحدات المتيسرة يستلزم الموقف عودة التجميع للخلف ويعتبر ما حدث ما هو إلا كمين كبير أرسل للجبهة أدى مهمته وعاد ثانياً. وهنا بعد تحليل دقيق للموقف من جميع نواحيه التكتيكية والفنية أوضحت له أن ما حدث أمر عادى فى القتال، فلا بد أن تكون هناك خسائر، وأن يكون فى الجانب الآخر خسائر أيضاً، فليست هناك حرب بدون خسائر، وأن إمدادنا بكتيبتين بدل ما تم إصابتها سيسر لنا أن نقوم بقتال ناجح مع العدو فى الأيام المقبلة، وأن احتمالات الخسائر بعد ذلك لن تكون أكثر من كتيبة أو اثنتين أخريين حتى يثبت التجمع قدرته ويكبح جماح العدو، وفعلاً صح هذا التقدير، فلم يتمكن العدو بعد ذلك إلا من إصابة كتيبتين أخريين، غير أن الخسائر فى الأفراد فى هذه المرة كانت محدودة.

يعتبر قتال يوم ٣٠ يونيو ١٩٧٠ من وجهة نظر العدو قتالاً فاشلاً إذا قيس بمدى نجاحه فى الحرب الجوية التى فرضها قبل دخول الصواريخ إلى الجبهة، وكان أمامه أحد الحلول الآتية : إما الابتعاد عن قتال وحدات الصواريخ نهائياً تحاشياً للخسائر وهو عليها ضنين - أو الاستمرار فى قتال وحدات الصواريخ وتقبل خسائر فى قواته الجوية، أو التريث فى مهاجمة وحدات الصواريخ لدراسة أسباب الخسائر، واتباع أساليب أخرى تلحق بوحدات الصواريخ أكبر خسائر، بحيث يتمكن العدو من القضاء على وحدات الصواريخ بالجبهة، وبذلك يؤجل إلى أجل غير مسمى أى نوايا مصرية هجومية، بل قد يكون ذلك حافزاً على بدء مفاوضات مباشرة مع مصر من مركز القوة، أو على الأقل قبول مبادرة روجرز بإيقاف إطلاق النار من مركز القوة.

لقد اتبع العدو الحل الثالث فبرغم نشاط سلاحه الجوى على جبهة القتال، والذى بلغ فى أول يوليو ١٩٧٠ - ١٤٠ طلعة / طائرة، فلم يدخل العدو مناطق تدمير وحدات الصواريخ حتى يبتعد عن الاشتباك بها، وقام بقصف قواتنا فى المنطقة بين رأس العش والفردان والمنطقة الممتدة جنوب البحيرات، وخاصة مواقع مدفعية الميدان فى منطقة الشلوفة.

لقد كان العدو يهدف أساساً باتباعه هذا الحل إلى أن يضرب عصفورين بحجر واحد، فبالإضافة إلى دراسة ما يجب اتباعه مع وحدات الصواريخ كان يهدف بهجماته الجوية يوم ١ يوليو ١٩٧٠ على القوات إلى إثبات أنه برغم وجود وحدات الصواريخ فإنه قادر على إلحاق الخسائر بها، وإرهاقها مادياً ومعنوياً، وإن وجود الصواريخ الموجهة أرض جو في جبهة القتال لن يغير من الأمر شيئاً.

عاود العدو هجماته على وحدات الصواريخ يوم ٢ يوليو ١٩٧٠ غير أنه استخدم أسلوباً جديداً، فبرغم أن مجهود العدو الجوي خلال ذلك اليوم بلغ ١٣٠ طلعة / طائرة فإن العدو تركز في مهاجمة وحدات الصواريخ منذ صباح ذلك اليوم، وبدأ في قصف متقطع للقوات في المنطقة بين رأس العش حتى الفردان، وفي الوقت نفسه بدأ في مهاجمة وحدات الفرقة الثامنة دفاع جوى مركزاً هجماته الأولى على مواقع رادار الإنذار بمنطقة السخنة (الموقع الهيكلي) وعتاقة، تلاه بهجوم على بعض مواقع الصواريخ الهيكلية في المنطقة المجاورة لمطار القطامية، وخلال محاولاته في مهاجمة القطاع الجنوبي - وهي هجمات خداعية - واستمرار هجماته المتفرقة في قصف القوات في منطقة الفردان والقنطرة - قامت مجموعة من ٦ طائرات، ٢ فانتوم، ٤ سكاي هوك. بالاقتراب من اتجاه الفردان، على ارتفاع ١٠٠ متر، واستمرت حتى مدينة التل الكبير، ثم استدارت غرباً في اتجاه الشرق، وقامت بانقضاض على كتيبتى الجنب الأيسر من اللواء ٩٥ صواريخ ونتيجة للمفاجأة نجح العدو في قصف إحدى الكتيبتين، وإحداث خسائر بها، مما استدعى إخراجها خارج تشكيل القتال للفرقة، وإخلائها للخلف لاستعادة موقعها، ولم تتمكن الوحدات من تدمير أى طائرات للعدو، ولو حللنا أعمال العدو الجوي خلال هذا اليوم نجد أنه لجأ لأعمال الخداع والتضليل عن نواياه، منذ الصباح بدأ في هجماته المتفرقة على القوات البرية في القطاع الشمالى ليجعلنا نعتقد تماماً أنه لن يهاجم تجميع الصواريخ، ثم بدأ بعد فترة في القيام بهجمات متفرقة على مواقع الرادار وبعض مواقع الصواريخ الهيكلية في الجنوب، حتى يلفت النظر إلى أن مجهوده سيركز على القطاع الجنوبي للتشكيل، وأن احتمال مهاجمته للتشكيل ينتظر أن تتم من اتجاه الجنوب الشرقى، وذلك واضح في مهاجمة موقعى الرادار اللذين يتوليان الإنذار عن

هذا الاتجاه، بالإضافة إلى ضربه مواقع الصواريخ المتقدمة والمحطة بمعدات هيكليّة، خلال ذلك الخداع تسللت ٤ طائرات للعدو من اتجاه الشمال الشرقى، وهاجمت الجانب الأيسر للواء (٩٥ صواريخ) وقصفت إحدى الكنائس بالقنابل، مما أدى إلى تدمير بعض معداتها.

جاء يوم ٣ يوليو، وبدأ العدو نشاطه بالقيام باستطلاع إلكترونى لتحديد أى تغيير فى أوضاع وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو والرادار بالجبهة، ومن ثم بدأ العدو بعد أن اطمأن إلى معرفة أوضاع الوحدات إلى مهاجمة القوات غرب القناة، ولم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ ومهاجمته، وبرغم أن نشاط العدو فى ذلك اليوم بلغ ٩٠ طلعة / طائرة فإنه وجهها كلها إلى القوات البرية لإشعارها بأنها لا تزال تحت رحمته - أسلوب من الحرب النفسية الذى برعت فيه إسرائيل، وفى ذلك اليوم لم يترك العدو وحدات الفرقة دون أن يوجه إليها نصيباً معيناً، فكثيراً ما حاول استدراج نيران الوحدات بالمنورة خارج مناطق تدميرها، وذلك بغرض استهلاك أكبر عدد من الصواريخ، ولكنه فشل فى غرضه؛ لأننا قدرنا تماماً ما يريد، ولما لم يجد فائدة من تلك المشاغلة قام بقصف مواقع الرادار فى عتاقة والزعرانة، وكان نصيبهما تحطيم بعض الهوائيات التى سرعان ما تم إصلاحها.

جاء يوم ٥ يوليو وبمجيئه كانت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) قد تم تدعيمها بكتيبة واحدة، ووفقاً للموقف التكتيكي تم وضعها ضمن تشكيل اللواء ٩٧ صواريخ، وأصبح اللواء مكوناً من ٥ كتائب سام ٢ معدل، ٣ سام فى حين أصبح اللواء ٩٥ صواريخ مكوناً من ٦ كتائب أى أن تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) فى صباح ذلك اليوم كان عبارة عن ١٤ كتيبة صواريخ أرض جو من أنواع سام ٢ معدل، ٣ وكانت خسائره حتى الآن فى قتال يومين قتال فعلى ٣ كتائب صواريخ، وكالمعتاد بدأ العدو نشاطه الاستطلاعى استطلاعاً بالتصوير، تلاه استطلاع إلكترونى من طائرة استطلاع إلكترونى من طراز ستراتكروز، استمرت فى مهمتها لمدة ساعتين تقريباً وعلى عمق ٦٠ كيلو متراً شرق القناة، وما كل ذلك إلا لنفس السبب السابق، وهو معرفة

أوضاع الوحدات تمامًا لإمكان تحديد الوحدات التي يهاجمها، وبالتالي يحدد طريق وارتفاع الاقتراب وعدد الطائرات - المهاجمة ونوعياتها وحولتها. لقد قام العدو وفي هذا اليوم بعدد ١٧٠ طلعة طائرة، وهذا العدد من الطلعات يعتبر أكبر عدد قام به العدو منذ دخول وحدات الصواريخ للجبهة، خلال ساعات النهار الأولى قام العدو بقصف القوات في القنطرة والبلاح، بالإضافة إلى قصفه لمواقع العمل - مواقع الصواريخ المحصنة الجارى إتمامها بسرعة، والتي بدأ العمل فيها بنشاط غير عادى وحشد لها كل طاقات الدولة لإتمامها حتى تكون جاهزة، ولم يغب على العدو كالمعتاد الهدف الذى كان من ورائه يجرى الإسراع فى إنشاء المواقع المحصنة، والتي تقع مسافة ١٨ كيلو مترًا تقريبًا من القناة وفقًا للتخطيط الذى كان موضوعًا فى ذلك الوقت وفى (سعت ١٥٠٠) من ذلك اليوم بدأ العدو مهاجمة تجميع صواريخ الفرقة بمجموعات من الطائرات بلغت نحو ٣٢ طائرة من اتجاه الشرق ومن اتجاه الشمال الشرقى، مستخدمًا نفس أساليبه التكتيكية والفنية فى التعامل مع وحدات الصواريخ، وقد استمر هجومه حتى (سعت ١٦٠٠) وقد تمكن العدو من تدمير إحدى كتائب النيران وتدمير له طائرة فانتوم واستشهد قائد الكتيبة البطل تيمور، الذى أمر جميع ضباطه وأفراده بالابتعاد عن المعدات بعد قصفها بالقنابل، واستمر هو وضابط التوجيه يقودان الصواريخ التى تم إطلاقها فى الجو بغرض تدمير طائرة العدو، إلى أن انفجرت قبلة مجاورة لهما فأطاحت بهما فلاقار بهما راضيين مرضيين، وقد كان تيمور درة من الدرر اللامعة فى كل شىء العلم، الخلق، الإبداع، الوطنية، الشهامة... إلخ لقد كان بمقدوره خلال الهجوم وبعد سقوط القنابل متناثرة من حوله أن يتعد عنها إلا أنه كان جارى الاشتباك مع إحدى طائرات العدو، وصواريخه موجودة فى الجو فى طريقها لطائرة العدو، وتركها يضيع فرصة تدميرها، ويجعلها تحقق مهمتها بنجاح، فأمر طاقم القتال الذى انتهى عمله بعد إطلاق الصواريخ بالابتعاد واستمر هو والبقية الباقية فى استمرار توجيه الصواريخ فى الجو.

إن سبب نجاح العدو فى تدمير إحدى الكتائب يوم ٢ يوليو وأخرى يوم ٥ يوليو لا يرجع إلى قدرات العدو بقدر ما يرجع إلى قصور تشكيل قتال اللواء ٩٥ صواريخ فى

ذلك الوقت، لقد أدت خروج كتيبتين من اللواء للعمل ككمانين لاصطياد العدو على طريق اقترابه إلى وجود كتيبتين منعزلتين بالنسبة لتشكيل اللواء، مما أدى إلى تدميرهما على التوالي يومى ٢، ٥ يوليو. إن أهم خاصية لدفاع منطقة الصواريخ هو العمل على استمرار التماسك للتجميع دائمًا مما يحافظ على قدرات التجميع في التعامل مع العدو، أكبر إمكاناته بما يحقق الاشتباك المستمر مع العدو، كذلك فإن هذا التماسك يؤدي إلى زيادة قدرة التجميع على توفير الوقاية لعناصره ضد هجمات العدو الجوية.

إن هذا الدرس يعتبر درسًا قيمًا وعلى جانب كبير من الأهمية، ولم يغادر خاطري هذا الخطأ خلال الأعوام التالية حتى انتهت معركة أكتوبر بنصر كامل لحائط الصواريخ.

بلغ نشاط العدو خلال يوم ٦ يوليو ١١٢ طلعة طائرة، غير أنه لم يحاول أن يهاجم تشكيل قتال الفرقة ولا مواقع رادار الإنذار الخاصة بها وأكتفى بمهاجمة القوات في القطاع الشمالى من الجبهة بالإضافة إلى قصف بور توفيق وحتى المواقع الجارى إنشاؤها تحت ستار تجميع الصواريخ الموجودة، لكن ما السبب في الابتعاد عن مهاجمة تجميع الصواريخ. لقد شعر العدو خلال هجومه على تشكيل قتال الفرقة الثامنة يوم ٥ يوليو بنيران مفاجئة تطلق عليه من اتجاهات غير متوقعة، حقيقة لم تؤد هذه النيران إلى إصابة أى طائرة للعدو. كذا لم تمنعه من مهاجمة إحدى الكتائب البارزة في جنب التشكيل، مما أدى إلى إصابتها. غير أنه رأى إيقاف الهجوم حتى يجدد مكان كتائب الكمانين ليتلافها أو يتعامل معها على انفراد.

استمر نشاط العدو الجوى يوم ٧ يوليو محدودًا كما كان يوم ٦ يوليو، إذ بلغ ١٠٠ طلعة طائرة، ولم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ أو مهاجمته، وقام بمهاجمة القوات في القطاع الشمالى، وقبل الظهر قام بمهاجمة موقع رادار الإنذار في منطقة فايد، ولم يتمكن برغم كثرة القنابل التى ألقتها من تدمير المعدات أو إصابتها، فقط تم تدمير عربة وإصابة أخرى، استمر موقع الرادار في تنفيذ مهمته في الإنذار.

تم تدعيم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بكتيتين أخريين من الفرقة الخامسة (دفاع جوى) بالقاهرة فأصبح تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) يتكون من كتيبة صواريخ سام ٢ معدل، ٣ كتائب صواريخ سام ٣.

لقد أدى نشاط الكمين الموجود فى منطقة فايد ونشاط موقع رادار فايد الذى استمر بعد قصفه بالطائرات فى استمرار إشعاعه، وكذا نشاط الكمين الموجود فى منطقة نفيسة، إلى زيادة شكوك العدو عما يجرى غرب القناة، بل على مقربة من القناة، فهو لم يعهد مثل هذا النشاط من قبل فى هذا المناطق، وفى ضوء التقدير الذى وصل إليه العدو عن نوايانا قام العدو بمهاجمة المطارات الأمامية فى فايد وأبو صوير وكبريت، موجهاً هجومه إلى مظلات الطائرات تلك الأماكن التى تتواجد بها الطائرات والورش - فدمرها تماماً، لقد وصل العدو فى تحليله إلى أننا نستخدم هذه الأماكن فى إخفاء معدات الصواريخ بها نهائياً على أن تتحرك منها ليلاً إلى مواقع أمامية غرب القناة بمسافات تتراوح ما بين ٤ و ٥ كيلو مترات ولا شك أن التغاضى عما يحدث والسماح باستمراره سيؤدى إلى احتلال عدة مواقع بكتائب الصواريخ غرب القناة، مما يؤدى إلى نقل معركة الدفاع الجوى إلى شرق قناة السويس - مما يهز ثقة طيارى العدو وقواته شرق القناة من جراء الخسائر المنتظر أن يمنى بها على أرض سيناء، ولكن كيف وصل العدو إلى هذا التقدير؟ الواقع أنه سبق فعلاً استخدام هذه الأماكن لمثل ذلك الغرض، ولكن قبل دخول تجميع الصواريخ إلى جبهة القتال، ثم انتهى ذلك الأمر بمجرد دخوله، فكيف عرف العدو مثل ذلك؟ الواقع أن العدو تمكن من وضع بعض أنواع وسائل التصنت الحديثة على المواصلات الخطية التى تستخدمها الوحدات، وفى ضوء ذلك التصنت تجمعت لديه المعلومات التى تؤكد استخدام هذه الأماكن، مما جعله عند مفاجأته بأكثر من كتيبة صواريخ تعمل غرب القناة مباشرة يعمل دون توانٍ فى مهاجمة هذه الأماكن وللدلالة على نجاح العدو فى التصنت على وسائل المواصلات الخطية - وقتئذ - أسوق هذا الحادث الذى وقع قبل دخول تجميع الصواريخ إلى الجبهة. فلقد صدر قرار باحتلال بعض قيادات تجميع الصواريخ - قيادة اللواء ٩٥ صواريخ، وقيادة الكتيبة الثانية رادار إنذار - مراكز قيادة جديدة أعدت لها مسبقاً، وفعلاً صدرت الأوامر بإتمام الاحتلال، وتحدد لذلك ساعة ويوم الاحتلال،

وكان من المفروض أن يتم ليلاً، وتحددت (سعت ٣٠٠) لذلك الغرض. غير أنه في ضوء بعض المصاعب التي ظهرت عند إجراء الاختبار العملي للمراكز الجديدة وفي مساء نفس ليلة التحرك تقرر عدم تنفيذ الانتقال، أمر عادي، يمكن أن يحدث كل يوم في أى تشكيل أو جبهة قتال، لكن ما الذى حدث على الجانب الآخر حتى (سعت ٢٤٥) من نفس الليلة التي حددت لانتقال هذه القيادات، لا ندرى ما الذى يحدث في الجانب الآخر غير أنه في ذلك الوقت تمكنت رادارات الإنذار من اكتشاف هدف من طائرتين فوق العريش تقريباً، وكم كانت دهشتى من ظهور طائرات معادية في مثل هذا الوقت، وكم زادت دهشتى من مشاهدتها وهى تطير بسرعة ٢٠ كم/ دقيقة، وكم بلغت الدهشة حداً ينعقد معه اللسان، إن هذه الطائرات تقترب مباشرة في اتجاه المكان الذى تحتله مراكز القيادة التى ألغى انتقالها في التوقيت الذى حدد فعلاً لبدء تحركها كانت الطائرتان فوق مكائهما إحداهما تلقى بالمشاعل المضئية والثانية تراقب الأفراد والعربات المتحركة، حمداً لله لعدم إتمام هذا التحرك؛ لأنه لو تم لكننا فقدنا فيه عناصر كثيرة من الرجال الفنين، عناصر مدربة تماماً، عناصر من الصعب استعواضها بسهولة بالإضافة إلى العديد من المعدات وغير ذلك.

ازداد نشاط العدو الجوى يوم ٨/ ٧/ ١٩٧٠ فبلغ ١٥٠ طلعة طائرة، وكرر العدو ما فعله في اليوم السابق، فقام بقصف مطار كبريت صباحاً ومظلات الطائرات بمطار أبى صرير ظهراً ولم تسلم مواقع العمل خلال هذا اليوم من هجومه، ونظراً لأن تجميع القتال للفرقة لم تزد عليه أى وحدات ورغبة في خداع العدو عن عدد كتائب التجميع وشكله تم إمداد الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بأجهزة رادار إنذار من نفس نوعية الأجهزة التى تعمل مع كتائب الصواريخ، وخصصت لها مواقع أمام التشكيل وعلى أجنابه بأسلوب معين، لتعمل منها وتشع في الهواء لخداع العدو عن شكل وحجم تجميع الصواريخ.

بدأ نشاط العدو اعتباراً من يوم ١٠ يوليو ١٩٧٠ حتى يوم ١٧ يوليو - يقل، فبلغت طلعاته اليومية ما بين ٦٠ - ٨٠ طلعة طائرة في اليوم. وركز العدو خلال هذه الأيام هجومه على القوات البرية ومجموعات مدفعية الميدان ومواقع الصواريخ الجارى إنشاؤها بالإضافة إلى قصف مدينة السويس وخلال هجومه هذا لم يدخل العدو في

مدى وحدات الصواريخ، إلا أن ذلك لم يمنعه من مشاغلها بأهداف عالية تطير خارج مداها لجذب انتباه الوحدات إليها ثم مهاجمتها بأهداف منخفضة من اتجاهات غير متوقعة، وفعلًا حاول العدو تنفيذ ذلك الأسلوب إلا أنه فشل، عندما بدأت الوحدات في التعامل مع الأهداف المنخفضة التي لاذت بالفرار بمجرد التقاطها بواسطة وحدات الصواريخ وفي تلك الفترة تم دعم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بكتيبة جديدة فأصبح تجميعها يتكون من ١٦ كتيبة صواريخ منها ثلاث كتائب سام ٣.

جاء يوم ١٨ يوليو ١٩٧٠ وبدأ يتضح منذ الصباح زيادة ملموسة في نشاط العدو الجوى، وفعلًا وصل نشاطه خلال هذا اليوم أكثر من ١٠٠ طلعة طائرة، وحتى الظهر لم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ، وبعد الظهر بدأ العدو يطبق جزءًا محدودًا من أسلوبه السابق، فبدأت مجموعة من طائرات - الفانتوم وعددها ٤ طائرات تقترب من اتجاه السويس ومتجهة تجاه الصالحية وعلى ارتفاع ١٦ كم، مستخدمة جميع أنواع التداخل، وفي لحظة محددة - ووفقًا للخطة الموضوعة بدأ هذا الهدف في الانخفاض (وكان الغرض من هذا الهدف العالى جدًا - عددًا واتجاهًا، هو جذب الوحدات إليه). في حين كان العدو يقترب بعدد ٢٦ طائرة فانتوم وسكاي هوك على ارتفاع ٣٠م حتى يفلت من الكشف الرادارى. وذلك من نفس اتجاهه السابق، من اتجاه جزيرة البلاح متجهًا إلى منطقة التل الكبير، ثم أخذ العدو في الدوران يسارًا وهاجم اللواء ٩٥ صواريخ من الخلف، ذلك التجميع المكون وقتئذ من سبع (٧) كتائب صواريخ، ٤ كتائب تكون تشكيل قتال اللواء فعلًا في مواقع ميدانية، و٣ كتائب تعمل ككمائن في المنطقة الشجرية المجاورة لتجميع اللواء، وذلك على النحو التالى كتيبة جنوب التل الكبير في منطقة أبى حليقة، والثانية شمال غرب التل الكبير في منطقة كفر العزازى، والكتيبة الثالثة في منطقة الجعفرية. شكرًا لرجال المراقبة بالنظر، هذا الرادار البصرى - الذى أبلغ عن اقتراب العدو في حينه، مما جعلنا نصدر الأمر للواء لتوجيه وحداته لصعد الهجمة في الوقت المناسب، لقد أدت السرعة في إصدار الأوامر وتنفيذها إلى فشل هذه الهجمة المخططة بإحكام، لقد فاجأت كتائب الصواريخ الطائرات المعادية بإطلاق الصواريخ عليها مما جعل العدو يلتقى بحمولاته دون تدقيق على الأغراض المراد قصفها، لقد ألقاها في المواقع الهيكلية، نتيجة للعشوائية التي كانت في إلقائها سقطت بعض القنابل على إحدى الكتائب مما أدى إلى تدمير إحدى معدات الكتيبة مع خسائر طفيفة في الأفراد.

لقد كانت خطة العدو لمهاجمة اللواء ٩٥ صواريخ هذا اليوم مختلفة تمامًا عما سبق له اتباعه، وإن كان طريق الاقتراب متماثلًا، لقد خطط العدو في هذه الهجمة لمهاجمة تشكيل اللواء كله، وذلك بالالتفاف على جنب اللواء الأيسر، ثم الفتح ومهاجمته من الخلف وذلك في موجتين مع تخصيص زوج من الطائرات أو أكثر لمهاجمة موقع واحد أو أكثر، حسب نوع وكمية التسليح التي يحملها لقد كان من المقرر من وجهة نظر العدو القضاء على هذا اللواء تمامًا، وذلك بتدمير وحداته الفرعية، وهذا ما أعلنه بعد الهجمة - ولكن ما حدث كان مخالفًا لذلك تمامًا، إن لم يكن عكسه، لقد كانت حصيلة هذا اليوم إسقاط طائرة فانتوم وأخرى سكاي هوك وأسروا بعض الطيارين وقتل البعض الآخر، كذلك إصابة طائرة فانتوم أخرى لم تتأكد في حينه غير أنه عند أسر أحد الطيارين فيها بعد اعتراف بأن هناك طائرة فانتوم أصيبت في هذا اليوم، وأن قائدها اتجه بها شرقًا لينجو من السقوط في الغرب، وعند وصوله إلى مطار البليز أخلى له المطار واتخذت الترتيبات اللازمة في مثل هذه الحالة، غير أنه عندما بدأت الطائرة تهبط على الممرات انفجرت بها فيها من حولة ووقود، مما أدى إلى حدوث ذعر في المطار أدى إلى هرب جميع الأفراد من المطار، والابتعاد لمسافات بعيدة للنجاة بأنفسهم، هذه هي الشجاعة الإسرائيلية التي تروج لها أبواق الدعاية الصهيونية على لسان أحد طياريه، فلم يحاول أطقم الإنقاذ الهرع لإطفاء الحريق أو إيقاف الحريق عند الامتداد خوفًا من أن يؤدي ذلك إلى كارثة تجعل المطار غير صالح للعمليات لمدة طويلة، وقد صدق قول الله تعالى فيهم «تحسبهم جميعًا وقلوبهم شتى، ذلك بأنهم قوم لا يعقلون».

كان قتال هذا اليوم تحولاً خطيرًا في قتال جميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مع العدو، فقد أمكن بعدد ٨ صواريخ ثمنها ١٦٠,٠٠٠ جنيه تدمير طائرات ٣ طائرات، ٢ فانتوم، ١ سكاي هوك ثمنهم لا يقل عن ١٥ مليون دولار بالإضافة إلى ٣ طيارين وملاحين لا يقدر بثمن إذا قيس ما بذل في إعدادهم من وقت وجهد ومال «صيد ثمين بثمن زهيد» الواقع أن الدروس المستفادة من أعمال قتال الأيام الماضية وتطبيقها عمليًا وبمرونة كانت السبب في الوصول إلى هذه النتيجة، وكان أولها هو السرعة في التعامل مع العدو، وثانيها هو تحقيق التغطية المتبادلة بنجاح مما أدى إلى عدم تمكين العدو من مهاجمة المواقع بدقة.

ابتعد العدو بعد هذه الخسائر عن مهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وانحصر نشاطه في مهاجمة القوات البرية للجيش الثانى الميدانى على طول جبهة القتال مركزاً هجومه مرة على قطاع دون القطاعات الأخرى، هادفاً من وراء ذلك إلى هدم معنويات القوات وإظهار عجز وحدات الصواريخ أمامها عن إمكان تغطيتها لزعة ثقته بالقيادة المسئولة عن الحرب وعدم جدوى استعدادها لذلك واضعاً في اعتباره عرقلة عملية إتمام بناء مواقع الصواريخ الأمامية لتنتقل إليها الوحدات متباهياً بقوته مستعرضاً عضلاته، وليس أدل على ذلك من قيامه برسم نجمة داود على ارتفاع ١٥ كم على المنطقة الأمامية للجبهة بواسطة عادم طائرات الفانتوم، وطبعاً خارج مدى وحدات الصواريخ التى كانت لا تزال في الخلف وغير قادرة حتى الآن على تغطية القوات الأمامية، فقد كانت كتابتها الأمامية لا تزال حتى الآن على مسافة ٥٠ كم من القناة ومنذ ذلك اليوم حتى آخر يوليو ١٩٧٠ لم يحاول العدو الاقتراب من تجميع الصواريخ أو دخول مناطق تدميره، واكتفى بالعمل ضد القوات والأغراض غرب القناة مباشرة، مركزاً هجومه تارة على القوات وأخرى على الكبارى العديدة المقامة على ترعة الإسماعيلية أو مدينة الإسماعيلية.

لقد تراوح نشاط العدو اليومى خلال الفترة من ١٩ إلى آخر يوليو ١٩٧٠ ما بين ١٠٠-٣٠٠ طلعة طائرة، وبحلول شهر أغسطس ١٩٧٠ بدأ نشاط العدو الجوى يقل فجأة أقل من ١٠٠ طلعة طائرة في اليوم. وفي ضوء انحسار نشاط العدو الجوى وفي ضوء الموقف السياسى وقتئذ وإعلان مصر قبول مبادرة روجرز وعدم إعلان إسرائيل قبولها تقرر دفع أربعة كهائن للأمام، إحداها في منطقة نفيسة، والباقي في منطقة أبى صوير شمال وجنوب ترعة الإسماعيلية وذلك لاصطياد العدو الذى أحجم منذ خمسة عشر يوماً تقريباً عن مهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى)، ولجأ إلى صب جام غضبه على القوات البرية المتمركزة غرب القنال مباشرة من القنطرة شمالاً إلى السويس جنوباً.

احتلت وحدات الكمان أماكنها في المناطق الشجرية، وقد لاقى في احتلالها عناءً شديداً ومصاعب، مما أدى إلى استغراق بعضها لساعات الليل كله في الاحتلال.

تم تدعيم تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بعد نجاحه يوم ١٨ يوليو بعدد ثلاث كتائب (صواريخ) من الخلف، فأصبح تجميعها مع أوائل أغسطس خمس عشرة كتيبة سام ٢ معدل، ٣ كتائب سام ٣ تقايل العدو على مواجهة ٤٠ كم بكثافة تساوى ٢, ٢ كند في كل كيلو متر من المواجهة.

بدأ نشاط العدو الجوى مبكراً منذ صباح ذلك اليوم وأصبح واضحاً أن نشاطه سيكون أكبر من الأيام السابقة، كما بات واضحاً من نشاطه وأسلوبه أنه ينوى مهاجمة الكمان الأمامية ولكن في تردد، ولم يكن هذا التردد راجعاً إلى قصور في قوات العدو الجوية بقدر ما كان راجعاً إلى الأسباب الآتية :-

أ- الحاجة إلى تحديد أماكن الكتائب بدقة تماماً لضمان نجاح هجومه عليها ووسيلته في ذلك الاستطلاع بالتصوير والاستطلاع الإلكتروني؛ لذا كان من الضروري الانتظار حتى يتم إجراء الاستطلاع.

ب- العمل على إرهاق المعدات وذلك بتشغيلها عدة ساعات في صيف قانظ، وذلك بأمل تعطلها أو ظهور أخطاء بها، مما يجعل الاشتباك به غير دقيق.

ج- العمل على إرهاق أطقم القتال التي تعمل عليها حتى ينال منهم الإعياء قدرًا كبيرًا مما يسهل مهمته عند مهاجمة هذه الوحدات.

بلغ نشاط العدو الجوى خلال هذا اليوم ١٢٠ طلعة طائرة، وخلال النصف الأول من نهار يوم ٣ أغسطس كثف العدو الجوى استطلاع الجوى بنوعيه دون الدخول في مناطق تدمير الصواريخ، إلى أن تمكن من تجميع معلومات دقيقة عن أوضاع الكمان، وقربة (سعت ١٦٣٠) بدأ العدو في مهاجمة مواقع الكمان بمجموعتين من الطائرات كل مجموعة من أربع طائرات فانتوم وميراج مركزاً هجومه على منطقة أبى صوير نظراً لوجود كتائب فيها، قابلت وحدات الكمان الهجوم الذى وقع عليها برباطة جأش وثقة عالية، وتمكنت من تدمير ثلاث طائرات للعدو مؤكدة وأسر بعض طياريه. صيد ثمين

أيضًا بثمان زهيد. ذلك الصيد الذي كان له أكبر الأثر في قبول إسرائيل لمبادرة روجرز لوقف إطلاق النار، ذلك الوقف الذي تحدد له منتصف ليلة ٨/٧ أغسطس ١٩٧٠ لتنفيذه.

وببدء تنفيذ اتفاقية وقف إطلاق النار انتهت أول معركة تنتصر فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو وتثبت أقدامها في أرض المعركة. لقد تغلب العدو على جميع الصواريخ للفرقة الثامنة (دفاع جوى) في يونيو ١٩٦٧، كما تغلب عليها في غضون حرب الاستنزاف إلا أنها تمكنت من تثبيت أقدامها في نهاية حرب الاستنزاف، وأصبح تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مكونًا من خمس عشرة كتيبة صواريخ موجهة أرض جو، وكانت نتيجة القتال خلال ٣٧ يومًا أن قام العدو بعدد كبير من الطلعات بلغ ٣٠٩١ طلعة طائرة، بمتوسط ٧٩ طلعة طائرة يوميًا، قام فيها العدو بمهاجمة تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ست مرات، وأمكنه أن يدمر معدات خمس كتائب صواريخ تدميرًا جزئيًا، وأمكن التجميع أن يدمر للعدو تسع طائرات مؤكدة وذلك بعدد ٧٧ صاروخًا بمتوسط ٨,٥ (صاروخ / طائرة).

قاتلت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) العدو الجوى منذ يونيو ١٩٦٧ حتى الآن، ولم تترك أرض المعركة لحظة واحدة، سوى الفترة من يونيو ١٩٦٧ إلى ديسمبر من نفس السنة، تلك الفترة التي تم فيها إرجاع تجميع صواريخ الفرقة للخلف لإجراء الإصلاحات اللازمة له وضبطه توطئه لإعادته للجبهة، لقد ظلت الفرقة خلال الفترات التي لم تتواجد فيها وحدات الصواريخ تدافع بها لديها من وحدات المدفعية من مختلف الأعيرة تدافع عن بور سعيد، السويس، الجزيرة الخضراء، مطار القطامية، وأدت مدفعيتها، كما سبق إيضاحه، دورًا مجيدًا ضد العدو الجوى، فأنزلت به من الخسائر الكثير، ولاقت من جراء هجومه عليها أيضًا الكثير من الخسائر.

لقد ضحت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بالكثير من طباطها وجنودها خلال حرب الاستنزاف، هؤلاء الشهداء الذين سبقونا إلى جنة الخلد أحياء عند ربهم يرزقون فرحين بما آتاهم ربهم ويستبشرون بالذين لم يلحقوا بهم من بعدهم ألا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

لقد كان نجاح الفرقة الثامنة (دفاع جوى) في حسم المعركة مع القوات الجوية الإسرائيلية وانتصارها عليها وإنزال خسائر كبيرة بها خلال شهر يوليو ١٩٧٠ سبباً في أن تفضل السيد رئيس الجمهورية بمنح علم الفرقة نوط الجمهورية العسكرية تقديراً لكل ما قدمته مسجلاً في سجل الشرف ما يلي :-

«إن شعبنا سيظل مدينًا لهؤلاء الأبطال الذين صمدوا وضحوا في سبيل عزة الوطن وكرامته. تحيتى لجميع أفراد الفرقة من الضباط والصف والجنود، وباسم الشعب وباسمى تقديراً وعرفاناً بما أدته هذه الفرقة في مرحلة الصمود فإننى أهدي الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وسام الجمهورية العسكرية لعلم الفرقة الثامنة (دفاع جوى)»

أنور السادات ٣٠ / ١١ / ١٩٧٠

لقد استفدت كثيراً من قتالنا خلال هذه المدة. لقد أتيت لي الفرصة لإدارة أعمال القتال، كما شاهدت الاشتباكات الجارية مع العدو بالعين المجردة. وكان على أن أحل يومياً كل ما دار. وأن أناقش كل مسئولى، وأن أحاول أن أعرف على أسباب القصور وكانت كثيرة، وأن أعمل جاهداً للوصول إلى أسلوب أفضل للعمل مع العدو، وأيقنت من خلال قتال هذه الفترة أن العدو ليس كما تصوره الدعاية الإسرائيلية ولا كما يصوره الوهم الذى سيطر على عقليتنا نتيجة هزيمتنا عام ١٩٦٧ وما تلاها من أيام حالكة السواد.

لقد أيقن العدو بعد قتال يوليو ١٩٧٠ أنه وجد الحل للتعامل مع تجميع الصواريخ كما أعلنت قيادته السياسية والعسكرية بذلك، أما نحن فكان لابد لنا من البحث عن حل أو أكثر يزيد من احتمالات نجاحنا في قتالنا المنتظر مع العدو، فأمامنا معركة قائمة، وأمامنا أرض محتلة وعدو متغطرس وإمدادات تصل إليه بدون حساب، وتطور يلاحق تطورا في قواته الجوية فماذا كان لزاماً علينا؟ كان أمامنا طريق طويل وشاق، وكان لابد لنا أن نسلكه مهما كانت الأشواق التى عليه.

استكمال بناء مواقع الصواريخ

كان من المقرر - قبل إدخال وحدات الصواريخ إلى جبهة القتال في يونيو ١٩٧٠، إنشاء عدة مواقع كاملة التحصين من ذلك النوع الذى يحتاج إلى مدة طويلة في إنشائه.

غير أن هذا الموقف سرعان مع تغير عقب وقف إطلاق النار، وتقرر إنشاء العديد من المواقع التى بلغت نحو ٨٨ موقعًا بجانب العدد السابق تقريره، ولما كان عامل الزمن فى هذه العملية يعتبر حاسمًا؛ لذا اتجه التفكير إلى إقامة نوع من المواقع السابقة التجهيز والتى لا تحتاج إلى وقت طويل فى إنشائها. لقد كان هذا العدد مطلوبًا لما كانت السرعة فى إتمامه مطلوبة وذلك بغرض توفير مواقع لوحدات سام ٣ التى وصلت قبلًا وأتمت تدريبها بالاتحاد السوفيتى كما كانت مطلوبة أيضًا لإتمام المناورة الطولية والعرضية عليها منعا لمعرفة تشكيل قتال وحدات الصواريخ للعدو فلو أضفنا لذلك الحاجة إلى مواقع أمامية على مقربة من القناة تيسر وقاية القوات البرية التى تحتل مواقعها غرب القناة ضد هجمات العدو لوضح لنا لماذا تقرر بناء هذا العدد من مواقع الصواريخ، لقد كان مقررًا إقامة ٢١ موقعًا كامل التحصين من تلك المواقع التى يحتاج إقامة الواحد منها إلى ستة شهور أو أكثر، والتى يتكلف الواحد منها من ١٠٠,٠٠٠ جنيه وقتئذ ولم يكن حتى وقف إطلاق النار قد تم إنهاء سوى ٣ مواقع منها فقط، والباقي معطل العمل فيه نتيجة قصف العدو المستمر، وكان من الصعب إتمام هذا العدد الكبير من المواقع بهذا الأسلوب، فإذا تركنا التكاليف المادية جانبًا لوجدنا أن عامل الوقت المتيسر لا ييسر إتمام هذا العدد؛ ولذا بات من الضروري البحث عن حل جديد - أسلوب جديد ولو على حساب درجة الوقاية المطلوبة.

لقد تمكن المهندسون المصريون من ابتكار أسلوب جديد لإقامة المواقع يوفر كثيرًا من الوقت والنفقات، وكان أساس إقامته مبنياً على استخدام الخرسانة المصنعة من قبل، ولذلك أطلق على هذا النوع من المواقع مسبقة التصنيع، لقد وفر هذا النوع من المواقع كثيرًا من النفقات والوقت فالموقع الواحد لا يزيد تكاليفه عن ٢٠,٠٠٠ جنيه، ويتم إنشاؤه فى سبعة أيام، لقد رأى المهندسون الذين صمموا هذا النوع أنه لا ييسر الوقاية الكافية ضد أى نوع من القنابل، ولا أدرى ما هى الحسابات التى بنوا عليها تقديراتهم وحساباتهم هذه. لقد صمد هذا النوع من المواقع لهجمات عنيفة من الطيران الإسرائيلى، ولم تتأثر بالقنابل ١٠٠٠ رطل التى ألقى عليها، بل إن العدو قام بإجراء تجربة عملية عليها، وذلك بقصف أحد المواقع التى كانت تحت سيطرته فى الثغرة بواسطة الطائرات

الفانتوم دون أى مقاومة أرضية، فلم تتمكن القنابل ١٠٠٠ رطل من تدميرها، وخرج هذا النوع من المواقع فى المعركة ١٩٧٣ وقد أثبت جدارته وقدراته على الوقاية فى وجه الهجمات الجوية بالقنابل.

ولإنهاء إقامة المواقع فى فترة إطلاق النار تم حشد كل إمكانيات الدولة، القطاع العام بشركاته كما تم حشد جميع وحدات المهندسين العسكريين، وتم تجهيز الخرسانات المصنعة فى مصانع مصرية بالقاهرة، وتم نقلها إلى الجبهة، وتولت الشركات ووحدات المهندسين إقامة المواقع.. يالها من معركة - معركة مع الزمن، أثبتت فى النهاية القدرة والأصالة المصرية، تلك القدرة والأصالة التى تمتد فى جذور التاريخ، والتى لم نحاول أن نبحت عنها وننتقيها من الشوائب التى لحقت بها خلال عهود الدعة والاحتلال. لقد أثبت الإنسان المصرى فى وقت الشدة أنه قادر تمامًا على أن يواجه جميع الأخطار. كما أثبت أنه ابن الأرض الطيبة التى يروىها هذا النهر الخالد، وأنه فى سبيلها يسترخص دمه ويقدمه فداءً لهذه الأرض الخضراء.

لم يأت منتصف أكتوبر ١٩٧٠ إلا وجميع المواقع المطلوب إقامتها قد تم إقامتها فعلاً. عدا قلة محدودة استمر العمل فيها خلال النصف الثانى من شهر أكتوبر، ونظرًا لما ظهر من ملاحظة الجانب الإسرائيلى فى الالتزام بقرار وقف إطلاق النار حسب ما جاء فى مبادرة روجرز بالإضافة إلى عدم انصياع إسرائيل للاقتراحات المقدمة إليها من أمريكا لحل مشكلة الشرق الوسط - بدأ التخطيط لإقامة مواقع متقدمة أكثر قربًا للضفة الغربية للقناة على مسافات تتراوح بين ٦-٨ كم من القناة تخدم أى عمليات مقبلة فى سيناء بحيث تكفل للقوات البرية إمكان تحقيق مهامها بنجاح عندما تحين ساعة القتال وتبدأ القوات المصرية عملياتها الهجومية لتحرير الأرض المحتلة.

لقد بدأ بناء هذه المواقع فى أواخر ١٩٧٠، وانتهت فى أغسطس ١٩٧١ - تحت سمع وبصر العدو، ومنذ بدء إنشاء المواقع القريبة من القناة لم يهدأ العدو، بل زاد نشاطه الاستطلاعى الأرضى والجوى، ولجأ العدو فى الاستطلاع الأرضى إلى إقامة الأبراج العالية لإمكان التغلب على العوائق الشجرية التى تنمو فى الشريط الزراعى الضيق المجاور للضفة الغربية للقناة، تلك العوائق التى تعوق الرؤية، غير أن أساس استطلاعه ركز على الاستطلاع الجوى بالصور من ارتفاعات تتراوح ما بين ١٥ و ٢٢ كم.

وبانتهاء إقامة هذه المواقع يمكن القول بأن مرحلة بناء مواقع الصواريخ قد انتهت وبلغت في جملتها حتى الآن ٩٦ موقعًا منها ٢٠ موقعًا كامل التحصين ٧٦ موقعًا، من نوع المسبق الصنع، عدد ضخّم وعمل أضخم تكلف الملايين من الجنيهات. واستنفذ كثيرًا من طاقات الدولة غير أنه أدى أكبر خدمة ممكنة لحائط الصواريخ، إذ يسرت لي هذه المواقع أكبر قدر من المرونة لقد يسرت هذه المواقع لحائط الصواريخ فيما بعد خداع العدو عن شكل حائط الصواريخ ونوعيته كما يسرت هذه المواقع أيضًا أثناء القتال القدرة العالية على المناورة وإمكانية مواجهة جميع احتمالات العدو، مما حافظ على سلامة وحدات الصواريخ، وأدى في النهاية إلى تدمير القوة الجوية الإسرائيلية تدمير الذراع الطويلة التي طالما تغنت وباهت بها إسرائيل .

الفصل السادس

النتائج والدروس المستفادة من حرب الاستنزاف

لقد كانت معارك حرب الاستنزاف، منذ بدايتها إلى نهايتها في أغسطس ١٩٧٠ قتالاً يتسم بالعنف والضراوة، قتالاً بين عدو تملكه الصلف والغرور عقب انتصار يونيو ١٩٦٧ وبين القوات المسلحة المصرية التي كان لهزيمتها أثر كبير على وجدانها ومعنوياتها، بين عدو أخذ يملأ أسماع العالم بقدرته ومقدرته، بأصالته وموهبته العسكرية التي لا تتوفر لشعب غيره، وبين القوات المسلحة المصرية وهي تحاول إن تستعيد قدرتها، والطريق أمامها طويل، والرؤية نحو المستقبل غير واضحة، وكابوس الهزيمة عالق بمخيلة الجميع لا يفارقه لحظة.

لقد كان للحرب النفسية الشرسة التي شنتها إسرائيل أثر كبير وبعيد، فلقد صدق العالم كله شره وغربه ما تدعيه إسرائيل من قدرتها العسكرية بصفة عامة، وقدره ذراعها الطويلة بصفة خاصة

دخل الدفاع الجوي معارك حرب الاستنزاف، ووحداته تامة التسليح من المدفعية المضادة للطائرات من مختلف العيارات، من الرشاش ١٢,٧ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وذلك على جميع المستويات التكتيكية والتعبوية لقوات الجيشين : الثاني والثالث الميدانيين يعزز ذلك لواء صواريخ كل من ثلاث كتائب، يحتلان مواقعهما في كل من بورسعيد - أبو صوير - الروضة - أبو سلطان جنيفة - العجروود.

وكانت قوات العدو والجوية على ما هي عليه عام ١٩٦٧ سواء في أعدادها أو نوعياتها.

إذ أن الطائرات الجديدة من الأنواع سكاي هوك وفانتوم لم تكن قد وصلت بعد لإسرائيل، وتمكن الدفاع الجوي من التعامل بنجاح محدود مع الطائرات من طراز مستير- أور جان - سوبر مستير- ولكن وقف عاجزاً أمام الطائرات من نوع الميراج في ذلك الوقت كما وقفت الصواريخ الموجهة أرض جو فيما بعد هي الأخرى عاجزة أمامها.

وزاد الطين بلة إمداد إسرائيل بالطائرات الأمريكية الحديثة من طراز فانتوم وسكاي هوك أوائل عام ١٩٧٠.

لقد سبق أن ذكرت في الفصل الثالث الدروس المستفادة من معارك الاستنزاف بشكل عام، والآن لا بد لنا من عودة إليها مرة أخرى للتعرف على أسباب القصور العامة وتلك الخاصة بالمدفعية المضادة للطائرات، وتلك الخاصة بالصواريخ الموجهة أرض -جوى الخاصة بالرادار والإنذار ثم نستخلص الدروس المستفادة منها.

أسباب القصور العامة

١ - الانضباط العسكري

إن الانضباط العسكري كان هو الخاصية المميزة لوحدات المدفعية المضادة للطائرات منذ نشأتها في أوائل الأربعينيات، وإن كانت هذه الخاصية هي السمة اللازمة لأي عنصر عسكري صغيراً كان أو كبيراً إلا أنها في وحدات الدفاع الجوي تعتبر ألزم ما يكون، فهي عصب إدارة النيران الناجحة، كما إنها الدعامة الأساسية للاستعداد اليقظ.

٢ - ضعف مستوى التدريب

أدى ضعف المستوى التدريبي الفني والتخصصي الذي كانت عليه الوحدات إلى نتائج سيئة عند اشتباكها مع الطائرات، فمعدات وأسلحة الدفاع الجوي كلها معقدة ودقيقة، وكونها معقدة يعنى حاجتها إلى تدريب ممتاز لفهمها، وكونها دقيقة يستلزم أداء جيداً عليها، والأداء الجيد لن يكون إلا بالتدريب المستمر عليها.

وكلا نوعي التدريب يؤدي في النهاية إلى القدرة على ضبط المعدة والتحكم في أداؤها.

٣- عدم الإلمام بقواعد إدارة النيران

أدى عدم الإلمام بقواعد إدارة النيران والمرونة اللازمة في تطبيقها إلى عدم إمكان تحقيق الكفاءة المطلوبة في الاشتباك مع طائرات العدو، ويرجع ذلك إلى اتخاذ أسلوب الحفظ وسيلة لتفهم قواعد إدارة النيران والبعد عن معرفة الأسس التي بنيت عليها مع انعدام القدرة على التصور، وهى خاصية ألزم ما تكون لضباط إدارة النيران.

إن المنطلق السليم للإلمام بقواعد النيران يجب أن يبدأ بالفهم الصحيح لأساسيات المدفعية المضادة للطائرات وطرق تحديد قيم حركة الهدف في الفراغ وأثر كل منها على الآخر.

٤- عدم تنمية روح الفريق

الوحدة الفنية والتكتيكية في وحدات الدفاع الجوى تتكون من عدة معدات تعمل مع بعضها في تناسق تام بغرض إخراج نيران دقيقة، فسرية المدفعية المضادة للطائرات التي تعمل بدون أجهزة قيادة نيران تتكون من عدة مدافع، وإنتاج النيران الدقيقة يجب أن تسود روح الفريق طاقم المدفع، فلكل فرد دوره المهم الذي يؤديه في إنتاج النيران الدقيقة، حقيقة هناك بعض الأفراد تزداد أدوارهم أهمية عن غيرهم إلا أن الغرض الذي يهدف إليه الجميع هو خروج الطلقة على المحل المستقبل للهدف، وتزداد أهمية روح الفريق في حالة تواجد أجهزة قيادة نيران من رادار وحواسيب، ولو لم يسد روح الفريق عمل الجميع من قائد السرية حتى فرد الذخيرة لما كان لما تنتجه من نيران أى تأثير يذكر ولن تتأتى هذه الروح - إلا بتنمية التماسك والترابط. بين عناصر الوحدة الفرعية وتوضيح أهمية دور كل فرد في إنتاج النيران المؤثرة.

أما في وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو فإن روح الفريق تصبح أكثر أهمية، وتزداد الحاجة إليها، وذلك راجع إلى ارتفاع ثمن الصاروخ آلاف الأضعاف إذا قيس بثمان طلقة مدفعية مضادة للطائرات من العيار المتوسط، بالإضافة إلى أن الدفاع بالصواريخ - نظراً لكبر تكلفته لا يستخدم إلا للدفاع عن الأغراض الحيوية المهمة في.

الدولة لتوفير الوقاية لها ضد أي هجوم بالأسلحة الذرية أو الكيميائية، وتتميز معدات الصواريخ أرض جو بأنها أكثر تعقيدًا، وطاقت قتالها أكبر عددًا من معدات المدفعية المضادة للطائرات، كما أنها تتميز بخاصية فريدة وهي أن الصاروخ يتم تعديل مساره في الجو أو لا بأول وفقًا لخط سير الهدف الجوي المراد تدميره، بعكس طلقة المدفعية التي لا سلطان عليها بعد إطلاقها، كل ذلك يحتاج من الفريق الذي يعمل إلى أن يكون عمله متكاملًا، فكل فرد في الفريق يعتمد على عمل الآخر، أي أن عمل الجميع مترابط أوثق الترابط، وإن لم يسد الجميع روح الفريق تمامًا لظهرت الأخطاء لدى البعض، فمعدات الصواريخ تتركب من عدة أنظمة كل منها يعمل لتحقيق قيمة معينة من قيم الهدف والصاروخ أيضًا، وبين كلتا القيمتين تتم المقارنة والتصحيح، وكل ذلك يتم آليًا ويعنى ذلك ضرورة عمل المعدات بطريقة صحيحة، ولن يكون ذلك إلا بروح الفريق التي تعمل جاهدة كل في نطاقه، وليحقق لنفسه ولغيره أفضل الأداء.

٥- تحلف المدفعية المضادة للطائرات

دخلت القوات المسلحة المصرية معارك الاستنزاف ومدفيعيتها متخلفة تمامًا عن التطور الذي صاحب الطيران بوجه عام، فجميع أسلحة المدفعية المضادة للطائرات كانت كلها من تلك التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية، يوم إن كانت الطائرات لا تزيد سرعتها على ١٠٠ م/ث، وكانت قدرتها على المناورة محدودة، لذا فاستخدامها ضد طائرات سرعتها تقترب من سرعة الصوت؛ أي ٣٠٠ م/ث ولديها القدرة العالية على المناورة سواء بالالتفاف والغطس أو الصعود، يعتبر أمرًا غير ذي موضوع.

ولو أمعنا النظر في أجهزة قيادة الميزان لتلك الأنواع المجهزة بها من رادار وحواسب نجد أيضًا أن أجهزة قيادة النيران هي الأخرى من نتاج الحرب الثانية، ولذا فلم تتمكن من إتمام أي اشتباك ناجح مع مثل هذه الطائرات، وإزاء ذلك تركتها الوحدات واشتكت باستخدام متطور أو باستخدام الجهاز الحاسب دون الرادار للمدفعية غير المزودة بأجهزة تنشين مكشوفة.

إن القصور في المدفعية المضادة للطائرات يمكن تحديده في الآتي :

أ- قصور في المعدات بحيث لا يمكنها تتبع الأهداف السريعة، ويعنى ذلك أن المعدات لا يمكنها إعطاء معدلات تغير عالية في الزاوية والاتجاه.

ب- أجهزة الرادار سستيمرية ذات شعاع ضيق يسهل التداخل عليها، ولا يمكنها التقاط أي أهداف نظرًا لضيق الشعاع الذي تعمل به.

ج- الأجهزة الحاسبة ولو أنها تعمل بنظرية التقريب المتتالي إلا أنها غير قادرة على تتبع الأهداف السريعة أو الأهداف القائمة بالمناورة لقصور في سرعة دورانها.

د- عدم وجود نظام في الجهاز الحاسب ييسر الاشتباك مع الأهداف المناورة سواء بالغطس أو الصعود.

هـ - سوء صناعة سلاح المدافع، إذ تعتمد المدفعية المضادة للطائرات على ما سورة داخلية Jenner liner فقط مما يستدعى عدم استمرار الضرب بها، نظرًا لما يصيبها من سخونة عالية- وقد أدى مخالفة هذه القاعدة في ضوء كثافة الهجمات الجوية إلى عدم دقة الضرب، وذلك للاختلاف البين في عيار الماسورة نتيجة استخدامها.

و- قصور في إصابة الطائرات، وذلك راجع إلى كبر منطقة تشتت الدانات حول الهدف مع ضعف السرعة النسبية لتطايير الشظايا، وصغر حجمها يقلل من احتمالات الإصابة لأي طائرة إلا بعد ضرب عدة مئات من الطلقات تتناسب عكسيًا مع العيار الجاري الضرب. مثل هذه المشكلة لحسمها يجب تواجد مدفعية مضادة للطائرات ذات سرعة ابتدائية عالية لتقليل زمن المرور مع أجهزة حاسبة أو أجهزة تشين دقيقة جدًا وذات معدل عالي من النيران.

ز- جميع طلقات الرشاشات لا تؤثر في هياكل الطائرات الحديثة، ولذا أصبح مخروط نيرانها غير مؤثر، مما أدى إلى زيادة الثقة في الطيارين أثناء تنفيذهم لمهمتهم.

من كل ما سبق نجد أن المدفعية المضادة للطائرات دخلت معارك - الاستنزاف متخلفة في معداتها، وتبعاً للتطور السريع في الطائرات سرعة ومناورة واستخدام السبائك القوية في صناعة الهياكل، يمكن القول بأن عصر المدفعية المضادة للطائرات قد انتهى تمامًا، وخاصة الأعيرة المتوسطة منها والخفيفة ذات العيار الكبير، وأنها في حاجة إلى عجلة متزايدة لتلحق بما وصلت إليه صناعة الطائرات الحديثة، وقد يشر المستقبل القريب بمدفعية مضادة للطائرات تفي باحتياجات الدفاع الجوي.

٦ - مشكلة الصواريخ الموجهة أرض - جو

قبل أن نحلل أسباب القصور الذي ظهر في الاشتباكات بوحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو يجب أن نقرر حقيقة واقعة وهي أن الصاروخ هو الأداة التي توصل إليها التقدم العلمي والتكنولوجي للتغلب على قصور المدفعية المضادة للطائرات، وبالأخص القصور في إصابة الأهداف، لقد كان الرد العلمي على عدم دقة الإصابة هو عدم القدرة على التحكم في مسار دانات المدافع بعد إطلاقها نحو غرضها، فجاء الصاروخ وأمكن التحكم في مساره طول طيرانه بما يحقق مواءمة مكانه مع مكان الطائرة لحظيًا ومن ثم ازدادت احتمالات الإصابة. وللوصول إلى ذلك كان من الضروري استخدام معدات معقدة ودقيقة للغاية، ولكن هل تمكنت الصواريخ الموجهة أرض - جو من تدمير الطائرات وحقق ما كان معقودًا عليها من آمال.

الواقع أن حرب فيتنام ومعركة يونيو ١٩٦٧ ومعارك حرب الاستنزاف جميعها أوضحت أن هناك قصورًا في هذا السلاح، لأنه بمجرد ظهوره واستخدامه بدأ التطوير في الطائرات يسير نحو الأفضل. تطوير في السرعات، في القدرة على المناورة، في متانة هياكل الطائرات وعدم تأثرها بالشظايا المتناثرة حولها، وأخيرًا تطوير في تكتيكات الطائرات واستخدامها الارتفاعات المنخفضة جدًا ٥٠-١٠٠ متر لمهاجمة أغراضها.

إن القصور في الصواريخ الموجهة أرض - جو يمكن تحديده في الآتي :

أ- عدم قدرة المعدات على تدمير الطائرات التي تطير على ارتفاعات منخفضة جدًا فالصواريخ المتوسطة مصممة أساسًا للاشتباك على الارتفاعات المتوسطة والعالية،

ولإمكان قيامها بالاشتباك على الارتفاعات المنخفضة جدًا، فقد تم إدخال بعض التعديلات عليها بما يمكنها من تحقيق ذلك، ولكن بنسبة احتمال للتدمير أقل.

ب- أدى استخدام الطائرات للارتفاعات المنخفضة جدًا إلى عدم صلاحية نظام الدفاع الخطي، ذلك الأسلوب الدفاعي الذي اتبع خلال حرب يونيو ١٩٦٧ وخلال معارك الاستنزاف، والذي تبنيته خلال دخول الصواريخ للجهة مرة ثانية في يونيو ١٩٧٠ - وكان سببًا في نجاح هذه المرحلة ضد الطيران الإسرائيلي.

ج- استخدام العدو للتداخل الإيجابي سواء من محطات الإعاقة الأرضية أو من الطائرات المهاجمة وبشدة عالية كان له من المفاجأة ما له خلال حرب يونيو ١٩٦٧، وكان لنقص التدريب عليه عمليًا، كذا عدم التعود على رؤيته وما يتبع وجوده من مشكلات في ظهور الأهداف على شاشات التوجيه أو اختفائها أثر في عدم نجاح الاشتباك به.

ولا شك أن استخدام التداخل في أي تجمع خطي يعتبر وسيلة كاملة للتعمية عن تحقيق مهمة الطائرات بنجاح وذلك بعكس ما يحدث في دفاع المنطقة •

د- كبر حجم معدات كتيبة الصواريخ - وحدة النيران - مما يجعلها غرضًا واضحًا تمامًا مما يسهل من مهاجمتها بالطائرات .

هـ- التطور السريع في الطائرات كرد فعل لإبطال مفعول الصواريخ بزيادة قدرتها على إتمام المناورة الحادة، وذلك لإمكان الإفلات من الصواريخ •

و- استخدام المستشعرات الجديدة والحواسب التحليلية لكل الانبعاثات الإلكترونية في الفراغ يمكن من معرفة الترددات التي تعمل عليها المعدات، ونظام عملها مما يسهل من تحديد أسلوب تعميته لأنواع التداخل المختلفة، بالإضافة إلى تحديد أماكنها بدقة عالية •

٧. أسباب القصور في الرادار والإنذار

يرجع القصور في عمل وحدات الرادار والإنذار إلى الأسلوب الجديد الذي كان العدو يتبعه للاقترب لمهاجمة أغراضه، ألا وهو الاقتراب على ارتفاعات منخفضة

ومنخفضة جدا وذلك بغرض تقليل زمن الإنذار المتيسر لوحدة الدفاع الجوي، ثم يحقق المفاجأة المطلوبة في عملياته الهجومية، وللتغلب على هذا الأسلوب أصبح من الضروري إقامة حقل راداري مستمر قاعه الأسفل ١٠٠ متر • وقد استلزم ذلك الحاجة إلى إنشاء العديد من الوحدات الجديدة وتجهيز مواقع جديدة لتحتلها هذه الوحدات • ونظرًا للسرعة التي تم بها ذلك، فقد ظهرت الوحدات الجديدة بمستوي تدريبي أقل مما يجب، كما أن دخول بعض أنواع جديدة من الأجهزة أدى إلى نفس النتيجة •

لقد استلزم بناء الحقل الراداري العديد من أجهزة الرادار كما استلزم فتح مراكز توجيه جديدة للمقاتلات مزودة بأنواع أخرى من أجهزة الرادار وبكميات كبيرة تتناسب مع كثرة مافتح منها، ولقد زود الاتحاد السوفيتي جمهورية مصر العربية بعدة عشرات من أجهزة الرادار المختلفة ولو أنها من نوعيات قد تكون مختلفة مع ما يجب أن يكون •

تحملت وحدات الرادار نتيجة لسرعة تشكيلها ودفعها إلى مواقع القتال التي حددت لها مع عدم توفير أي وقاية لها الكثير من الخسائر من جراء مهاجمة العدو لها، فلقد شعر العدو بوسائله المتعددة من سرعة سد الثغرات الموجودة في مجالنا الجوي، ومن ثم بدأ خلال معارك الاستنزاف يوجه كثيرًا من هجماته لوحدة الرادار والإنذار بغرض إثبات قدرته وعدم جدوي ما يتم، بالإضافة إلى تكبيد الوحدات قدرًا من الخسائر سواء من الأفراد أو المعدات •

لقد ظهر من خلال معارك الاستنزاف أوجه القصور التالية:

- أ- ضعف مستوى الوحدات في القدرة على التقاط الأهداف المنخفضة جدًا والعالية جدًا، وقد كان ذلك راجعًا إلى ضعف مستوى التدريب، بالإضافة إلى عدم الفهم للخصائص الفنية للمعدات، وكيفية استغلال هذه الخصائص بما يتماشى مع الموقف.
- ب- عدم وجود تجهيز هندسي للمعدات أدى إلى سهولة مهاجمتها وإنزال خسائر بها.
- ج- ضعف الدفاع المضاد للطائرات عن مواقع الرادار، إذ كان يتم بأسلحة متخلفة ومحدودة.

د- استخدام العدو للتدخل الموجه عند مهاجمته مواقع الرادار، مما يعميها تمامًا ويجعلها غير قادرة على تحديد الهجوم ولا قوته •

هـ- حداثة الفهم التكتيكي والتعبوي لعمل حقل الرادار الضخم الذي كان يجري إقامته على معظم المستويات القيادية •

٨. الدروس المستفادة من معارك الاستنزاف

أ- المدفعية المضادة للطائرات:

(١) يجب أن تتواءم معدات المدفعية المضادة للطائرات مع العصر الذي تعمل فيه ويعنى ذلك أن تفى باحتياجات الدفاع الجوى في ضوء العصر الذى تنتج فيه، واحتمالات المستقبل بالنسبة للتطور المنتظر في صناعة الطائرات، وذلك بالنسبة لقدرتها على التقاط وتتبع الطائرات.

(٢) أن تكون أدوات التنشين المنظورة للأنواع التى تستخدمها لحل مشكلة المحل المستقبل سواء أكانت رشاشات أم مدفعية مضادة للطائرات خفيفة، دقيقة لتحديد المحل المستقبل، وأقرب ما يكون إلى الطائرة وبمبسطة ليتيسر العمل عليها بسهولة ودون أخطاء.

(٣) استخدام الأجهزة الحاسبة الإلكترونية في المدفعية الخفيفة المضادة، على أن تكون نظرياتها قادرة على حل مشكلة المحل المستقبل بدقة أكثر من النوعيات الحالية، مع الإقلال من كميات التصحيحات سواء للأحوال الجوية أو الذخيرة أو للسلاح.

(٤) تطوير ذخائر المدفعية المضادة للطائرات - عمومًا - وذلك باستخدام عبوة قاذفة تعطى سرعة ابتدائية أعلى وذلك للتغلب على كبر زمن مرور الدانات في الجو، مما يزيد من احتمال إصابة الطائرات.

(٥) يجب أن تكون مواسير المدافع من النوع الذى يتحمل الضرب لمدة طويلة دون إجهاد ودون تآكل يذكر.

(٦) في ظل استخدام الصواريخ أرض - جو بجانب المدفعية المضادة للطائرات في أي نظام للدفاع الجوي لا داعي لوجود مدفعية متوسطة مضادة للطائرات على الإطلاق، ويعتبر الصاروخ أرض - جو هو خير سلاح يحل محلها ويفضلها.

(٧) انتهى عصر المواسير الفردية، سواء في الرشاشات أو المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات، وأصبحت الحاجة ماسة إلى الأسلحة المزدوجة أو الثلاثية أو الرباعية لتشكل مخروط النيران الذي يحوى الهدف في منتصفه، ولإنتاج معدل عال من النيران يسر إمكان إصابة أو تدمير الطائرة في زمن محدود.

(٨) ظهر عدم جدوى معظم أعيرة المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة - كذا المتوسطة - في الاشتباك مع الأهداف الغاطسة، وقد استغل العدو قدرة طائراته الفانتوم وسكاى هوك في ذلك وهاجم مواقع المدفعية المضادة للطائرات، وأنزل بها خسائر جسيمة، وكانت غلالة النيران بواسطة المدفعية المتوسطة المضادة للطائرات هي الحل الأمثل لذلك وباستخدامها تمكنت الوحدات التي استخدمتها من إيقاف الخسائر بها وتدمير بعض طائرات العدو .

(٩) اتضح أن أجهزة قيادة النيران بشكلها التقليدي - أي جهاز رادار قيادة تكتيكية، وجهاز رادار قيادة نيران، وجهاز حاسب في كل سرية مدفعية م/ ط - يعقد مشكلة التقاط الطائرات وتتبعها، ويعقد أسلوب الاشتباك بها . ولو سلمنا بأن الأسلوب كان سليماً خلال نهاية الحرب العالمية الثانية والفترة التي تلتها فإنه أصبح غير مناسب في ضوء التطور في سرعة الطائرات وقدرتها العالية على المناورة .

(١٠) تعتبر المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة متعددة المواسير، والتي يتراوح مداها بين ٢ و ٣ كيلومترات كافية لتوفير الوقاية المطلوبة للأغراض أو القوات في ضوء تكامل الدفاع بالصواريخ أرض - جو عنها غير أنه في ضوء استخدام الطائرات الهليكوبتر الحاملة للصواريخ المضادة للدبابات أصبحت الحاجة ماسة الى تواجد مدفع خفيف مضاد للطائرات مداه أكبر من المدي الذي تعمل

عليه الطائرات المليكوكوتر الحاملة للصواريخ المضادة للدبابات • وفي ضوء التطور الحالى في الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وما ينتظر لها نجد أن المطلوب هو مدفع خفيف مضادة للطائرات مداه لا يقل عن ٥ كيلو مترات •

(١١) سيظل الطيران الليلي على الارتفاعات المنخفضة جدًا والمنخفضة - رغم التطور في الوسائل الملاحية الحديثة - مشكلة تقابل الطيارين وفي ضوء تكامل الدفاع الجوي عن القوات يبرز التساؤل الآتي : هل هناك حاجة لتسليح المدفعية الخفيفة المضادة للطائرات بأجهزة قيادة تكتيكية وقيادة نيران : وتعد موقوفها من ناحية التدريب والمعاونة الفنية أو نتركها تعمل بأجهزة تنشين متطورة فقط • قد يكون الحل الأمثل لو استعرضنا أسلوب الهجوم الجوي المنتظر ومهمة المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة ومداهما المؤثر وتكامل الدفاع الصاروخي عن القوات أن نجد أنه لا داعي لأجهزة قيادة نيران، ويكتفي بأجهزة تنشين متطورة مدعمة بجهاز ليزر لتقدير المسافة بدقة •

(١٢) ستظل إدارة النيران في المدفعية المضادة للطائرات حجر الزاوية لأي قتال ناجح مع الطائرات، ويستلزم ذلك المزيد من التدريب والتصور والعناية بالمعدات ودقة ضبطها لسلامة أدائها •

(١٣) الجراءة في قتال العدو، وتستلزم طرد الخوف بسرعة وفتح النيران الدقيقة.

(١٤) يجب أن تعمل المدفعية للطائرات في مجموعات مدفعية متجاورة تحتل الاتجاهات الرئيسية لاقترب العدو، وتغطي الجهود الرئيسة للقوات، ويتراوح عدد الأفواج في المجموعة الواحدة من ٣-٥ أفواج حسب مساحة المنطقة التي تغطيها، وأهمية الاتجاه الذى تدافع عنه. وعموماً يجب أن يكون تجميع وتشكيل قتال المجموعة قادراً على تدمير طائرة واحدة من الاتجاهات المحتملة وذلك في دورة نيران واحدة.

(١٥) إن تفتت الوحدات لقفل المواجهات الواسعة أمام الطائرات المعادية لا يؤدي إلا إلى إضعافها وعدم جدواها. ولا يزال المبدأ القديم في الدفاع الجوي سارياً

حتى الآن دفاع قوى من عدد من الأغراض أفضل من دفاع ضعيف عن جميع الأغراض.

(١٦) المناورة بالنيران في الوقت المناسب، وعلى قادة الوحدات تميز تلك اللحظة بعناية، فنقل النيران من أهداف الهجمة المخادعة إلى أهداف الهجمة الحقيقية يفسد على العدو هجومه ويوفر الوقاية للقوات.

(١٧) المناورة اليومية إلى المواقع التبادلية لتحقيق المفاجأة عند فتح النيران ولإفساد هجوم العدو المخطط على الوحدات.

ب- الصواريخ الموجهة أرض/ جو

(١) الحاجة إلى التدريب الراقى والمستمر، فمعدات الصواريخ معقدة الدوائر الإلكترونية، ومتعددة النظم، وأى خطأ فى أى من المكونات يؤدى إلى عدم صلاحية المعدات للقتال. والتدريب الراقى يقلل من فرص الأخطاء، بل يؤدى إلى اكتشافها قبل وقوعها، مما ييسر معدة صالحة دائماً وعلى مستوى جيد من الأداء.

(٢) سرعة التعامل مع الطائرات المعادية تقلل من فرص نجاح العدو فى مهاجمة وحدات الصواريخ.

(٣) إشعاع وحدات الصواريخ الموجهة فى الفراغ يدل على مكانها، وتحديد مواقع الصواريخ يسهل على العدو مهاجمتها، لذا يجب أن توضع أكثر من خطة للخداع لجعل العدو فى شك من أوضاعها.

(٤) إخفاء وحدات الصواريخ وجعل العدو فى شك من أوضاعها يستلزم استخدام الكثير من المواقع الهيكلية.

(٥) المناورة عصب قتال وحدات الصواريخ سواء لإعادة التجميع، أو لسد ثغرات نتجت من هجوم العدو، أو لتوفير الوقاية عن اتجاهات ظهرت أهميتها.

(٦) الحاجة إلى العناية بالصواريخ فى تخزينها فى تجميعها، ويجب أن يعلم الجميع أن الصاروخ كجسم طائر يجب أن يكون كل أجزائه مثبتة تماماً وأى خلل فى

الدفات أو الأجنحة أو الموازنات يجعل الصاروخ يؤدى الأوامر التى تصدر إليه خلافًا لما يجب أن تكون.

(٧) يجب عند إعادة تجميع الوحدات عدم ترك وحدات فرعية بارزة في التجميع، لأن مثل ذلك البروز عادة ما يكون جذابًا للطائرات المعادية، وغالبًا ما ينجح العدو في مهاجمته وإخراجه خارج المعركة.

(٨) عدم الإلمام بمعدلات التغير الزاوية للأهداف الجوية حسب أقل مسافة أرضية لخط سير الهدف، مما أدى إلى عدم معرفة وقت بدء المناورة للأهداف المناورة، وشكل المناورة القائم بها الهدف.

(٩) عدم الدقة في التتبع مع أهداف التداخل، نتيجة لضعف مستوى عمال التتبع، وعدم التأكد من قوة إيصارهم، والعمل على تغييرهم دوريًا نتيجة لما يصيبهم من إرهاق بصرى.

(١٠) عدم استخدام الأساليب الصحيحة لتفجير الطابة الرادارية.

(١١) أدى الاشتباك بالأهداف المناورة على الحد البعيد لمنطقة التدمير إلى فشل كل الاشتباكات، بل إلى سقوط بعض الصواريخ على الأرض، وذلك راجع لإحساس الأهداف بالصواريخ وقيامها بالمناورة قبل دخول منطقة التدمير.

(١٢) يجب الحذر من الأهداف العالية التى تطير على السقف العلوى لأجهزة الرادار ٢٢ كيلو مترًا إذ أنها تخفى تحتها الأهداف المنخفضة، وغالبًا ما تشد هذه الأهداف أنظار الوحدات، مما يجعلها تغمض عينها عن الأهداف المنخفضة والتى تقوم بالهجوم على وحدات الصواريخ.

(١٣) اتضح عدم جدوى استخدام أجهزة رادار من أى نوع لإخفاء حجم تجميع القتال أو إخفاء تشكيل القتال للوحدات الفرعية، وذلك راجع لما تتميز به كتائب الصواريخ في إشعاعها عن غيرها من أجهزة الرادار.

(١٤) في الكتائب الفنية يجب توزيع المراحل الأولى، والرءوس المدمرة على أكثر من مكان، وأن توضع في أماكن خرسانية أو حفر عميقة - كى تجنب الكتيبة أى انفجار يقترب من الانفجار الذرى الذى قد يحدث في حالة نجاح العدو في مهاجمتها.

(١٥) يجب أن تتواجد الوحدات الفرعية من الصواريخ الفردية على مسافة ٦ - ٨ كم من كتائب النيران، وفي الاتجاهات الرئيسية لاقتراب العدو. وألا يعوق مراقبتها للفضاء أو فتح النيران على العدو أى عائق.

(١٦) إن استخدام كمائن الصواريخ في الحرب الحديثة - رغم ما ييذل في إخفائها - يجعل من السهل بالمستشعرات الحديثة تحديد أماكنها ونوعيتها ومهاجمتها. حقيقة قد تؤدي الكمائن إلى بعض الخسائر، ولكن لو حدثت بها خسائر من العدو الجوى فستكون جسيمة للغاية في الأفراد والمعدات.

(١٧) يجب أن نرفض مبدأ استخدام الكمائن على حساب تجميعات الصواريخ المحدودة، إذ أن ذلك يؤدي إلى زيادة ضعفها.

(١٨) اتضح عدم جدوى المدفعية المضادة للطائرات في وقاية كتائب الصواريخ، والأفضل هو توفير الدفاع بالصواريخ القصيرة الفردية.

ج- الرادار والإنذار

(١) الحاجة إلى التدريب الراقى والمستمر لعناصر الرادار مع التركيز على أسلوب التقاط وتبعية الأهداف المنخفضة جدا والعالية جدا، مع الفهم الصحيح لأسلوب إمالة الهوائيات في كل حالة.

(٢) ضرورة التدريب على التقاط الأهداف وتبعية تحت ظروف استخدام العدو للإعاقة الرادارية.

(٣) سرعة الانتقال إلى الترددات الاحتياطية بواسطة قادة الأجهزة لتلافي الإعاقة الرادارية.

(٤) التجهيز الهندسي الجيد يقلل الخسائر في الأفراد والمعدات؛ لذا يجب استخدام المواقع المحصنة هندسيًا بما يتفق مع نوعية المعدات، وسيؤدي ذلك إلى زيادة قدرة الصمود أمام العدو. ولا ينطبق ذلك على المواقع التبادلية.

(٥) الحاجة إلى وجود ٢ - ٣ مواقع تبادلية لكل موقع رادار على أن تختار على مسافات تتراوح بين ١٠ و ١٢ كم من بعضها بعضًا وفقًا لطبيعة الأرض، على أن يحوى كل موقع تبادلي عددًا من الحفر المتشابهة تتناسب مع عدد أجهزة الرادار في الموقع.

- (٦) استخدام المعدات الهيكلية في المواقع الحقيقية وبجوارها، وفي جميع المواقع التبادلية مع إظهار الحياة في هذه المواقع باستخدام بعض الرشاشات م/ ط للدفاع عنها.
- (٧) خفة الحركة لوحدات الرادار أمر على درجة كبيرة من الأهمية، فهي الوسيلة لإتمام المناورة السريعة، ويجب تدريب وحدات الرادار بسرعة وبدقة.
- (٨) لإحباط هجوم العدو الجوى على مواقع الرادار يتم الانتقال السريع إلى المواقع التبادلية عقب إجراء العدو لاستطلاعها.
- (٩) يؤدي الإخفاء الطبيعي - المناطق الشجرية - دورًا ممتازًا في إخفاء أجهزة الرادار ويجعل من الصعب على العدو اكتشافها لمهاجمتها.
- (١٠) لإخفاء المواقع الجيدة الإخفاء يجب المناورة بالإرسال - هوائى - مكافئ - قبل وصول العدو لمواقع الرادار بمسافة ١٠ - ١٥ كم.
- (١١) تؤدي الأجهزة المختلفة النوعيات - أى متعددة الترددات - إلى زيادة قدرة وحدات الرادار على مقاومة الإعاقة الإدارية.
- (١٢) وحدات الرادار والإنذار هي العين الساهرة للدفاع الجوى، ويجب على تشكيلات ووحدات الدفاع الجوى خلق التزاوج بينها وبين هذه الوحدات وبين وحدات الصواريخ الموجهة والمدفعية م/ ط لإيجاد التجانس وروح الفريق داخل التشكيلات والوحدات.

الفصل السابع

بناء حائط الصواريخ

المهام العاجلة

تم إيقاف إطلاق النيران كما سبق أن أوضحت ليلة ٧/٦ أغسطس ١٩٧٠، وكان عدد كتائب جميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ١٥ كتيبة صواريخ مشكلة في لواءين اللواء ٩٥ صواريخ، واللواء ٩٧ صواريخ. الأول مشكل من ثمانى كتائب، والثانى مشكل من سبع كتائب، ويحتل كلا اللواءين مواقعه في المنطقة الواقعة من ترعة الإسماعيلية حتى الحافة الغربية للمنطقة الجبلية، أى على مواجهة قدرها ٤٠ كيلو مترًا تقريبًا. وكان من الواجب استعادة موقف الوحدات التى اشتركت في القتال في الفترة الماضية، وذلك بإرسالها إلى الورش في الخلف لإتمام عملية الإصلاح والضبط اللازمين لها، وكذا كان من الضروري استعادة توازن موقف قوات الدفاع الجوى بشكل عام وفقًا للأوضاع الجديدة، وذلك بعد وصول وحدات صواريخ سام ٣ من الاتحاد السوفيتى، وقد استدعى ذلك سحب بعض الكتائب للخلف إلى مناطق دفاعية أخرى.

تحددت مهمة الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بعد وقف إطلاق النيران فى الآتى :

أ- الاستعداد الدائم لصعد هجمات العدو الجوى المفاجئة.

ب- العمل المستمر على رفع الكفاءة القتالية للوحدات.

ج- سرعة إتمام التحيز الهندسى للمواقع الجارى إنشاؤها.

وتبعًا لتلك المهمة تم إصدار ما يلزم من تعليمات، واحتلت المهمة الأولى الأسبقية الأولى على ما عداها، فالعدو لا يتوقف نشاطه الجوى أبدًا بل يتزايد، فلو أضفنا إلى

ذلك أن العدو لا يتقيد بوعود أو مواعيق لا تضح لنا مدى عبء الذى وقع على عاتق الفرقة الثامنة (دفاع جوى) دون غيرها من تشكيلات الدفاع الجوى، فالاستعداد يعنى الكثير، فأول ما يعنى يقظة كاملة للأفراد، وصلاحية تامة للمعدات التى يعملون عليها، ومراقبة رادارية وبصرية لنشاط العدو الجوى لمنعه من مفاجأة وحدات الفرقة، وتبعاً لذلك كان من الضروري أن تعمل المعدات نهاراً وليلاً، ولا شك أن معدات الرادار ما هى إلا معدات إلكترونية معقدة ودقيقة للغاية، وأى خطأ فيها لا يسر لها النجاح فى مهمتها، كما أن كثرة ساعات تشغيلها يقلل من كفاءتها، أو بمعنى آخر ينقص من عمرها الافتراضى المحدد لها.

كان من الضرورى وقد توقف القتال أن نبدأ فى تجميع خبرات القتال، وذلك بتحليل أعمال القتال التى تمت لمعرفة نقط القوة ونقط الضعف وأسباب النجاح وأسباب القصور وبالتالى تحديد الأسلوب الواجب اتباعه مستقبلاً للتعامل مع العدو الجوى بمجرد أن يبدأ القتال مرة ثانية وتدريب الوحدات عليه.

كان هناك مزيد من العمل أماناً، وكان هذا العمل يستلزم مزيداً من الجهد من الجميع وأى عمل مطلوب إن لم يسبقه تخطيط دقيق مبنى على الإدراك التام بما هو مطلوب، ذلك الإدراك المبنى على بعد النظر لاحتمالات المستقبل فلن يحقق العمل النجاح المطلوب.

كان أماننا على سبيل المثال كيف ندرّب الوحدات على التعامل مع الأهداف العالية التى تطير على ارتفاع عالٍ جداً من ١٨ - ٢٢ كم. تلك الأهداف التى فاجأنا بها العدو منذ منتصف يوليو ١٩٧٠ والتى أثارت قلقاً لدينا لعدم تدريب الوحدات على أنواع مماثلة لهذه الطائرات من قبل. كان أماننا التدريب على أسلوب التعامل مع الأهداف الحاملة للإعاقة الإلكترونية، وخاصة أن العدو استخدم أنواعاً جديدة من الإعاقة الإلكترونية لم تكن معروفة من قبل. لقد كان فى دخول الطائرات الفانتوم فى تسليح القوات الجوية الإسرائيلية أثر كبير على قوة وتنوع الإعاقة الإيجابية التى استخدمها العدو، والتى أثرت كثيراً على الاشتباك مع العدو خلال قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠، وكذلك كانت هناك حاجة إلى تدريب الوحدات على أسلوب الاشتباك مع أنواع

المهجمات المختلفة المنخفضة جدًا، والمنخفضة والمتوسطة وكذا أسلوب تمييز الأهداف الكاذبة من الأهداف الحقيقية، وعلى قمة كل ذلك أسلوب التدريب على التعامل مع الأهداف التى تقوم بإطلاق الصواريخ شرايك، ذلك الصاروخ الذى قدمته أمريكا لإسرائيل بعد وقف إطلاق النيران مباشرة كى يقف سلاحًا فى يدها ضد تجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) فى القناة عمل ضخم، لوقيس المطلوب بالزمن المتيسر لا تضح لنا عدم كفاية الوقت المتيسر، فإيقاف إطلاق النار تحددت مدته بثلاثة أشهر، وتبعًا لذلك القيد كان من الواجب أن ننتهى مما هو مطلوب منا وما حددناه، لأنفسنا قبل انتهاء فترة إطلاق النار، سباق مع الزمن، ولكن كيف يتم ذلك وفى غمرة هذه المهام تقرر دعم الفرقة بوحدات جديدة كتائب من سام ٢ المتطور، كما أورى بذلك الجانب السوفيتى، ولكن اتضح فيما بعد أنها سام ٢ غير المتطورة وأنها من الجيل الأول من الصواريخ الذى أنتجه الاتحاد السوفيتى فى منتصف الستينيات، وكانت هذه الكتائب دون المستوى العلمى، فقد تم تدريبها وتشكيلها على عجل بالإضافة إلى جميع كتائب الصواريخ من طراز سام ٣ التى تم تدريبها فى الاتحاد السوفيتى.

لقد وصلت الوحدات التى أرسلت إلى الاتحاد السوفيتى فى أوائل أغسطس ١٩٧٠ تقريبًا بعد إتمام تدريبها هناك علمًا بأن هذه الوحدات أتمت تدريبها وأنهت بإجراء رماية فى مايو ١٩٧٠، وظلت بدون عمل هناك ولو كانت هذه الوحدات عادت فى هذا التاريخ ودخلت جبهة القتال مع الأعداد التى تيسرت من كتائب الصواريخ لتغير الموقف تمامًا فبدلًا من مقابلة العدو بقوة ١٥ كتيبة صواريخ على مواجهة ٤٠-٥٠ كم كان من الممكن مقابلته بأكثر من ٣٠ كتيبة صواريخ على مواجهة ٧٠-٨٠، كم ولا شك أن وجود وحدات صواريخ سام ٣ بأعداد كبيرة لأول مرة فى المعركة سيحقق لها المفاجأة على العدو، مما سيؤدى إلى إلحاق خسائر كبيرة به - ولكن شكرًا لله - لقد كانت هذه الوحدات دون المستوى القتالى المطلوب وليس ذلك ذنبهم وإنما تدريبهم تم بطريقة لا تؤهلهم لدخول المعركة فورًا، ولا ندرى حتى ذلك الوقت أكان ذلك مقصودًا أم كان هذا هو المستوى المطلوب أن يصلوا إليه، فلو أضفنا إلى ذلك عدم توفير الخبرة القتالية للكثيرين منهم لحمدنا الله على عدم دخولهم المعركة فى يوليو ١٩٧٠،

ولكن قبل أن أترك هذه النقطة فإننى أتساءل ألا كان من الممكن على أصدقائنا وهم يعلمون تمامًا موقفنا ومدى ما تعرض له العمق المصرى من أخطار وعمليات إرهاب وعمليات إرهاب وما كانت تتعرض له جبهة القتال من عريضة نهارًا وليلاً - ألا كان الأجدر هؤلاء الأصدقاء أن يقدروا هذا الموقف وأن يجحدوا ويجهتدوا ولا يدخروا وسعًا فى تدريب هذه الوحدات حتى تصل إلى جمهورية مصر العربية، وقد أتمت تدريبها تمامًا، ولا سيما أن الوقت الذى استغرقته هذه الوحدات كان كافيًا تمامًا. ولكن من الواضح أن هذا التقدير يخالف استراتيجيتهم الموضوعة للمنطقة، فمنذ مارس ١٩٧٠ وصلت وحدات سام ٣ الروسية واحتلت مواقعها حول القاهرة والإسكندرية لوقاية العمق الاستراتيجى والأغراض الحيوية من عمليات الإرهاب وعمليات الإرهاب التى يخطط لها العدو. واعتبر الأصدقاء ذلك كافيًا؛ لأنه لن يجرؤ الإسرائيليون على مهاجمة وحداتهم، أما من ناحية جبهة القتال والصراع المسلح فى المنطقة فلا شك أن استراتيجيتهم كانت مبنية على استمراره؛ لأن فى استمراره العديد من المكاسب التى تعود عليهم.

فى آخر أغسطس ١٩٧٠ تقرر تدعيم الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بوحدات سام ٣ كلها ومقدارها ٣ لواءات صواريخ، وهى اللواءات ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧ صواريخ وذلك بغرض توفير الوقاية المطلوبة للتجميع الرئيسى للجيشين، الثالث والثانى الميدانيين، إذ إنه حتى ذلك الوقت كانت هناك قطاعات من جبهة القتال لا تيسر لها وحدات الصواريخ الوقاية المطلوبة بالكثافة والإمكانات الصحيحة، فحتى ذلك الوقت كان القطاع الشمالى من الجبهة الممتد من الإسماعيلية - القنطرة خاليًا تمامًا من وحدات الصواريخ، ولم يكن القطاع الجنوبى من الجبهة الممتدة من البحيرات المرة الكبرى حتى السويس بأوفر حظ منه.

كان من البديهي أن تتخذ جميع الترتيبات لاحتلال الوحدات لمواقعها دون أن يشعر العدو، وفى سبيل ذلك اتخذت عدة ترتيبات لفرض نطاق من السرية على التحركات واستخدمت المواقع الهيكلية بكثرة مع عدم تكليف الوحدات الجديدة بخدمة العمليات بعد إتمام احتلالها لمواقعها حين إتمام تنفيذ خطة احتلال اللواءات الثلاثة، مع الاستعداد الدائم لصدم أى هجمات معادية للعدو، أو التعامل مع أى أهداف معادية تقوم باختراق المواجهة بغرض الاستطلاع.

وضعت الخطة اللازمة لذلك، وتقرر أن يتم احتلال الوحدات على مرحلتين، المرحلة الأولى تتم بلواءين في الفترة من ٥ إلى ١٢ سبتمبر ١٩٧٠، وفعلاً بدأ دخول اللواء ١٠٦ صواريخ يوم ٦/٩/١٩٧٠، واللواء ١٠٧ صواريخ، يوم ٩/٩/١٩٧٠، أما المرحلة الثانية والتي كانت تشمل احتلال اللواء ١٠٥ صواريخ فقد كان من المقدر لها أن تتم تحت ضغط العدو، وحدد لها ثلاث ليال، ليلة ١٨/١٩، ٢٠/١٩، ٢١/٢٠ سبتمبر ١٩٧٠، ولم يكن هذا التقدير نابغاً من كثرة عدد الوحدات وإنما كان نابغاً من المناورة الواسعة على طول المواجهة التي استمرت طيلة هذه الأيام، مناورة إلى الأجناب وإلى الأمام حتى اتخذت الوحدات أوضاعها المحددة في الخطة، أعقب ذلك مناورة للأمام والأجناب استمرت حتى يوم ١/١٠/١٩٧٠، حتى أصبحت الوحدات على مسافة ١٨ - ٢٠ كم من القناة بطول المواجهة من القنطرة شمالاً إلى السويس جنوباً، وأصبحت فعلاً تقوم بتوفير الوقاية فعلاً لتشكيلات الجيشين. الثالث والثاني الميدانيين تماماً ما ضد أى أعمال يقوم بها العدو الجوى الإسرائيلي بكثافة وإمكانات صحيحة.

لم يخف على العدو ما يجري من جانبنا، فالعدو يعلم تماماً أن وحدات الصواريخ سام ٣ وصلت إلى جمهورية مصر العربية ومنذ وصولها وهو يراقب الاتجاهات التي ستدفع إليها، وتبعاً للمناورة التي قامت بها الفرقة الثامنة (دفاع جوى) للأمام والأجناب بدأ العدو يركز تماماً استطلاع المواجهة عدة مرات في اليوم الواحد، ونشط استطلاع الإلكتروني لتحديد مصادر الإشعاع الرادارى الجديدة ونوعيتها. ومن مقارنة الصور الجوية مع معلومات الاستطلاع الإلكتروني تمكن العدو من التأكد من دخول صواريخ سام ٣ إلى جبهة القتال، فبدأ في تنشيط وسائل استطلاع المختلفة لتجميع المعلومات اللازمة عن معادات سام ٣، هذا بالإضافة إلى مراقبة الموقف على جبهة القتال حتى لا يفاجأ بأى عمليات من أى نوع، إذ إن العدو لم يألف هذا الحشد الكبير من كتائب الصواريخ الموجهة أرض - جو من قبل. لقد تمكن العدو من التقاط العديد من الصور الجوية بواسطة طائرات الاستطلاع المتيسرة لديه، فطائرات الاستطلاع الفاتوم مجهزة بكاميرات تقوم بالتصوير الرأسى والمائل، والنوع الأخير من التصوير ييسر الحصول على صور جوية للأغراض الموجودة على مسافة تصل حتى ١٠٠ كم من خط سير

الطائرة، ولقد نشر العدو في المجلات الأجنبية صوراً للتجميع في إحدى مراحل، وبنائه لم يكتمل بعد، وبمجرد أن اكتمل بناؤه أطلق عليه العدو حائط الصواريخ وأصبح هذا الاسم هو الاسم السائد له، ولكن لماذا أطلق عليه العدو هذا الاصطلاح؟

لم يكن العدو مغاليًا في ذلك فتجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) وصل في ذلك الوقت إلى ٣٨ كتيبة صواريخ من أنواع سام ٢، ٢، معدل، ٣ يخدمها بعض الوحدات الفنية الأخرى، وتحتل المنطقة الممتدة من بحيرة المنزلة شمالاً حتى جبل عتاقة جنوباً وعلى انساق يبعد النسق الأول منها عن القناة نحو ١٨ كم وبعمق ٢٥ كم أو أكثر أى يحتل بوحداته منطقة قدرها ٢٥٠٠ كيلومتر مربع تقريباً، بحيث يغطي مواجهة وعمق الجيشين الميدانيين الثالث والثانى، ويغطي بصواريخه منطقة مساحتها ١٣٦٠٠ كيلومتر مربع، ولا شك أن إطلاق كلمة حائط على هيأة تسمية له، فهو يقف كسد منيع في وجه القوات الجوية الإسرائيلية إذا حاولت أن تهاجم قوات الجيشين الثالث والثانى الميدانيين، أو تحاول التسلل للقاهرة، وهى العاصمة السياسية من الشرق، ولكن أى سد يمكن التغلب عليه بالوسائل العلمية الحديثة فليس فى الفكر العسكرى اليوم كلمة مستحيل فى ضوء التقدم العلمى والتكنولوجيا الذى يقفز يوماً بعد يوم. لقد كانت أجناب حائط الصواريخ مكشوفة، وكلها تركز على هياكل طبيعية تيسر للعدو مهاجمة أجنابه بنجاح، فالجانب الأيسر يركز على بحيرة المنزلة، مسطح مائى كبير يتصل بالبحر الأبيض المتوسط، ويمكن العدو استخدامه فى مهاجمة حائط الصواريخ على ارتفاع لا يزيد عن ٥٠ م معقداً عملية اكتشافه والاشتباك معه، كما أن جانبه الأيمن يركز على جبل عتاقة ذلك الجبل الذى يحتل مساحة من الأرض طولها ٣٠ كم وعرضها ٣٠ كم تقريباً، ويرتفع إلى ٩٧٠ متراً، ويطل على خليج السويس، ويمكن للعدو استخدامه تماماً والغطس منه على جانب حائط الصواريخ وتدميره، هذا بالإضافة إلى أساليب الهجوم الجديدة التى يتبعها العدو، وأسلحة الخمد التى سلحته بها أمريكا والتى تنبع أساساً من خبرة قتال القوات الجوية الأمريكية فى فيتنام، ومن هذا المنطلق كان لابد من التفكير فى حماية أجناب التجميع، وفعلًا تم دعم حائط الصواريخ بكتيبتين من الصواريخ الفردية المحمولة على الكتف، وهى صواريخ سام ٧، وبها أمكن توفير الوقاية لأجناب التجميع، وقد أدى استخدامها بذكاء إلى أن تؤدى المهام المطلوبة منها بنجاح منقطع النظير فى حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣.

المشكلات العاجلة

لم يكن إعداد حائط الصواريخ أمراً هيناً لقد احتلت وحداته الفرعية أماكنها في تشكيل القتال الذي يؤهلها لتوفير الوقاية للقوات البرية المحتلة لمواقعها غرب القناة، وأصبح من الضروري والقتال قد توقف منذ مدة أن يبدأ إعداد هذه الوحدات للقتال في أى وقت، فاحتمال عدم تجديد اتفاقية وقف إطلاق النار احتمال موجود؛ لأن الاقتناع السائد لدينا وقتئذ أن إسرائيل لا تحترم موافيق ولا عهوداً، وأن قبولها لمبادرة روجرز وقتئذ قد يكون مناورة تكتيكية تبغى من ورائها إيقاف حرب الاستنزاف التى استمرت أكثر من عام، أو إيقاف استنزاف قواتها الجوية بعد خسائرها في حرب يونيو ١٩٧٠ وهى في بداية تطویرها، فلم يكن لدى إسرائيل وقتئذ سوى ٢٥ طائرة فانتوم بدأت تساقط منها أعداد، وخشيت أن يستشرى ذلك مما يؤدى إلى فقدان الثقة بهذه الطائرة التى ملأت بها أسمع الدنيا.

ولكن واجهنا في التفكير والإعداد الكثير من المصاعب، كان أول هذه المشكلات وأعقدها أن وحدات الصواريخ احتلت مواقعها الأمامية على مسافة ١٨ - ٢٠ كم من قناة السويس، ووفقاً لأجهزة الرادار المتيسرة لديها وقدرتها على كشف الطائرات المنخفضة جداً، تلك الطائرات التى تطير على ارتفاع ٥٠ م أو ١٠٠ م محدود لا يتجاوز ٤٠ - ٥٥ كيلو متراً، ويعنى ذلك أن وقف الإنذار المتيسر للوحدات الأمامية لا يزيد عن ٣ دقائق في أحسن الأحوال. ويعنى ذلك أن العدو قادر على أن يفاجئ الوحدات الأمامية ويدمرها دون أن تتمكن من الاشتباك معه. لقد ترتب على هذه المشكلة ضرورة تواجد وحدات حائط الصواريخ في درجة استعداد عالية، ويعنى ذلك وجود نسبة مئوية عالية من الوحدات جاهزة فوراً للتعامل مع العدو لو حاول الاقتراب من كتائب الصواريخ، أو القيام باختراق في اتجاه الغرب، ويعنى ذلك تخطى القناة للغرب، ولا شك أن وضع الاستعداد القتالى هذا يتعارض تماماً مع الإعداد التدريبي اللازم للوحدات من ناحية، كما أنه سيؤدى إلى استهلاك كبير في عمر المعدات، ولكن هل كان هناك حل آخر يوقف استنزاف المعدات ويحقق قدرًا معقولاً من التدريب؟ لا شك أن هناك حلولاً ولكن لم نذعها، وسنبين أسباب ذلك فيما بعد. أما ثانی هذه المصاعب فكان مرجعه يعود

إلى نفس التركيب التنظيمى لحائط الصواريخ، ذلك الحائط مكون من نوعيات مختلفة من صواريخ سام ٢ معدل، ٣ ولكل منها خصائصها وأسلوب الاستخدام الخاص بها - هذا الاختلاف في حد ذاته ربما لا يكون مشكلة صعبة وإنما اختلاف مستويات الوحدات وخبرتها القتالية كان هو المشكلة الملحة فإذا استثنينا الوحدات التي اشتبكت مع العدو خلال عام ١٩٧٠، نجد أن باقى الوحدات دون المستوى التدريبى - من الناحية النظرية البحتة، فضلاً على أنه لا يتوفر لها خبرات عملية كافية للعمل على المعدات بطريقة صحيحة سليمة، مما جعل تعطل المعدات عن العمل أمراً مسلماً به، بل هو الأمر الغالب، فلو أضفنا إلى ذلك عدم توفر الخبرة القتالية لأفرادها لا تضح لنا أن هذه الوحدات كانت غير قادرة على دخول معركة عاجلة والاشتباك بنجاح مع العدو، وإلا وقعت فريسة سهلة ولا سيما أن القوات الجوية الإسرائيلية التي ستقابلها تعتبر قوات جوية من نوع فريد.

هذه هي المشكلات التي واجهتنا بعد إتمام البناء المادى لحائط الصواريخ غرب القناة، وكان علينا نواجهها تماماً، وأن نقوم بالتدريب والإعداد ورفع المستوى للأفراد ضباطاً كانوا أو جنوداً، وأن نكون مستعدين لقتال العدو في الوقت نفسه.

لقد كانت أولى المشكلات كما ذكرت هي مشكلة الاستعداد القتالى الذى وقف حجر عثرة في سبيل تحقيق التدريب والحفاظ على كفاءة المعدات، لقد توقف القتال ليلة ٦/٧ أغسطس ١٩٧٠. وكان من الطبيعى أن يتوقف معه نشاط القوات الجوية الإسرائيلية أو يقل نشاطها أو يقتصر على عمليات الاستطلاع فقط. ولكن ذلك لم يحدث، ولم يكن السبب فيه يرجع إلى الإسرائيليين بقدر ما كان يرجع إلى النشاط العالى الذى يتم غرب القناة. ذلك النشاط الذى صاحب انتقال حائط الصواريخ للأمام ثم دخول وحدات الصواريخ الجديدة من أنواع سام ٢، سام ٣ تدريجياً ثم المناورة الواسعة للأجناب وللأمام لتغطية باقى قطاعات الجبهة، ولو سلمنا جدلاً بأن ذلك الاستعداد كان ضرورياً أثناء المناورة الواسعة التي تتم والتي انتهت في أوائل أكتوبر تقريباً فلماذا يستمر هذا الوضع إلى نهاية عام ١٩٧٠. والواقع أن هناك أسباباً ظاهرة ولا أقول مخفية استدعت ذلك، ولكن في حقيقة الأمر لم تكن إلا شعارات تحفى من ورائها الدوافع

الحقيقية لذلك الاستعداد العالى، والتي لم يلتفت إليها أحد من المسؤولين، أو يعمل على الحد منها.

إن السبب الظاهر هو الاستعداد الكامل للتصدى لأى هجوم جوى تقوم به القوات الجوية الإسرائيلية على حائط الصواريخ، وخاصة أثناء قيامه بالمناورة، وذلك بغرض النيل منه بتدمير عدة وحدات منه. لقد قبلت إسرائيل وقف إطلاق النار أثر قبولها لمبادرة روجرز، فهل كان فى نيتها أو فى إمكانها أن تقوم بمثل ذلك العمل. الواقع أن قبول العدو للمبادرة الأمريكية وقرار وقف إطلاق النار يوضح أن العدو ليس فى نيته كسر وقف إطلاق النار وبدء حرب استنزاف جديدة، فمن ناحية إمكاناته يكفى أن نعلم أن العدو قبل وقف إطلاق النار بعد خسائره فى قواته الجوية والتي بلغت ٩ طائرات أغلبها من نوع الفانتوم - وهو بهذه الخسائر ضنين. ولنا فى تصريح أحد المسؤولين الإسرائيليين والذى أعلن فيه عقب خسائرهم فى يوليو ١٩٧٠، بأنه لا يمكن الاستمرار فى القتال؛ لأن القوات الجوية الإسرائيلية بدأت تتآكل ويعنى ذلك أنه برغم وجود السلاح الجوى فإن إمكاناته لا يمكن أن تقف وهى تتآكل بهذه السرعة ندًا أمام حائط الصواريخ. ومن ذلك نستخلص أن الأسباب الظاهرة ما كانت إلا قناعًا تم به إقناع المسؤولين لتحقيق الأسباب الخفية، والتي كانت هى الهدف الرئيسى من وراء هذا العمل.

أما الأسباب الخفية فتكمن فى سببين أولهما :

الرغبة الجارحة لدى الخبراء السوفيت لمعرفة موقف القوات الجوية الإسرائيلية تجاه هذا التسليح الجديد، أو بمعنى آخر دراسة كيف يمكن لهذا التسليح الجديد التعامل مع العدو، كذا دراسة الفعل التكنولوجى الذى ستقوم إسرائيل بمعاونة الولايات المتحدة الأمريكية وذلك كرد فعل لإعادة التوازن نوعًا وكما إلى جبهة القتال.

أما السبب الثانى فيكمن فى الرغبة الجارحة لدى الخبراء السوفيت لتشغيل المعدات إذ إن تشغيلها المستمر سيسر التعرف على عيوبها لإمكان ملاقاتها مستقبلاً بالإضافة إلى أن تشغيلها يعتبر وسيلة لاستهلاك قطع الغيار، وكلما زادت ساعات التشغيل زاد استهلاك قطع الغيار، بالإضافة إلى ما يسببه ذلك التشغيل من نقص فى عمر المعدات وكثرة أعطالها وتعدد أخطائها بما يسبب عدم سلامتها أثناء القتال، ويكفى أن نعلم

أن كثيراً من كتائب الصواريخ الجديدة في ضوء ذلك التشغيل لمدة ستة أشهر تعدت ساعات تشغيلها أكثر من ٢٠٠٠ ساعة، ويعنى ذلك أنها قاربت ربع عمرها الافتراضي، وببساطة إذا استمرت على هذا المعدل ينتهى عمرها خلال أربع سنوات، ولم يقف الأمر منهم عند ذلك الحد بل استمر افتراضهم لقيام العدو بهجوم جوى مفاجئ على حائط الصواريخ قائماً بين وقت وآخر طول مدة وجودهم، مما أدى إلى تشغيل المعدات بنفس المعدل فترات متقطعة خلال عام ١٩٧١. لقد أدى ذلك إلى أن دخلت كثير من المعدات حرب رمضان وقد استهلكت أكثر من نصف أو ثلثى عمرها الافتراضي، ويعنى ذلك اهتزاز الثقة في المعدات والنتائج التى يمكن أن تحققها عند اشتباكها مع القوات الجوية الإسرائيلية في أى قتال مقبل.

وبرغم ما أبديناه من عدم ارتياح لأسلوب تشغيل المعدات فإنه لم يلتفت لامتعاضنا، وإزاء ذلك الموقف كان لابد من أن نكسر الجمود الذى يحيط بالتدريب. وفعلاً اهتدينا إلى حل. لقد وجدنا في الليل فرصة سانحة للتغلب على مشكلاتنا حيث يتوقف نشاط العدو، وليل الشتاء ما أطوله إلا أنه من الناحية الأخرى ما أسأمه، فبمجرد أن يسدل الليل أستاره تزداد برودة الجو رويداً رويداً، فإذا علمنا أن الكثير من الوحدات يتواجد على هضبات مرتفعة قد تصل ارتفاع بعضها إلى ٣٠٠ متر عن سطح البحر وفي مناطق صحراوية جبلية لا تضح لنا مدى برودة الجو في هذه المواقع، لقد كانت درجة الحرارة تصل إلى الصفر في كثير من الأحيان، وتتجمد المياه، وكان على الوحدات أن تقوم بنشاطها التدريبي في مثل هذا الجو، استعداداً بالنهار وتدريب بالليل، لقد وجد مقاتلو حائط الصواريخ عزاء في عملهم الليلي أشعرهم بالدفء، لقد كان العمل على المعدات في الليل القارس البرودة عملاً محتملاً، إذ كانت المعدات الإلكترونية التى يعملون عليها تشع الدفء في أماكن عملهم، مما جعلهم يستعذبون العمل ليلاً، غير أن ما كان يحيل هذا الدفء إلى جحيم هو استكمال التدريب خارج المعدات، وكان عليهم أن يتدثروا خلال هذا النوع من التدريب بكل الوسائل المتيسرة، لقد كان تدريبهم يمتد إلى الفجر تقريباً، يليه قسط محدود من الراحة لتبزيغ بعدها أضواء النهار، وتدور العجلة من جديد استعداداً في النهار أو صيانة للمعدات وتدريب في الليل. ما أعذب الإرهاق على قلوب هؤلاء الرجال، ما أعذبهم وهم يتنافسون في أداء الواجب، وما أعذبهم وهم يعدون أنفسهم بصدور مفتوحة لمعرفة كل جديد، وما أروع هؤلاء الرجال، رغم الإرهاق،

فإنك كنت ترى في أعينهم وفي أحاديثهم الإصرار على رغبتهم في لقاء العدو ليثأروا لشهادتهم وكرامتهم، وليسددوا معه الحساب، وكان على أن ألتقط هذه النار المتأججة في هذه الصدور الفتية، وأن أعمل على زيادة جذوتها اتقادًا، وأن أحافظ عليها بأسلوب علمي سليم لأدخلها المعركة وهي أشد ما تكون اشتعالًا، وكنت واثقًا أنها بهذا الشكل ستجعل صواريجهم أشد فتكًا مما هي، وأن قدراتهم ومهارتهم إذا ظهرت وتجلت ولعت في الساعات الأولى فسيؤدي ذلك إلى إفقاد اتزان العدو، وهنا يبدأ في أن يخسر الحرب لأول مرة، ولكن كيف أمكن الحفاظ على هذه الجذوة؟ وكيف تم الوصول بقدراتهم ومهارتهم إلى درجة اللمعان؟ هذا ما سنوضحه بتفصيل فيما بعد.

كانت وحدات سام ٣ هي شغلي الشاغل، فقد وصلت إلى أرض المعركة وهي دون المستوى، ووصل معها عدد محترم من الخبراء، قلة منهم على مستوى، وأكثرية دون المستوى، ولم تصل أى مراجع لهذه المعدات، وقد تم مواجهة الموقف بحزم تام، ووضعت خطة متكاملة لتدريبهم على مراحل تتفق وتوقيتات وقف إطلاق النار، ووضع لكل مرحلة ما يجب إنجازه، بحيث تكون الوحدات جاهزة في نهايتها، وقادرة على تنفيذ مهامها بكفاءة قدرتها في ذلك الوقت بما يتراوح ما بين ٥٠ - ٦٠٪ من الكفاءة القتالية المطلوبة، وتعشمت خيرًا في ذلك المستوى الذي لا يمكن أن تبلغ أكثر منه في ضوء الظروف المحيطة التي أشرت إليها، وبات ذلك الموقف يقلقني تمامًا، لقد كنا متوقعين القتال في أى وقت، فبالإضافة إلى كثرة الاحتمالات التي كانت تأتي إلينا من القيادة العليا بذلك كان نشاط العدو الجوي يتزايد بتزايد تسليح قواته الجوية في ضوء ما عقده مع الولايات المتحدة الأمريكية من صفقات. فاستطلاعها الجوي والإلكتروني يتم يوميًا وبأكثر من طلعة. إقامة التحصينات والسواتر الترابية على القناة قائمة على قدم وساق، بل كانت يتم ليلاً في أحيان كثيرة على ضوء الأنوار الكاشفة؛ كذلك فتحة لقواته الجوية واستدعاؤه الطيارين الاحتياط للتدريب، وجلبه لطبقة من الطيارين المرتزقة يتم من وقت لآخر كل ذلك جعل الموقف منذراً بقتال يستدعى منا الإسراع في الإعداد كلما كان لذلك سبيل.

لقد كانت وحدات سام ٢ في بداية وصولها إلى مصر محل دعاية من الجانب السوفيتي على قدرتها الفنية وخصائصها التي تيسر لها تعاملًا أفضل مع القوات الجوية الإسرائيلية بالذات، وتبعًا لما صاحبها من الدعاية التي قام بها الخبراء صدقنا جميعًا ذلك وأملنا منها

خيرًا، لقد كان أملنا ناجمًا من المعلومات التي أعطوها إيانا، وكم خاب أملنا هذا بمرور الأيام لدرجة أدركت معها أنها ستكون عبئًا على عاتقي في أثناء المعركة، لقد جابهتهم بذلك بصراحة، فما كان منهم إلا أن أورو أن هذا القديم أفضل ما يكون، وإن هذه الوحدات ثمنها رخيص إذا قيس بغيرها من نوعيات أخرى، لقد صح ما توقعته في القتال فعلا، لقد كانت عبئًا ثقيلًا، بل كابوسًا يؤرقني طوال المعركة.

ذكرت أنه كان من الواجب على حائط الصواريخ أن يكون على استعداد لمقابلة العدو، ذلك العدو الذي لا يحترم أى موثيق أو قوانين، والذي إذا ما لاحت له الفرصة النجاح لا يتركها، ضاربًا عرض الحائط بكل شىء، وواضعًا المجتمع الدولي كله أما الأمر الواقع، هذا هو الواقع الذى تؤيده الحروب والاشتباكات المتتالية التى وقعت بين ١٩٤٨ - ١٩٧٠. لقد كان نشاط العدو الجوى يتزايد يومًا بعد يوم في ضوء ما وصله من طائرات جديدة، وخاصة أنه تعاقد مع الولايات المتحدة الأمريكية على صفقة جديدة من طائرات الفانتوم وسكاى هوك في أعقاب قبول إسرائيل لمبادرة روجرز، أضف إلى ذلك ما كان يصل من معلومات عن نوايا العدو وكلها تفيد باحتمال قيام العدو بعمل عدائى على جبهة القتال إما ضد القوات البرية أو ضد حائط الصواريخ، وكم جاءت التحذيرات تفيد بأن العدو سيوجه ضربة جوية شاملة كى تتفاوض إسرائيل من مركز القوة، وفي غمرة هذه المعلومات والتعليقات وضرورة الاستعداد لمقابلة أى احتمال ظهرت الحاجة الملحة إلى نوع من الثبات - ولو المحدود - للوحدات، حتى يتسنى لها بعض الوقت لتزيد من تدريبها، خاصة أن جميع الوحدات الجديدة كانت فى أمس الحاجة إلى التدريب لرفع مستواها.

إن إعداد حائط الصواريخ الإعداد القتالى الجيد استلزم وقتًا كبيرًا، واستنفد جهدًا لا حدود له، وقد كان لهذا الإعداد الممتاز الفضل الأول والأخير فى تحقيق النتائج التى توصل إليها حائط الصواريخ، والتى جعلت العالم أجمع يقف مبهورًا أمام نتائجه بل ينفق العديد من الملايين للتوصل إلى أساليب يمكنه بها التغلب على تجميعات الصواريخ أرض - جو، ولكن ماذا شمل الإعداد الذى امتد منذ أوائل عام ١٩٧١ إلى أن قامت الحرب فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ أى قرابة ثلاث سنوات.

الباب الثالث

القوات الجوية الإسرائيلية

الفصل الثامن

نشأتها وتطورها وإمكاناتها

نشأة القوات الجوية الإسرائيلية

ترجع نشأة القوات الجوية الإسرائيلية إلى ما قبل ميلاد إسرائيل، إذ تمكنت إسرائيل بما لها من نفوذ في بريطانيا من الحصول على عدد من الطائرات أوستر، وذلك قبل انتهاء الانتداب البريطاني على فلسطين، وميلاد إسرائيل في الخامس عشر من شهر مايو ١٩٤٨ ونجاحها في الاستيلاء على أجزاء كثيرة من الأراضي الفلسطينية وظهور بوادر النجاح في تكوين الدولة، بدأت في إرسال مندوبيها إلى مختلف الدول الأوروبية لشراء أى أنواع من الطائرات من مخلفات الحرب العالمية الثانية، وما أكثرها في ذلك الوقت، تلك المخلفات التي كانت بين أيدي تجار الأسلحة وقتئذ، وفعلا تمكنت إسرائيل من الحصول على بعض الطائرات القديمة من أنواع «موسكتيو، مس شميدت، وموستانج، وبوفايتر، وداكوتا، وهارفارد» وكانت كلها طائرات مروحية مما استخدمت في الحرب العالمية الثانية. ولم يقف عدم توفر الطيارين أو الفنيين لديها حرجا في سبيل بناء قوة جوية إسرائيلية، إذ لجأت إلى تجنيد جميع اليهود الذين كانوا يعملون في القوات الجوية البريطانية والأمريكية خلال الحرب العالمية الثانية، وذلك بوسائلها الملتوية مما يسر لها في النهاية قوة جوية محدودة قادرة على تأمينها ضد أى هجوم عربي يقع عليها، ولم يأت عام ١٩٥٢ حتى كان لدى إسرائيل نحو ١٠٠ طائرة تتكون من أكثر ٢٠ نوعا.

بناء القوات الجوية الإسرائيلية :

انتهزت إسرائيل الجفاء الذي ساد العلاقات الفرنسية المصرية، ذلك الجفاء الذي يرجع إلى تأييد مصر للثورة الجزائرية، فعملت على توثيق علاقاتها بفرنسا كي تنفذ من

ورائها للحصول على كا تحتاج إليه من أسلحة لجيشها، وقد كان لها ما أرادت، فعززت قواتها الجوية ببعض الطائرات المستير ٤ أ، كما تمكنت أيضًا بفضل ما لها من نفوذ في الدوائر الغربية من أن تحصل على بعض الطائرات المتيور البريطانية الصنع وغيرها من الأنواع الأخرى الموجودة، وقد بلغت قوة السلاح الجوى الإسرائيلي في ضوء المعلومات المتيسرة قبل العدوان الثلاثي في أكتوبر ١٩٥٦ :

١٦ طائرة مستير ٤ أ	٢٤ طائرة أورجان قاذفة
١٥ طائرة متيور	٢٩ طائرة موستانج
١٦ طائرة موسكتيو قاذفة	١٧ طائرة هارفارد
٣ طائرات نور أطلس	١٦ طائرة داكوتا

ورغم هذا العدد الكبير من الطائرات، فإن هذه القوة الجوية لم تكن قادرة على الوقوف في وجه القوات الجوية المصرية التي كانت مسلحة بالطائرات الشرقية من نوع ميغ ١٥. ولولا التعهدات التي قدمتها كل من بريطانيا وفرنسا لإسرائيل فيما يخص بتوفير الدعم الجوى اللازم لها ما أقدمت إسرائيل على دخول الحرب عام ١٩٥٦.

كانت حرب ١٩٥٦ نقطة تحول في بناء السلاح الجوى الإسرائيلي. إذ اتضح لإسرائيل أن ما لديها من طائرات لا يمكن أن يقف بأى حال أمام التطور الذى أدخل على القوات الجوية المصرية بإدخال بعض أنواع الطائرات الميغ في هذه القوات، كما اتضح لها بعد أن حاربت على أرض سيناء وفشلت في اقتحام المواقع المصرية في منطقة رفح وأبى عجيلة أن الطيران والمدرمات هما عماد أى قتال في حرب الصحراء ولم يغب عنها وهى تصل إلى هذه النتيجة ما تمخضت عنه الحرب العالمية الثانية، وخاصة معاركها التى دارت على أرض مصر، والتى أثبتت دون شك أن الطائرة والدبابه هما عماد المعركة الحديثة، بل بدونها لا يمكن أى جيش أن يقوم بأى قتال ناجح. وبحصول القوات الجوية المصرية على القاذفات اليوشين ٢٨ تمكنت إسرائيل من الحصول على القاذفة فوتور من فرنسا، ونظرًا للدور الكبير الذى احتلته القوات الجوية الإسرائيلية من صدارة في

تنفيذ استراتيجية إسرائيل رأت إسرائيل أن تعمل جاهدة لدعم هذه القوات، وتبعاً لذلك بدأت إسرائيل تعيد بناء قواتها الجوية الإسرائيلية على أسس جديدة، وتسليحها بأحدث الطائرات قسم تزويدها عام ١٩٦٣ بأحدث الطائرات الفرنسية مثل الميراج ٣، بل تمكنت من الحصول على حق تصنيع الطائرة فوجا ماجستر داخل إسرائيل، كي تكون نقطة بدء لمستقبل بعيد تعدُّ له من الآن، وبحصولها على حق تصنيع هذه الطائرة بدأت أول صناعة للطائرات في إسرائيل.

لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل أدت الجفوة في العلاقات الأمريكية المصرية في أوائل الستينيات إلى وجود مصدر لا ينضب لإمداد إسرائيل بما تحتاج إليه من طائرات، بل إلى وجود مصدر متقدم تكنولوجياً، وهذه الصناعة يتفق عليها ملايين الدولارات، لقد كانت حرب فيتنام بوتقة انصهر فيها الكثير من الخبرات التكتيكية والتكنولوجية الأمريكية، مما أدى إلى تطور سريع ومتنوع في صناعة الطائرات الأمريكية، وقد استفادت إسرائيل من ذلك التطور فبدأت تدعم قواتها الجوية بالطائرات سكاي هوك، تلك الطائرات التي وصلت في نهاية ١٩٦٧، وفي سبيل إعدادها لحرب جديدة تشنها على الدول العربية بدأت تسرع في استكمال قواتها الجوية كي يمكنها أن تقوم بتنفيذ ما خططت له إسرائيل.

لقد بلغت القوات الجوية الإسرائيلية في حرب الأيام الستة في ضوء التقديرات الموجودة وقتئذ لقوة العدو ما يلي :-

٧٢	طائرة ميراج ٣	٣٦	طائرة فوتور
٣٦	طائرة مستير	٧٢	طائرة أورجان
٧٢	طائرة مستير ١٤	١٢	طائرة متيور

أي ٢٩٢ طائرة قتال قاذفة، وقاذفة مقاتلة مضافة، بالإضافة إلى ١٠٠ طائرة فوجا ماجستر للتدريب والمعاونة الأرضية القريبة للقوات البرية، هذا بخلاف عدة عشرات من طائرات النقل والهلوكوبتر.

تطور القوات الجوية الإسرائيلية

كان نجاح القوات الجوية الإسرائيلية في حرب ١٩٦٧ داعمًا إلى إعطاء المزيد من العناية لهذه القوات، نظرًا لما أظهرته من نجاح خلال حرب الأيام الستة. لقد تمكنت هذه القوات على قتلها، وعدم حادثة الكثير من طائراتها، وتواضع مستواها التدريبي، وكثرة الطيارين الاحتياط فيها - تمكنت في أقل من ساعتين من تدمير القوات الجوية المصرية وهي رابضة في مطاراتها - في ضربة جوية مركزة، ولم تفلح وحدات الصواريخ الموجهة أرض جو والمدفعية المضادة للطائرات الموجودة وقتئذ في إيقاف هذه الضربة الجوية أو تقليل أثرها.

لقد تبنت المؤسسة العسكرية الإسرائيلية القوات الجوية الإسرائيلية ووضعتها في مركز الصدارة بين أسلحة الجيش الإسرائيلي، حتى يمكنها عن طريقها تحقيق استراتيجيتها العسكرية، المبنية على الاستراتيجية الهجومية، ونقل الصراع العسكري إلى أرض أعدائها، ووضعت لذلك استراتيجية شاملة تتلخص في الآتي :

أ- تحديد دم السلاح الجوي الإسرائيلي، وذلك بالاستغناء عن الطائرات القديمة تدريجيًا مثل مستير - سوبر مستير - أورانج - فوتور، وكلها من الطائرات التي ظهرت في منتصف الخمسينيات.

ب- الاعتماد على الولايات المتحدة اعتمادًا كليًا في الحصول على احتياجاتها من الطائرات، ولم يكن ذلك المبدأ راجعًا إلى إغلاق مصادر السلاح في وجهها من إنجلترا وفرنسا عقب عدوان ١٩٦٧، وإنما نابع من سرعة التطور الذي لاحق صناعة الطائرات الأمريكية، والذي كان سببه - أساسًا - تورط الولايات المتحدة الأمريكية في حربها في فيتنام، مما أدى إلى ظهور نوعيات جديدة تعتبر صيحة في عالم التطور التكنولوجي في صناعة الطائرات، مثل الطائرة الفانتوم ف ٤.

ج- بناء صناعة للطائرات في إسرائيل تعمل في المستقبل القريب على تحقيق الكفاءة الذاتية لها، وتحقيق لها الاحتفاظ بقوة جوية قادرة - من ناحية الحجم والنوع - على إحباط أي نوايا عدائية توجهها الدول العربية لإسرائيل.

د- انطلاقًا من المبدأ السابق يجب وجود كوادر كبيرة من الطيارين والفنيين من مختلف المهن حتى تيسر هذه الكوادر إمكان تحقيق ضربات الإحباط المطلوبة توجيهها وبالشكل المطلوب تنفيذه.

وتبعًا لهذه الاستراتيجية بدأت إسرائيل تعد قواتها الجوية، وذلك بعقد صفقة الطائرات سكاي هوك مع أمريكا بعد حرب ١٩٦٧، وفي عام ١٩٦٨ عقدت صفقة الطائرات الفانتوم التي وصلت أواخر عام عام ١٩٦٨، وللسرعة في تحقيق ما تريد أرسلت طيارها إلى أمريكا للتدريب على هذه الطائرات الجديدة، وفي نهاية عام ١٩٦٨ بدأت الطائرات سكاي هوك الجديدة تطير على مسرح القتال في قناة السويس، وما لبثت أن اشتركت في حرب الاستنزاف منذ بدئها، كما ظهرت الطائرات الفانتوم على مسرح القتال في ديسمبر ١٩٦٩، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل تمكنت إسرائيل عام ١٩٦٩ من شراء أحد مصانع الطائرات الأمريكية ونقلته إلى إسرائيل. لقد بلغت قوة العدو الجوي في أوائل عام ١٩٧٠ حسب التقديرات المتيسرة وقتئذ ما يلي :

قاذفات وقاذفات مقاتلة :

٣٧ طائرة فانتوم ف ٤.

هذا بخلاف ٦ طائرات مجهزين للاستطلاع، يتم وصولها في أوائل صيف ١٩٧٠.

٨٢ طائرة سكاي هوك.

هذا بخلاف ٣ طائرات تصل شهريًا لاستكمال العدد المتعاقد عليه.

٢٥ طائرة مستير ٤ أ.

٢٥ طائرة سوبر مستير.

٢٠ طائرة فوتور.

٥٠ ميراج ٣.

٣٥ أورجان.

طائرات النقل :

٨ طائرات ستراتوكروز.

٢٣ طائرة نور أطلس.

١٢ طائرة داكوتا.

٨ طائرات هيل سوبر فلون.

١٢ طائرة هيل سيكورسكى.

٤٠ طائرة بل ٢٠٥.

مما سبق يتضح أن إسرائيل دخلت مرحلة الحرب الجوية كمرحلة من مراحل حرب الاستنزاف، تلك الحرب التى بدأت فى أوائل ١٩٧٠ وانتهت بوقف إطلاق النار فى ٧ أغسطس ١٩٧٠ ولديها الحجم التالى :

١٦٩ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة حديثة (فانتوم - سكاى - ميراج).

١٠٥ طائرات قاذفة وقاذفة مقاتلة قديمة من أنواع مستير، وسوبر مستير، وأورجان، وفوتور.

٤٣ طائرة نقل لنقل الأفراد والمعدات والإمدادات.

٦٠ طائرة هيل للعمل فى النقل والمواصلات وأعمال الملاحظة.

لقد كان هذا الحجم هو الحجم الذى وجهته إسرائيل لوحدة المدفعية المضادة للطائرات التى تقوم بوقاية القوات البرية، ووقاية إنشاء مواقع الصواريخ خلال الفترة من مارس إلى يونيو ١٩٧٠، وهو نفس الحجم الذى وجهته إسرائيل لتجميع صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوى) عند عودته للجبهة ثانية فى أواخر شهر يونيو ١٩٧٠.

رأت إسرائيل فى قبولها لوقف إطلاق النار وفقاً لمبادرة روجرز فرصة لتعويض خسائرها، والعمل على زيادة قوتها الجوية بما يحقق لها استراتيجيتها الموضوعية، ويضمن لها استمرار احتلال الأراضى التى استولت عليها عام ١٩٦٧ وبصفة دائمة، وتحقيقاً لذلك عقدت إسرائيل عدة صفقات مع الولايات المتحدة الأمريكية حصلت بمقتضاها إسرائيل على العديد من الطائرات الفانتوم وسكاى هوك، كما حصلت على العديد من أسلحة الهجوم الجوى ووسائل الإعاقة الإلكترونية الحديثة بالإضافة إلى دعم فنى برز فى توقيع اتفاقية التعاون الفنى والتكنولوجى بين إسرائيل والولايات المتحدة الأمريكية فى ١٧ يناير ١٩٧٠، ورغم ذلك فلم تقنع إسرائيل على ما حصلت عليه أو ما وعدت به، بل عمدت إلى دفع عجلة صناعة الطائرات فيها قدماً للأمام حتى تمتلك أكبر قوة

جوية ممكنة تيسر لماردع الدول العربية من موقع القوة دون قتال، فحاولت الضغط على فرنسا لإتمام صفقة الطائرات الميراج التي تعاقبت معها بشأنها، إلا أن التقارب العربي الفرنسي وقف حائلا دون إتمام ذلك.

لقد دفع هذا بعملاء إسرائيل في عام ١٩٧١ إلى سرقة التصميم الجديد للطائرة الميراج ٥، مما مكن إسرائيل من إنتاج طائراتها الجديدة التي سميت بالبراق، والتي أوردت التقارير أن لدى إسرائيل القدرة على إنتاج عدد يتراوح من ٢-٣ طائرات منها شهرياً. دخلت إسرائيل حرب أكتوبر ١٩٧٣ ولديها سلاح جوى تبلغ قوته أكثر من ٦٠٠ طائرة بيانها كالاتى :

طائرات قتال حديثة :

١٣٠ طائرة فانتوم ف ٤ بها فيها ٦ طائرات استطلاع.

١٨٠ طائرة سكاي هوك.

٥٠ طائرة ميراج.

أى أن إجمالى عدد الطائرات الحديثة ٣٦٠ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة.

طائرات قتال قديمة:

٣٠ طائرة أورجان.

٤٥ طائرة مستير ٤ أوسوبر مستير.

٢٠ طائرة فوتور

أى أن إجمالى طائرات القتال ١٠٠ طائرة قاذفة وقاذفة مقاتلة.

طائرات التدريب والمعاونة الأرضية :

٨٠ طائرة فوجا ماجستر.

طائرات النقل :

طائرتان ث ١٣٠.

١٢ طائرة داكوتا.

١١ طائرة سترابتوكروز.

٢٢ طائرة نور أطلس.

أى أن إجمال طائرات النقل ٤٧ طائرة.

طائرات الهليكوبتر :

٣٠ طائرة هيل بل ٢٠٥.

١١ طائرة هل سوبر فيرلون.

١٢ طائرة هل سيكورسكى.

٥ طائرات هل ألويت.

أى أن إجمال طائرات الهيلوكوبتر ٥٨ طائرة هليوكبتر

طائرات مواصلات :

١٠٠ طائرة للمواصلات والملاحظة.

طائرات موجهة لاسلكيًا :

٢٠ طائرة شيكار.

٢٠ طائرة ريان فيربى.

فإذا أضفنا إلى ذلك ما أنتجته مصانع إسرائيل من طائرات «نسر»، وهى صورة طبق الأصل من الميراج، ويقدر ما أنتجته قبل بدء الحرب بنحو ٤٠ طائرة، لوجدنا أن إسرائيل دخلت حرب أكتوبر ٧٣ بالآتى :

٤٤٥ طائرة قتال حديثة بما فى ذلك طائرات المستير والسوبر مستير والنسر.

٨٠ طائرة معاونة أرضية.

٥٥ طائرة قتال قديمة.

١٠٥ طائرة نقل وهليكوبتر.

هذا بخلاف طائرات المواصلات والملاحظة.

هذا هى التقديرات الصحيحة للعدو قبل حرب رمضان، تلك التقديرات التى أجمعت عليها جميع المعاهد الاستراتيجية فى العالم، إلا أن التقديرات المتيسرة لدينا لقوة إسرائيل الجوية، والتى بنيت عليها جميع حساباتها كانت أقل من ذلك بنحو ١٣٨ طائرة - فرق كبير وخفيف - ولكن يجب أن نعلم أن الوصول إلى التقديرات الصحيحة لقوة أى دولة وخاصة فى قواتها الجوية يعتبر اليوم من أصعب الأمور.

وهنا يشور التساؤل ماذا تعنى أى قوة جوية ؟ هل تعنى ذلك الحجم من الطائرات ؟ الواقع أنها تعنى الكثير، فليست العبرة فى القتال بالأعداد وهو ما نسميه بالكم، وإنما بالنوع والقدرات، وهو ما نسميه بالكيف، لذا يجب لتقدير قوة إسرائيل الجوية الحقيقية لا يكفى أن تقول إن لديها ٤٤٥ طائرة قتال حديثة، ولكن يجب أن نتساءل من أى النوعيات ؟ وما تسليحها ؟ وما مستوى الطيارين الذين يعملون عليها ؟ وما مستوى الخدمة الفنية المتيسرة ؟ وما عدد القواعد والمطارات التى تخدم مثل هذه القوة وبالتالي ما قدراتها القتالية فى أى حرب ؟

ففى مجال النوعيات نجد أن طائرات القتال الحديثة كلها تعتبر من أحدث ما أنتجته صناعة الطائرات فى العالم، بل على حد التعبير الشائع تعتبر أحدث صيحة فى عالم الطيران. وكان العدو يهدف من وراء ذلك إلى أن يتوفر لديه طائرات ذات مدى كبير وسرعة عالية، لديها القدرة العالية على المناورة، كى يمكنها أن تقوم بالقتال الجوى مع طائرات الميج بنجاح، بالإضافة إلى قدرتها على تنفيذ مهامها فى القصف الأرضى للأغراض بدقة كبيرة، مع القدرة العالية على إفلاتها من نيران الصواريخ والمدفعية. ولقد برهنت الطائرة الفانتوم ٤ قدرتها على ذلك، وكانت صولاتها وجولاتها فوق فيتنام الشمالية خير مثل على ذلك، ودون الخوض فى تفاصيل، فالطائرة الفانتوم لها قدرة عالية على المناورة الأفقية، وقدرة محدودة على المناورة الرأسية، وذلك بعكس الطائرة الميج ٢١ الموجودة لدينا، إلا أن الطائرة ميج ١٧ لها قدرة أعلى منها على المناورة الأفقية،

مما يجعل الطائرة الفانتوم لا تقبل الاشتراك في معارك جوية معها غير أن النقص في الطائرة الفانتوم يعوضه وجود الطائرة الميراج ٣ لدى العدو، والتي تتوفر لها قدرة عالية على المناورة في المستوى الأفقى والمستوى الرأسى، فلو أضفنا إلى ذلك أن كليهما يمكنها - بجانب القتال الجوى - إمكان القيام بمهمة القصف الأرضى لا تضح لنا مدى الذكاء المادى المتوارث في العدو الإسرائيلى في تخطيطه للحصول على طائرات قادرة على القيام بأغراض متعددة بنجاح، وتحقيقاً لوجود قوة قاذفة قادرة على تدمير الأغراض المختلفة يمكنها أن تعمل إما مستقلة فوق أرض المعركة أو بالتعاون مع الطائرات الفانتوم والميراج، التى تعمل في هذه الحالة كقوة حماية لها زودت إسرائيل سلاحها الجوى بالطائرات سكاي هوك.

أما النوعيات القديمة الموجودة لدى العدو فلا يعنى اصطلاح قديمة أنها طائرات غير صالحة للقتال، وإنما يعنى أن هذه النوعيات سرعتها ومدائها وقدرتها على المناورة العالية محدودة، بذلك فهى ليست نداءً للطائرتنا المقاتلة من طراز الميج، ونظرًا لقدرتها المحدودة على المناورة فهى لا يمكنها أن تؤدى مهامها إلا في المناطق غير المدافع عنها بعناصر الدفاع الجوى، أو ذات الدفاعات المحدودة، وقد استخدمها العدو في عمليات أكتوبر ١٩٧٣ في ضرب سرايا الرادار المنعزلة في مهاجمة بور سعيد.

إن اهتمام العدو بطائرات النقل وطائرات الهليكوبتر يفسر لنا جزءاً كبيراً من استراتيجيته فالعدو الإسرائيلى يعمل على خطوط مواصلات داخلية، ووفقاً لذلك بنى العدو عقيدته القتالية على القتال في جبهة واحدة لإمكان تحقيق مبدأ الحشد إذا ما انتهى من جبهة معينة نقل ثقله كاملاً للجبهة الأخرى للإطاحة بها كما حدث في حرب الأيام الستة ١٩٦٧، إذ بدأ العدو مهاجمة مصر أولاً ثم سوريا بعد ذلك. وتحقيق هذه الاستراتيجية بنجاح يحتاج إلى سرعة حشد القوات من جبهة إلى أخرى أو سرعة حشدها من اتجاه إلى اتجاه، وتؤدى طائرات النقل والهليكوبتر في ذلك دوراً كبيراً، فإذا أضفنا إلى ذلك مدى اعتناق العدو لاستراتيجية العمل غير المباشر تلك الاستراتيجية التى طبقها خلال العدوان الثلاثى بنزوله في ممر متلا بوحداث المظلات، والتى طبقها خلال حرب الأيام الستة بمهاجمة القوات المصرية بين رفح والعريش ثم الالتفاف عليها في اتجاه الجنوب لعرفنا مدى اهتمامه بطائرات النقل والهليكوبتر، لأنها عماد تحقيق هذه

الاستراتيجية، فلا شك أن إبرار بعض الوحدات جواً في مكان ما خلف جبهة القتال أو على أحد أجنابها يحقق للعدو مزايا تكتيكية وتعبوية كبيرة.

أما من ناحية التسليح فطائرات القتال كلها مسلحة بأحدث الأسلحة، فعلاوة على أجهزة الرادار المجهزة بها للمعاونة بها في القتال الجوي أو القصف الأرضي، نجد أن جميع الطائرات مسلحة بالمدافع المضادة للطائرات متعددة المواسير لاستخدامها في القتال الجوي أو لضرب الأغراض الأرضية الموجودة في العراق. هذا بالإضافة إلى قدرة جميع الطائرات التي لدى العدو - الحديثة والقديمة - على حمل القنابل من الأوزان المختلفة ٢٥٠، ٥٠٠، ٧٥٠، ١٠٠٠ رطل، كذا الصواريخ الحرة أو الصواريخ الموجهة رادارياً مثل الصاروخ بول بب BULLBUB، والصاروخ شرايك أو الصواريخ الموجهة إلكتروبصرياً مثل الصاروخ مافريك، القنبلة المنزلقة وول أي Walleye أو الصواريخ الموجهة حرارياً مثل الصاروخ سبارو وسيدويندر Sparrow-side-winder هذا كله بجانب مستودعات النابالم، ومستودعات الإعاقة الإلكترونية، التي يمكن أن تحل محل أي نوع من أنواع الأسلحة السابقة.

مما سبق يتضح لنا مدى تنوع تسليح السلاح الجوي الإسرائيلي، وهذا يبين بجلاء مدى سخاء الترسانة الأمريكية على إسرائيل، بل لقد كان السخاء على أشده عند تزويدها بقنابل البلى Cluster BomBs تلك القنابل التي صنعت لمهاجمة القوات في العراق، لإحداث أكبر خسائر بها، وذلك بعد تزويدها بالصواريخ شرايك المعدلة المضادة للرادار AGM - 18 Staudard، بعد فشل الجيل الأول من الصواريخ شرايك، والذي استخدم في سبتمبر ١٩٧١، كذا عند تزويدها بوسائل الإعاقة السلبية خلال الحرب، وأنواع أخرى من وسائل الإعاقة الإيجابية بعد توقف القتال. لكن ما سر تلهف إسرائيل على الحصول على الطائرات الفانتوم تلهفاً لم يسبق له مثيل، هل هو قدرتها على حمل قنابل زنة كل منها ٢٠٠٠ رطل، ذلك النوع من القنابل الذي يستطيع أن يدمر أي نوع من التحصينات. أو أن هناك سراً آخر. الواقع أن الطائرة الفانتوم ف ٤ ما هي إلا قلعة طائرة، ليس من ناحية حجمها - وإن كان حجمها كبيراً نوعاً ما - وإنما من ناحية التجهيزات المختلفة المزودة بها مما جعل منها أسطورة، أسطورة في قتالها الجوي،

أسطورة في دقة قصفها للأغراض المختلفة، أسطورة في ملاقاتها لنيران الصواريخ أرض - جو، والمدفعية م/ ط بأنواعها، ولا شك أن انتصارها هذا في المجالات السابقة جعل مجرد ذكر اسمها أو رؤيتها عاملاً مخيفاً أو مثيراً للذعر والارتباك، هذه الطائرة حطمتها منها في أكتوبر الكثير، أكثر من مائة طائرة على الجبهة المصرية.

إن الفضل في نجاح هذه الطائرة قبل حرب أكتوبر ١٩٧٣ يرجع إلى ثلاثة عوامل أساسية، أولها مستوى طيارى الفانتوم، وثانيها هو قدرات الطائرة من ناحية المدى والسرعة والقدرة العالية على المناورة، وثالثها هو التجهيزات الإلكترونية المجهزة بها، كل هذه العوامل مجتمعة كانت سبباً في نجاحها، فأما مستوى تدريب طيارى الفانتوم فسنبوضحه عند التعرض لمستوى الطيارين عموماً، أما قدرات الطائرة فيكفى أنها كانت ولا تزال قمة صناعة الطائرات الأمريكية حتى اليوم. أما التجهيزات الإلكترونية المجهزة بها فهي عديدة، فيها أجهزة رادار، وأجهزة حاسبة تمكنها من إتمام تنفيذ مهامها القتالية بنجاح، سواء في القتال الجوى أو في القصف الأرضي، بجانب ذلك لديها أجهزة تحذير عديدة، منها ما هو تحذير ضد طائراتنا المقاتلة مع توضيح نوع الطائرة المقترية منها، وأخرى لتوضيح أجهزة الرادار الأرضية الملتقطة لها مع تحديد نوعية الأجهزة القائمة بالتقاطها، وما أكثر هذه النوعيات بالإضافة إلى أجهزة التحذير ضد أجهزة رادار إدارة نيران المدفعية م/ ط، إلا أن أهم هذه الأجهزة هو تلك الأجهزة التي توضح للطيار أن محطة توجيه الصواريخ ملتقطة للطائرة، أو أنها قامت بإطلاق الصواريخ، أو أن الصاروخ يجري توجيهه، أو أن الصاروخ يقترب من الطائرة أو يطير خلفها، مع توضيح أنواع الصواريخ التي تقوم بالاشتباك معها. فوق كل هذا تحمل الطائرة الفانتوم مستودعات للإعاقاة الإيجابية للقيام بذلك النوع من الحرب المعروفة باسم الحرب الإلكترونية، تطور في الأداة الحربية بدأ مع ظهور الرادار في أوائل الحرب العالمية الثانية قرابة ١٩٤٢، وتطور بل وصل إلى الذروة تقريباً في أيامنا هذه، وكان تطوره أمراً طبيعياً مصاحباً لنفس تطور الأداة الحربية واستخدامها المعدات الإلكترونية في جميع مجالاتها، وسنشير إليها فيما بعد بإيجاز، حيث إنها كانت عاملاً مهماً وحاسماً في معركة أكتوبر ١٩٧٣، وستظل كذلك في أى حرب مقبلة. ورغم كل ذلك فإننا تمكنا في حرب

أكتوبر من تحطيم هذه الأسطورة، ويرجع الفضل في ذلك إلى قدرة المقاتل المصرى، ومدى تفهمه للأساليب العلمية المختلفة، وقدرته الفائقة على الابتكار والإبداع، مما جعل هذه الطائرة تصبح فريسة سهلة أمام وحدات حائط الصواريخ.

لكى نحكم على قدرة السلاح الجوى الإسرائيلى تمامًا بعد أن عرفنا نوعية الطائرات التى كان يمتلكها، ونوعية التسليح الذى توفر لديه، لابد أن نعلم تمامًا وبإمعان مستوى الطيارين الإسرائيليين، ومما لا شك فيه أن مستوى الطيارين الإسرائيليين الذين عرفناهم خلال حرب الاستنزاف ١٩٦٩ والحرب الجوية ١٩٧٠، يختلف تمامًا عن مستوى الطيارين الذين عرفناهم خلال عام ١٩٦٧، أما طيارو حرب أكتوبر ١٩٧٣ فإِنَّهم نوع آخر. يختلف تمامًا عن كل هؤلاء، ولا شك أنهم حصيلة خبرة قتال السنين السابقة، مضاف إليها المهارات المكتسبة من التدريب القاسى الذى كان يتم يوميًا دون هوادة حتى بدأ القتال فى أكتوبر ١٩٧٣.

الواقع أن الضربة الجوية المركزة التى قام بها السلاح الجوى الإسرائيلى فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وتمكن فيها من تدمير القوات الجوية المصرية والسورية لا يمكن أن تعتبر أساسًا فى الحكم على الطيارين الإسرائيليين، فالضربة الجوية الشاملة كآى ضربة جوية مخطط لها، إلا أن القصور الذى تم جانبنا هو الذى أدى إلى نجاحها الساحق. ولكن دون مغالاة أو إنقاص من قدرة عدونا. يمكن القول إن مستوى الطيارين الإسرائيليين يعتبر حتى ذلك الوقت متوسط المستوى، فالطائرات التى كانت تتوفر لإسرائيل حتى ذلك الوقت - إذا استثنينا الطائرات الميراج - كلها طائرات مروحية. لقد أدى نجاح السلاح الجوى الإسرائيلى فى حرب ١٩٦٧ إلى بذل المزيد من العناية به، واعتباره السلاح الحاسم فى الحرب، ساعد على ذلك استمرار حالة الحرب على غير ما حدث فى الحروب السابقة بين جمهورية مصر العربية وإسرائيل، نتيجة لعدم انصياع إسرائيل للقرار ٢٤٢ الصادر من مجلس الأمن ١٩٦٧.

ولقد كان لا احتمال تجدد القتال فى أى وقت أثر كبير على تدريب الطيارين الإسرائيليين، فبذل العدو جهدًا كبيرًا يفوق أى جهد للوصول بنوعية طياريه إلى مستوى لا يدانيه مستوى، بالإضافة إلى وجود أعداد احتياطية من الطيارين لمقابلة خسائر العمليات المنتظرة، وللتدليل على ذلك ما تم رصد له لطلعات العدو اليومية على سيناء، والتى تقدر

فى المتوسط يومياً يتراوح ما بين ٢٠٠ و ٢٥٠ طلعة إذا استبعدنا يومى الجمعة والسبت اللذين ينعدم فيها النشاط الجوى التدريبى للعدو، ولا شك أن استمرار التدريب بهذا الأسلوب يؤدى إلى استهلاك عاجل لمحركات الطائرات؛ لأنها ذات أعمار محدودة، إلا أن العدو ضرب عرض الحائط بذلك، معتمداً على سهولة ويسر حصوله على ما يلزمه من محركات الطائرات الأمريكية، أما الطائرات الفرنسية التى لديه فما لديه من صناعة طائرات تسر له عمل الإصلاحات أو العمرات المطلوبة لها بنجاح، ويحضرنى فى هذا المقام للتدليل على مدى السخاء فى التدريب، ما حدث يوم ٢١ يوليو ١٩٧٢ فبعد أن تمكن كمين صواريخ تم إعداده بإحكام من إسقاط إحدى طائرات الفانتوم التى كانت تقوم بالاستطلاع شرق القناة على مسافة ٢٠ كم قام العدو باستعراض عضلاته أمامنا تماماً، فقام بنشاط تدريبى استمر من (سعت ٩٠٠) صباح يوم ٧/٢١، ولم يتوقف إلا (سعت ٢٠٠) يوم ٢٢ يوليو، وبلغ إجمالى عدد طلعاته خلال ١٧ ساعة تدريباً ٨٧٠ طلعة طائرة؛ أى معدل ٥٠ طلعة / ساعة فى المتوسط.

لقد كان تدريب العدو لطياريه يتم بالأسلوب الواقعى العلمى، فالقواعد الجوية والمطارات المصرية أقيم مثل لها تماماً فى صحراء سيناء، بها نفس الممرات والمنشآت المختلفة، ونفس الأبعاد والزوايا، كما أقيم حولها مواقع الدفاع الجوى المختلفة القائمة بوقايتها - وذلك بغرض تدريب الطيارين المنوط بهم فى مهمة مهاجمة القواعد الجوية والمطارات على أسلوب مهاجمة هذه القواعد والمطارات، وأسلوب إسكات وسائل الدفاع الجوى حولها، ولم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل إن حائط الصواريخ الموجود غرب القناة أقام العدو شبيهاً له للتدريب عليه، مواقع بنفس الأبعاد وعلى نفس المسافات التى عليها مواقع حائط الصواريخ، ووضع بها معدات هيكليّة مصنعة من الخشب، تمثل معدات كتيبة صواريخ تماماً، وذلك لتدريب طياريه على مهاجمة حائط الصواريخ، هذا من ناحية التدريب الواقعى، وباستمرار التدريب لنفس الطيار على نفس الغرض يصبح العرض الجارى مهاجمته مألوفاً لديه، والمنطقة المطلوب قصفها بالقنابل واضحة تماماً لا لبس فيها، فإذا انتقلنا إلى الناحية العملية، نجد أن العدو لم يغفل التدريب على

هذه الأغراض التي أقامها بالذخائر الحية دورياً، مع حساب إمكانات الإصابة لطياريه والعمل على رفع نسبة الاحتمالات بصفة دائمة للوصول إلى أعلى نسبة احتمالات ممكنة.

لقد كان العدو يهدف من وراء هذا التدريب المكثف - والذي يتم بكونه أسلوباً واقعياً وعملياً إلى الوصول بالسلاح الجوي الإسرائيلي ليصبح أداة الحسم المطلق في المعركة كما سبق أن أوضحنا، بجانب نوعيات الطائرات التي كان يسعى للحصول عليها أو تصنيعها كان هناك الطيارون الذين سيعملون عليها، فبذل في تدريبهم ما يفوق الوصف أو الخيال، حتى وصل بعدد محترم منهم إلى درجة الاحتراف، ولقد كانت ثقة إسرائيل في طيارها أكبر من أن توصف، بل العالم كله، وللتدليل على ذلك ما أذاعته وكالات الأنباء عن رحلة الجنرال ديان إلى فيتنام وعرضه على أمريكا إنهاء الحرب بالسلاح الجوي الإسرائيلي، بل ما قاله أبا إيبان في نوفمبر ١٩٧٣ بعد الهزيمة الإسرائيلية إن النصر السريع والحاسم في حرب الأيام الستة أعطى الشعب في إسرائيل إحساساً كاذباً بالأمان، وقد صدق الإسرائيليون مثل باقي الدول في العالم، أن إسرائيل لا يمكن ضربها أو هزيمتها، حتى واجهت الظروف السلبية للغاية، وقد كان هناك إحساس خارج إسرائيل أن طيارينا يستطيعون الانتصار في المعركة حتى بدون طائرات، وكانت النتيجة أنه طول ست سنوات عشنا في عالم غير واقعي وأنا دفعنا ثمناً غالياً مقابل هذه الأوهام.

أما الجنرال إسحق رابين رئيس الأركان في حرب ١٩٦٧، فقد كان مزهواً بما حققه في حرب ١٩٦٧، ولا يرجع الفضل إليه بقدر ما يرجع إلى أسباب القصور من جانبنا، ولقد ذكر أن إسرائيل لديها خطط عسكرية لجميع الاحتمالات حتى احتلال القطب الشمالي. لقد ذكر المعهد الدولي للدراسات الاستراتيجية في لندن تحليلاً للميزان العسكري عام ١٩٧٣ ذكر فيه أن التفوق الجوي الإسرائيلي قد تدعم بدرجة كبيرة رغم شحنات الطائرات الروسية التي أرسلت للدول العربية، وأن مجموع ما لدى إسرائيل ٤٤٨ مقاتلة قاذفة تتفوق أغلبها على طائرات الميج، كما ذكر أن من دواعي فخر إسرائيل أن لديها أفضل الطيارين في العالم. وللتدليل على ذلك ذكر المعهد أن هؤلاء الطيارين قد تمكنوا في ١٣ سبتمبر ١٩٧٣ من إسقاط ١٣ طائرة سورية ضد واحدة في المعركة الجوية التي حدثت فوق طرطوس بسوريا.

أما الجنرال شارون فقد ذكر في أثناء قيادته للجهة الجنوبية في ٢٠ يونيو ١٩٧٣ إننى أرى أنه ليس هناك أى هدف عسكري أو مدنى يقع بين بغداد والخرطوم بما فى ذلك الأراضي الليبية إلا ويستطيع الجيش الإسرائيلى غزوه ويعنى فى ذلك غزوه جواً لا براً.

لقد سقت القليل من الكثير مما كان الإسرائيليون يتشدقون به، والواقع لم يكن بعيداً عن هذا، فلديهم أفضل أنواع الطائرات فى العالم، ولديهم عدد وفير من الطيارين لا يتوفر لأى دولة أخرى، إذ كان لدى العدو ما يتراوح ما بين ١,٢ - ١,٥ طيار لكل طائرة، كما أن العناية فى تدريب طياريه والسخاء فى الإنفاق على تدريبهم أدى إلى الوصول بكثير منهم إلى مستوى المحترفين، وللتدليل على ذلك يكفى أن نعلم أنه بعملية حسائية بسيطة لعدد ساعات التدريب الشهرية وجد أن العدو يستهلك ما يقرب من ٤٠ طائرة شهرياً، كما أن تدريب طيارى الفانتوم - وهى أقوى طائرة وعماد قواته الجوية - لا يتم جزافاً، ويكفى أن نعلم أن طيارى الفانتوم يتدرجون من الطائرات المروحية إلى الطائرات سكاي هوك، ثم يختار الممتازون منهم وينقلون للعمل على أسراب الميراج، وبعد فترة تدريبية يظهرهم خلالها قدراتهم فى العمل على طائرات الميراج ينقلون للعمل على طائرات الفانتوم - طريق طويل للوصول إلى طيارى الفانتوم، وبعد مران وتدريب على الفانتوم يظهر فيه الطيار نجاحه يبدأ عمله فى أسراب الفانتوم المقاتلة. لقد سقت ذلك لأبين أن العدو كان لديه نخبة من طيارى الفانتوم على مستوى غير معقول من المهارة، لقد خبرتهم كقائد لحائط الصواريخ، وكم أدهشنى قدراتهم على المناورة الحادة بسرعات عالية، ولك أن تتصور مقدار الضغط G الذى يحتمله الطيار وهو يسير بسرعة فوق الصوت، على ارتفاع ١٥ - ١٦ كيلو متراً، ثم يناور مناورة حادة بزاوية تتراوح ما بين ٤٥ و ٥٠ درجة للإفلات من نيران الصواريخ، هؤلاء هم الطيارون الذين بدءوا المعركة معنا من (سعت ١٤٤٠) يوم ٦ أكتوبر لضرب قواتنا عند عبورها، وضرب المعدات الجارى إقامتها لإيقاف العبور، ولكن تمكن حائط الصواريخ من دحرجهم تماماً، بل لم يمكنهم من تحقيق مهامهم، وكان له شرف تدميرهم وشرف استرداد الكرامة المصرية والقدرة العسكرية منذ بدأ القتال إلى أن انتهى بإيقاف إطلاق النار.

أما عن الخدمة الفنية فى السلاح الجوى الإسرائيلى فيعتبر على مستوى رفيع، معدات متيسرة، فنيون مهرة، شعور بالواجب متوفر، ويكفى للتدليل على ذلك قدراتهم فى

إعادة تموين الطائرات في حرب ١٩٦٧ في ٥، ٧ دقيقة، وهو رقم قياسى وصلوا إليه في ذلك الوقت، وصلوا إليه بعد إعداد وتدريب شاق، ودراسة عميقة لكل مشكلات الخدمة الفنية، وساعدهم في ذلك إمكان حصولهم على كل جديد في هذه الناحية من دول العالم المتطور تكنولوجيا، بالإضافة إلى ذلك الصرح الذى شيده منذه أوائل السبعينيات - بمعاونة الولايات المتحدة وفرنسا - لإقامة صناعة متقدمة لبناء الطائرات في إسرائيل، ويكفى أن نعلم أن هذا الصرح يقدم اليوم أكثر من نوع من الطائرات.

أما عن القواعد الجوية والمطارات وأراضى الهبوط المنتشرة لدى إسرائيل فهى تبلغ أربع قواعد جوية رئيسية في إسرائيل وفلسطين المحتلة، وهى رامات - دافيد - عكير - حاتسور - حاتسريم، وقاعدة جديدة تم إقامتها في سيناء المحتلة وهى رأس النقب أما المطارات وأراضى الهبوط فتبلغ ٤٠ مطاراً وأرض هبوط، وما هذا العدد الضخم الذى تم إنشاؤه إلا ليعاون في فتح القوات الجوية على الجبهات العربية المختلفة، ويسر لها حرية المناورة من جهة إلى أخرى بسرعة، بالإضافة إلى ما تيسره هذه الشبكة من القدرة على الانتشار لتتلافى أية ضربة جوية شاملة على قواعد ومطارات العدو توجه إليه من الدول العربية.

وفى ضوء ما تقدم من وفرة عددية للطائرات، ونوعية متقدمة أو حديثة لأغلبها، وعدد وافر من الطيارين الإسرائيليين، وخدمة ممتازة، وقواعد ومطارات عديدة، يجب أن نأتى إلى الخلاصة الواجب الوصول إليها من هذا السرد، ألا وهى قدرة العدو الجوية، لقد كان في قدرة العدو فى ضوء ما علق فى أذهاننا من خبرته الجوية عام ١٩٦٧ أن يقوم بنحو ١٥٠٠ طلعة / طائرة أو أكثر خلال اليوم الأول للقتال بواسطة طائرات القتال الحديثة المتوفرة لديه وعددها ٣١٢ طائرة قتال - كما قدرناها - بمعدل ٥ طلعات فى اليوم لكل طائرة. مع عدم وضع الطائرات القديمة فى الحسبان وعددها ١٠٠ طائرة تقريباً، نظراً لأهمية الضربة الجوية الأولى، ومدى ما ستقابله من مقاومة عنيفة من وسائل الدفاع الجوى، لابد أن يعمل لها العدو حساباً فى تقديراته. فجميع الأغراض الحيوية فى الدولة والقواعد الجوية الرئيسية تدخل فى نطاق شبكة الصواريخ المصرية، على أن يستغل النوعيات القديمة بعد ما تلوح له بوادر النجاح.

لكن هذا ما حدث ١٩٧٣ - الجواب بالنفى هناك فارق في قوة العدو المقدرة وقوته الحقيقية واستخدام قواته على جبهتين بدل جبهة واحدة - لكن لماذا جرينا وراء هذه التقديرات ؟ الواقع أن ما قرأناه عن انتصارهم ١٩٦٧ ذلك النصر الذى ضخموه حتى لا تقوم لنا قائمة أبداً. هو الذى جعلنا نعتقد ويعتقد معنا العالم كله في صحة ما كتبوه وفي صحة ما أذاعوه عن خبرة قواتهم الجوية، وكثير مما قالوه كان سموماً موضوعة بعناية بين طيات ما صرحوا به وما كتبوه، مستغلين في ذلك الضربة القاضية التي وجهوها إلينا، والتي جعلتنا بدون مبالغة نترنح كالملاكم الملقى على حلبة الملاكمة أثر ضربة قاضية نحاول بكل ما أوتينا من أصالة استرداد قوانا للوقوف في وجه العدو، وهذه الحقيقة هي التي ملكت علينا تقديرنا خلال السنين التي تلت حرب ١٩٦٧ إلى أن تمكنا من محوها تماماً في أكتوبر ١٩٧٣، وامتلكنا زمام المبادرة والقدرة على العدو.

وإليك ما قاله قائد السلاح الجوى الإسرائيلى وقتئذ جنرال مردخان هودعقب حرب ١٩٦٧، إذ قال في (سعت ٧٤٥) من صباح الإثنين ٥ يونيو ١٩٦٧ كانت نسبة الطائرات المقاتلة الصالحة للخدمة أكثر من ٩٩٪ وحافظنا على المستوى طول أسبوع الحرب، ورغم أنه لا بد من حوالى ساعة لسد ثغرة في طائرة أو طائرتين فلم يحدث أن طائرة تعطلت في أى مرحلة باستثناء خسائرننا، ولم يحدث أن أضاع الطيارون وقتاً في انتظار الطائرات. ونتيجة لذلك كان متوسط الطلعات التي قامت بها الطائرات الإسرائيلية والطيارون حوالى خمسة يومياً، بل إن بعضهم قام بحوالى ثمانى طلعات. ولكي نقدر هذه حق قدرها لا بد أن نذكر أن المعدل الطبيعي لطلعات الطيران الأمريكى في فيتنام لا يتجاوز طلعة تقريباً ولو طالعنا ما قاله قائد السلاح الجوى الإسرائيلى لوجدنا بين سطوره سموماً واضحة. فلا يمكن أن يكون نسبة صلاحية الطائرات بحال من الأحوال ٩٩٪ ولا يمكن أى طيار مهما كانت لياقته البدنية - أن يقوم بثمانى طلعات في اليوم - ولكن هذا أسلوب الحرب النفسية التي برع فيها الإسرائيليون، والتي أدت في النهاية إلى أمن وطمأنينة تامة لهم. إلى أن كان أكتوبر ١٩٧٣، فضحوا على قرع عملاق يدق أبوابهم.

الفصل التاسع

العدو و حائط الصواريخ

خرج العدو من قتال يوليو ١٩٧٠ بدروس قيمة أضافها إلى دروسه السابقة، خرج بأن قدرة وحدات الصواريخ أرض - جو على القتال مع الطائرات الفانتوم والميراج محدودة، وأن باستطاعته لو أكثر من هذين النوعين لتوفر له قوة ضاربة قوية قادرة على التعامل بتأثير مع حائط الصواريخ المصرى الذى ظهر أمامه اعتباراً من أول أكتوبر ١٩٧٠.

ولذا بدأ العدو يفكر تمامًا فيما يجب إعداده من معدات وما يجب أن يتوفر له من طائرات نوعًا وعددًا، وذلك للتعامل مع حائط الصواريخ عندما تلوح له الفرصة، بحيث يتمكن من تدميره ومعاونة قواته البرية في تنفيذ مهامها القتالية في القضاء على القوات البرية المصرية - كما كان يتوهم - فبدأ يعمل على تسليح قواته الجوية تسليحًا يتفق مع متطلبات هذه القوات، بحيث تعمل كقوة ردع قادرة على أن تنتهى الحرب في أيام محدودة إن لم يكن في ساعات قليلة كما حدث عام ١٩٦٧.

وإزاء ذلك عمدت إسرائيل عن طريق عملائها في سويسرا إلى سرقة تصميم الطائرة الميراج ٥، وبدأت في إنتاجها منذ منتصف ١٩٧١، بمعدل ٢-٤ طائرات شهريًا.

كما بدأت في الحصول على المزيد من الطائرات الفانتوم وسكاى هوك من الولايات المتحدة الأمريكية حتى تحقق لنفسها تفوقًا نوعيًا وعدديًا على حائط الصواريخ، هذا من ناحية النوع والحجم، أما من ناحية التسليح فلم يكتف العدو وبما لديه من أسلحة عديدة كالقنابل شديدة الانفجار مختلفة الأعيرة، والصواريخ الحرة جو - أرض

والقنابل الفرملية التى تستخدم ضد عمرات المطارات، وإنما عمد إلى الحصول من الولايات المتحدة على العديد من الأسلحة الحديثة - تلك الأسلحة التى استخدمها العدو خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، والتى عمل على الحصول عليها بغرض التغلب على حائط الصواريخ، تلك الأسلحة التى تطلق عليها أسلحة الخمد suppression weapons.

لقد أدى حصول العدو على هذه الأسلحة فى عام ١٩٧١ و الأعوام التى تلتها ودراسة خصائص هذه الأسلحة بمعرفة قادة السلاح الجوي الإسرائيلى ودراسة الآثار التى تمخضت عنها الحرب الجوية فى فيتنام وخاصة فى الفترة التى سبقت صلح باريس إلى وصول قادة السلاح الجوي الإسرائيلى إلى قرار حاسم بأن مشكلة حائط الصواريخ أصبحت أمرًا لا يقلق بالهم، وأن القوات الجوية الإسرائيلية قادرة على فرض سيطرتها الجوية وإنهاء الحرب دون أى تأثير لهذه الصواريخ، بل لقد أدلى أحد القادة الإسرائيليين المسئولين بتصريح إلى مجلة نيوزويك فى أبريل ١٩٧٣ جاء فيه مايلى :

«لقد تجمع لدى القيادة الإسرائيلية العليا معلومات موثوق بها تفيد بأن شبكة الصواريخ المصرية بمنطقة القنال عاطلة، وأن المصريين غير قادرين على تشغيلها بالطريقة الصحيحة بعد خروج الخبراء السوفيت، وبناء على ما تجمع من معلومات يمكن القول بأن القوات الجوية الإسرائيلية قادرة على مسحها فى ساعة أو أقل»

“to sweep it in one hour or Less”

إن أسلحة الخمد التى أعدها العدو ليستخدمها ضد حائط الصواريخ يمكن تقسيمها إلى الأنواع التالية :

أ - أسلحة الخمد الإلكتروني .

ب - أسلحة الخمد الإلكترو بصرية.

ج - القنبلة رقيقة الجدار.

د - أسلحة الخمد الأرضية .

وفيسا يلي توضيح موجز لكل هذه الأسلحة لتتعرف على دورها في معركة أكتوبر
-: ١٩٧٣

أسلحة الخمد الإلكتروني Electronic Suppression Weapons

هى ذلك النوع من الأسلحة التي تعمل على الطاقة الكهرومغناطيسية التي تبثها أجهزة الرادار أو محطات الصواريخ أرض - جو في الفراغ، وتعتبر الطاقة الكهرومغناطيسية المشعة في الهواء هى أضعف نقطة في المعدات الإلكترونية، إذ تؤدي هذه الطاقة إلى كشفها وبالتالي استخدام أسلحة الخمد ضدها.

ويتوقف النجاح في استخدام هذا النوع من الأسلحة على معرفة الترددات التي تعمل عليها أجهزة الرادار أو محطات توجيه الصواريخ أرض - جو.

ويتم ذلك قبل بدء القتال الفعلي، عن طريق أجهزة الاستقبال التي تعمل لالتقاط الطاقة الكهرومغناطيسية المشعة في الفراغ، ومن ثم العمل على تحليلها للوصول إلى خصائص الطاقة المشعة لتحديد نوع أسلحة الخمد الواجب اتخاذها ضد هذه الوسائل المشعة، وتنقسم أسلحة الخمد الإلكترونية إلى قسمين رئيسيين الأول هو الإعاقة الإلكترونية بأنواعها Electioniccounter meas uens

والثاني هو الأسلحة الميينة بالرادار Radar homing missile

الإعاقة الإلكترونية

تهدف الإعاقة الإلكترونية إلى إبطال مفعول المعدات الجارى إعاقتها أو تقليل كفاءتها إلى أقل حد ممكن، بحيث تنعدم فاعليتها.

ونظرًا لأن معدات حائط الصواريخ كلها معدات إلكترونية، إذ تشمل على العديد من أجهزة الرادار المتنوعة الترددات ومحطات توجيه الصواريخ أرض - جو بنوعياتها سام ٢، ٢، معدل ٣، وهى الأخرى متعددة الترددات، لذا عمد العدو إلى الاهتمام بهذا النوع من الأسلحة.

لقد تيسر للعدو في ذلك المضمار خبرة لاتعادلها خبرة، فقد توفر لديه ويدون مقابل خبرة الولايات المتحدة الأمريكية في فيتنام، وعلى ضوء هذه الخبرة المكتسبة حدد العدو ما يجب أن يحصل عليه من أجهزة الإعاقة الإلكترونية نوعاً وعدداً.

وقد يسرت له الولايات المتحدة الأمريكية إمكان الحصول على العديد من مستودعات الإعاقة الإلكترونية نوعاً وعدداً، فكانت جميع طائراته المهاجمة تحمل مستودعات الإعاقة الإلكترونية بالإضافة إلى ما تقوم به مراكز الإعاقة الإلكترونية الثابتة التي أقامها العدو في وسط سيناء، وأهمها وأكبرها مركز الإعاقة الموجود في منطقة أم خشيب على بعد ٤٠ كم تقريباً شرق قناة السويس عند مدخل عمر الجدى.

لقد تمكن العدو عن طريق ما تيسر له من الخبرة الأمريكية من معرفة جميع الترددات التي تعمل عليها معدات حائط الصواريخ. تمكن بذلك من الحصول على ما يناسبها من معدات كانت قادرة على تسمية حائط الصواريخ تماماً، ولأقرب لذهنك ما كان يحدث، تصور شاشة تلفزيون وعليها صورة ما، ثم سرعان ما تصبح الشاشة بيضاء لدرجة تختفى خلفها الصورة التي كانت موجودة بدرجة يتعذر معها رؤية الصورة تماماً، والصورة بالنسبة لأجهزة الرادار أو محطات توجيه الصواريخ هي شكل الهدف عند ما يظهر على الميئات المختلفة، وإن كانت تظهر بشكل محدود وصغير جداً. ولكن هل كانت خبرة فيتنام كافية للإسرائيليين لأجل أن يقتنعوا بما لديهم من معلومات عن حائط الصواريخ، الواقع يقول العكس. لم يترك العدو حائط الصواريخ يومياً دون استطلاع لمعرفة مواقعه، وتحركاته، وأسلوب عمله اليومي أو ما يسمى بنظام الخدمة، وذلك بغرض تحديد نوعية وحداته ومكانها ونشاطها اليومي.

لقد بذل العدو في سبيل ذلك مجهوداً كبيراً فبجانب الاستطلاع اليومي تقريباً مرة أو اثنتين لتصوير حائط الصواريخ لجأ العدو إلى الاستطلاع الإلكتروني بمعدل ٢-٣ مرات أسبوعياً كل طلعة تستغرق ٢-٤ ساعات تقريباً، حيث تقوم إحدى طائراته المجهزة للاستطلاع الإلكتروني وهي على مسافة ٥٠ كم شرق القناة بالمرور من البردويل شمالاً إلى رأس سدر جنوباً عدة مرات في توقيتات مختلفة، وذلك بغرض التقاط إشعاع وحدات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ، ثم تحليلها وتحديد خصائصها

ومواقفها وما يلزم عن معلومات فنية أخرى، لرسم صورة صحيحة لتشكيل قتال حائط الصواريخ بنوعياته المختلفة، وذلك بغرض تحديد أنسب أسلحة الخمد اللازمة للتعامل معه. ولكن هل نجح العدو فيما كان يهدف إليه. الحقيقة التي أثبتتها الحرب أن نجاح العدو كان محدودًا جدًا، والدليل على ذلك أنه لم يجد من وسيلة للتعامل مع حائط الصواريخ سوى المدفعية والدبابات، ويرجع عدم نجاحه إلى ما قمنا به من تخطيط علمي دقيق للتعامل مع العدو ووضع أساليب مبتكرة تتفق مع الاحتمالات المنتظرة في المعركة والابتعاد عن النمطية مما فوت على العدو كل أغراضه، وجعله يقع لأول مرة طعمًا شهيا لحوادث حائط الصواريخ، ولم يتم ذلك تلقائيًا، بل انطلق من عرق وكفاح يومي استمر لمدة طويلة.

لقد استخدم العدو الإعاقة الإلكترونية بأنواعها الآتية :

أ- الإعاقة الإيجابية active jamming

ب- الإعاقة بالأهداف الخداعية taiget deception jam mers

ج- الإعاقة السلبية passive jamming

الإعاقة الإيجابية

يعتبر هذا النوع من الإعاقة هو أشد أنواع الإعاقة خطرًا على أجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ أرض - جو، إذ يؤدي هذا النوع من الإعاقة إلى اختفاء علامة الهدف نهائيًا من على مبيّنات المعدات، مما يجعل الاشتباك معه متعذرًا. والإعاقة الإيجابية على أنواع متعددة، فمنها الإعاقة المتزامنة، والإعاقة غير المتزامنة، والإعاقة المكررة، والإعاقة المعدلة بالضوضاء، وهي أخطر الأنواع جميعًا.

وكقاعدة تستخدم الإعاقة الإيجابية بأسلوبين إما إعاقة غلالية وفيها تتم الإعاقة على المعدات بنظام المسح خلال الحيز الترددي كله ثم العودة إلى بداية التردد من جديد، إما إعاقة موجهة وهي أخطرها، وتتم على حيز ضيق من الترددات، وهو الحيز الذي تعمل عليه المعدات، وهنا تكون شدة التداخل كبيرة، يؤدي إلى ضياع إشارات الأهداف من على المبيّنات.

لقد لجأ العدو إلى استخدام الأسلوبين : أسلوب الإعاقة الموجهة من المستودعات التى تحملها الطائرات المهاجمة والإعاقة الغلالية من محطات الإعاقة المقامة فى سيناء، ولكل أسلوب منها مزاياه وعيوبه، وقد لجأ العدو للجمع بينهما للحصول على مزاياهما وتلافى عيوبهما معاً، فالإعاقة الموجهة تتم على حيز ترددى ضيق، وتبعاً لذلك تمتاز معدات هذا النوع بإمكان حملها فى الطائرات، بالإضافة إلى أن شدة التداخل تكون قوية.

أما عيوبها فإنها تترك بعض الترددات الأخرى دون التداخل عليها مما يجعلها حرة تماماً فى التعامل مع العدو، وتدميره. أما الإعاقة الغلالية فتتم على حيز ترددى واسع بنظام المسح الترددى، من أول حيز الترددات الذى تقوم بالإعاقة عليه إلى نهاية الحيز، وعادة ما يكون حيز الترددات واسعاً، وهنا تقل شدة الإعاقة، وللوصول إلى شدة الإعاقة اللازمة لتعمية المعدات يلزم استخدام مصادر قوة كبيرة جداً لذلك الغرض. ومن هنا جاء استخدام هذا النوع من الإعاقة من محطات الإعاقة الأرضية، أما عيوب هذا النوع فهى عدم استمرار الإعاقة إلا لحظياً على تردد معين خلال عملية المسح، وتقل فاعلية الإعاقة بزيادة الحيز الترددى المطلوب إعاقته مع ضعف قدرة الإعاقة.

الإعاقة بالأهداف الخداعية

يهدف هذا النوع من الإعاقة إلى إخفاء الهدف الحقيقي (الطائرة أو الطائرات)، وذلك بإيجاد هدف أو أكثر مشابه تماماً للهدف الحقيقى، ويتواجد حوله، ويختلف عنه فى الاتجاه أو الزاوية، مما يصعب على عامل الرادار الإبلاغ عن معلومات الهدف الحقيقى، أو يقوم بالإبلاغ عن جميع الأهداف، وغالبيتها أهداف مخادعة، كما يصعب على ضابط التوجيه فى محطة توجيه الصواريخ انتخاب الهدف الحقيقى من بين هذه الأهداف المتعددة، أو قد يخدع تماماً فيقوم بالاشتباك معها كلها، مما يؤدي إلى استهلاك كل الصواريخ المتيسرة لديه، وهذا يحقق ما يريده العدو من استنزاف للصواريخ.

وفى الإعاقة بالأهداف الخداعية تستخدم ثلاثة أنواع من الإعاقة، إعاقة بإزاحة الهدف الخداعي فى المسافة وتسمى Range gate stealer أو إزاحته فى الاتجاه وتسمى

inverse conical Repeater أو تكون عدة أهداف حول الهدف الحقيقي وتختلف

عنه اتجاهًا ومسافة وتسمى False target generator

الإعاقة السلبية

يؤدي استخدام هذا النوع من الإعاقة إلى تعمية أجهزة الرادار وإخفاء الأهداف الحقيقية بين أهداف الإعاقة السلبية، مما ييسر للطائرات الإفلات من التقاطها بواسطة أجهزة الرادار، أو محطات توجيه الصواريخ، وهذا النوع من التداخل على أنواع متعددة، وقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية كل الأنواع خلال حرب أكتوبر ١٩٧٣، عدا نوع واحد، وأول هذه الأنواع هو ما يطلق عليه Chaff، وهو عبارة عن رقائق معدنية من مادة خاصة، لها القدرة على عكس الطاقة الكهرومغناطيسية، يتم تجزئتها بأطوال معينة تتناسب مع نصف أطوال الموجات التي تستخدمها المعدات، وتغطي نطاقًا تردديًا كبيرًا، وتحمل في مستودعات وتلقى عند التقاط الطائرات الحقيقية بواسطة أجهزة الرادار ومحطات توجيه الصواريخ فتندفع المستودعات في الجو، ثم تفتح وتنتثر منها حزم هذه الرقائق، وتظل معلقة في الهواء لمدة طويلة، مكونة سحابة من التداخل السلبى مما يجبر الطائرات الحقيقية ويعاونها في أداء مهمتها تمامًا دون أن يتم تدميرها.

أما النوع الثانى من الإعاقة السلبية فهو الإعاقة باستخدام الأهداف المعلقة decoys، وهذا النوع من الإعاقة السلبية عن البونات تحملها الطائرات ذات سطح عاكس ويتم قذفها من الطائرات عند اقترابها من مناطق الصواريخ، فتكسب سرعة مساوية لسرعة الطائرات المهاجمة أو أكبر منها، ولا يمكن عن طريق السرعة التمييز بينهما وبين الأهداف الحقيقية وعلى ذلك فهي تعطى الشعور باقتراب أهداف معادية، وعادة ما كان يستخدمها العدو للتضليل عن الأهداف الحقيقية، ولا استنزاف الصواريخ عليها، دون أى ثمن غالٍ يقابله، بجانب ذلك استخدم العدو نوعًا من البالونات المعلقة ذات السطح العاكس، والتي قد يحتوى بعضها على أجهزة إرسال صغيرة الحجم، تلك البالونات المعلقة التى قد يلقيها خارج مدى الصواريخ فتظل مدة زمنية معلقة لتجذب انتباه كتائب الصواريخ أرض - جو، وتبعدها عن البحث عن الطائرات المنخفضة القائمة بالهجوم الفعلى، ورغم كل هذه الحيل التى اتبعها العدو فى استخدام أنواع

التداخل السليبي فإن فطنة المقاتل المصرى وذكاء مقاتلى حائط الصواريخ كان أكثر من توقعه فمئذ لحظة بدئه لاستخدام الإعاقة السلبية بأنواعها المختلفة تم كشف ما يهدف إليه العدو، واتخذ حيال كل نوع من أنواع الإعاقة السلبية، ما يلزم من إجراءات لتلافي التعامل الخاطئ معها، وكما يسر التقدم العلمى من الخداع أساليب متعددة، فقد يسر أيضاً فى الوقت نفسه الوسائل التى يمكن بها كشف الأساليب والتعامل معها.

الصواريخ المبينة بالرادار

يعتبر الصاروخ الشرايك أحد أسلحة الخمد الإلكترونية التى أعدها العدو للقضاء على حائط الصواريخ، والشرايك صاروخ جو - أرض، يتم توجيهه رادارياً، وقد استخدم الشرايك بمعرفة الولايات المتحدة الأمريكية لأول مرة ضد قوات الدفاع الجوى الفيتنامي إلى تدمير العديد من كتائب الصواريخ، وإسكات فاعلية وسائل الدفاع الجوى الفيتنامى، والصاروخ شرايك كان أول أسلحة الخمد التى تفتق عنها التطور العلمى للتعامل مع وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو من بعد، والشرايك يتم حمله بواسطة الطائرات الفانتوم وسكاى هوك، ويمكن لكل منهما حمل صاروخين بمعدل واحد تحت كل جناح، ويقوم الطيار، بمجرد التقاطه للطاقة المنبعثة فى الهواء بواسطة أجهزة الرادار أو وحدات الصواريخ بتوجيه الطائرة نحوها إلى أن تضىء لمبة خاصة به، وإضاءتها تعني التقاط الصاروخ شرايك للطاقة المنبعثة فى الهواء، وبذلك يصبح الصاروخ جاهزاً للإطلاق، وبمجرد إطلاقه تبتعد الطائرة عن المنطقة، ويتم للصاروخ المحافظة على اتجاهه نحو جهاز الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ، وذلك بتعديل مساره ذاتياً إلى أن يصطدم بهوائى الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ، مؤدياً إلى تدمير جهاز الرادار أو هوائى محطة توجيه الصواريخ، مما يؤدي إلى إسكات أي منها نهائياً.

لقد استخدم العدو الشرايك على الجبهة المصرية مرتين: المرة الأولى عقب إسقاط طائرة ستراتوكروز للعدو فى سبتمبر ١٩٧١. وقد قام بها كرد فعل لإسقاط طائرته - وفى هذه الهجمة قام العدو بإطلاق ١٠ صواريخ شرايك لم يصيب أحدهم أى معدة من المعدات، وقام إثر ذلك بحملة إعلامية موسعة داخل إسرائيل، توضح مدى فاعلية هذا السلاح فى القضاء على حائط الصواريخ. غير أن العدو بعد أن تجمع لديه

المعلومات الصحيحة عن الهجوم الجوية لم يهدأ باله، وأخذ يلح على الولايات المتحدة في الحصول على سلاح متطور أكثر دقة وفاعلية فكان له ما كان، وقد تم إمداده بنوع متطور من الصاروخ الشرايك، وذلك النوع المسمى Standardarm وهو أكبر فتكًا، أكثر دقة من سابقه، أكبر فتكًا لكبر العبوة المدمرة والتي ٦٨ تبلغ كجم، وأعلى دقة نظرًا لإدخال دوائر إلكترونية معقدة عليه تجعله لا يحدد عن هدفه الذي حدده عند بدء مساره، بالإضافة إلى سرعته العالية والتي تصل إلى ٢،٢ ماخ، مما يجعل زمن دخوله إلى غرضه قليلًا جدًا حتى يتغلب على أعمال رد الفعل التي يمكن أن يقوم بها السلاح، هذا النوع من الصاروخ شرايك يمكن أن يطلقه الطيار من طائرته من مسافة ٤٥ كم؛ أى خارج مدى تأثير وحدات الصواريخ الموجهة مما يضمن سلامة الطيار والطائرة، ولقد استخدم العدو هذا النوع في حرب أكتوبر ١٩٧٣.

وبلغ جملة ما أطلقه العدو من الصواريخ شرايك على حائط الصواريخ أكثر من ٢٥ صاروخًا، كانت نسبة إصابتها هزيلة للغاية، ويرجع الفضل في ذلك إلى كفاءة أطقم القتال في التعامل مع العدو، تلك الكفاءة التي أذهلت العدو، وأفقدته توازنه منذ اليوم الأول للقتال.

لقد أدى حصول العدو على هذا النوع المتطور من الصاروخ شرايك إلى أن يصرح القادة الإسرائيليون على مختلف المستويات بما صرحوا به وسبقت الإشارة إليه، تلك التصريحات التي كانت تنم عن الاستخفاف بحائط الصواريخ، وإلى خلق مزيد من الثقة لدى الطيارين الإسرائيليين في قدرتهم على مواجهته والقضاء عليه بضربة جوية واحدة.

ولقد كانت الساعة ١٤٣٥ يوم ٦ أكتوبر أول لقاء لحائط الصواريخ مع العدو، ونجح حائط الصواريخ منذ اللحظة الأولى في فقد العدو اتزانه.

وإليك ما قاله الجنرال الإسرائيلي ميتا هوبيلير في تحليله لمعركة ٦ أكتوبر، لقد أعلن السلاح الجوى أنه وجد الحلول اللازمة للحرب وركن إلى ذلك، وكانت المفاجأة لنا كبيرة أكبر مما تصورناه، لم يكن السلاح الجوى ناقصًا فنيًا، بل كان مستعدًا للقتال

١٠٠٪ وكان المفروض على ذراع إسرائيل الطويلة أن تعمل على إيقاف الهجوم على الأكثر في اليوم التالي إلا أن هذه الآمال خابت نظرًا للخسائر الباهظة التي حدثت في هذا السلاح، والتي ترجع إلى الإهمال والانتكال.

لقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية الصاروخ شرايك بأساليب متعددة منها:
الإطلاق من ارتفاع منخفض جدًا

وهنا يطير الطيار على ارتفاع يتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ متر وعند تحديده لكتيبة الصواريخ أرض - جو بالتقاطه أشعتها المنبعثة في الفراغ يقوم الطيار بالارتفاع، ثم إطلاق الصاروخ بزاوية معينة، وذلك على مسافة أقل من ١٦ كم ثم يبدأ في الانخفاض والمناورة بالابتعاد للخارج.

الإطلاق من ارتفاع متوسط

وفي هذه الطريقة يرسل العد وعدداً من الطائرات، إما زوجاً من الطائرات أو أربعة، يقوم بالعمل في هيئة مظلة خارج مدى الصواريخ وعلى مسافة ٥٠ كم تقريباً من أقرب كتائب صواريخ، وتزاول الدورية مهامها بالدوران في دائرة، وتتواجد الطائرات على المحيط الدائرة بفاصل ٩٠° أو ١٨٠°، وعندما تلتقط إحداها إشعاع كتائب الصواريخ تتجه نحو الإشعاع الذي تم التقاطه مع المحافظة عليه وبسرعة معينة، وتقوم بإطلاق الصاروخ شرايك، وعادة ما يتم ذلك من مسافة ٢٦ - ٣٢ كم من موقع كتيبة الصواريخ، ثم تعود إلى وضعها في المظلة، وهذا الأسلوب يعتبر الأسلوب الأمثل، إذا أنه يخدم جميع عناصر الاستطلاع سواء الإلكتروني أو الأرضي أو الجوي، التي تبلغ عن كتائب الصواريخ أرض - جو المشتبكة مما يحقق سرعة التعامل معها.

الإطلاق من ارتفاع عالٍ

يستخدم هذا الأسلوب في أثناء القيام بضربة شرايك مركزة أو أثناء الاشتباكات الفعلية إذا ما استدعى الموقف ذلك، أو أثناء قيام العدو بالاستطلاع على ارتفاعات عالية مع إخفاء نواياه حيال تخطيطه للقيام بمهاجمة كتائب الصواريخ بالشرايك، وفي

هذه الحالة تقترب الطائرات الحاملة للصواريخ شرايك إما فردية أو أزواجاً بسرعة عالية تصل إلى ١, ٢٥ ماخ، وعند الدخول إلى مسافة ٤٠-٤٥ كم تبدأ الطائرة بتشغيل مستقبلاتها، وعندما تضيء لمبة خاصة بشعاع كتيبة الرادار تبدأ الطائرة في إطلاق الصاروخ من مسافة تتراوح بين ٣٠-٤٠ كم ثم الابتعاد، وذلك لتتحاشى الدخول في مناطق تدمير الصواريخ.

أسلحة الخمد الإلكتروني وبصرية

أما أسلحة الخمد الإلكتروني وبصرية التي أعدها العدو لحائط الصواريخ فتتلخص في القنبلة وول أى walleye، وهذا النوع من القنابل يتم توجيهه تلفزيونياً، وتقوم بحملها الطائرة الفانتوم فقط، وهذه القنبلة ذات أثر تدميري كبير، إذ إن عبوتها المدمرة تبلغ ٣٤٠ كجم، ويتم قصفها آلياً بواسطة الطيار، فعندما يلتقط جهاز رادار الطائرة أى إشعاع لرادار إرسال محطة توجيه الصواريخ أرض-جو يقوم الطيار بتوجيه الكاميرا التلفزيونية الموجودة في مقدمة القنبلة على رادار إرسال محطة توجيه الصواريخ، وبمجرد إتمام توجيه كاميرا القنبلة على هدفها تظهر أمام الطيار علامة توضح له أن عملية تنشيط القنبلة قد تمت، وأنها جاهزة للإطلاق، ومن ثم يتم إطلاقها، وتقوم هي بتعديل مسارها إلى هدفها بواسطة أجهزة التحكم الموجودة بداخل القنبلة، وهذا النوع من القنابل يمكن إطلاقه من مسافة ٢٥ كم غير أنه للوصول إلى دقة أعلى كان يستلزم من الطيارين الإسرائيليين إطلاقه من مسافة قليلة ورغم استخدامها في عمليات أكتوبر ٧٣ فإن نتائجها كانت غير ملموسة، وهذا راجع إلى ذكاء رجال الصواريخ، مما فوت على العدو فرصة استخدامها بنجاح.

لقد تمكن العدو من قبل حرب أكتوبر من الحصول على نوع آخر من الصواريخ جو-أرض الموجهة إلكترونياً يماثل القنبلة walleye في نظام التوجيه، ويسمى «الصاروخ مافريك» ويرجع السبب في حصول إسرائيل عليه إلى إمكان إطلاقه من مسافات خارج مدى تأثير وحدات الصواريخ، فمداه يصل إلى ٥٠ كم، وبذا يمكن إطلاقه دون الدخول في مدى تأثير وحدات الصواريخ الموجهة، ولقد استخدم العدو هذا الصاروخ في الأيام الأخيرة من الحرب، إلا أنه لم يكن أكثر حظاً من سلفه من أسلحة الخمد الأخرى.

وهذا الصاروخ يحمل كاميرا تلفزيونية، وعندما تصل الطائرة الحاملة لهذا الصاروخ من كتائب الصواريخ إلى مسافة ٦٠ كم تبدأ في تشغيل جهاز الرادار خاصتها للتفتيش عن أى كتائب صواريخ أو أجهزة رادار، وعندما ما يلتقط جهاز الرادار خاصتها، أى غرض من هذه الأغراض تضيء لمبة إرشاد دلالة على ذلك، وهنا يبدأ الطيار في تشغيل الكاميرا التلفزيونية الموجودة بالطائرة، والتي تبدأ في البحث عن الغرض متخذة نفس محور شعاع الرادار، وعندما يظهر الهدف أمامه في الكاميرا التلفزيونية يبدأ الطيار بتشغيل كاميرا الصاروخ التلفزيونية، التي تبدأ في التقاط الغرض تمامًا، ومن ثم يتم إطلاق الصاروخ، وعادة ما يتم الإطلاق من مسافة ٣٠-٣٤ كم.

القنبلة الثقيلة ٤٠٠٠ رطل

ورغم كل هذه الأسلحة فلم يهدأ للعدو بال، ولم يقتنع بما أعد من أسلحة، بل أخذ يفكر في أسلوب آخر لمهاجمة كتائب الصواريخ وتدميرها، أسلوب أقل تكلفة وأقل خسائر. ولما كانت الأسلحة المتوفرة لديه من صواريخ حرة وقنابل شديدة الانفجار حتى زنة ١٠٠٠ رطل فقط - تعتبر من وجهة نظر العدو غير مجدية أمام حائط الصواريخ، نظرًا لكثافة حائط الصواريخ من الناحية العددية بالإضافة إليه ما تحتاج إلى الكتيبة الواحدة من عدة قنابل، وبالتالي عدة طائرات، وعدة طلعات مما يعرض طائراته للتدمير، وهو عليها ضنين؛ لذا عمد العدو على أن يستحوذ على آخر ما أنتجته الترسانة الأمريكية من أسلحة دمار، فكان له أن حصل على القنبلة زنة ٤٠٠٠ رطل، وهذه القنبلة ماهى إلا قنبلة رقيقة الجدار، تحمل مادة شديدة الانفجار قدرها ٣٥١٥ رطلا، وتعتبر من الأسلحة المدمرة، فهي تؤدي إلى تدمير كامل لأي أغراض في منطقة نصف قطرها ٤٤ مترًا، وتدمير متوسط في منطقة نصف قطرها ٤٤٠ مترًا وتدمير خفيف في منطقة نصف قطرها ٥٥٨ مترًا، وتحمل الطائرة الفانتوم أو سكاى هوك واحدة منها فقط، وإلقاء واحدة منها أو أكثر على موقع صواريخ كافٍ بأن يخلق موجة انفجار تطيح بكل ما حولها من معدات وعلاوة على تدمير المعدات المجاورة تمامًا تصبح باقى المعدات غير موجودة في أوضاعها القتالية الطبيعية، مما يشل موقع الصواريخ عن العمل تمامًا.

أسلحة الخمد الأرضية

لكن هل اكتفى العدو بذلك الإعداد من الناحية العملية، كان من الواجب أن يقنع بما في حوزته إلا أن العدو وهو في سبيل دراسة الحلول المقترحة أمامه وجد أنه بجانب ذلك يجب أن يعمل على أن يكون للأسلحة الأرضية واجب في التعامل مع حائط الصواريخ، حيث إن هذه الأسلحة مضمونة النتائج، وسبق له استخدامها في حرب الاستنزاف، وأدت إلى نتائج حسنة، فكان أن عمل بعد وقف إطلاق النار في أغسطس ١٩٧٠ على أن يزود نفسه بمدفعية بعيدة المدى من الولايات المتحدة الأمريكية، فكان له ما أراد، إذ أتم حصوله في عام ١٩٧١ على أربع بطاريات مدفعية ميدان عيار ١٧٥ مم، كل منها من ١٢ مدفعًا يمكنها أن تعمل في ست بطاريات كل من ٨ مدافع ولما كان أقصى مدى لهذا المدفع يبلغ ٣٢,٧ كم، فلقد تخيل العدو أولاً بوضعه هذه المدافع شرق القناة بمسافة ١٠ كم تقريباً أنه في قدرته - على ضوء مدى المدفع - تدمير حائط الصواريخ، وفعلاً كان هناك عدد محدود من وحدات الصواريخ تدخل في مدى هذه المدافع وبالتحديد كان النسق الأول كله من القنطرة حتى السويس يقع في مدى مدفعية العدو، ولكن ما الحل؟ إن أى رجوع للخلف بوحدات الصواريخ يعنى عدم تغطية القوات الموجودة غرب القناة، وجعلها تحت رحمة العدو إلى حد كبير.

لقد كان تقدير العدو أنه بمجرد أن نعلم بوضعه لهذه المدفعية على هذا المدى شرق القناة - مع علمنا مسبقاً بخواصها - لا بد من اتخاذ إجراء مضاد لمنع وقوع وحدات الصواريخ تحت رحمة مدفعيته عند بدء القتال، ولكننا لم نعبأ بذلك - وأصبح من الواجب على رجال حائط الصواريخ أن يفكروا كيف يوفرّون الوقاية والعمل القتالي لوحدهم أمام هذا التحدى الأرضي الجديد، ماذا كان رد فعل العدو على عدم تحريك وحدات الصواريخ للخلف كما كان يعتقد أو يظن، كان رده غريباً لقد قام العدو بإنشاء عدة مواقع أخرى للمدفعية ١٧٥ مم شرقاً، ولكن هذه المرة أقامها على مسافات تتراوح بين ٢-٣ كم من الضفة الشرقية للقناة - وبمداها المعروف، كانت أوضاعه الجديدة تيسر ضرب ٣/٢ جميع حائط الصواريخ إن لم يكن كله، ولكن ما مغذي هذا كله من وجهة نظر العدو؟ لا شك ثقة واطمئنان زائد لقدرته على محو حائط الصواريخ بمجرد

بدء القتال، وهذا فعلا ما أذاعه العدو وتحدث عنه قادته كثيرًا من المرات. ومن واقع ما ذكرت من أسلحة خمد متنوعة، ومدفعية ميدان بعيدة المدى، بالإضافة إلى قدرة السلاح الجوي الإسرائيلي التي أوضحتها بطياريه المحترفين. اعتقد العدو تمامًا أن مشكلة حائط الصواريخ أمامه قد حلت نهائيًا، وأنه مطمئن لذلك تمامًا. وأود قبل أن أترك هذا الفصل أن أشير إلى أن العدو لم يضع في حسابه حلولاً أخرى، وأعنى بها هنا مهاجمة حائط الصواريخ بالدبابات كما حدث في حرب أكتوبر ٧٣، فليجوزه إلى ذلك لحل لم يكن واردًا في تقديره وإنما لجأ العدو إلى ذلك عندما أعيتته الحيل لذلك، ووجد أنه أمام معركة خاسرة تمامًا طالما أن قواته الجوية أصيبت بهزيمة ساحقة، وأن استعواضه لخسائره في الطائرات الذي بدأ يوم ١٠ / ١٠ / ٧٣ من الولايات المتحدة لن يجعله أحسن حظًا في قتال الأيام التالية عن سابقتها طالما أن حائط الصواريخ باقٍ، وقد تحطمت أمامه جميع الهجمات الجوية. فكان لابد من فكر جديد، فكر يهدف إلى العودة بالمعركة إلى العقيدة القتالية الإسرائيلية، ألا وهى قتال الطائرة والدبابة، فكان ذلك الهجوم الذى وقع ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر، والذى أدى إلى عبور القناة في منطقة الديفر سوار والذى كان يهدف أول ما يهدف إلى تدمير حائط الصواريخ بالدبابات؛ كي تمتلك القوات الجوية حرية القتال في المعركة. ولكن هل تم للعدو النجاح. هذا ما سيوضح فيما بعد.

الباب الرابع

الإعداد والاستعداد

الفصل العاشر

إعداد حائط الصواريخ

خلفية الإعداد

حتى نهاية عام ١٩٧٠ لم تكن هناك خطة معمول بها سوى الخطة الدفاعية، و التي تعرف باسم الخطة ٢٠٠. وكان وضع وحدات حائط الصواريخ على طول المواجهة يحقق للوحدات وقاية تامة ضد هجمات العدو الجوية في حالة قيامه بالهجوم واقتحام قناة السويس والعبور إلى الضفة الغربية. غير أن الموقف سرعان ما تبدل مع أوائل عام ١٩٧١، وبدأ التفكير يتجه نحو القيام بعمليات هجومية، ومن ثم أخذ التخطيط مجراه على جميع المستويات، وأيا كانت الخطط التي وضعت في ذلك الوقت، فإنها كلها لم تتعد في أغراضها سوى الاستيلاء على شريط ضيق من الأرض، يتراوح عرضه ما بين عدة مئات من الأمتار إلى كيلو مترًا أو أكثر قليلا، وأيا كانت الأسماء التي أطلقت على هذه الخطط من المحدودة في مارس ١٩٧١، إلى المآذن العالية في يوليو ١٩٧١، إلى جرانيت، وإلى جرانيت ٢ في عام ١٩٧٢، إلى جرانيت المعدلة في عام ١٩٧٣ _ فإن طابع دفاعات العدو على الضفة الشرقية والصعاب التي تكتشف، اقتحام قناة السويس، ذلك المانع المائى الصعب في وجه أكبر قوة جوية، والخسائر المنتظر أن تتكبدها القوات، والتي قدّرت على أحسن الفروض بما لا يقل عن ٢٥٠٠٠ شهيد وجريح، كل ذلك جعل التفكير دائما يتجه إلى أن تكون أغراض أية عملية هجومية محدودة للغاية، تجنبًا لزيادة الخسائر في الأفراد، وكان التفكير في وقاية القوات في أثناء العبور ضد هجمات العدو الجوية يعتمد أساسًا في هذه الخطط على حائط الصواريخ، وكان من السهل على حائط

الصواريخ تنفيذ هذه المهمة القتالية من مواقعه على بعد ١٨ كم غرب القناة أو من مواقعه الأكثر قرباً من القناة وما أكثرها، إذ كان قد تم خلال أواخر ١٩٧٠ و أوائل ١٩٧١ بناء عدة مواقع على مسافات تتراوح بين ٦ إلى ١٢ كيلو متراً من القناة. ورغم أن الغرض الذى كانت تهدف إليه هذه الخطط بسيط ومحدود فإن الثقة في إمكان تنفيذها و ضمان نجاحها كان أمراً غير مؤكد تماماً، وذلك راجع إلى عدم الثقة التى كانت تسود القيادات المختلفة التى كان لهزيمة ١٩٦٧ م بالإضافة إلى الحرب النفسية البشعة التى شنّها العدو أثار كان لها أثر كبير في إيجاد ذلك الإفراط في التشاؤم، والنظر إلى الأمور بمنظار أسود.

إن الخوف من السلاح الجوى الإسرائيلى كان هو الرعب المسيطر على كل تفكير، كما كان العامل الأساسى في عدم الإقدام على تنفيذ أى تخطيط خوفاً من الخسائر المتوقعة والتى سبق الإشارة إلى حجمها، لقد أدى عامل عدم الثقة إلى التفكير في عدم إمكان القيام بهجوم ناجح وعبور القناة والاستيلاء على خط بارليف دون معاونة قوية من القوات الجوية المصرية، ويعنى ذلك الزج بها في المعركة وهى وقتئذ لم تستكمل بناؤها، حقيقة لقد كان متوفراً لدينا أعداد كبيرة من الطائرات من طراز ميج، وسوخوى أن هذه النوعيات تعتبر دون المستوى المطلوب في معركة هجومية. لقد كان يتسنى البناء وجود قاذفة مقاتلة حديثة تعادل الفانتوم، وبأعداد مناسبة حتى يمكنها أن تقوم بدور القصف الأرضى، ومحاولة القوات في المعركة الهجومية المنتظرة، أضف إلى ذلك عدم الثقة المتولدة لدى القادة من عدم قدرة الصواريخ على توفير الوقاية ضد هجمات القوات الجوية الإسرائيلية، ما كان يتردد علناً بين كبار القادة من قولهم إذا تمكن حائط الصواريخ أن يهش عنا الغربان - يقصد بذلك الطيران فلا شك أننا يمكننا تنفيذ العبور والاستيلاء على النقاط الحصينة في خط بارليف، إلا أن ثقتنا في الصواريخ وما رأينا منها خلال معارك حرب الاستنزاف يوحى بأنها لن تكون أسعد حظاً مما كانت، وسيؤدى ذلك في النهاية إلى تعاظم الخسائر، وقد يؤدى في النهاية إلى فشل العملية كلها.

وفي ضوء ما سبق كان من الضروري القيام بعملية هجومية ناجحة لتحرير سيناء أن تعمل مصر على تزويد قواتها الجوية بقاذفة مقاتلة جديدة، وفي سبيل ذلك بذلت

محاولات كثيرة للحصول من الاتحاد السوفيتى على طائرة حديثة، ولديه منها عدة أنواع، وقد وعد الاتحاد السوفيتى فى أوائل عام ١٩٧١ بإعطاء لواء قاذفات مقاتلة إلا أن هذا الوعد لم ير النور بعد ذلك، وعلى ذلك بقيت مشكلة تحرير الأرض المحتلة فى حاجة إلى إيجاد حل، ولم يكن هذا الحل سوى استخدام حائط الصواريخ فى وقاية القوات أثناء قيامها بعملياتها الهجومية، ولكن كيف يتم ذلك ونوعية المعدات المتوفرة لدينا ثقيلة صعبة التحرك ومن نوعيات متأخرة ؟ وكان من المتوقع عدم إمكان متابعتها للقوات وخاصة فى العمليات المتحركة مما يجعل القوات تخرج خارج نطاق التغطية التى يوفرها حائط الصواريخ، ومن هنا ظهرت الحاجة إلى وجود نوعيات من الصواريخ المتحركة وقد تم طلب هذا النوع من الاتحاد السوفيتى ووافق فعلا على إمدادنا بعدد (٣) لواءات صواريخ سام ٦، وتم إرسال الأفراد للتدريب فى الاتحاد السوفيتى، ووصل اللواء الأول إلى مصر فى ديسمبر ١٩٧٢.

ولم يكن مستوى أفراد ضباطاً وجنوداً بأسعد حال من غيرهم من الوحدات التى تم تدريبها فى الاتحاد السوفيتى قبل ذلك، لقد كانوا على دراية محدودة نظرياً وعملياً وليست لديهم أى خبرة قتالية، وكان أمر تدريبهم فى مصر أمراً ضرورياً، واستلزم ذلك طبعاً وجود عدد من الخبراء لإتمام التدريب، أما اللواء الثانى فقد وصل فى منتصف عام ١٩٧٣. أما الثالث فقد وصل قبل المعركة بأيام قلائل، ولم يشترك فى المعركة.

فى أواخر سبتمبر ١٩٧٠ بدأت فكرة استخدام حائط الصواريخ فى وقاية القوات فى أثناء العملية الهجومية تظهر إلى حيز الوجود خلال أحد المشروعات الجوية، ولم يكن هذا الفكر مفاجئاً لنا بقدر ما كان جديداً، لم يكن مفاجأة لأننا منذ بدء فترة وقف إطلاق النار فى أغسطس ١٩٧٠ اتجه التفكير المحلى إلى إمكان استخدام وحدات الصواريخ فى وقاية القوات فى المعركة الهجومية المنتظرة، ولقد قادنا إلى ذلك التفكير شعورنا بضعف الأمل فى الحصول على قاذفة مقاتلة جديدة وبالأعداد الكافية لحل المشكلة بالإضافة إلى ما صاحب المبادرة الأمريكية من ظواهر التعثر، تلك المبادرة المعروفة بمبادرة روجرز، وتضاؤل الأمل فى انسحاب إسرائيل.

لقد احتل هذا التفكير جزءاً كبيراً من مناقشاتنا، وانقسمت الآراء ما بين مؤيد يتحفظ هذا الأسلوب وبين معارض تماماً على طول الخط، وخلال إجراء أحد المشروعات التعبوية ظهر الكثير من العقبات في إمكان تنفيذ مثل هذا الأسلوب، فالواجهة التي ستعمل عليها الجيوش الميدانية واسعة، ومحاور تقدمها في سيناء محددة بالطرق، وهذه المحاور متباعدة عن بعضها، والأرض رملية ناعمة شرق القناة يصعب التحرك عليها للعربات العادية فما بالك بمعدات ثقيلة مثل هذه المعدات ومطلوب تحريكها على مثل هذه الأراضي، كثير من المشكلات والصعوبات آخرها عدم ملائمة تشكيل قتال حائط الصواريخ لتنفيذ المهمة، ولاقتناعي بالفكرة ذلك الاقتناع النابع لا من سلامة الاستخدام التكتيكي بقدر ما هو نابع أن هذا هو الأسلوب الوحيد الذي أمامنا، هذا هو السلاح الذي في أيدينا، والذي سنحقق به المهمة التي ستوكل إلينا وليس أمامنا خيار، كان لابد من أن نعطي الأمر أهمية والموضوع جديته، فبدأنا نعمل بهدوء ونحسب ونخطط وندقق ونراجع نقنع ونقنع، تارة نؤيد الفكرة وتارة نعارض الفكرة، بحر متلاطم من الآراء والأفكار، ونقاش جاد يشور أحياناً فيظهر الأفق معتماً ويهدأ أحياناً فتتضح ملامح الفجر الجديد. ومن خلال مناقشاتنا التي لا تنقطع التقط الخبراء الروس ذلك الفكر وبدءوا هم في إقناع القيادات المسئولة به، متظاهرين بأن ذلك هو الحل للتغلب على مشكلة النقص في القوات الجوية، وفاتهم أن قيادتنا لم تكن بمنأى عن تلك التيارات الفكرية التي كانت سائدة في قيادة حائط الصواريخ. حقيقة لم تكن مقتنعة بإمكان تنفيذ ذلك بل كانت تعتبر ذلك ضرباً من الخيال، ولكن أمام التصميم والإقناع أخذ الموقف يلين رويداً إلى أن وصل إلى درجة الإقناع المشوب بالحذر. هذه هي خلفية الإعداد من الناحية العسكرية. أما الناحية السياسية تلك الناحية التي تحدد استراتيجية المعركة - أغراضها - توقعاتها - مدتها - المؤثرات الدولية والمحلية - النتائج المتوقعة، وأخيراً وليس آخراً الآثار الناجمة عن الحرب اقتصادياً واجتماعياً وسياسياً وعسكرياً، هذا النوع من الاستراتيجية هو ما يسمى بالاستراتيجية العليا، لقد كان واضحاً تماماً بعد أن تولى الرئيس محمد أنور السادات مهام منصبه أن التصميم على المعركة كمبرج نهائي للموقف المتجمد أمر لا بديل له.

لقد كثرت زيارات الرئيس للجهة، وفي كل مرة كان يطلب من القوات البقطة واستكمال الاستعداد للمعركة، مطالبًا القادة العمل دائمًا على رفع مستوى تدريب قواتهم وإعدادهم لمعركة شرسة ستتم حتمًا بيننا وبين العدو. كان لهذا التوجيه السياسي أثره الكبير في نفوس الضباط والجنود، ولك أن تتصور ما تعنيه كلمة معركة شرسة، وما تتطلبه من إعداد للقوات، لا شك أن الوقوف أمام عدو يمتلك قوة جوية ضخمة وحديثة، ولديه أمهر طيارين في العالم يستلزم مقاتلا من نوع خاص، يتطلب قادة على مختلف المستويات من نوع خاص، وقد تمكنا والحمد لله من الوصول إليهم وكان سبيلنا في ذلك الإيمان بالله والوطن، والعمل الذي لا يعرف الملل أو الكلل، وكانت غايتنا جميعًا النصر أو الشهادة لا نبغى فيما نعمل سوى وجه الله ومرضاته.

لقد كانت المجلات العلمية الأجنبية التي نقرأها تنفث سموها فيما تكتب عن نوعية الصواريخ التي تمتلكها، وعدم قدرتها على التصدي للسلاح الجوي الإسرائيلي، وكانت تسوق للتدليل على صحة ما تعرض من آراء، تلك المعارك التي دارت في جنوب شرق آسيا في فيتنام، ففي عام ١٩٧١ تمكنت قوات جنود الجو الأمريكية من مهاجمة العديد من كتائب الصواريخ وتدميرها في عملية إبرار ليلية، وذلك تحت ستر مظلات جوية قوية، وكانت مثل هذه العمليات أحد الحلول التي يمكن أن يتبعها العدو ضد حائط الصواريخ، وفي ديسمبر ١٩٧٢ عندما تعثرت مباحثات باريس قامت القوات الجوية الأمريكية بأكبر عمليات جوية في شرق آسيا، صمد خلالها الدفاع الجوي الفيتنامي لأيام محدودة ثم انهار بعدها، وتحقق الغرض السياسي الذي كانت تهدف إليه أمريكا بتوقيع الفيتناميين على شروط صلح باريس، وكانت النوعيات التي لدى الفيتناميين هي نفسها النوعيات الموجودة لدينا وبنفس الكثافة الموجودة مع اختلاف المواجهات.

أما في الجانب الآخر فكان العدو يعد قواته الجوية لحسم المعركة منذ بدئها، وكان سبيله في ذلك تدريب شاق ومستمر ليلا ونهارًا، وتزويد قواته الجوية بأحدث ما أنتجته الترسانة الأمريكية من أسلحة للدمار ومعدات إلكترونية.

وفي ضوء ما أوضحناه من عوامل كان لا بد من أن يتفق إعداد قوات حائط الصواريخ مع التصميم المستمر على حتمية المعركة ومع قدرة السلاح الجوي الإسرائيلي،

مع التقدير السليم الواضح للمسئولية الملقاة على عاتقنا، لتوفير الوقاية لجيشين ميدانيين سيقومان بالهجوم عبر أكبر مانع مائى عرفه التاريخ في وجه مقاومة قوية تنبع من خط بارليف، والاحتياطات القوية من المدرعات التى يحشدتها العدو فى المنطقة التكتيكية وخلفها. كان لا بد أن نضع فى الاعتبار عند التخطيط للإعداد حالة المعدات التى فى أيدينا، حالتها الفنية، قدرتها التكتيكية على وقاية القوات فى الهجوم، فليست هذه أول مرة فى تاريخ الحروب التى تستخدم فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو بهذه الكثافة العالية فقط وإنما أيضًا الأول مرة فى تاريخ الحروب تستخدم فيها الصواريخ الموجهة أرض - جو فى وقاية عملية هجومية كبرى تشمل اقتحام قناة السويس وهزيمة العدو وتدميره فى سيناء، ولا شك أن المهمة ما أسهلها إذا كانت المعدات مصممة أصلاً لتنفيذ مثل هذا الواجب، ولكن على العكس من ذلك، فالمعدات التى فى أيدينا مصممة أصلاً للدفاع عن القواعد الثابتة مثل المراكز السياسية (القاهرة مثلاً)، المناطق الصناعية، عقد المواصلات المهمة ولكنها لم تصمم للدفاع عن القوات فى الميدان. وكان لا بد أن نضع أمام أعيننا عند الإعداد أن الحرب المقبلة ستكون أول الحرب الإلكترونية فى التاريخ، فإسرائيل حشدت من المعدات الإلكترونية الكثير من المعدات والوسائل لتدمير حائط الصواريخ من الوهلة الأولى، وإحالة الهجوم المصرى إلى كارثة كما كانوا يتصورون ويذيعون.

إن إعداد أية قوات مسلحة للحرب فى زمن السلم تعتبر عملية صعبة، وإن كانت خالية من التعقيد، فالعدو الذى يجرى الإعداد لقتاله محدود الإمكانيات والوسائل، وأسلوب تطويرها واضح معروف، وعلى العكس فإن إعداد أية قوات عسكرية للمعركة تحت ظروف القتال سواء أكان محتدماً أم متوقفاً ما هى إلا عملية شاقة ومضنية، فإمكانات العدو ووسائله لا تستقر أوضاعها، فهى دائمة التغير والتطوير، وكثيراً مما يتم فيها لا يمكن معرفته إلا متأخراً، إذ يحاول العدو بكل الوسائل إخفاء ما يتم، لإحراز المفاجأة فى ضربته الأولى.

هذه هى الظروف التى تحيط بالإعداد بشكل عام. أما بالنسبة لحائط الصواريخ فإن عملية إعداداته كانت تعتبر أكثر من شاقة ومضنية إذ كان من الواجب أن يتم الإعداد

مع استمرار الاستعداد، فالعدو غادر ولا يؤتمن جانبه، وأى نجاح من جانبه لا يؤثر على معنويات الجبهة الداخلية فقط بل على معنويات القوات المسلحة، تلك المعنويات التي أمكن استعادتها بعد قتال يوليو ١٩٧٠، ولكن كيف تم إعداد حائط الصواريخ بحيث أمكنه أن يقلب موازين القوى منذ بدأت المعركة وأن يجعل العالم كله يقف حائراً أمام النتائج التي تحصل عليها، والتي جعلت الدول الكبرى ترصد مئات الملايين من الجنيهات لدراسة نتائج حرب الصواريخ والتعرف على أسباب النجاح ومحاولة إيجاد الحلول أو الأسلحة اللازمة للتغلب على الصواريخ الموجهة أرض - جو في المستقبل، وللتدليل على صحة ذلك ما ذكره أحد القادة العسكريين الإسرائيليين في تحليله لحرب يوم الغفران تعليقاً على بيان كل من الجنرال ديان والجنرال دافيد إيعازر. لقد ذكر الجنرال ديان عقب قيام الحرب مباشرة أن إسرائيل قادرة على إلحاق هزيمة مججلة بالعرب، بل قادرة على سحق عظامهم مؤكداً أن النصر لا يتطلب بضعة شهور أو أسابيع أو حتى بضعة أيام، أما الجنرال دافيد إيعازر رئيس الأركان، فقد أعلن أمام الصحفيين مساء ٨ أكتوبر ١٩٧٣ بعد أن عرض الموقف إجمالاً بأن إسرائيل قادرة على طرد العدو وملاحقته وسحق غطرسته، لقد علق القائد العسكري الإسرائيلي على ذلك بأن هذه التصريحات أدت إلى أن باتت إسرائيل تغط في نومها يوم الإثنين، وهى تنتظر أن ينكشف بين لحظة وأخرى أبعاد النصر الهائل الذى وعدت به. ولكن ماذا حدث؟ تحطمت عشرات من الطائرات في بضع دقائق أمام حائط الصواريخ، لم يقذف جسر واحد، وطاشت جميع الهجمات، ولم تتمكن من الوصول إلى الجسور، هذا شكل أقوالهم ولكن أهمها وأخطرها ما صرح به ديان يوم ٩ أكتوبر ١٩٧٣ عندما اتضحت حقيقة المأساة وشكل الهزيمة التى حاقت بالسلاح الجوى الإسرائيلى، خاصة ذلك التصريح الذى اعترف فيه أنه فى اليومين الأولين تم تحييد السلاح الجوى الإسرائيلى، وأن إسرائيل خسرت فى اليومين الأولين للقتال ٦٠ طائرة بواسطة حائط الصواريخ المصرية، منها ٣٦ طائرة فانتوم و ٢٤ طائرة سكاي هوك. هذا الحديث الذى تدخلت الحكومة الإسرائيلية لمنع تسريه، لأنها أدركت مدى تأثير نشر ما يعتبره البعض نهاية العالم، ورغم ذلك فقد تسرب لعدد من المراسلين الأجانب، وكان ذلك سبباً فى أن أسند الإعلام إلى الجنرال أهارون ياريف، الذى قال إن هذه الحرب ستكون صعبة وطويلة الأجل.

لاشك أن هذا النجاح الذى أحرزه حائط الصواريخ منذ اللحظة الأولى لبدء القتال لم يكن وليد المصادفة، بل كان نتيجة لجهد كبير وعمل شاق متواصل قام به جميع هؤلاء الرجال الذين كانوا يعلمون فى حائط الصواريخ، وفى معرض هذا الإعداد تم العديد من الدراسات والتجهيزات والإجراءات التى قادت فى النهاية إلى هزيمة القوات الجوية الإسرائيلية، وسنلقى الضوء على عناصر الإعداد بالقدر الذى تقتضيه النواحي العسكرية من سرية وأمن.

إن استخدام حائط الصواريخ فى وقاية الجيوش الميدانية كأى فكر عسكرى جديد إنما ينبع أول ما ينبع من فكر رجال حائط الصواريخ، ذلك الفكر الذى انبثق من بعد النظر والقدرة على التنبؤ، ذلك البعد والقدرة اللذين صقلتهما خبرة حرب الاستنزاف والإيمان المطلق بالمقاتل المصرى. ولضمان نجاح أى فكر عسكرى جديد قبل تطبيقه كان من الضرورى إجراء العديد من الدراسات، للتثبيت من صحته والتعرف على نقاط ضعفه وقوته، وهذا هو ما حدث تمامًا بالنسبة لحائط الصواريخ. لقد أخذت الدراسات طريقها لتحديد أفضل أسلوب للوقاية يمكن أن يقوم به حائط الصواريخ فى المعركة الهجومية المنتظرة، وهنا ظهر كثير من المشكلات كان أبرزها.

أ- عدد الوحدات اللازمة لذلك الغرض فى ضوء اتساع مواجهة الهجوم واتجاه الضربات الرئيسية لقواتنا.

ب- أنسب تشكيل للقتال يمكن أن يتخذه حائط الصواريخ حتى يكون قادرًا على أن ينفذ مهام الوقاية للقوات، ووقاية المعابر على القناة، وذلك طول العملية الهجومية دون الحاجة إلى إجراء العديد من عمليات إعادة التجميع خلال العملية.

ج- أفضل أسلوب للانتقال خلف القوات، بحيث يتيسر عدد كافٍ من الوحدات يمكنه صد هجوم العدو الجوى وتدميره خلال العملية الهجومية سواء فى مراحلها الأولى التى تتسم بصغر عمق المهام اليومية أو فى مراحلها النهائية بعد انطلاق المدرعات لتدمير العدو والقضاء عليه، وتحقيق مهمة القوات المسلحة من العملية الهجومية.

د- تعرض حائط الصواريخ عند انتقاله شرق القناة نظرًا لعدم وجود مواقع محصنة أو مسبقة الصنع من تلك الموجودة غرب القناة، والحاجة إلى ضرورة توفير الوقاية

للمعدات والأفراد، وتحديد نوعية الوقاية الممكنة في ضوء الزمن المتيسر، وبالتالي تحديد نوعية وكمية المعدات الهندسية اللازمة لذلك.

هـ- أسلوب قيادة حائط الصواريخ وهو يغطي مواجهة الجيشين الميدانيين، ويتشكل من العديد من الوحدات، ومطلوب منه تحقيق الكثير من المهام، فمن وقاية المطارات الأمامية إلى وقاية المعابر على القناة، إلى المهمة الأساسية ألا وهي وقاية الجيشين الميدانيين خلال العملية الهجومية، وحتى تحقيق مهمة القوات المسلحة، فلو أضفنا إلى ذلك أن الفرقة الثامنة (دفاع جوى) تعتبر إحدى التشكيلات التعبوية في قوات الدفاع الجوى، ولا تدخل في تجميع الجيوش الميدانية، وبحكم وجودها في مسرح القتال واشتراكها معها في العملية الهجومية، إنها ستقوم بأصعب وأكبر مهمة ألا وهي وقاية الجيشين ضد هجمات الطيران الإسرائيلي - لوجدنا أنه من اللازم إيجاد علاقة قوية وأسلوب متين لربط هذا التشكيل التعبوى بالجيشين الميدانيين.

وفي هذا المضمار فقط دارت الدراسات العديدة وتشعبت، واتخذت أكثر من أسلوب وتم إجراء التجارب عليها، إلا أنه في النهاية تم الاستقرار على استخدام الأسلوب، الذى وضعته قيادة حائط الصواريخ ووافقت عليه بعناد وإصرار، وأثبتت الحرب فعلا صحته وسلامته.

و- دراسة أفضل الطرق لإدارة النيران، ويشمل ذلك فيما يشمل أسلوب الإنذار ضد العدو الجوى، أسلوب قيادة الوحدات والوحدات الفرعية، أسلوب استخدامها ضد العدو وضد أسلحة خمدته المختلفة وكيفية الاستفادة أفضل أستفادة من النوعيات المختلفة من الصواريخ الموجهة أرض - جو، ويعنى ذلك استخدام كل نوعية مع أفضل عد وملائم لها كذا أسلوب الوقاية المتبادلة بين الوحدات وكيفية تحقيقها سواء عند قيام العدو بضربه الوقائية أو أثناء توفير الوقاية للقوات، واضعين في الاعتبار النقط - والأساليب التى سيضعها العدو في الاعتبار.

ز- تأثير الأرض على حركة وحدات الصواريخ، وكما قلت سابقاً الأرض شرق القناة حتى السلسلة الغربية للحائط الغربى، والذى يشمل ممرى والأرض رملية ناعمة يصعب التحرك عليها إذ تتخللها الكثبان الرملية التى لا يمكن التحرك عليها لأى

نوع من الحملات، وكان المطلوب هو دراسة الأرض تمامًا ومعرفة طرق تحرك الوحدات والأماكن التي يمكن احتلالها شرقًا؟، وفي هذا الصدد كان لابد من وضع وزن المعدات وكبر حجمها في الاعتبار، وإيجاد أسلوب ييسر لها قدرًا من خفة المعركة، وييسر لها العمل مع القوات وتوفير وقايتها أثناء تقدمها، وتبعًا لذلك الطلب وضع تنظيم خاص للقتال تم فيه تحديد عدد الأفراد والمعدات وفقًا للمهام المطلوبة، كما تم تجهيز الوحدات بأنواع من الجرارات قادرة على السير في الأراضي الرملية الناعمة، ويكفى أن تعلم أن عدد الجرارات الجزيزير في الفرقة الثامنة (دفاع جوى) - وهو نوع واحد من الجرارات - يعادل عدد الجرارات الموجودة في فرقتين مدرعتين تقريبًا.

ح - أسلوب استهلاك الصواريخ خلال المعركة، والموجود منها وإن كان كثيرًا إلا أنه بالنسبة لعملية هجومية كبيرة مثل هذه العملية يعتبر محدودًا، وقد يحدث في أثناء القتال نقص في نوع معين منها دون البعض الآخر، وفي قطاع دون غيره، وقد حدوث ذلك فعلاً، فلو أضفنا إلى ذلك أنه ليس من المنتظر أن يصل أى إمداد من الخراج أثناء القتال لاتضح لنا بجلاء القدر من المعاناة الذى واجهنا في الدراسة لإيجاد الحلول التبادلية للاحتتمالات المنتظرة، وقد قادنا أسلوب استهلاك الصواريخ إلى مشكلة أكبر كان لابد لها من حل سريع ألا وهو أسلوب الإمداد بالصواريخ، والوحدات المخصصة للإمداد تقع على مسافات كبيرة خلف الوحدات، ولا يمكن أن تحتفظ الوحدات بعدد كبير من الصواريخ في حوزتها، إذ أنها ستكون معرفة لأعمال العدو برية أو جوية، أنها ستكون عرضة للتلف بمرور الأيام نتيجة للعوامل الجوية المختلفة، بالإضافة إلى أنه لا يمكن أن يتم توزيع الصواريخ على الوحدات بالتعاون واستهلاك كل وحدة في المعركة يختلف من الأخرى، وبذلك وفقاً لدورها ومكانها من المعركة، وفي هذا السبيل كان لابد أن يكون هناك تصور دقيق للمعركة، سواء غرب القناة أو شرقها، حتى يمكن على ضوء ذلك التصور وضع الحسابات الدقيقة لعملية الإمداد، ويكفى أن نعلم أن الصاروخ عند تجهيزه للقتال يمر

بمراحل عديدة من تجميع الأجزاء إلى ملئه بالوقود، إلى اختبار مكوناته كلها، ثم دفعه إلى كتيبة الصواريخ، وكل ذلك يستغرق زمناً غير قليل، كما يجب أن نعرف عدم وجود صواريخ في كتيبة الصواريخ يؤدي إلى خفض معنويات رجالها كما يجعلها في الوقت نفسه طعاماً سائغاً للعدو، يسهل عليه اقتراسها إذا أمكنه ملاحظة توقفها عن الاشتباك معه لذلك السبب.

هذه هي المشكلات البارزة - وهي قليل من كثير من المشكلات - التي واجهت قيادة حائط الصواريخ، ولم يكن أمام القيادة لحل هذه المشكلات سوى دراستها بعمق وترو، ووضع الحلول المناسبة، واضعين في الاعتبار أن الحذر لن يوصل إلى المخاطرة والحرب في طبيعتها مخاطرة، وأن المجازفة المحسوبة هي أفضل الطرق للنجاح.

لقد مكنتنا فترة الإعداد من تطبيق معظم الدراسات قبل بدء المعركة، بالمشروعات التدريبية المختلفة، وقد أثبتت كلها والحمد لله سلامتها إلى حد بعيد أو استلزم الأمر إدخال بعض التعديلات الطفيفة عليها.

إما عن التجهيزات فقد شملت الكثير وكلها تخدم التشكيل لإعدادة للمعركة المنتظرة، ولست مغالياً إذا قلت إنه تم الاتفاق على هذه التجهيزات بسخاء منقطع النظير، وأهم هذه التجهيزات التجهيزات الإشارية، وهي عصب القيادة والسيطرة، الناجحة على الوحدات تقود في النهاية إلى النجاح في المعركة إذا اتصفت الوحدات بالكفاءة القتالية العالية، وهذا هو ما كنا نهدف إليه ونسعى إلى تحقيقه في حائط الصواريخ.

لقد تم تزويد حائط الصواريخ بشبكة ضخمة من المواصلات الخطية وأعداد كبيرة من المواصلات اللاسلكية المختلفة تكلفت عشرات الملايين من الجنيهات ويكفى أن تعلم أنه تم مد كابلات لحائط الصواريخ بلغت أطوالها عدة مئات من الكيلو مترات، وأن عدد الأجهزة اللاسلكية المختلفة التي كانت تعمل في حائط الصواريخ تعادل أكثر من أضعاف تلك الموجودة في جيش ميداني.

لقد ذكرت هذه الأعداد لأوضح حجم المواصلات التي كانت تخدم حائط الصواريخ في أثناء المعركة، فالمواصلات في معركة الدفاع الجوي تعتبر العصب الرئيسي للمعركة، فهي التي عن طريقها تقاد أعمال وحدات الرادار والمراقبة بالنظر والصواريخ، ويتم عن طريقها أيضًا تبادل المعلومات مع القوات الجوية والجيش الميدانية وفرق الدفاع الجوي الأخرى.

لقد كانت قيادة حائط الصواريخ تعمل لكل احتمال حسابه حتى أسوأ الاحتمالات، وقد مكنتها هذا التقدير من فرض السيطرة المستمرة على وحداتها غربًا وشرقًا حتى تنفيذ وقف إطلاق النار الفعلي يوم ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ م يلي ذلك في الأهمية التجهيزات الإدارية، وهي ذات نواح متشعبة، وفيها تم تزويد الوحدات بكل متطلباتها اللازمة للمعركة من وقود وتعيينات ومهمات، وفي سبيل تحقيق خفة الحركة للوحدات لتمكينها من إتمام المناورة اليومية أو التقدم خلف القوات لوقايتها تم تجهيز الوحدات بنوعيات معينة من مختلف الاحتياجات الإدارية تتميز بخفة وزنها وصغر حجمها.

تأتى بعد ذلك التجهيزات الهندسية، ونظرًا لارتباطها المباشر بوقاية المعدات والأفراد، فقد احتلت - هذه التجهيزات - جانبًا كبيرًا من الاهتمام، وأخذت مجهودًا كبيرًا ومضنيًا قامت به وحدات المهندسين العسكريين لحائط الصواريخ، ونظرًا لتعدد هذه العمال فسأتي على المهم منها.

كان من الضروري استكمال المواقع غرب القناة، وكما سبق أن ذكرت من قبل، فلقد أقمنا عدة خلال النصف الثاني من عام ١٩٧٠، والنصف الأول من عام ١٩٧١، ولما استقر الفكر العسكري في استخدام حائط الصواريخ في وقاية القوات في العملية الهجومية وجد أنه من المناسب بناء مواقع متقدمة أكثر قربًا للقناة على أن تكون من النوع المحصن، وفعلا تم اختيار هذه المواقع، وتراوحت مسافات ما بين عدة مئات من الأمتار في مناطق عديدة مثل: الشلوفة - الدفرسوار - الفردان - القنطرة وإلى كيلو مترات محدودة لم تزد في أبعادها عن ثلاثة كيلو مترات، مواقع من النوع الذى يوفر الوقاية التامة للأفراد والمعدات.

لقد أدت هذه المواقع دورًا كبيرًا في معركة العاشر من رمضان إذا احتلتها وحدت الصواريخ ليلة ٧/ ٨ أكتوبر ١٩٧٣، واستمرت بها أحد عشر يومًا حتى صباح يوم

١٩ أكتوبر، ذلك في بعض القطاعات، في حين استمرت في البعض الآخر حتى يوم ١٠ / ٢٥ / ١٩٧٣، ومن هذه المواقع أمكن الوحدات الصواريخ أن تقدم الوقاية للقوات تمامًا وتغطي بصواريخها جميع المواجهة حتى الطريق العرضي الذي يمتد بحذاء القناة تقريبًا في الشرق، وعلى بعد ٣٠ كم منها مارًا من بالوظة على ساحل البحر الأبيض المتوسط إلى الطاسة على طريق الإسماعيلية التقسيمة إلى رأس سدر على الساحل الشرقي لخليج السويس في مواجهة العين السخنة في الغرب.

لقد بدأت إنشاء هذه المواقع في أوائل عام ١٩٧٢، وانتهى العمل منها في آخر عام ١٩٧٢، ومنذ بدأ العمل فيها لم يهدأ نشاط العدو الاستطلاعي سواء بعنصرة البرية من الشرق أو قواته الجوية فلقد كان الانتهاء منها نذيرًا بقرب الهجوم المصري المنتظر، ولقد صرحت جولدا مائير رئيسة وزراء إسرائيل عند العمل في هذه المواقع أن المصريين يقومون ببناء مواقع جديدة للصواريخ على القناة مباشرة ولم يفهم ما لديهم من مواقع لدرجة أنه لا يوجد لديهم مكان غرب القناة لم يقيموا فيه مواقع لصواريخهم إلا أنه مهما فعل المصريون فإننا قادرون على إلقائهم في المساء لو حاولوا عبور القناة.

لقد حاولت إسرائيل أن تحصل على أسلحة قادرة على التعامل بنجاح مع حائط الصواريخ، فلقد كان هذا الحائط هو الشغل الشاغل ومحل دراستها الدائمة، وقد كانت إسرائيل بجانب إعدادها لقواتها الجوية نوعًا وعددًا وتدريبًا تعد أسلحة مناسبة لتدمير حائط الصواريخ وتحييده وإخراجه خارج المعركة حتى تمتلك السيادة الجوية فوق أرض المعركة، وكان من ضمن الأسلحة التي أعدتها للتعامل مع حائط الصواريخ الصواريخ الموجهة من الجو إلى الأرض مثل الصاروخ شرايك وما فريك والقنبلة زنة ٤٠٠ رطل والمدفعية بعيدة المدى ١٧٥ مم وكان من الواجب علينا أن لا نترك لهذه الأسلحة أن تحدث الأثر الذي يأمله العدو فيها؛ لذا كان من الواجب أن يكون هناك - بجانب الأسلوب التكتيكي أو الفني الذي تستخدمه الوحدات للتعامل مع العدو - تجهيز هندسي خاص لتقليل الآثار الناتجة عن هذه الأسلحة، وفعلا دارت عجلة التفكير في قيادة حائط الصواريخ، وتمكننا من الوصول إلى أسلوب خاص من التجهيز الهندسي يتلاءم مع إمكانات كل سلاح، وتتلخص جميعها في استخدام السواتر الترابية بسمك

معين، وعلى أن تقام بزوايا وأبعاد خاصة من المعدات تم حسابها بدقة بالإضافة إلى زيادة سمك التكريسات القائمة وتحديد سمك التكريسات التي توضع في مداخل ومخارج الأنفاق الموجودة بها المعدات، لقد تم حساب كل شيء من زواياها المختلفة واضعين في الاعتبار أسلوب استخدام العدو لها والأثر الناتج منه، ومن ثم تم تحديده أنسب تجهيز هندسى يمكن اتباعه لتقليل أثر ذلك سواء على الأفراد أو المعدات لقد يرس الأسلوب العلمى إيجاد حل لكل مشكلة كانت تواجهنا، ونحمد الله - سبحانه وتعالى - على توفيقه لنا، فقد أظهرت الحرب صحة الحلول التي اتبعت مما أدى إلى خسائر محدودة، سواء أكانت في الأفراد أم في المعدات.

لقد مكنتنا دراسة وتحليل أسلوب العدو في مهاجمة كتائب الصواريخ خلال معارك الاستنزاف وقاتل يوليو ١٩٧٠ من أن تغلب على دقة الطيارين الإسرائيليين في مهاجمة كتائب الصواريخ، واتبع في ذلك أسلوب المواقع المتداخلة، ويعنى ذلك أن أن الموقع الواحد يعمل بين أجنابه عدة مواقع أخرى تختار على مسافات وبأشكال هندسية مختلفة تقام وفقاً للتصور المنتظر للهجمة الجوية، وتوضع لها معدات هيكلية تتفق في شكلها وحجمها مع المعدات الحقيقية، وتقام لها نفس التجهيزات الهندسية أسوة بالمواقع الحقيقية، وقد أدى هذا الأسلوب إلى وقاية المواقع التي صفها العدو، كما أدى إلى استنزاف الكثير من عدد طلعاته الجوية وذخيرته بالإضافة إلى زيادة تعرضه لوحداث الصواريخ الحقيقية مما مكنها من تدميره. لقد استلزم إقامة مثل هذه المواقع بمجهوداً ضخماً من وحدات المهندسين العسكريين، سواء في ذلك وحدات الإنشاءات - التي قامت بأعمال إقامة المواقع. أو وحدات الإخفاء التي قامت بوضع المعدات الهيكلية وألبستها ثوباً قشيباً من الحقيقة والواقعية، وذلك بالتفنن في إخفائها حتى أصبح من الصعب على من يراها عن قرب إمكان التفرقة بين المعدات الحقيقية والهيكلية في الموقع الواحد أو بين المواقع الحقيقية الخالية والمواقع الهيكلية الخالية. لقد أدى المجهود الذى بذل في هذا الاتجاه إلى تضحية كاملة لطيارى العدو، مما أدى إلى ذهاب كثير من هجماتهم هباءً دون فائدة في الأيام الأولى للقتال.

بجانب هذا التجهيز الهندسي الذى تم في المواقع الحقيقية كان هناك مجهود مماثل في كثير من مواقع الصواريخ الأخرى، فجميع المواقع غير المحتلة تم إقامة معدات

صاروخية هيكلية بها، ووضعت وفقاً لخطة مدروسة، حتى تتفق مع الشكل المطلوب أن يعرفه العدو في فترة ما من الفترات ولقد استلزم ذلك مجهوداً ضخماً من ناحية التخطيط لتحقيق خداع العدو عن خطة العمليات الحقيقية، كما استلزم أيضاً مجهوداً من وحدات الإخفاء، بل يمكن القول إن ذلك المجهود كان مجهوداً مستمراً، فوضع المعدات عليها سليمة و المناورة بها من حين إلى آخر بمعدل يتراوح بين ١٠-١٥ كتيبة صواريخ شهرياً، بل قد يزداد ذلك المعدل ويصل إلى ٤-٥ كتائب صواريخ يومياً، وإكسابها الشكل المناسب للمعدات الحقيقية وإخفائها عن المراقبة الأرضية والجوية بنفس أسلوب الإخفاء المتبع في المواقع الحقيقية، كل ذلك استلزم مجهوداً كبيراً ومستمراً من وحدات الإخفاء، تلك الوحدات التي كان لمجهودها العادى الذى أسهمت به أثر كبير في نجاح خطة الخداع التعبوى التي وضعتها قيادة حائط الصواريخ، والتي أثبتت حرب أكتوبر أنها نجحت أيما نجاح، كما سنوضحه فيما بعد، وللتدليل على مدى عظم التجهيز الهندسى الذى قامت به وحدات المهندسين أسوق الأعمال التى قامت بها خلال عام ١٩٧٢ على سبيل المثال، إذ وصل حجم الأعمال الهندسية التى تمت إلى :-

أعمال حفر وردم ١١٣٥٣٨ مترًا مكعبًا

حوائط واقية مبنية بالشكاير ٢٨٥,٣٠٠ شيكارة رمل

إقامة مواقع هيكلية للصواريخ ٨٣ موقع صواريخ سام ٢,٣

إقامة مواقع هيكلية للرادار ١٠٤ موقع رادار من الأنواع المختلفة

إقامة عدة مواقع متداخلة ثنائية، وإقامة مواقع هيكلية بها، وذلك لعدد ٢٠ موقعًا من مواقع كتائب الصواريخ، ولا شك أن ما تم خلال عام ١٩٧٣ كان أكثر من ذلك، وذلك في ضوء الاستعداد الذى كان يتم على قدم وساق للمعركة التى كانت تلوح في الأفق.

كان من الضروري أن أتأكد بنفسى من المواقع الأمامية، تلك المواقع التى ستحتل قبل بدء العملية الهجومية، وتلك التى تقع غرب القناة مباشرة، والتى ستحتل بعد نجاح القوات فى العبور وتكوين رءوس الكبارى المحددة لها فى الشرق وذلك بالمرور عليها ومعى رئيس المهندسين العسكريين وقادة اللواءات للتأكد من فائدة هذه المواقع

وتحديد أسلوب تجهيزها الهندسى، حيث إنها سقف تحت صف مدفعية العدو علاوة على قصفه الجوى، بالإضافة إلى التعرف على المشكلات الموجودة بها، والتي لا يتيسر احتلالها إلا بعد جهد جهيد أو لا تيسره إطلاقاً، وكان من الضروري أن يتم هذا المرور على هذه المواقع بصفة خاصة وباقى المواقع الأخرى، وخاصة المواقع التى يستخدم الخاصة الهجومية للتأكد من أنها جاهزة للاستخدام. وفعلاً لم يأت شهر يوليه ١٩٧٣ إلا كانت كل المواقع جاهزة للعمليات، وأصبح من واجب وحدات المهندسين مداومة المرور عليها، دورياً لإتمام أعمال الصيانة اللازمة لها.

لقد أدى تنفيذ حائط الصواريخ خطة منع العدو من الاقتراب من القناة لمسافة أقل من ١٠ كم بغرض الاستطلاع إلى تحرك كتائب صواريخ للأمام ولما كان احتمال القتال مع العدو أصبح أمراً متوقعاً وجدت من اللازم زيادة التجهيز الهندسى استعداداً لتلقى أى ضربة جوية يقوم بها العدو فعلاً تم خلال شهر يوليو ١٩٧٣ ما يلى :

أ- إتمام أعمال سواتر ترابية بارتفاع ٣، ٢ متر أمام ٦٧ موقع كتيبة صواريخ لوقايتها من ضرب مدفعية الميدان تيار ١٧٥ كم، ١٥٥ كم، وفيها ما هو سيتم احتلاله مستقبلاً وفعلاً للخطة أو تطور العمليات.

ب - عمل مواقع صواريخ متداخلة مع الموقع الأصى ثنائية أو ثلاثية، وفى اتجاه هجوم العدو المنتظر للمواقع، ووضعت بها معدات هيكلية مشابهة تماماً للحقيقة، وذلك فى ١٧ موقعاً.

ج - لقد ألفت طبيعة مسرح القتال ضرب القناة على وحدات المهندسين عبثاً إضافياً جديداً فنظراً لعدم صلاحية الأرض فى معظم أجزاء هذا المسرح لتحرك المعدات الثقيلة، فقد أصبح من الضروري إقامة طرق حجرية أو زاطية لجميع مواقع حائط الصواريخ حتى يسهل عليها تحرك المعدات عند احتلال المواقع وإخلائها، هذه العملية كانت تتم بصفة دائمة تقريباً.

أما عن الإجراءات التى اتبعت فى الإعداد التالى لحائط الصواريخ فقد كانت كثيرة ومتشعبة، ومن أشق ما يمكن، لأنها تمس وقود المعركة الفعلى، ألا وهو الرجال والمعدات.

وكان اعتقادنا بأن المعركة لا يتم كسبها بالسلاح وحده وإنما يتم كسبها بالرجال الذين يعملون خلف هذا السلاح. كان هذا الاعتقاد سبباً في توجيه أكبر اهتمام لهؤلاء الرجال الذين يعملون في وحدات حائط الصواريخ. ولما كانت دوافع القتال لدى الفرد تتأرجح بين الإيجابية والسلبية فيما يختص بالرغبة في الحرب أصبح من الضروري العمل على تنمية الدوافع العدوانية لدى الأفراد، وكان سبيلنا في ذلك هو الإيمان بالله، ثم الإيمان بالوطن، وقد كان لنا في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ خير معين على ذلك، لقد أدى تعميق الإيمان في النفوس إلى زيادة الثقة بالنفس، وبالتالي طرد شبح الخوف، ومن ثم حب الاستشهاد، أما الإيمان بالوطن فقد كان لتاريخه الطويل عبر آلاف السنين وقدراته العسكرية القديمة وانتصاراته الباهرة خلال التاريخ الطويل أثر كبير على رفع همة الأفراد، وإيقاد جذوة الرغبة في القتال، وخلق روح الثأر لنكسة ١٩٦٧، وبهذا فقط أمكن أن نصل إلى روح معنوية عالية، روح معنوية تحمل بلا كلل ولا ملل، تتسابق في الأداء الممتاز ومن ثم اكتملت دوافع القتال في الأفراد ضباطاً وجنوداً ولم يعد هناك إلا أن تجدد القتال مرة أخرى لتجد هذه الروح طريقها للانطلاق والإبداع.

إن توفر روح القتال لدى الأفراد لا يعتبر كافياً لدخول الحرب، فلا بد من تدريب جيد لهؤلاء الأفراد، ويحضرني في ذلك التشبيه الذي جاء في كتب التدريب والذي يبين أهمية التدريب للمعركة، التشبيه الذي يقول: «إن أي قوة عسكرية مهما كان تسليحها ولم يتم تدريبها جيداً إنما هي في الواقع جماعة من الغوغاء، لن تنال من القتال سوى كثرة خسائرها» وعلى ذلك كان من الضروري أن يحتل تدريب وحدات حائط الصواريخ مكانة أساسية، بل لا أبالغ إذا قلت مكانة ممتازة، وأن يأخذ من فكر وعمل ومجهود قيادة حائط الصواريخ كل ما يستلزمه من جهد وعرق، إيماناً منها بالآتي :

أ- إن القصور الذي حدث في الماضي مع العدو إنما كان مرجعه أساساً نقص التدريب وعدم إعطائه الاهتمام الواجب أن يناله.

ب- إن توفير الوقاية للجيش الميدانية باستخدام وحدات حائط الصواريخ يحتاج إلى تطوير المعدات لهذا الاستخدام الجديد، وإيجاد أسلوب جديد لاستخدامها يتفق مع المهام التي يتكلف بها.

ج- إن أى معركة جديدة لنجاحها يجب أن تقابل بأساليب تكتيكية جديدة، وبذلك فقط يتم إحراز المفاجأة التكتيكية فى الاستخدا، مما يفقد العدو اتزانه منذ اللحظة الأولى للقتال.

د- إن التدريب هو أفضل ترفيه لنفسية المقاتل، وإن أعظم ما يسعده هو أن يعلم أنه سيدخل المعركة ويخرج منها سالمًا.

وتبعًا لذلك بدأت عجلة التدريب تأخذ طريقها فى حائط الصّواريخ بتخطيط محكم وإشراف دقيق وواقعية مبنية على التصور الواعى للمعركة وأبعادها فى مراحلها المختلفة.

لقد كان أمامنا فى التدريب الكثير مما يجب إنجازه، وكان توقع المعركة يفرض عليها نوعًا معينًا من الاستعداد، وهذا الاستعداد يستلزم أداء معينًا من القوات، كما يستلزم بقاء الأفراد بجوار معداتهم يراقبون الموقف ويستخدمون لكل موقف ما يلزم من إجراءات تكتيكية وفنية. ولاشك أن هذه المهمة تتعارض تمامًا مع تدريب الوحدات، وكان علينا أن نتدبر الأمر لإتمام التدريب وفقًا لأوضاع الاستعداد التى عليها الوحدات، ففى بداية الأمر - بعد وقف إطلاق النار إثر قبول المبادرة الأمريكية المعروفة باسم مبادرة روجرز - كان القتال متوقعًا بين يوم وآخر، وتبعًا لذلك كان الاستعداد نهارًا فى ذورته وكان الليل ستارًا يجرى التدريب فيه، واستمر هذا الموقف إلى ما بعد رفض مصر لتجديد مدة وقف إطلاق النار بمدة، وكان أمامنا خلال هذه الفترة مهمة عاجلة يجب العمل على تحقيقها مهما كان الجهد المطلوب وتتلخص فى الآتى :

أ- رفع مستوى الوحدات وخاصة وحدات سام ٢ وسام ٣، والتى لا يزال مستوى تدريبها دون المستوى الذى يؤهلها لدخول المعركة.

ب- استخلاص الدروس المستفادة من قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠ وتعميمها على الوحدات، وإصدار ما يلزم من تعليقات لتلافي الأخطاء.

ج- استخدام أساليب تكتيكية جديدة للعمل بموجبها فى ضوء ما ظهر من قصور فى الأساليب التى استخدمت.

لقد كانت وحدات سام ٢ وسام ٣ التى انضمت إلى تشكيل قتال الفرقة الثامنة (دفاع جوى) لتشكيل حائط الصواريخ الشرايك دون المستوى الذى الذى يجعلها من ضمن

وحدات المواجهة مع العدو، فوحدات سام ٢ التى تم تدريبها فى مصر لم يبذل فيها من الجهد ما يلزم للوصول بها إلى المستوى القتالى المطلوب، وقد يكون عامل الوقت هو السبب فى ذلك. وهنا يجب أن نقارن بين أهمية عامل الوقت والمستوى القتالى المطلوب، ونوازن بين العاملين فى ضوء احتمالات المعركة. أما وحدات سام ٣، والتى تم تدريبها فى الاتحاد السوفيتى عليها قصة أغرب القصص التى لا بد من ذكرها للتاريخ.

لقد أرسلت هذه الوحدات، وكلها من خيرة الضباط والجنود إلى الاتحاد السوفيتى للتدريب على صواريخ سام ٣ وذلك فى نهاية ديسمبر ١٩٦٩، وكان من المقرر أن تتم هذه الوحدات تدريبها وتعود إلى مصر فى مايو ١٩٧٠، وفعلاً أتمت هذه الوحدات تدريبها فى مايو ١٩٧٠، ولم تعد على مصر، ولو كانت عادت هذه الوحدات فى ذلك التوقيت - وهى على مستوى تدريب عال لتغير الموقف فى أثناء قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠. فلقد كانت إسرائيل تمتلك وقتئذ ١٦٩ طائرة قاذفة مقاتلة حديثة موزعة كالآتى ٢٤ طائرة فانتوم، ٥٥ طائرة ميراج، ٩٠ طائرة سكاي هوك، ولكان فى مقدرة هذه الوحدات الجديدة بالإضافة إلى الوحدات القديمة التى تقرر إدخالها إلى جبهة القتال وقدرها ١٣ كتيبة صواريخ أرض - جو تدمير أكبر عدد ممكن من الطائرات، ولأمكن الوصول إلى حل المشكلة عام ١٩٧٠، وهنا يظهر التفاؤل فى عدم إرسال هذه الوحدات إلى مصر فى ذلك الوقت رغم إتمامها التدريب وإجرائها الزامية بالصواريخ، فهل السبب يرجع إلى ضعف مستواها، والذين قاموا بتدريبها أعلم بذلك تمامًا، وهنا تكون الطاقة الكبرى؟ أو أن الاتحاد السوفيتى لا يرغب صراحة فى إنهاء النزاع فى المنطقة، وأن هذا جزء من استراتيجية التى وضحت فيما بعد ألا وهى حل مشكلة فيتنام ومشكلة الحرب الباردة على حساب مشكلة الشرق الأوسط؟

أما من ناحية تطبيق الدروس المستفادة خلال قتال يوليو وأغسطس ١٩٧٠ فقد كنا نعلم مقدماً أساليب العدو المنتظر استخدامها، إلا أن العدو لم يستخدم نفس أساليبه القديمة بل طورها، وخاصة فى أسلوب استخدامه للإعاقه على محطات الرادار ومحطات توجيه الصواريخ، وأسلوب مهاجمته لكثائب الصواريخ، بالإضافة إلى استخدامه أسلوب المناورة الحادة والإفلات من الصواريخ والخروج بسرعة من مناطق تدميرها،

وقد كانت الأخيرة سبباً في عدم إصابة كثير من الصواريخ لأهدافها، وكان لابد لنا من البحث عن أسلوب جديد أو أكثر للتغلب على أساليب العدو وتدريب الوحدات عليه، وذلك بغرض تحسين أدائها القتالي عندما يتجدد القتال.

ولتحقيق كل ذلك بذلت القيادات على جميع المستويات والوحدات مجهوداً كبيراً للغاية، ويكفى للتدليل على هذا المجهود أن نعلم أن الوحدات خلال تنفيذها لذلك لم تذق النوم أو للراحة طعماً، وأن كليهما كان يتم لساعات محدودة جداً على المعدات، إذ كان من الضروري أن تعمل بسرعة وبهمة عالية للوصول إلى مستوى قتالي يمكننا من ملاقات العدو ولو فشلت مهمة الدكتور يارنج وتجدد القتال مرة أخرى، بأمل أن تتمكن من أن نلقن إسرائيل درساً يجعلها تنصاع لمتطلبات الدكتور يارنج المبعوث الدولي القائم بالوساطة.

بعد فشل المبادرة الأمريكية وعدم تجديد مدة وقف إطلاق النار بات أن المشكلة بدأت تتجه إلى الحل العسكري، ووضع ذلك تماماً في اللقاءات المتعددة للسيد رئيس الجمهورية مع القوات المقاتلة في جبهة القتال، وكان علينا أن نستعد تماماً لذلك الحل، وإن كان توقيته لم يتحدد بعد فإنه لا شك آتٍ، فلقد كنت على اقتناع تام لا يقبل الشك في أن إسرائيل لن تترشح شبراً واحداً إلا بالقتال، وتبعاً لذلك بدأ التخطيط للعمليات الهجومية يأخذ طريقه وتحددت مهمة حائط الصواريخ وظهرت أبعاد المعركة تماماً، وفي ضوء ذلك تم تحديد الشكل الذي يجب أن تكون عليه الوحدات، ولا أقصد الشكل التنظيمي بقدر ما أقصد الجوهر الذي يجب أن تتحلّى به، إذ كان من الضروري أن نصل إلى وحدات تتميز بالآتي :

أ- لديها خفة حركة عالية بقدر ما تسمح به طبيعة معدات التي في أيدينا.

ب- ذات مستوى فنى عالٍ للتعامل مع معدات إلكترونية معقدة بأسلوب علمي سليم، واضعين في الاعتبار أن أى خطأ ولو طفيف يؤدي إلى فشل الاشتباك مع العدو.

ج- لها القدرة على العمل مدداً طويلة دون أن يصيبها التعب أو الإرهاق الذهني أو البدني.

د- قدرة على إتمام أعمال الضبط والإصلاح الصيانة لمعداتنا بدقة وبسرعة حتى يمكن المحافظة على الكفاءة الفنية للمعدات طول المعركة.

ه- على درجة عالية من الاستعداد القتالي لمقابلة العدو في أى وقت.

و- لها القدرة على الحسم الدقيق بسرعة، أى يتوفر لها السرعة فى الوصول إلى القرارات الصحيحة وتطبيقها تطبيقاً سليماً.

ز- ذات مستوى تكتيكى رفيع يمكنها من الاشتباك مع العدو اشتباكاً مؤثراً يؤدى إلى زيادة نسبة خسائره عما يتوقع.

ح- لديها قادة على مستوى علمى رفيع قدوة لمرءوسيه، يتصفون بالشجاعة والرغبة فى تحمل المسؤولية وأداء الواجب والقدرة على اتخاذ القرارات السليمة.

تم وضع خطة مرنة للتدريب تحقق لنا إمكانية مقابلة العدو فى أى وقت، وفى الوقت نفسه تهدف إلى الوصول بالوحدات إلى الكفاءة القتالية المطلوبة وكنت على يقين تماماً ان عامل الوقت فى صالحنا لو تيسر لنا، فعن طريقه يمكن سد الكثير من الثغرات فى أسلوب التدريب والعمل على إجادته.

لقد كان أول شىء يجب أن نفعله وأن نوليه جهداً كبيراً هو تطويع المعدات للعمل مع الجيوش الميدانية، أى توفير خفة الحركة لها، وقد استلزم منا ذلك إعادة تنظيم الوحدات فى ضوء المهام التى تكلف بها، كما استلزم تدريب الوحدات على أعمال تجهيز المعدات للتحرك أو للقتال فى أزمنة معقولة، فالمعدات ضخمة وهوائيتها معقدة وتحتاج إلى أسلوب خاص لتركيبها وفكها، ويكفى للتدليل على ذلك أن الأزمة الموضوعة لذلك تصل إلى ٦-٨ ساعات أمكننا كسرها والوصول بها إلى أزمة تتراوح بين ١-٤ ساعات، ولم يكن الوصول إلى ذلك أمراً سهلاً. فقد استلزم بجانب التدريب المستمر نهائياً وليلاً تغيير أسلوب تجهيز المعدات والخروج على الأساليب الموجودة فى كتب التعليم، حيث إنها لا يمكن أن تحقق المطلوب.

لم يقف الأمر عند ذلك الحد، بل تم وضع شكل خاص للوحدات وذلك بتحديد عدد الأفراد الضروريين للقتال، وذلك بالإقلال من العناصر الإدارية، وكذا تحديد

حجم المهيات التى يحملها المقاتل، وبذلك أمكننا أن نتصل إلى وحدات تتميز بخفة الحركة تمامًا، ولديها القدرة على العمل مع الجيش الميدانى، ولقد أثبتت معركة أكتوبر ١٩٧٣ أن ما بذل من جهد فى هذا الاتجاه قد أثمر تمامًا، بل فاق كل تصور للعدو، ولقد كان من الضرورى لأجل أن تكتمل خفة الحركة للوحدات أن يتم تدريبها على إتمام التحرك بالمعدات ليلاً، نهاراً، وفى ظروف مشابهة لما سيقابلها فى المعركة، وقد كنا فى بداية الأمر متخوفين من مثل هذه التحركات لا حاجة المعدات إلى نوع معين من الجرارات فهذه قد تم توفيرها، وإنما لضعف قدرة المعدات على التحرك فوق الأراضى الصعبة، بل ضعف قدرتها على التحرك لمسافات طويلة سواء على الطرق أو خارج الطرق، وأثر هذه التحركات على المكونات الداخلية للمعدات، إذ أن الاهتزازات التى تتم للمعدات أثناء التحرك تؤدى إلى على عدم صلاحية المعدات للقتال وحاجتها إلى وقت قد يطول لاكتشاف أعطالها وإصلاحها، وقد يطول الإصلاح لعدم توفر قطع الغيار اللازمة للإصلاح بالوحدة، والحاجة إلى الحصول عليها من مكان آخر مما يؤدى إلى ضياع وقت ليس بالقليل، والمعركة فى حاجة إلى أى وقت، إذ أن الحسم فى القتال لا يتأتى إلا نتيجة الديناميكية العالية لأداء الوحدات.

وفعلًا تم إجراء التجارب على بعض الوحدات وذلك بإجراء تحركها على مختلف الطرق والأراضى، ثم إجراء تجهيزها للقتال بعد إتمام هذا التحرك، ومن هذه التجارب تم التعرف على المشكلات الناجمة من تحرك المعدات وكم كانت كثيرة ومتنوعة. لقد أظهرت هذه التجارب مشكلات جديدة كان أبرزها وجود أعطال شديدة أو مركبة فى المعدات بعد تحركها، تلك الأعطال التى تحتاج إلى وقت كبير لإصلاحها، وكان علينا أن نقارن بين التحرك على المدقات الجبلية - ولا شك أنها ممهدة إلى حد كبير - والتحرك على الأرض الرملية الناعمة التى تتخللها الأغوار العميقة، تلك الأرض التى تمتد من شرق القناة حتى منطقة الممرات الجبلية، وهنا ظهرت مشكلة جديدة وهى الحاجة إلى سائقين من نوع ممتاز، وفعلًا تمكنا من علاج المشكلتين علاجًا سلبياً، فتم التركيز على تدريب ضباط تخصصات الصواريخ عملياً ونظرياً مع إجراء الاختبارات المختلفة والمتعددة لهم، مما أوجد منهم كوادرفنية على مستوى رفيع، تمكنت خلال معركة أكتوبر

من الإبقاء على المعدات صالحة وسليمة رغم ما وجهه العدو إليها من هجمات بالطيران أو قصف بمدفعية الميدان بعيدة المدى عيار ١٥٥ مم، ١٧٥ مم.

لقد أخذ التدريب على تحرك الوحدات طريقاً للمنافسة بين قادة الوحدات، وكان علينا أن نركي هذه الروح، واتبعنا في ذلك الوسائل العديدة من مادية ومعنوية وأدبية، ويكفى أن نعلم أن حائط الصواريخ خلال فترة تدريب للوصول بوحداته الفرعية إلى خفة الحركة المطلوبة للمعركة قد قام بأكثر من ١٠٠٠ تحرك كتبية، وإن بعض كتائب الصواريخ قد قامت بنحو ٤٠ تحركاً، علمًا بأن كل تلك التحركات كانت تتم ليلاً، لقد كان تدريب الوحدات المستمر بهذا الأسلوب على زيادة خفة حركتها استعداداً للمعركة عامل قلق لكثير من قادة كتائب الصواريخ من زاوية تأثير ذلك على سلامة المعدات، فالمعدات - أصلاً - مصممة للدفاع عن القواعد الثابتة. ويعنى ذلك أن خفة حركتها مقيدة، ولكننا بما ابتكرنا، من أساليب علمية تمكنا من إزالة عامل القلق، ورأينا في هذا النوع من التدريب وسيلة يمكن استخدامها لخداع العدو عن حجم حائط الصواريخ وأوضاعه على الأرض وأسلوب توزيع هذه الوحدات، وقد تم عمل أكثر من خطة خداع تعبوي، ومستفيدين من تحرك الوحدات للتدريب، وقد نجحت هذه الخطط نجاحاً كبيراً سنأتى عليه فيما بعد.

لقد كان من الواجب أن يسير التدريب الفنى والتكتيكى بجوار التدريب الجارى على خفة الحركة، فهذا النوع من التدريب هو الأسلوب الذى تتبعه وحدات الصواريخ لقتال العدو، ولم يكن هذا النوع من التدريب سهلاً ولا ميسوراً، فأما صعوبته فناجمة من حاجته إلى قاعدة علمية عريضة من العلوم الإلكترونية والرياضية، ولم تسر سنوات حرب الاستنزاف إعطاءها ما تستحقه من الدراسة والعمق المطلوبين، هذا بالإضافة إلى حاجة الأفراد، وخاصة هؤلاء الذين يقومون بمهام خطيرة مثل ضباط التوجيه - عمال التبع سواء أكان منظوراً أم تليفزيونياً أم إلكترونياً - إلى أن يتم تدريبهم بصفة دائمة للوصول بهم إلى المستوى المطلوب والحفاظ عليه ليوم المعركة.

لقد كان هؤلاء هم المفاجأة الكبرى للعدو في حرب أكتوبر ١٩٧٣، وأما عدم تسير التدريب بالأسلوب المنتظم المتعارف عليه فكان نابعاً من عقبتين رئيسيتين،

أولاً هما حاجة هذا النوع من التدريب إلى تشغيل المعدات وأثر ذلك التشغيل على أعمار المعدات، تلك الأعمار التي كانت قد تجاوزت ما هو محدد لها بكثير، وتعنى مجاوزة العمر للمعدة الصاروخية أن مكوناتها لا تتسم بأى استقرار، وأن توجيهها للصواريخ أصبحت دقته محدودة. أما العقبة الثانية فتعود إلى وضع الوحدات فى أوضاع استعداد عالية، تتفق مع النوايا المحتملة للعدو. وما أكثر ماتم من مغالاة فى تقدير نوايا العدو مما يتعارض مع قيام الوحدات بالتدريب، فاستعداد الوحدات للقتال يستلزم صلاحية المعدات ودقة أدائها، والتدريب يؤدى إلى إخلاء بدقة الأداء.

وكان علينا أن نوازن بين الحاجة إلى التدريب للوصول إلى كفاءة قتالية عالية تمكنا من دخول المعركة المقبلة وبين استعداد الوحدات، بين كليهما وعدد ساعات التشغيل، وأثر هذه الساعات على أعمار المعدات وفقدائها لكفاءتها الفنية، كما يجب علينا أن نقارن بين ذلك كله من ناحية وموقف قطع الغيار المتيسر لدينا، تلك الأجزاء الإلكترونية المكونة للدوائر المختلفة، لقد كان موقف قطع الغيار منذ نهاية عام ١٩٧١ ينذر بالخرج، وقد ازداد هذا الخرج بمرور الأيام حتى قامت حرب أكتوبر ١٩٧٣. معادلة زهية استلزمت الكثير من التفكير للوصول إلى حل، ولم يكن هناك حل ثابت، بل كان هناك حلول عديدة، يتناسب كل منها مع ما فرضه الموقف، إلا أن هناك حلاً رائعاً كان أروع الحلول، بل كان الركيزة التى اعتمد عليها حائط الصواريخ للتغلب على هذه المعادلة الزهية، هذا الحل هو كفاءة الرجال وقدرتهم على تحمل المسؤولية، لقد تحملوا ما لا يتحمله بشر، وأقول ذلك صراحة وأنا أقرب الناس إليهم، ويكفى للتدليل على ذلك أن أقول إن كثيراً من أوضاع استعدادهم تحملتها أعصابهم وحالتهم الصحية أكثر مما تحملتها معداتهم، لقد ضنوا بتشغيل معداتهم وتحملوا مسئولية ملاقات العدو الفوية بعقولهم، التى التزمت اليقظة الدائمة والتفكير السليم والتحليل المستمر والاستنتاج المنطقي، وفى النهاية القرار السليم، فالعدو أمامهم على بعد عشرات من الكيلومترات لا يهدأ.

كان من الضروري دراسة العدو دراسة مستفيضة، إذ لا يمكن مقابلة عدو دون دراسة واعية له، وقد أثبتت هزيمة يونيو ١٩٦٧ صحة ذلك، إذ لم يتيسر لنا عن العدو

وقبل يونيو ١٩٦٧ سوى معلومات عن عدد طائراته. أما أساليب الإعاقة الإلكترونية وطريقة استخدامها، أو أسلوب مهاجمته للأغراض المختلفة ونوعيات التسليح المتيسرة لديه فلم يكن لدينا سوى معلومات هامشية عنها؛ لذا حققت ضربته الجوية ما كانت تهدف إليه من مفاجأة للقيادات والوحدات، وما أحدثه ذلك من أثر معنوي، وكان من الواجب علينا أن نعمل بكل الطرق حتى لا يتكرر ما سبق حدوثه، وعلى ذلك لم نترك نشاط العدو خلال حرب الاستنزاف أو خلال الحرب الجوية التي شنها في أواخر فترة حرب الاستنزاف يمر دون تحليل واعٍ، تحليل كان يتم يومياً إلى أسلوبه في مهاجمة الأغراض المختلفة، شكل الهجوم الجوي، ويشمل ذلك عدد الموجات التي تتكون منها الهجوم عدد الطائرات في كل موجة، الفواصل بين الموجات وبين الهجمات، الارتفاع الذي يقترب عليه والارتفاع الذي يقوم منه بالهجوم على الأغراض المختلفة، ولم نترك الدروس المستفادة من مسرح القتال في فيتنام تمر دون دراسة واعية، حقيقة هذا المسرح يختلف عن مسرح القتال في سيناء إلا أن المبادئ التي تحكم استخدام القوات الجوية ثابتة تقريباً، ولقد سبقتنا إسرائيل في ذلك، فتسليحها كله تقريباً من إنتاج الترسانة الأمريكية، تلك الترسانة التي كانت تقاتل الأسلحة السوفيتية المماثلة لتلك الموجودة لدينا، التي يقاتل بها الفيتناميون، لقد كانت دراستنا للعدو جادة وحذرة بما تحمله كلتا الكلمتين من معنى، جادة في معرفة كل شيء عنه، بالأخص نقط ضعفه حتى يمكن التركيز عليها للنيل منه، نقط قوته لإيجاد الوسائل الكفيلة للحد منها أو إضعافها إن أمكن. وحذره لعدم المغالاة في قوة العدو أو قدراته، وكان من الواجب أن نزيل كثيراً من الأوهام أو الخيالات التي علقت بالأذهان خلال حرب الاستنزاف والحرب الجوية.

لم تترك قيادة حائط الصواريخ نشاط العدو اليومي يمر دون تحليل دقيق للتعرف على نواياه وأسلوب تدريبه، وكانت مرجعاً للقيادات الأعلى في ذلك كله، كما لم تترك هذا النشاط دون أن تستفيد منه في تدريب وحداتها والتعرف على أسلوب العدو عند تعامل وحدات الصواريخ معه، فلقد كانت الوحدات تأمر بالتعامل مع العدو بأساليب خداعية مختلفة لمعرفة تصرف العدو وإزاء كل أسلوب، وذلك لدراسة هذا الأسلوب ووضع الحل المناسب له.

لقد كانت أسلحة الخمد التى تستخدمها العدو لعمل ضد وحدات الصواريخ هى شغلنا الشاغل، وكان واجبنا التعرف على خصائصها وأسلوب استخدامها، وقد كانت معرفتنا لبعض أنواعها فى حرب الاستنزاف والحرب الجوية غير كافٍ، للحكم الصحيح على تأثير هذه الأسلحة، وكان علينا أن نتابع الحصول على معلومات كافية عن هذه الأسلحة، وقد أمكننا ذلك عن طريق ما يكتب فى المجلات العالمية المتخصصة، أو عن طريق الخبرة التى أمكن الحصول عليها من المسرح الفيتنامى، أو عن طريق الدراسة الواعية للغرض الذى وجد من أجله السلاح والتطور التكنولوجى المعاصر، بالإضافة إلى الخبرة العملية فى مسرح القتال المصرى من استخدام العدو لهجمة الشرايك فى سبتمبر ١٩٧١.

من كل هذا أمكن تكوين فكر واسع عن أسلحة الخمد، وبالتالى أمكن اتخاذ الطرق الكفيلة بالتغلب على هذه الأسلحة وتقليل فاعليتها وكان التدريب المستمر عليها، وترسيخ أسلوبها فى أذهان الذين سيتولون تطبيقها أمرًا ضروريًا لنجاحها، وكنا نبعى لها نجاحًا جزئيًا. ولم يكن هناك من وسيلة لاختبار مدى نجاح هذه الطرق سوى القتال الفعلى، وقد كانت أقصى أمانينا أن يكتب لها نجاح جزئى، حتى لا يتدمر حائط الصواريخ فى الدقائق الأولى للمعركة كما أعلن العدو ذلك، وكنت معتقدًا أن ثباته فى الساعات الأولى سيؤدى إلى كسب المعركة مع العدو. وقد أثبتت حرب أكتوبر نجاح وسائلنا وفشل جميع وسائل الخمد التى اتبعها العدو، لقد أمكن عن طريق الدراسة العملية الواعية استنباط طرق بسيطة للغاية، أمكن بها تلاشى أثر أسلحة الخمد، مما جعل العدو فى حيرة مما تم حتى الآن.

لقد كان من الضرورى أن يلزم ضباط التوجيه - وهم العمدة الرئيسية لكتائب الصواريخ - بأسلوب العدو فى المناورة، وكيف يمكن التعرف على بدء المناورة، ثم تحديد اتجاهها وتحديد الوقت المناسب للاشتباك مع العدو، وقد استلزم ذلك كثيرًا من الاجتهادات تم حسمها أخيرًا بوضع أسلوب علمى لذلك، وقام قادة الكتائب كل بعمل الحسابات الخاصة به. لقد كان لذلك الأسلوب الفضل الأكبر - إن لم يكن الفضل كله - فى تدمير العدو تمامًا. أما قادة اللواءات والأفواج فلقد اختلف معهم

الموقف تمامًا، فبعد الدراسات والمناقشات العديدة التي أجريت مع كل على حدة رأيت أن رأى مدى ما وصل إليه فكرهم واجتهادهم في المعركة المقبلة، وذلك بغرض توحيد الفكر والمفهوم والأسلوب لمعركتنا المقبلة؛ لذلك طلبت من قادة اللواءات وقادة الأفواج في أحد المؤتمرات تقديم خطة من وجهة نظر كل منهم توضع ما يلي :

أ - شكل الهجمة الجوية المنتظرة على اللواء أو الفوج وكيفية صد هذه الهجمة.

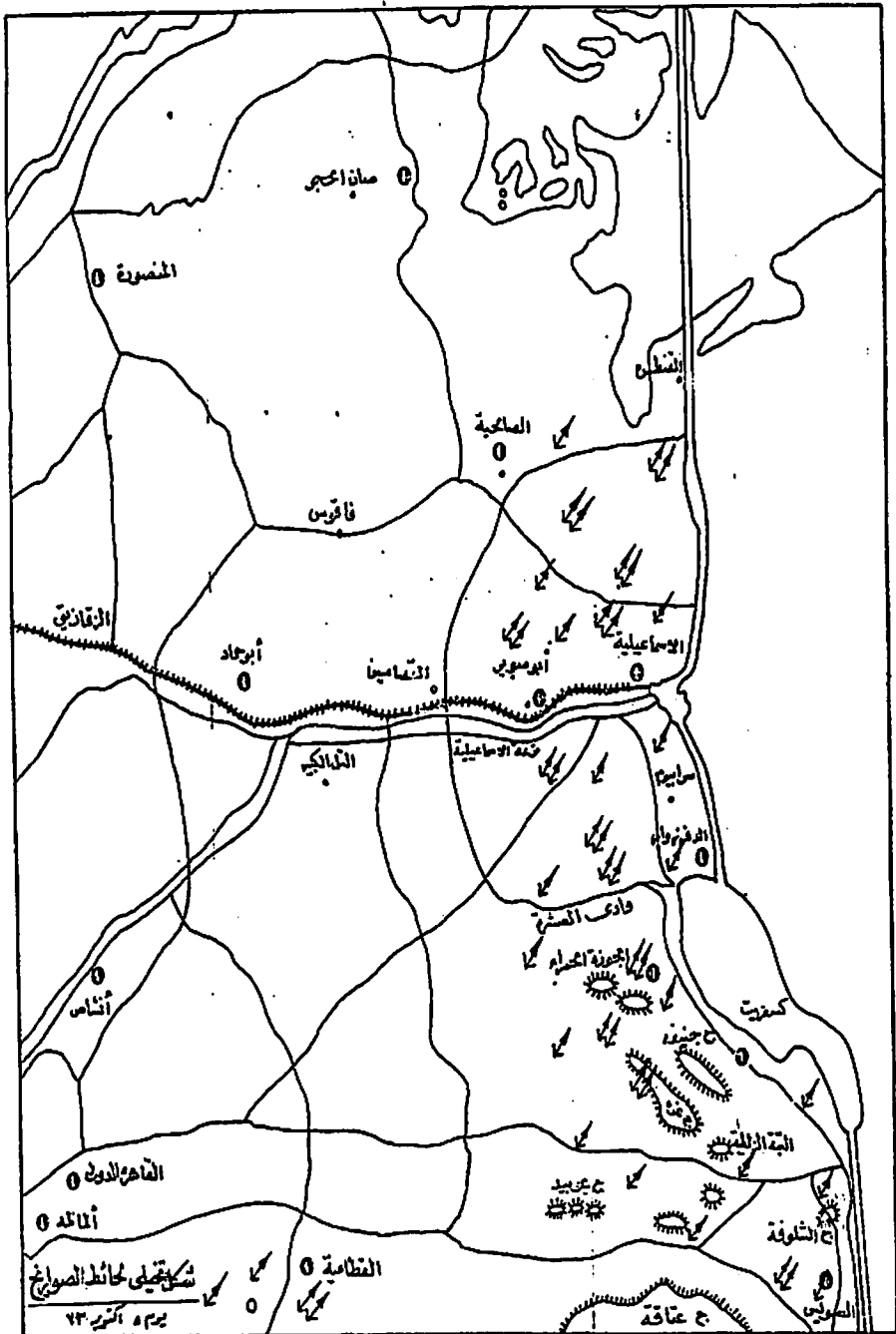
ب - أسلوب مهاجمة العدو للكتائب الأمامية أو كتائب الأجناب للواء واضعين في الاعتبار طبيعة الأرض، وعمق الإنذار الجوى المتيسر.

ج - أسلوب إدارة النيران والتعاون مع الجوار. وتحدد لكل لواء أو فوج توقيت محدد لتقديم المطلوب منه، وفعلا تقدمت اللواءات والأفواج بأرائها وتم دراستها ومناقشتها، ومن هنا تولد لدى إحساس كامل بالثقة في وحداتي، وارتفع التقدير الذي كنت أقدره للخسائر في العدو في نظري. لقد كان مطلوبًا من حائط الصواريخ أن يسقط ٣٣ طائرة من طائرات العدو بإجمالي عدد من الصواريخ يزيد على ٤٠٠ صاروخ من طراز سام ٢، ٢، معدل ٣، وكانت هذه النسبة حاصل عدة عمليات حسابية مبنية على نظرية الاحتمالات، وكان علينا أن نحدد المعاملات القائمة عليها ونطورها، ونزيد من قدراتها كل على حدة، وكل بالأسلوب الأمثل الذي يمتلكه وهو الأسلوب العلمي، وبهذا الأسلوب كتب لنا النجاح وكان أن تدمر معظم السلاح الجوى الإسرائيلي بل اهتزت ثقته في نفسه إلى اليوم.

واستكمالًا لتدريب الوحدات للمعركة، كان لابد من تدريب القادة والقيادات على دررهم المنتظر في المعركة واحتل تدريب قادة كتائب الصواريخ الأهمية العظمى في تدريب القادة، لأن عليهم سيقع العبء كله، فهم المنفذون فعلا للأوامر الخاصة بالقتال مع طائرات العدو، بل في أحيان كثيرة يتم تعاملهم مع العدو دون الرجوع إلى المستوى القيادي الأعلى، لقد كان من الضروري أن أقف على تصور قادة الوحدات الفرعية، قادة الكتائب عن المعركة المقبلة، فعلى قدر هذا التصور يمكن تصور رد الفعل المطلوب من جانب القادة، وبالتالي تحديد أسلوب التعامل والتعاون اللازم لتدمير العدو لقد

استلزم هذا جهداً كبيراً، واستلزم العديد من اللقاءات مع قادة الكتائب في مواقعهم، وفي كل مرة يتم استعراض الموقف استعراضاً شاملاً والتعرف على تصور القادة لمعركتهم ومناقشة هذا التصور بالأسلوب العلمى، لقد كان من الضروري طرد الوهم الذى أدخله العدو في روح الكثيرين منهم، لقد حضر قليل منهم حرب الاستنزاف إلا أن ما تناقلته الألسنة عن قدرات السلاح الجوى الإسرائيلى غير المحدودة، وما أذاعه العدو وما كتبه بعض الصحف العالمية المتعاطفة معه مثل مجلة أفيشين ويك، ونيوز ويك News week Omatian Week، كل ذلك أثر على تصورهم للمعركة، وكان من الضروري تصحيح هذا التصور ووضع العدو مكانه الصحيح حجماً وإمكاناتاً وأسلوباً وقدرات، ولقد أتمكن بالتحليل المنطقى لكل شىء أن تسقيم الأمور وتتخذ مجراها السليم.

كان المطلوب أن نصل إلى قادة تتوفر فيهم صفات خاصة سبق توضيحها، إلا أن أهم صفة كنا نعمل على إذكائها هى صفة السرعة في اتخاذ القرار، فقرار سريع غير سليم تماماً أفضل من قرار بطيء، ولكنه سليم تماماً، وهذه الصفة استلزمت الكثير من الجهد، واعتمدت على الدراسات الشخصية والمناقشات التى كانت تتم حتى مطلع النهار، تلك الدراسات التى يمكن تشبيهها بحلقات العلم، إذ كان يجتمع عدد من القادة مع قيادة حائط الصواريخ ويدور حوار علمى يتحول إلى نقاش وشرح وينتهى فى النهاية بتحديد الأسلوب الواجب على القادة اتباعه. لقد يسر هذا الأسلوب تواجد العديد من قادة الكتائب الممتازين، والذين أدوا دوراً بطولياً خالداً جعل التاريخ يسجل لهم بكل فخر أعظم وأشرف صفحة فى تاريخ حرب أكتوبر المجيدة.



الفصل الحادى عشر

الاستعداد

الحاجة إلى الاستعداد

لم يكد يستقر تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بعد قبول وقف إطلاق النار فى ٨ أغسطس ١٩٧٠ فى مواقعه حتى فرض عليه أعلى حالات الاستعداد، تلك الحالة التى استلزمت تشغيل ١٠٠ ٪ من معدات الوحدات أولاً، ثم ما لبثت بعد فترة أن انخفضت إلى ٥٠ ٪ من تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) ذلك التجميع الذى أخذ فى الزيادة كما سبق أن أوضحت حتى أصبح يكون حائط الصواريخ.

لقد كنا فى ذلك الوقت فى فترة وقف إطلاق النار وفقاً للمبادرة الأمريكية المعروفة باسم روجرز، وكان توقع الفشل يلوح فى الأفق، واحتمال قيام العدو بهجوم جوى على حائط الصواريخ أمر قائم، كما كانت تصوره التقديرات التى تتم فى ذلك الوقت، تلك التقديرات التى كانت تجرى وراء الافتراضات الآتية :

أ- عدم قبول إسرائيل لوجود مثل هذا الحائط يحمى القوات البرية، ورغبة العدو فى أن تبقى هذه القوات تحت رحمته ينال منها كيفما يشاء وفى أى وقت يشاء.

ب- استمرار نشاط العدو الجوى، بل زيادته عن معدلاته السابقة، إذ كان يتراوح ما بين ١٢٠-١٨٠ طلعة طائرة فى اليوم.

وفات المسئولين عن هذه التقديرات الكثير، فقبول إسرائيل لمبادرة روجرز وإيقاف إطلاق النار كان أمراً لازماً لإسرائيل أكثر مما كان لازماً لنا، لأن سلاحها الجوى كان قد

بدأ في التآكل كما صرح مسئولوها بذلك، ولا شك أن توقف النار فرصة ثمينة لها للعمل على الثام جراحها واستعادة قدرتها القتالية بعد حرب استنزاف مريرة وكطويلة، لقد كانت إسرائيل مجهدة وفي حاجة إلى التقاط أنفاسها فعلا، أما استمرار نشاط العدو الجوى الزائد على معدلاته، فأمر ضروري للاعتبارات الآتية :

أ- رفع المستوى تدريب الطيارين القدامى على الطائرات الجديدة والتي وصلت إليه.
ب- إيجاد طبقة من الطيارين الاحتياط المدربين لملاقاة صفقة الطائرات الفانتوم وسكاي هوك الجديدة المنتظر الحصول عليها من الولايات المتحدة الأمريكية.

ج- الحفاظ على الروح المعنوية لقواته المحتلة للمنطقة التكتيكية من أن تهتز في ضوء الخسائر التي أصابها من حرب الاستنزاف أو من معركة الدفاع الجوى خلال قتال يوليو ١٩٧٠.

لقد أدى وضع الوحدات في حالات الاستعداد العالية إلى زيادة ساعات تشغيل المعدات، ولم نغف عن الأسباب الخفية وراء ذلك، إذ كيف يعقل أن السلاح الجوى الإسرائيلي وقد واجه ١٦ كتيبة صواريخ فقط في معارك يوليو ١٩٧٠، وحدث فيه من الخسائر ما جعلهم يتباكون عليه - فكيف والموقف على هذه الصورة تسمح القيادة الإسرائيلية السياسية والعسكرية بزجه مرة أخرى في المعركة أمام وحدات بلغت أضعاف ما كان في يوليو ١٩٧٠. ولا شك أن أصحاب التقديرات كانوا يجرون خلف منطق معكوس، وفاتهم الأسباب الخفية وراء ذلك من استهلاك للمعدات وقطع الغيار لتستمر عملية الاستنزاف المادي للاقتصاد المصري، ولتستمر العجلة مرتبطة بالجواد الذي يملك زمامها.

إن أهم ما يميز هذه الفترة كثرة قيام العدو بالاستطلاع الجوى بطائرات الفانتوم التي كانت تعمل أزواجًا، وتطير بسرعة تتراوح بين ١٢٠٠ - ١٤٠٠ كم / ساعة على ارتفاع من ١٢ - ١٥ كم، وكانت هذه الطائرات في طيراتها الاستطلاع تحاول أن تقترب أكثر من القناة وخاصة في المنطقة جنوب البحيرات، وكان أن اتبعنا نظامًا مخادعًا للاشتباك معها، مما كان يجعلها تناور بالابتعاد والإفلات بسرعة، ومنذ ذلك الوقت

بدأنا في التعرف على أساليب المناورة التي تقوم بها الطائرات الفانتوم للإفلات من نيران الصواريخ وأخذنا بتلايينها يوماً بعد آخر لمعرفة ما يدخله العدو وعليها من تطورات نتيجة لارتفاع مستوى طياريه.

في هذه الفترة، كان من الصعب على الوحدات أن تمارس تدريبها بشكل جدى وإن كنا لم نترك وقتاً دون اقتناصه، ضاربين عرض الحائط بالتعب والإجهاد، فالمعركة لا بد من أن يدفع ثمنها الفعلي عند بدئها محدوداً، لقد لاحظنا خلال هذه الفترة ضعف أسلوب الاستعداد لدى وحدتنا في حائط الصواريخ، وكان مرد ذلك إلى كثرة الوحدات الجديدة التي لم تتمرس على القتال وعدم فهمها لأهمية أسلوب الاستعداد، ولقد كانت أخبار الضربة الجوية الأمريكية في فيتنام ونتائج هذه الضربة التي أدت إلى تدمير عدة كتائب صواريخ بواسطة القوات الجوية الأمريكية ووحدات الإبرار الجوى مثار دهشة وكان نتوقع أن تتم على حائط الصواريخ بنفس الأسلوب، وكان هذا التقدير يسبب لنا فزعاً وقلقاً كبيراً. وكان من الواجب علينا أن نفرض الأسلوب المطلوب من البداية بكل الوسائل، حتى تشب الوحدات وقد أصبح الاستعداد للقتال عادة أصيلة لا تفارقها، وفعلنا أولينا هذا الموضوع أهمية تامة، وكنا نبغى أن نصل بالوحدات إلى الآتى :

أ- السرعة في تنفيذ أسلوب الاستعداد.

ب- الدقة في التنفيذ وما يستلزمه ذلك من أسلوب معاملة المعدات، إذ لا قيمة لوحدات تتخذ وضع استعداد للقتال ومعدات عاطلة أو خارج حدود الخطأ المسموح به.

ج- أن يتخذ الأمر برفع حالة الاستعداد مأخذ الجدية ويعنى ذلك ترك التراخي أو التواكل في تنفيذ هذا الأمر ولو كان لأغراض التدريب وتنفيذ، في الأزمنة الموضوعة لذلك إن لم يكن أقل.

د- اليقظة عند تنفيذ أوضاع الاستعداد ومستلزماتها من ضرورة الحصول على معلومات دقيقة من المصادر المحددة لها، وإظهارها على اللوحات المختلفة لتقدير الموقف بصفة مستمرة والاستعداد لفتح النيران دون الرجوع إلى المستوى الأعلى لو استلزم الأمر ذلك.

لقد كان اهتمامنا الاستعداد وتنفيذ التدريب لديها ليلاً ونهاراً إنما يرجع إلى عاملين، أولهما استراتيجية العدو المبنية على ضرورة القيام بالضربة الجوية المفاجئة. وثانيهما قلة الوقت المتيسر للإنذار لوحدات الصواريخ، لقد تمكنا من خلال التدريب في هذه الفترة من غرس وعى الاستعداد القتالي بأسلوبه الصحيح، ولم تنته فترة وقف إطلاق النار في مارس ١٩٧١ إلا والوحدات قد حققت تمامًا ما كنا نهدف إليه من أغراض.

ومنذ ٨ مارس ١٩٧١ وهو تاريخ عدم موافقة مصر على مد فترة وقف إطلاق النار ساد الموقف حالة من الركود اصطُلع عليها بحالة اللاسلم واللاحرب، وبدأ أسلوب العمل يتخذ طريقاً آخر يوماً بعد يوم بما يتفق مع هذه الحالة، لكن هل كان من الممكن اتباع نفس هذا الأسلوب مع حائط الصواريخ والعدو تزداد قوته الجوية يوماً بعد يوم، ونشاطه اليومي لا يهدأ، لم يكن ذلك ممكناً، فأقصى الأمانى التى يحلم بها العدو هى أن يفقد حائط الصواريخ يقظته، ومن ثم يقوم العدو أما بهجمات فى ضربة مفاجئة أو يقوم باختراق عميق للعمق من اتجاه الشرق، وكان علينا أن نتبع أسلوباً من الاستعداد معيناً لا يرهق المعدات ولا يعوق التدريب ولا يسمح للعدو بتنفيذ أى من أغراضه التى يهدف إليها.

لقد حصل العدو خلال النصف الأول من عام ١٩٧١ على الصاروخ شرايك أحد أسلحة الحمد التى زودته بها أمريكا، وكان تقديرنا فى حالة قيام العدو بهجمة جوية على حائط الصواريخ هو أن تبدأ الموجة الأولى من الهجمة الأولى بصواريخ شرايك لإسكات أكبر عدد ممكن من الكتائب، على أن تقوم الموجة الثانية للهجمة الأولى بمهاجمة الكتائب بالأسلحة التقليدية، لتدمير أكبر عدد وإحداث أكبر خسائر ممكنة بالأفراد والمعدات، وكان نشاط العدو المتزايد وتنفيذ، فى المنطقة الواقعة شرق القناة خارج مناطق تدمير الصواريخ، التى لم تكن تغطى أكثر من ١٠ كم شرق القناة، مثار خوف من احتمال قيامه بضربة جوية مفاجئة، وكان علينا أن نوازن بين حالة استعداد حائط الصواريخ - أى عدد الوحدات التى يجب أن تكون جاهزة لمقابلة العدو فوراً - وعدد ساعات تشغيل المعدات، وحاجة الوحدات إلى التدريب استعداداً للقتال الذى آمنا بأنه الوسيلة الوحيدة لاسترداد الأرض، وفى سبيل تحقيق هذا التوازن حملنا

الأعصاب أكثر من طاقتها، ولم يقتصر هذا التحميل على قادة كتائب الصواريخ كما ذكرت وبل كان من الضروري لضمان عدم المخاطرة تحمّل مراكز القيادة على مختلف المستويات ومراكز قيادة الأولوية ومركز قيادة الفرقة مسئولية مراقبة العدو، والتأكد من سلامة وحدات الخدمة - وتحليل نشاط العدو بصفة دائمة، ورفع حالة الاستعداد أو تشغيل عدد أكبر من الوحدات إذا تطلب الموقف ذلك، وذلك تماشيًا مع مبدأ. كلما كانت الوحدات القادرة على الاشتباك مع العدو الجوى كبيرة أمكن الاشتباك مع أكبر عدد ممكن من طائراته، زادت احتمالات التدمير تبعًا لذلك.

دور وحدات الرادار والإنذار في الاستعداد

كان علينا طالما أننا خفضنا حالة الاستعداد أن لا نترك للعدو فرصة الإفلات من مراقبتنا له ومفاجأتنا، ورغم ما ذكرته، فالكل يعتمد على معلومات تصل إليه عن العدو من وحدات الرادار والإنذار، وكان تقديرنا للعدو الجوى في ذلك الوقت كالآتي :

أ- إن العدو لن يترك المبادأة من يديه، وإنه سيكون البادئ بأى عدوان فهذه هى استراتيجية التى يسير عليها منذ وجد.

ب- إن العدو لابد أن يحقق المفاجأة فى أى هجوم جوى يقوم به ولن يتم ذلك إلا بالطيران على ارتفاع منخفض جدًا ٥٠-١٠٠ متر. حتى لا يتم كشفه راداريًا إلا قرب القناة.

ج- إن استخدام القواعد الجوية الرئيسية فى إسرائيل -عكير - حاتسور - حاتسريم لن تمكن العدو من تحقيق ذلك، وعلى ذلك يتنظر أن يقوم العدو تحت ستر التدريب الكثيف الذى يجريه يوميًا من حشد طائرات الموجات الأولى للهجمة الأولى فى مطارات امريش - المليز - تمادا - رأس النقب، إذ أن أغلبها لا يسر زمن إنذار للوحدات أكثر من ٤ دقائق على أن يدفع بالموجات التالية فى الهجوم من مطارات إسرائيل.

تبعًا لذلك أصبحت مراقبة المطارات الأمامية للعدو أمرًا ضروريًا، للتعرف على أى تغيير فى عدد الطائرات التى بها. لقد كان معروفًا لدينا أن العدو يحتفظ فى المطارات

وأراضى المبوط المتقدمة فى سيناء - وهى بالوظة - الطاسة - أم خشيب - الفريشات - سدر - ببعض طائرات الهليوكبتر وعدد محدود من الطائرات البطيئة، أما القواعد الأمامية كالعريش والمليز وتمادا ورأس النقب ورأس نصرانى، فقد كانت توجد بها طائرات قاذفة مقاتلة تتراوح قوتها ما بين ٨-١٢ طائرة، وعلى درجة عالية من الاستعداد، ويكفى أن تعلم أنها كانت قادرة، من مطار المليز على التواجد شرق القناة مباشرة لاعتراض أى طلعة استطلاع مصرية تقوم بها قواتنا الجوية بمجرد اقترابها من القناة.

لقد قامت وحدات الرادار والإنذار والمراقبة بالنظر - بمراقبة العدو ومراقبة جادة وسليمة - فقامت وحدات الرادار والإنذار بالمراقبة الرادارية الدقيقة الدائمة ليلاً ونهاراً للعدو، وتمكنا عن طريقها من حصر نشاط العدو ومعرفة التغير فى أوضاع تركز المطارات الأمامية، وبذلك توفرت لدينا حصيلة دقيقة من المعلومات، أمكننا عن طريقها التعرف على نوايا العدو المنتظرة، هذا بالنسبة للطائرات التى يمكن أن تلتقتها وحدات الرادار والإنذار وفقاً لخصائصها، أما تلك الطائرات المنخفضة جداً، والتى قد تفلت من وحدات الرادار والإنذار فقد قامت وحدات المراقبة بالنظر أو الرادار البصرى بمراقبة العدو شرق القناة مباشرة ووفقاً لقدراتها كان فى استطاعتها مراقبة العدو حتى مسافة ١٥ كم شرق القناة، وذلك بالنسبة للطائرات متوسطة الارتفاع وأقل من ذلك كلما قل ارتفاع هذه الطائرات. ونظراً لأهمية مراقبة العدو فقد دعمت وحدات الرادار والإنذار بأجهزة رادار من نوع جديد، تيسر التقاط العدو على ارتفاعات منخفضة جداً على مسافة ٦٠ كم بما يكفل مراقبة النضاء الجوى أمام حائط الصواريخ على ارتفاع منخفض جداً، كما أولينا وحدات المراقبة بالنظر أهمية خاصة لما لها من دور فعال فى الأهداف المنخفضة جداً، والتى تطير على ارتفاع ١٠٠ متر فأقل، ولم يكن مجرد وضع هذه الوحدات فى حالة استعداد عالية تتفق مع ما هو مطلوب كافيًا لتحقيق المطلوب، فلا بد من رقابة حازمة دقيقة للتأكد من سلامة هذه العيون. وفعلاً وضعت أساليب مختلفة تراوحت بين السيطرة على الوحدات من مراكز القيادة أو المرور المفاجئ عليها أو قيامها حتى فى توقيت عدم وجود نشاط للعدو، بإذاعة معلومات متفق عليها ليلاً

ونهارًا، وكان على وحدات الصواريخ أن تلتقط هذه المعلومات وكانت دقة وصحة تسلم المعلومات التي تسلمها كل وحدة هو الأساس الذي تقوم عليه يقظة الوحدة وبهذا الأسلوب تمكنا من الاحتفاظ بالوحدات في درجة يقظة عالية.

الكائن وأبعاد العدو عن القناة

ظل السلاح الجوي الإسرائيلي منذ وقت إطلاق النار حريصًا على قيامه بالاستطلاع أو تدريب قواته شرق القناة في عدم الاقتراب من القناة لمسافة ١٥-٢٠ كم، ولكن تلاحظ خلال شهرى يوليو وأغسطس ١٩٧١ اقتراب الطائرات الإسرائيلية أكثر من القناة حتى وصلت في استطلاعها إلى مسافة ٤ كم من القناة وبات من الضروري اتخاذ إجراء ما لإبعادها عن القناة حتى لا تتمكن من معرفة أوضاع قواتنا غرب القناة، إذ إن قدرة طائرات الاستطلاع المعادية وهى تطير على تلك المسافة من القناة وعلى ارتفاعات عالية تتراوح ما بين ١٦ و ١٩ كيلو مترًا يمكنها معرفة موقف قواتنا بدقة إلى منطقة يصل عمقها إلى أكثر من ٦٠ كم غرب القناة.

لقد حدث عقب إعادة تجميع حائط الصواريخ وتجهيزه للعملية الهجومية ذلك العمل الذى بدأ فى ٢٨ / ٨ / ١٩٧١، وانتهى فى ٧ / ٩ / ١٩٧١، والذى شمل القيام بمناورة بعدد ٢٣ كتيبة صواريخ من أن يزداد نشاط الاستطلاع الجوى للعدو بعد أن رأى أن وحدات صواريخ قد اقتربت من القناة وأصبحت على مسافة ٦-٨ كم منها، وذلك فى القطاع الجنوبى قطاع الجيش الثالث الميدانى. وذلك بغرض التعرف على أسباب ذلك الاقتراب مما استدعى وضع كمين للعدو فى القطاع الجنوبى وكان مكونًا من كتيبتين صواريخ سام ٢ معدل، وفى ١٧ / ٩ / ١٩٧١. قامت إحداها بالاشتباك مع طائرة استطلاع إلكترونية من طراز ستراتوكروز عند قيامها بالاستطلاع الإلكتروني فى شرق القناة وقد تم تدميرها وخسرت إسرائيل بذلك عنصرًا أساسيًا من عناصر استطلاعها الإلكتروني بطاقتها من الفنيين. لقد أثار هذا الاشتباك ثائرة إسرائيل فشنت يوم ٩ / ١٩ هجمة جوية مستخدمة فيها لأول مرة الصواريخ الموجهة جو - أرض شرايك على حائط الصواريخ، وكانت الهجمة مكونة من ١٠ طائرات عملت أزواجًا ووجهت هجومها فى الاتجاهات التالية : شمال الإسماعيلية بغرض ضرب كتائب القطاع الشمالى وأجهزة رادار الإنذار الموجودة به وجنوب الإسماعيلية

بقصد ضرب كتائب الصواريخ بالقطاع الأوسط بين الإسماعيلية والدفرسوار وجنوب البحيرات المرة والشلوفة بقصد ضرب كتائب الصواريخ الموجودة بالقطاع الجنوبي من القناة.

لقد أعلن العدو عن نواياه للهجوم قبل بدئه، فللعدو أسلوب خاص عند قيامه بأي هجوم جوى، ذلك الأسلوب الذى أمكن التعرف عليه وتحديد شكله من قتال ١٩٧٠. ويتلخص هذا الأسلوب فى قيام القوات الجوية الإسرائيلية قبل الهجوم مباشرة باحتلال مناطق معينة تحمل منها المظلات الجوية التى تخصص لحماية طائراته أثناء قيامها بمهامها، بالإضافة إلى قيام طائرات الهليكوبتر الحاملة لأجهزة التداخل باحتلال مناطق معينة مختارة بعناية للقيام بها بالتداخل، تلك الطائرات التى تعمل فى تعاون وثيق مع مركز الإعاقة والشوشرة القائم فى منطقة أم خشيب ولكن ماذا كانت النتيجة لقد فشل هجوم العدو تمامًا فى إحراز أى خسائر اللهم إلا خسائر طفيفة فى هوائى أحد أجهزة رادار الإنذار تم إصلاحها بعد ساعتين، ولم يتمكن من إصابة أى كتيبة صواريخ، نظرًا للأسلوب الذى اتبعته كتائب الصواريخ مع العدو والذى أضاع عليه الهدف الذى كان يبغيه من تدمير عشر كتائب صواريخ كما كان يتوقع. لقد أعلن العدو بعد انتهاء الهجوم عن نجاحه فى تدمير عدة كتائب صواريخ، بل أعلن على الشعب الإسرائيلى أن هذا هو الأسلوب الوحيد للتعامل مع حائط الصواريخ. إلا أننا وقد هالنا النجاح الذى حصلنا عليه فلم نمسك عن الكلام، بل أذعننا فشل العدو وعدم تدمير أى وحدات مما جل العدو يعمل جاهدًا بوسائله الخاصة للتحقق من نتائج هجومه، والدليل على ذلك أن العدو وفى ضوء ما اكتمل إليه من معلومات طلب من الولايات المتحدة الأمريكية أن تعدده بالصاروخ شرايك - المعدل، الذى يطلق عليه ستاندر آرم standard arm الصاروخ الذى يعتبر أشد تدميرًا وأكثر دقة من الصاروخ شرايك الذى لديه، وهذا النوع من الصاروخ الجديد هو الذى استخدمه العدو فى أكتوبر ١٩٧٣، واستخدم منه أكثر من ٢٥ صاروخًا ضد حائط الصواريخ.

أدى تدمير طائرة العدو فى ١٧/٩/١٩٧١ إلى إبعاد العدو عن القناة وعاد إلى ما كان عليه من عدم الاقتراب إلى مسافة أقل من ١٥ كم من القناة - وقل نشاطه اليومى،

إلا أن هذا الأسلوب لم يدم طويلاً، فعقب تنفيذ خطة الخداع الجوي التعبوي الأولى بمعرفة حائط الصواريخ، والتي بدئ تنفيذها في يناير ١٩٧٢ جن جنون العدو وبدأ نشاطه يزداد ويقرب من القناة، كما أن نشاطه الاستطلاعي - وخاصة استطلاع الإلكتروني الذي كان يتم مرة أو اثنين على الأكثر أسبوعياً - بدأ يتم يومياً ولم تصل إلى أكثر من أربع ساعات، وقد يتم مرتين يومياً صباحاً ومساءً، وكان تقديرنا لهذا الهوس الاستطلاعي هو رغبة العدو في معرفة ماذا يجري عندنا تماماً وكان استنتاجاً من استمرار ذلك النشاط، وبهذا الحجم الكبير من الاستطلاع بأنواعه الاستطلاع بالنظر، والاستطلاع بالتصوير، والاستطلاع الإلكتروني، هو خريطة حائط الصواريخ لدى العدو، وقد اهتزت وأصبحت ملاحها - (العدد - النوع - أماكن التمرکز) غير معروفة تماماً - وهذا الأمر بالنسبة له يعتبر كارثة، فعدونا لا يقدم على أى عمل عسكري إلا إذا اكتملت لديه المعلومات المطلوبة عنه، ولك لضمان النجاح من ناحية ولتحقيق مهمته بأقل خسائر. استمر تنفيذ خطة الخداع الجوي لحائط الصواريخ مدة طويلة، وأضحى واضحاً أن العدو أصبح يجازف باقترابه من القناة، فكان أن اتجه التفكير للحصول على صيد ثمين آخر من طائراته، فلجأنا إلى أسلوب الكمين مرة أخرى اعتباراً من منتصف يونيو ١٩٧٢. ولكن لم تتمكن من اصطيد شيء من طائراته للحذر الشديد الذي اتبعه العدو عند طيرانه بعد تدمير الطائرة ستراتوكروز في سبتمبر ١٩٧١، وكان علينا أن ندرس أسلوب العدو في الحذر والمناورة، وأن نخطط لكي يقع في أيدينا، وفعلنا في ١٩ / ٧ / ١٩٧٢ تمكنت إحدى الكتائب القائمة بعمل كمين للعدو من إسقاط إحدى طائرات الاستطلاع من نوع الفانتوم، وذلك رغم حذره الشديد أثناء طيرانه، لقد كان العدو إزاء رغبة حائط الصواريخ في اقتناصه جاهزاً للرد الفوري في حالة اعتراض طائراته في الجو وتدميرها بالصواريخ، وكان سبيله في ذلك هو وجود بعض المقاتلات في أوضاع استعداد عالية في مطارات سيناء، وعلى ذلك فبمجرد تدمير طائرة الاستطلاع خرجت طائرات الاستعداد من مطار المليز إلى مكان الطائرة المدمرة لمحاولة تحديد كتيبة الصواريخ لمهاجمتها، ولم يتمكن العدو من ذلك، بل وفي أثناء بحثه تم الاشتباك معه من كمين آخر دون يدمر مما جعل العدو يفضل أن يلوذ بالفرار، فلقد اعتقد أنه وقع في منطقة بها أكثر من كمين، وأن وجوده بها بحثاً عن مكان للكمين لا بد أن يؤدي

إلى خسائر أكثر، فيما كان منه إلا أن عاود أدراجه وقد لحقت به أذبال الخيبة، فلقد تدمرت له طائرة وفشل في مهاجمة الكمين، لقد أذاع العدو إثر فشله نصبنا له كميناً بارعاً وحدد مكانه في الإسماعيلية، ولم يذكر أننا دمرنا له أى طائرة، والواقع أن إحدى طائرات الفانتوم وهى فى رحلتها الاستطلاعية اليومية تم تدميرها، ولكن لماذا أذاع العدو إسقاط الطائرة ستراتوكروز ولم يدع تدمير الطائرة الفانتوم - الواقع أن الطائرة الأولى لا يمكن إخفاء نبأ تدميرها لكثرة عدد ضحاياها، فبحوار طاقمها كان بها عدد من الفنيين يتراوح ما بين ٤ و ٧ أفراد حسب حجم المعدات بها، علاوة على ضخامة المعدات الإلكترونية بها، أما الثانية فيمكن إخفاؤها وإعلانها بعد فترة على أنها تحطمت خلال التدريب اليومى.

لقد أدى هذا الكمين دوره البارع فى الحد من نشاط العدو وشرق القناة مباشرة، فاقصر نشاط العدو على منطقة وسط سيناء وابتعد عن القناة شرقاً بما يقرب من ٥٠ كم، وبالتحديد لم يتعد خط طول ٣٣ شرقاً. ولا شك أن هذا الاتجاه من العدو أسعدنا، فأصبح غير قادر على معرفة ما يجرى فى عمق قواتنا غير أن هذا الابتعاد لم يدم أكثر من شهور محدودة، عاد العدو بعدها كعادته القديمة، ولإجباره على الابتعاد عن القناة نصب له كمين أخرى بمنطقة جنوب البحيرات، وانتباه منه ولم يتدمر لقيام العدو بالناورة إلى داخل سيناء.

لقد استخدمت الكمائن بأساليب مختلفة فى القطاع الواحد أو فى القطاعات كلها بغرض تدمير طائرة العدو.

وكان علينا حتى نوقعه فى الكمين أن نتخذ كثيراً من الأساليب الخداعية، وأن تقوم كتائب الصواريخ القائمة بالكمين باتباع تعليمات مناسبة للاشتباك مع العدو تهدف إلى عدم إشعاره بأن هناك وحدات تجرى الاشتباك معه بعد عدة ثوانٍ من إطلاق أول صاروخ عليه، ناهيك إلى وجود المعدات دون رقابة بالإضافة إلى الإجهاد الكبير للأفراد والمعدات والقيادات وضرورة توفير الوقاية لكتائب الصواريخ الموجودة فى الكمين وذلك بالوحدات الموجودة خلفها حتى يمكن وقايتها لو حاول العدو مهاجمتها عند كشفها، وقد استلزم ذلك جهداً كبيراً وألقى عبئاً ثقيلاً على الأفراد والمعدات.

لقد رأينا - قد أصبح هذا الأسلوب له تقريباً - الاستفادة منه في دراسة العدو وأساليبه وفعلاً كانت طلعات العدو القريبة، والتي تتعامل معها وحدات الكمان ولم تتمكن من الاشتباك بها - لحرص العدو الزائد، أو كبر مسافاتها، أو لفشل وحداتنا في تحديد اللحظة الصحيحة للاشتباك معها. كانت هذه الطلعات معينة لا ينصب لتعرف على أساليب العدو التي يستحدثها على تكتيكاته الجوية والتي يعدها الجولة القادمة، وإزاء كل ما كان يستحدثه كنا نضع أسلوباً مناسباً للتغلب على ما استحدثه، ولكننا كنا في كل مرة نفاجاً بالجديد، ومن تحليلنا لهذه الأساليب أيقنا تماماً بأن الطيارين الذين يدفع بهم العدو للعمل على المواجهة ما هم إلا صفوة من الطيارين المهرة، بل من أمهر الطيارين في العالم فعلاً، ولك أن تتصور قدرتهم على القيام بالمناورة الحادة بسرعة تصل إلى ٢٥ كم / دقيقة مع حمل زائد يصل إلى ٨ (G) عجلة جاذبية.

الخداع

لم يبدأ العدو عن القيام بالاستطلاع لجهة القتال سواء أكان استطلاعاً بالتصوير أم استطلاعاً إلكترونياً، وكانت أوضاع حائط الصواريخ منذ أكتوبر ١٩٧٠ قد ثبتت تقريباً فلم يطرأ عليها سوى تغييرات محدودة، سواء في عدد الوحدات أو في المواقع التي تحتلها على الأرض، ونظراً لما لدى العدو من وسائل متقدمة بالإضافة إلى استعانتها بمعلومات الأقمار الصناعية الأمريكية فلا شك أن حجم وشكل حائط الصواريخ كان معروفاً لديه. ولقد نشر العدو خلال عام ١٩٧٠ إحدى الصور التي حصل عليها من الأقمار الصناعية الأمريكية، والتي توضح على شكل حائط الصواريخ على الأرض، وفعلاً كانت أوضاعه مطابقة لأوضاع القتال تماماً يوم أن أخذت هذه الصورة، بل إنها كانت دقيقة للغاية في تحديد المواقع على الأرض، وإزاء ذلك وفي ضوء فشل اشتباك العدو يوم ١٨/٩/١٩٧١ واحتمال تكرار هذا الهجوم بنفس الأسلوب أو بغيره، وجدنا من الضروري القيام بوضع وتنفيذ أول خطة للخداع، وكانت محدودة في الغرض الذي تهدف إليه وفي عدد ونوعية الوحدات القائمة بتنفيذها.

بدأ تنفيذ هذه الخطة في أكتوبر ١٩٧١، ولمدة شهر تقريباً، واستُخدم فيها عدد محدود جداً من الوحدات، وقدر كبير من المعدات اللاسلكية والمعدات الصاروخية الهيكلية،

ولم يتم فيها استخدام مواقع المعركة الهجومية. تلك المواقع التى تقع فى نسقين. أولهما على مسافة ٦-٨ كم، والثانى على مسافة ١-٣ كم من القناة، وكان أهم ما تهدف إليه هذه الخطة هو إيهام العدو عن وجود تجميع قوى أولاً على أجناب تشكيل قتال حائط الصواريخ بمنطقة القطامية والقنطرة، وثانياً فى القطاع الأوسط لحائط الصواريخ. أما عن الجانب الأيمن فكان السبب هو إيهام العدو بوجود دفاع بالصواريخ قوى حول مطار القطامية وما عليه وقتئذ لم يزد عن فوج مدفعية خفيفة مضادة للطائرات. أما عن الجانب الأيسر فلأنه معرض لهجوم العدو على ارتفاع منخفض جداً، نظراً لارتكاز هذا الجنب على بحيرة المنزلة ووجود تجميع قوى على هذه الأجناب وقتئذ يجعل العدو يفكر تماماً عدة مرات مهاجمته حائط الصواريخ من الأجناب، فلا شك أن أجناب أى تجميع كبير مثل حائط الصواريخ تكون هى اتجاه الجنب عند التخطيط لمهاجمته. أما عن القطاع الأوسط لحائط الصواريخ - ذلك القطاع الذى يقع بين طريق أبى سلطان والسلسلة الجبلية التى تكون الحدود بين الجيشين الثالث والثانى، ويعمق حتى طريق القاهرة والإسماعيلية الصحراوى، فلا إيهام العدو بوجود تجميع قوى فى أنساق عديدة فى ذلك الاتجاه، ولكن لماذا هذا الاتجاه، لقد كان هذا الاتجاه هو اتجاه المجهود الرئيسى للعدو فى حالة قيامه بعمليات هجومية وعبور قناة السويس، فهذا هو الاتجاه الذى سيدفع فيه العدو احتياطياته التعبوية من المدرعات والمشاة الميكانيكية تلك الاحتياطيات التى ستقوم بالتعاون مع قواته الجوية وقوات الإبرار الجوى بالوصول إلى مشارف القاهرة. لقد كانت تلك هى الفكرة التى بنيت عليها الخطة الدفاعية - الخطة التى أعطيت الرقم ٢٠٠، وذلك من وجهة نظر تقديرنا لأعمال العدو المنتظرة، ولقد برهنت عمليات أكتوبر ١٩٧٣ - بعد عبور العدو إلى غرب القناة فى منطقة الدفرسوار على أن العدو كان حريصاً فى تقدمه فى هذا الاتجاه، وسنرى ذلك عند التكلم عن المعركة.

كان رد فعل العدو إزاء ذلك زيادة النشاط الاستطلاعى، وخاصة الاستطلاع الإلكترونى للتعرف على ما يجرى فى جانبنا، وكان ذلك داعياً لأن نعود إلى استخدام أسلوب الكتمان فى ٥ نوفمبر ١٩٧١، ولكن استخدمت هذه المرة على أجناب تشكيل قتال حائط الصواريخ لتأكيد صحة خطة الخداع، ولم يحاول العدو القيام بأى اختراق

للمواجهة، إذ كان لا يزال يجد في جمع المعلومات، وتأكيدهما، لإعادة رسم خريطة عن حائط الصواريخ وفقاً لآخر معلومات تيسرت إليه وفي ٢ ديسمبر ١٩٧١، وإزاء إصرار العدو على الاستطلاع الزائد، صدرت تعليمات من قيادة قوات الدفاع الجوي بأن توقف وحدات حائط الصواريخ إشعاعها على الهواء لجميع معداتها، وكانت هذه الأوامر مبنية على رأى الخبراء السوفيت الذين يعملون بها، والله يعلم وحده ماذا كانوا يبنون من وراء ذلك، إن بقاء الوضع على هذه الحالة يجعل العدو قادراً على تهشيم حائط الصواريخ قبل أن تطلق كتائبه أى صاروخ.

ونظراً لأن المد الذى يؤيد هذا الرأى كان عالياً فلم أشأ معارضته في حينه، واكتفيت بإظهار المشكلات التى تعترض تنفيذه والخطورة التى تترتب على ذلك الوضع طالباً قليلاً من الوقت لإتمام الدراسة المطلوبة. وفي وقت قصير تم إجراء كل الحسابات اللازمة، وأثبتت الحسابات صحة ما أوضحناه ومدى الخطورة الناجمة من اتباع هذا الأسلوب مما حدا بهذه القيادة حدّاً إلى إصدار تعليمات مضادة للتعليمات الأولى يوم ٢٦ ديسمبر ١٩٧١.

كان علينا أن نعد لخطة الخداع الثانية، فأسلوب الخداع في اعتقادي كان أنجح أسلوب للتعامل مع العدو، وإن دراسة أجهزة استشعاره بدقة مع خصائص المعدات التى في أيدينا يمكنها أن تعطينا أسلوباً ناجحاً لجعل العدو يتخبط ويصبح في ظلام مما يدور عندنا. وفعلاً تم وضع خطة الخداع الثانية، وكانت تهدف إلى تحقيق الآتى :

أ- خداع العدو عن تجمع حائط الصواريخ حجماً ونوعاً.

ب- خداع العدو عن أوضاع الوحدات على الأرض.

ج- الوصول إلى تجميع يخدم المعركة الدفاعية والهجومية.

د- تقنين أسلوب لعمل الوحدات بعد انتهاء تنفيذ خطة الخداع لمنع إشعاعها للطاقة الكهرومغناطيسية في الهواء، تلك الطاقة التى يقوم مركز الإعاقة والشوشرة في أم خشيب بما فيه من أجهزة استشعار في بحر ثوان معدودة بتحديد نوع الإشعاع ومكانه.

استلزم تنفيذ الخطة الثانية للخداع التعبوي نحو ثلاثة أشهر، واشتركت فيها عدة كتائب صواريخ، وعدة أجهزة رادار مختلفة الترددات، كما اشتركت فيها أيضا المعدات الهيكلية الممثلة لنوعيات أجهزة الرادار والصواريخ المختلفة، ووضع للوحدات القائمة بتنفيذ الخطة أسلوب خاص لعملها، كي تخدع العدو، ونعطيها ما نريد أن نعطيها من معلومات، وتم توقيع كل ذلك على خريطة الخداع وروقب التنفيذ بدقة تامة حتى لا يتسرب للعدو من معلومات سوى ما حددناه.

بدأ تنفيذ الخطة في يناير ١٩٧٢، وانتهت في مارس ١٩٧٢، خلال المراحل الأولى لتنفيذها جن جنون العدو كعادته عندما يجابه بأى فعل جديد، وابتدأ نشاطه الاستطلاعى وخاصة الاستطلاع الإلكتروني يكثُر، لدرجة أنه كان يصل في بعض الأيام إلى أربع طلعات استطلاع إلكترونى، تغطى ما يقرب من ٨ ساعات يوميا.

لقد كنا واثقين تمامًا أن العدو عند بدء القتال سيوجه هجومه إلى أجناب جميع حائط الصواريخ، فهذه هى أساليبه، ضرب الأجناب مع الالتفاف للخارج والإفلات إلى داخل سيناء حتى لا يعرض نفسه لمدة طويلة إلى نيران الصواريخ، وكان علينا فى تنفيذ الخطة الثانية أن نؤكد له مدى قوة وتماسك أجناب حائط الصواريخ. ولقد برهنت حرب أكتوبر صحة ما خططناه له، فلم يحاول العدو ضرب أجناب حائط الصواريخ خلال فترة القتال كلها من ٦ - ٢٥ أكتوبر ١٩٧٣ إلا مرة واحدة عندما قام بضرب الجانب الأيسر يوم ١٨ أكتوبر ١٩٧٣، ولم ينل منه ما كان يتوقعه.

وفى الوقت نفسه الذى كانت تتم فيه خطة الخداع كان يتم تدريب الوحدات تدريبيًا واقعيًا تمامًا على دورها المنتظر فى المعركة الهجومية من تحركات ليلية تحت ظروف القصف المعادى أيا كان نوعه بتمثيل. والمعركة بصورة أقرب ما تكون للواقعية، مع قيامها بعبور مانع مائى فعلا، وصدهجمات جوية على ارتفاعات منخفضة جدًا، وقد اختبر توقيت هذا التدريب ليخدم الخطة الخداعية الجارى تنفيذها ليزداد العدو بلبلة وتخبُّطًا عما هو فيه. وفى هذه الخطة لم أحاول أن أحرك الوحدات القائمة بالخداع إلى بعض المواقع الأمامية - تلك المواقع التى تقع على مسافة ٦ - ٨ كم من القناة، لأن معنى ذلك هو احتلالها بعد ذلك، وهذا لم يكن فى الحسبان، فلا تزال الخطة الدفاعية

هى السارية المفعول، ولو أن هناك خطة هجومية معدة، بل لم نحاول أن نضع بها مواقع هيكلية من أى نوع، حتى لا يعتقد العدو أننا بدأنا فى الإعداد للعملية الهجومية.

لم يقتصر الأمر على ذلك إذ كان من الضروري جعل العدو فى شك تام حجم تجميع حائط الصواريخ، وقررنا أن نعمل على تكبيره حتى يكون له التأثير النفسى المطلوب على العدو، وفعلاً قامت الوحدات بأسلوب تدريبى معين وفقاً لخطة زمنية تجمع بين النمطية وعدم النمطية فى تنفيذها، واستغلت فيها المواقع التبادلية وما أكثرها - وإمعاناً فى الخداع وضعت لها أساليب تدريبية مختلفة، وتم تبادلها بين القيادات والوحدات بالأساليب المفتوحة تارة أى استخدام اللاسلكى دون قيود. وفى بعض الأحوال تتم بعض الوحدات أو كلها باستخدام اللاسلكى أيضاً، ولكن باستخدام الشفرة، وفى الحالة الأولى يتم محاسبة الأفراد على تقصيرهم وسوء تدريبهم، وإمعاناً فى الخداع تداع الجزاءات الموقعة عليهم على الهواء حتى يعتقد العدو تماماً أن هذه الأماكن التى يرصدها بأجهزة استشعار إنما هى مواقع حقيقية. ولقد دلت حرب أكتوبر على نجاح هذا التخطيط تماماً، فقد اعترف الأسرى فى أقوالهم بأن قوة حائط الصواريخ التى يعرفونها عن طريق التلقين المعطى إليهم إنما تتراوح قوته بين ٨٠-١٠٠ كتيبة صواريخ أرض - جو من الأنواع المختلفة.

بعد إنهاء تنفيذ خطة الخداع الثانية بدأ الصواريخ يعمل وكأنه فى صمت، وبدأت الحيرة تظهر على العدو تماماً فى تصرفاته، فلقد فقد كثيراً من المعلومات التى لديه عن حائط الصواريخ، وأصبح واجباً أن يعمل من جديد للحصول على معلومات حديثة عنه، فلم يكتف بنشاطه الاستطلاعى الذى لا يزال على معدل له العالى منذ يناير ١٩٧٢، بل عمد إلى القيام باستطلاع منظور بواسطة الطائرات الهليكوبتر والطائرات البسيطة التى تطير على مقربة من القناة، وهنا أصبح هناك ما يدعو إلى أن نبعد، ثانياً وفعلاً فى يونيو ١٩٧٢. تقرر العودة إلى نظام الكمائن. وبإسقاط طائرة له فى ١٩ يوليو ١٩٧٢ انتاب العدو الخوف وتراجع تماماً، وأصبح نشاطه التدريبى يتم شرق القناة على مسافة لا تقل عن ٥٠ كيلو من القناة على الأقل، أما استطلاعاه فقد اقتصر على مرتين أسبوعياً أو ثلاثة على الأكثر وعلى مسافة ٢٥-٣٠ كم شرق القناة أو أكثر، وبسرعة تتراوح ما

بين ١٣٠٠ و ١٥٠٠ كيلو متر/ ساعة، وعلى ارتفاعات من ١٢-١٥ كم، واستمر على ذلك مدة طويلة.

وخلال النصف الأول من ١٩٧٣، وفي ضوء التحضيرات التي يجري تنفيذها للقيام بالعملية الهجومية، بدأنا تنفيذ خطة الخداع الثالثة وكانت تهدف إلى :

أ- زيادة حجم مراكز قيادة اللوواءات المكونة لحائط الصواريخ لتتناسب مع الحجم الذي سبق تخطيطه، وفي سبيل ذلك تم إنشاء مراكز القيادة هيكلية تم استخدامها خلال مشروعات الخداع لتعمل كمراكز قيادة حقيقية.

ب- إلغاء أسلوب عمل حائط الصواريخ اليومي وهو ما يسمى بنظام الخدمة، وذلك باتباع أساليب تركز كلها على اختلاف التوقيت والعدد والاتجاه ومدة الخدمة، وذلك راجع إلى أن العدو كان يركز استطلاع الإلكترونى مع بدء تغيير خدمة الوحدات، ومما يمكنه من تحديد أماكن وحدات الخدمة في كل فترة زمنية، ولا شك أن معرفة العدو وبذلك بالإضافة إلى ما يعرفه من أسلوب عملنا النمطى - يساعد على تخطيط هجماته الجوية فيوجهها إلى وحدات الخدمة أولا حتى يسكتها ليصول ويجول بعد ذلك.

ج- جعل جميع المواقع حقيقية أو هيكلية - متشابهة في الشكل والتجهيز الهندسى، حتى لا يستطيع الطيارون أثناء اقترابهم إليها - القدرة على التفرقة بينها جميعاً، مما يؤدي إلى استنزاف مجهودهم وقتالهم ضد المواقع الهيكلية لكثرتها، مع إيجاد حياة محدودة بالمواقع الهيكلية من أفراد ومعدات تعمل وفق أسلوب خاص.

د- معرفة تصرف العدو إزاء احتلال المواقع الأمامية بالمواقع الهيكلية وذلك بوضع معدات هيكلية في مواقع المعركة التي تقع على بعد ٦-٨ كم، ومن نوعيات تشابه ما سيكون فيها مستقبلاً حسب خطة العمليات التي كانت قد تبلورت تماماً وقتئذ، ودفع أجهزة رادار إنذار تشابه مع نوعيات الكتائب التي ستحتلها مستقبلاً، وذلك للإشعاع منها وفقاً لنظام خدمة وضع لذلك الغرض.

هـ- منع العدو من التعرف عما يجري داخل التشكيل من أوجه نشاطه المختلفة حتى نجعل من الصعب عليه القيام بأى استنتاجات منطقية، وذلك بغرض الصمت

الكامل على وسائل المواصلات اللاسلكية وحظر استخدامها نهائيًا، واستخدام المواصلات الخطية إلا ما كان لازماً لتحقيق خطة الخداع الجارى تنفيذها.

و- منع العدو من الاستدلال والتعرف على مواقع الكتائب أو مراكز القيادة المراد مهاجمتها، وذلك بهدم الأغراض الشهيرة المجاورة لها، والتي يتخذها العدو كنقط إرشاد للوصول إلى أغراض أو تغيير معالمها أو إخفائها في حالة تعذر هدمها.

أدى بدء تنفيذ خطة الخداع الثالثة، وفي الوقت الذي كان يجري فيه تحركات للتشكيلات البرية تجاه الجبهة لقيامها بمشروع تدريبي ضخم خلال مارس ١٩٧٣، وما كان يتم من تحضيرات للعملية الهجومية - إلى نشاط كبير من جانب العدو، فلقد نشط استطلاع الجوى بشكل واضح، إذ كان يتم لعدة مرات يوميًا وخلال هذا النشاط الاستطلاعي لوحظ زيادة جرأة العدو واقتربه من القناة، حتى أصبح يطير على مسافة تتراوح بين ٢-١٠ كم شرق القناة، بل انه إزاء المعلومات التي وصلت إليه عن ذلك المشروع التدريبي وحجم التشكيلات المتحركة للجبهة قام العدو باستدعاء احتياطياته ودفع منها قسمًا كبيرًا إلى سيناء - وإزاء اقتراب العدو من القناة أصبح من الواجب مرة أخرى العمل على دفعه بعيدًا عن القناة، فقد خشينا أن يقوم العدو باختراق جوى للجبهة بغية الحصول على معلومات دقيقة عما يجري من جانبنا، وإزاء ذلك عدنا مرة أخرى إلى نظام الكمائن، ونظرًا لما كان يعلق في الأذهان من الخسائر التي لحقت بإحدى الكمائن التي نصبت للعدو في سوريا وهي خسائر رهيبة إذا قيمت بالمهمة الموكولة إلى الكمين - أصبح موضوع استخدام الكمائن غير مقبول من الجميع، وخوفًا من تكرار ما حدث في سوريا غيرنا الأسلوب المستخدم بغرض توفير الوقاية للكمين، ولم تفلح الكمائن التي وضعت خلال ثلاثة أشهر إلى إسقاط أى طائرة للعدو للحذر الشديد الذي اتبعه العدو في طيرانه أولاً وإلى استخدام السرعات فوق الصوتية عند عبور أما القناة ثانيًا، بالإضافة إلى قيامه بالمناورة إلى داخل سيناء بمجرد الإحساس بأن إحدى كتائب الصواريخ بدأت في الاشتباك معه.

في يوليو ١٩٧٣ كانت الاستعدادات للعملية الهجومية تزداد يومًا بعد يوم وأخذت ملاحظتها تتضح تمامًا، وقد أوشكت مصاطب الدبابات التي تم بناؤها غرب القناة على

الانتهاء تمامًا، والتجهيز الهندسى لمنطقة الهجوم أو شك هو الآخر على الانتهاء والعمل يسير فيه ليلاً ونهاراً، وكان من الضروري أن يتم كل ذلك بعيداً عن أعين العدو ورقابته وخاصة - وفقاً للتخطيط الموضوع للعملية الهجومية - سيدفع العديد من الوحدات والتشكيلات إلى الجبهة خلال الفترة المقبلة، وهنا طلبت القيادة العامة للقوات المسلحة من قيادة الدفاع الجوى منع العدو من الاستطلاع شرق القناة لمسافة ١٠ كم، كما منعه من القيام بأى اختراق فى اتجاه الشرق، وقد أرسلت تلك التعليمات إلى لوضع الخطة اللازمة لتحقيق ذلك.

- قررت احتلال بعض مواقع المعركة، وكان هذا الاحتلال تحدياً للعدو وكما سنرى فيما بعد، أن احتلال المواقع الأمامية تلك المواقع التى تقع على مسافة ٦-٨ كم من القناة -إنما يعنى زيادة قدرة حائط الصواريخ على التدمير داخل سيناء، مما يجعل القناة وخط بارليف والاحتياطات التكتيكية القريبة كلها بمعزل تماماً عن القوات الجوية الإسرائيلية، فاقتراب القوات الجوية إلى أقل من مسافة ٢٠ كم شرق القناة يجعلها تدخل مناطق تدمير الصواريخ، ويعرضها تماماً لنيران الصواريخ؛ ولذا لم يقابل العدو هذا العمل بالارتياح - وكنا مقدرين هذا تماماً.

لقد رأيت عند وضع الخطة لتحقيق المطلوب الآتى :

أ- أن نخدم المعركة الهجومية المقبلة، وذلك باحتلال مواقع الخطة احتلالاً حقيقياً بالكتائب كى يتعود العدو على هذا المنظر من الآن.

ب- ألا يعطى هذا العمل العدو أى احتمال لعمليات مقبلة، وإنما يجعله يعتقد أن هذا شكل جديد من أساليب الكمائن، فبدلاً من استخدام الكمائن المخفية قبل ذلك أصبحنا نستخدم الكمائن المكشوفة.

ج- ألا يوحى هذا الاحتلال للعدو بأنه مقدمة لعمليات هجومية وشيكة الوقوع، وذلك باحتلال قدر محدود من المواقع، إذ أنه فى العمليات الحقيقية سيتم احتلال معظم هذه المواقع.

كان من الواجب على العدو أن يقطن إلى أن احتلالنا لهذه المواقع سيؤثر على سيطرته الجوية فوق القناة وخط بارليف، ولكنه لفرط الثقة لم يعرها التفاتاً أو أننا كنا أكثر منه ذكاءً فناوشناه بأساليب سلبية ولم نسمح للأساليب الساخنة بالانطلاق. ولقد أدت الأوضاع الجديدة لوحدتنا إلى ابتعاد العدو عن القناة، وأصبح يطير على مسافة لا تقل عن ٣٠ كم شرق القناة. وكلما حاول العدو أن يقترب أقل من ذلك كانت كتابتنا الأمامية تعامله بأسلوب خاص تجعله يطير إلى داخل سيناء مؤثراً السلامة عن تحقيق المهمة، لقد كان تقديرنا أن هذا الأسلوب من العمل لن يطول، فعدونا لا يقبل أن ينقص أحد شيئاً من غطرسته وكبريائه، ولكن ما الاحتمالات المنتظرة؟.

لقد كان توقعنا أن هناك رد فعل من جانب العدو، وقد يكون رد الفعل في صورة اختراق لجبهة القتال للتعرف على ما يجري فيها، أو مهاجمة الوحدات الأمامية، تلك الوحدات التي تحد من نشاطه الاستطلاعي شرق القناة، وكان تقديرنا أن رد الفعل لن يتأخر كثيراً لما في ذلك من أثر على نفس المعلومات اليومية لدى العدو عن أوضاع قواتنا، بالإضافة إلى ما لها من تأثير معنوي على قواته الموجودة في خط بارليف وخلفه مباشرة، ولم يتأخر رد الفعل الذي انتظرناه، ففي يوم ١٨ / ٧ / ١٩٧٣ بدأ نشاط العدو صباحاً شرق القناة وانحصر نشاطه شرقاً على مسافة ٤٠ كيلو متراً من القناة، (وسعت ١٣٠٧) قام العدو بطلعة استطلاع بعدد ٤ طائرات فانتوم وميراج، اقتربت من وسط سيناء على ارتفاع ١٣ كم متجهة إلى رأس سدر، ثم مرت بحذاء القناة في اتجاه الشمال على مسافة ٣٠ كم. وجدها بقليل وبعد تأكيد أوضاع الوحدات الأمامية بدأ العدو في تنفيذ خطة الرد الفعلية، فقام بطلعة استطلاع جديدة بعدد ٨ طائرات اقتربت في مجموعتين على ارتفاع ٧ كم من وسط سيناء إلى منطقة البحيرات، ثم اتجهت شمالاً على مسافة ١٠ كم شرق القناة، وفي الوقت نفسه ظهرت أهداف عديدة على مسافات تتراوح بين ٢٥-٤٠ كم، بلغت في مجملها ٨ أهداف مجموعة، أي تتراوح قوتها بين ١٦-٣٢ طائرة.

كان من الممكن أن تشتبك وحدتنا الأمامية مع العدو، ولكن ظهور المظلات الجوية واستخدام الإعاقة الإلكترونية بكثافة أوضح لى ما يضمرة العدو من وراء هذه الطلعة،

وقد تأكد ذلك بعد زمن قليل، فما لبث أن ظهرت مجموعة من الأهداف كل منها ٤ طائرات على ارتفاع ٧ كم، تقترب بسرعة عالية تجاه الإسماعيلية، لقد كان العدو يبغى من وراء ذلك - بعد تأكيد مواقع الوحدات وإجبارها على الفتح عليه عند مروره أمام الإسماعيلية، مما يجعلها تقع فريسة سهلة لضربها بالصواريخ شرايك وذلك بواسطة الأهداف المقتربة من وسط سيناء، والتي تطير بسرعة عالية على ارتفاع ٧ كم، على أن تعاونها المظلات الجوية العديدة الموجودة في الشرق في مهاجمة وحداتنا الأمامية، ولكن تقديرنا السليم لأعمال العدو لم يتح للعدو أى أمل في النجاح، فشلت خطته التي خصص لها بين ٣٦-٥٠ طائرة، وفشلت خطة الانتقام أو الردع التي خطط لها العدو لتتم في الفترة من ١٠/٧ إلى ١٨/٧، وبفشل هذا التخطيط وجد العدو أنه لا سبيل لإجبار الوحدات الأمامية على الاشتباك معه بمثل هذا الأسلوب وكان عليه أن يختار أسلوباً آخر، ولم يكن أمامه سوى القيام باختراق الجبهة القتال في قطاع أو أكثر من قطاع، على أن يكون الاختراق لعمق محدود، حتى لا يتواجد لفترة زمنية طويلة تحت تأثير نيران وحدات الصواريخ، على أن يتم ذلك على ارتفاعات منخفضة جداً مع استغلال الأودية للطيران فيها، فكان علينا ألا نسمح للعدو بذلك، ولقد وجدنا في صواريخ سام ٧ الحل الأمثل للوقوف ضد هذا الأسلوب، وكان أن حددت أماكن الاختراق المحتملة على طول المواجهة، وتم قفلها بواسطة وحدات سام ٧ التي أخذت أوضاعها في تعاون وثيق مع الأسلحة الأخرى، كالمدفعية المضادة للطائرات ووحدات الصواريخ أرض - جو.

ولم يحاول العدو بعد ذلك الاقتراب من القناة لمسافات أقل من ٢٥ كم. ولكنه إزاء ما يجري في الجبهة من تحضيرات للعملية الهجومية رأى أنه من الضروري الاقتراب للحصول على صورة للجبهة حتى يتعرف على نشاط وأوضاع قواتنا، تلك المعلومات التي تمكنه من خلالها بمعرفة نوايا قواتنا وتمكنه من تحديد التوقيت التقريبي للهجوم.

ولكن كيف تم ذلك ؟، لقد بدأ العدو بتنفيذ طلعات استطلاعية على ارتفاعات عالية جداً تتراوح ما بين ١٧ و ١٩ كم، ومثل هذه الارتفاعات تسمح للعدو بالاقتراب أكثر من القناة، وذلك حتى مسافة ١٢ كم شرق القناة دون أن تتمكن الوحدات الأمامية

من الاشتباك معه، وقد كان للمعلومات الفنية التي تمكن العدو من الحصول عليها عن خصائص وحدات الصواريخ سام ٢ معدل، وخصائص وشكل منطقة تدميرها على الارتفاعات المختلفة إثر هزيمة ١٩٦٧ - أثر في أن يتمكن العدو من استخدام مثل هذا الأسلوب الناجح.

لم يزعجنا هذا الاقتراب حقيقة أن قيامه بالاستطلاع على الارتفاع العالي يسر له تصوير مناطق أكثر عمقاً من الأولى، فكلما زاد الارتفاع زاد عمق المناطق التي يتم تصويرها - ولكننا كنا نخشى أن يتم أى اختراق على ارتفاع منخفض جداً ٣٠-١٥٠ مترًا تحت ستر هذا الاستطلاع، ولكننا لم ننخدع، بل كنا نولى كل اهتمامنا لكشف أى طائرات للعدو وتحاول التسلل والاختراق، فكما كانت هناك وحدات قائمة بالتعامل مع طائرات الاستطلاع لتدميرها لو سنحت الفرصة لها بذلك كانت هناك وحدات أخرى تقوم بالبحث عن أى تسلل للتعامل معه فوراً.

لقد استفدنا من هذه الطلعات الاستطلاعية المعادية الكثيرة، تلك الطلعات التي تمّت خلال شهر أغسطس، وكان أفضل ما استفدنا منها أن طيارى العدو رغم طيرانهم على هذا الارتفاع الشاهق ورغم إمامهم بخصائص مناطق تدمير الصواريخ سام ٢ معدل التي يعرفونها تمامًا، كان الهلع يتتابهم تمامًا عند التعامل معهم بالأساليب الخداعية المختلفة، وقد كان علينا أن نستفيد من هذا الهلع في معركتنا المقبلة لنفقد العدو اتزانه مبكرًا كلما أمكن ذلك، لضمان انتزاع المبادأة من يده، واستمر الحال على ذلك المنوال طول شهر سبتمبر والاستعدادات للمعركة تأخذ طريقها، بل تزداد يومًا بعد يوم، والقوات المخصصة للعملية الهجومية تدفع من مناطق تركزها الخلفية إلى جبهة القتال.

كان من الواجب علينا وقد احتلت بعض وحداتنا المواقع الأمامية (موقع المعركة) أن نخدع العدو مرة أخرى، ونجعله في شك من مهمة هذه الوحدات هل هي بغرض منعه من الاستطلاع على مقربة من القناة أو بغرض منع العدو من اختراق جبهة القتال لمحاولة التعرف على ما يجري إعداده في الخلف لذلك اليوم؟ وفي سبيل ذلك وضع للوحدات القائمة بتنفيذ المهمة خطة للمناورة، روعى فيها جميع الاحتمالات المنتظرة القريبة والبعيدة، مما أظهر للعدو من خلال تنفيذ هذه الخطة رغبتنا الشديدة في منعه من الاستطلاع وليس الاختراق، وهو ما أردنا أن نخفيه عنه.

الباب الخامس

الفصل الثانى عشر

التحضير لمعركة أكتوبر ٧٣

استكمال التحضير للمعركة

لقد كان إعداد حائط الصواريخ الذى سبق توضيحه من قبل منذ رفض جمهورية مصر العربية تجديد وقف النار حتى شهر سبتمبر ٧٣ ما هو إلا عملية إعداد وتجهيز مستمر للقتال، وكان من الضروري أن يكون ذلك هو الأسلوب الذى يجب اتباعه، فأمامنا عدو لا يهدأ، نهاز للفرص، يمتلك قوة جوية قوية يدعمها بصفة مستمرة ويعدها للقتال. أعظم إعداد، يتباهى بها ويقدراتها أمام العالم؛ لذا فتوقعى للقتال معه كان منتظرًا بصفة دائمة، ما يكاد يهدأ قليلاً حتى تشد جذوته ثانياً. لقد كان كلانا يضع الآخر تحت مراقبته للتعرف على نشاطه وأوضاعه للحد من نجاحه. لقد كان استعدادنا الدائم للقتال ما هو إلا أسلوباً للحد من نجاحه وإشعاره بمدى يقظتنا. لقد أدى هذا الاستعداد إلى استهلاك كبير للمعدات بلغ ما يتراوح بين ٧٠٠٠ - ١١٠٠٠ ساعة من عمر أى معدة.

لم يكد يقترب منتصف شهر سبتمبر ٧٣ حتى ظهر فى الأفق أن هناك شيئاً ما أصبح وشيك الوقوع بالنسبة للمعركة، ورغم التكتّم الشديد، ورغم عدم صدور أى أوامر فيما يختص بالعملية الهجومية حتى ذلك الوقت فإننى كنت مقتنعاً تماماً بأن هناك شيئاً ما قريب الحدوث، وخاصة بعد صدور الأوامر لعديد من الوحدات بالتحرك من القاهرة إلى مناطق الجيوش الميدانية اعتباراً من يوم ١٠ سبتمبر ٧٣، وإزاء ذلك كان لا بد من الإسراع فى إنهاء أى تحضيرات ضرورية للقتال، حتى نكون على أتم استعداد

للملاقة أى أعمال مفاجئة يقوم بها العدو، وإزاء ما يجرى من تحرك كثير من الوحدات إلى جبهة القتال، وحتى تكون مرحلة إصدار الأوامر وتنفيذ الاستعداد القتالى خالية من أى تعقيدات أو إرهاب إذ أن كليهما سيكون له الأثر على المعركة عندما تبدأ، وضعت فى اعتبارى كل ذلك وقررت فى تخطيطى إنهاء جميع الأعمال المطلوبة قبل ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣.

وفى ضوء ذلك قمت بدراسة أوضاع حائط الصواريخ من جميع النواحي، وحددت الموضوعات والأعمال التى يجب أن تتم، وكان أهم هذه الموضوعات والتى يجب وضعها موضع التنفيذ الفورى هو اليقظة العالية لمراكز القيادة، تلك العقول المسيطرة على عمل وحدات الصواريخ والرادار والمدفعية، ونظرًا للإرهاب الناتج من مراقبة الموقف الجوى بدقة، وإصدار الأوامر للوحدات بجانب سوء التهوية، والإطلام الذى تعمل فيه المراكز قررت أن تعمل الأطقم فقط لضمان يقظتها تمامًا وبالتالى يقظة الوحدات التى تقودها، ولا شك أن هذه اليقظة كانت لازمة اعتبارًا من ذلك الوقت، نظرًا لأن الوحدات والتشكيلات المخصصة للعملية الهجومية بدأ دفعها للجبهة حسب الجدول الزمنى والموضوع لها، ومن بين ما تم دفعه وحدات مدرعة ومشاة ميكانيكية ومهندسين..... إلخ. كما قررت أن يتم احتلالها لمراكز قيادتها فى توقيتات مختلفة لتلافى وجود حلقة ضعيفة فى سلسلة اليقظة والاستعداد وراقبت هذا النظام مراقبة دقيقة.

وضمناً للسرية قررت أن لا يعرف أحد فى قيادة الفرقة أى شىء عما صدر من توجيهات على أن يتم التحضير للمعركة فى هدوء، وعلى هيئة أوامر تصدر منى للرؤساء والقادة المعنيين مباشرة على أساس أنها أعمال من المفروض إتمامها لاستكمال استعداد الفرقة لأى عمليات قد تنشب فى المستقبل، واحتفظت ببعض الأعمال المطلوب إتمامها والتى تستخدم الخطة الهجومية مباشرة دون إنجاز إلى وقت متأخر حتى لا تكون سبباً لكشف نوايانا مبكرًا، وإمعانًا فى الخداع لم أصدر أوامرى لكل الرؤساء بالفرقة، بل اخترت لذلك الرؤساء الأساسيين دون غيرهم من الرؤساء، واجتمعت بكل منهم على انفراد، وأعطيتهم تعليماتى وطلبت منه إنهاء الأعمال المطلوبة منه، وحددت له توقيت الانتهاء من كل عمل. وذلك دون إبداء أى أسباب سوى أنها من مستلزمات الاستعداد

للقتال. بعد ذلك رأيت من واجبي كمائد للتشكيل أن أراقب تنفيذ الأعمال الجارية على الأرض بنفسى، وأن أقرن ذلك بالمرور على قيادات ألوية الصواريخ وأفواج المدفعية م/ ط وأفواج الرادار لإعطائها دفعة قوية للعمل، وتذكيرها بما هو مطلوب منها وما سيتم في قطاعاتها من أعمال، وكذا المرور على كتائب الصواريخ لتأكيد بعض النقاط المهمة عن العدو وأسلوبه، وكيفية الاشتباك به، وأسلوب التغلب على وسائل العدو المختلفة التى سبق ذكرها، يحدونى فى ذلك أمران الأول الوقوف على مستوى الكفاءة القتالية للوحدات لإمكان معرفة الوحدات التى يمكن إسناد المهام الصعبة لها خلال المعركة، وثانيًا لإعطاء الأفراد جرعة معنوية لتحسينهم ضد الحرب النفسية للعدو ولبث الإصرار على القتال وحب الاستشهاد فى سبيل الله والوطن فى نفوسهم مذكرًا إياهم بأبجادهم الماضية ومستقبلهم المشرق.

مراجعة أهم الأعمال

لقد كان هناك العديد من الأعمال المطلوب مراجعتها للتأكد من صحتها أو تلك المطلوب إنجازها لتجهيز الوحدات للمعركة. كانت الأعمال المطلوبة كثيرة، وكان الوقت المتيسر محدودًا. لقد تركت كثيرًا من الأعمال للرؤساء للمراجعة والتنفيذ، ولكن كانت هناك بعض الموضوعات التى يجب أن أراجعها بنفسى للتأكد فى النهاية من أن التشكيل كله على مستوى الكفاءة القتالية العالية والتجانس المحكم حتى يمكنه أن يحقق مهامه بنجاح فى المعركة.

لقد كان التأكد من قدرة الوحدات على إتمام المناورة فى الأزمنة التى سبق أن حققناها والتى على أساسها تم التخطيط أول عمل يجب مراجعته والتأكد منه؛ لذا أصدرت أوامرى إلى بعض الكتائب بالقيام بالمناورة فجائيًا، ولكم كانت دهشتى عندما وجدت أن عددًا كبيرًا منها تعدى الأزمنة القياسية التى وصل إليها من قبل، حقيقة أن الأزمنة التى أتموا فيها المناورة تعتبر ممتازة إذا قيست بما هو فى كتب التعليم إلا أنها فى ضوء معركتنا المتوقعة تعتبر دون المستوى المطلوب نظرًا للصعوبات المنتظر أن تقابلها الوحدات عند عملها، نظرًا لما ينتظر أن تقسم به المعركة من عنف، بالإضافة إلى الصعوبات المنتظر أن تقابلها الوحدات عند عملها شرق القناة، ولتحقيق ذلك

بدأت وضع خطة زمنية لتدريب الوحدات على المناورة، وهذا النوع من التدريب من مستلزمات الخطة الهجومية ومن مستلزمات الخطة الدفاعية، والتدريب عليه لا يؤدي إلى معرفة النوايا المقبلة، وإمعاناً في إخفاء النوايا أشركت في التدريب اللوات المخصصة لوقاية المعابر على القناة، والتي ستظل أوضاعها غرب القناة، تلك اللوات التي تعتبر مناورتها محدودة، لأنها ستتم على طرق سهلة وبعيدة عن ضغط العدو، وفعلاً بدأت الوحدات في التنفيذ لقد أدى الانضباط العالي الذي كانت تتمتع به جميع الوحدات مع إحساسهم بعظم المسؤولية الملقاة على عاتقهم إلى وصول غالبية الوحدات إلى الأزمّة القياسية بسرعة مما لم يستدع تكرار التدريب على المناورة مرة أخرى.

كانت خطة العمليات هي الموضوع الثاني الذي يجب مراجعته، وفعلاً طلبت خطة العمليات وأحضرت الخطة و مشتملاتها من خرائط ووثائق مختلفة، وقمت مع رئيس العمليات بالفرقة بمراجعتها، وفعلاً تم إدخال بعض التعديلات عليها لتلاءم وأوضاع الفرقة الحالية. فالخطة الحالية وضعت عندما كان تشكيل قتال الفرقة يبعد عن القناة بمسافة ١٨ كم، ولكنها الآن ونظرًا للمهمة القائمة بها الفرقة من يوليو ١٩٧٣. أصبح تشكيل قتالها يبعد عن القناة في بعض القطاعات بمسافة تتراوح بين ٦-٨ كم، وفي بعض القطاعات الأخرى يبعد بمسافة تتراوح ما بين ١٢ و ١٨ كم من القناة. واحتفظت بهذه التعديلات حين إتمام عمل الخطة الجديدة، وما كان ذلك إلا إمعاناً في السرية، ولما كان احتمال قيام العدو بضربة جوية وقائية في حالة إحساسه بالاستعداد للعملية الهجومية وذلك بغرض إحباطها، رأيت أيضاً التأكيد لا من الخطة الدفاعية ٢٠٠، فقد كانت هذه الخطة معروفة للجميع ومنفذة، ولكن كان هناك خطة إعادة تجميع لمقاومة الضربة الوقائية للعدو ووضعها بنفسى ولم أطلع عليها أحدًا. أخطرت بها قيادة قوات الدفاع الجوي، وكانت هذه الخطة في مضمونها تشمل ثلاث مراحل ويتوقف تنفيذ كل مرحلة منها على عدد الأيام المتيسرة لإعادة تجميع الفرقة الثامنة (دفاع جوى) لمقاومة العدو.

لقد كانت خطة إعادة التجميع تهدف إلى :

أ- منع تجاوز الوحدات لدرجة التعرض لقصفها معاً.

ب- منع احتلال المواقع التي عرفتها العدو وهاجمها بالقنابل. سواء في أثناء إقامتها أو بعد إقامتها أو في أثناء احتلالها بغرض تصعيب مهمته.

ج- خلق تماسك أفضل بين اللواءات وبعضها، لإمكان المعاونة المتبادلة في صد أى هجوم جوى على إحداها.

وقد يتساءل سائل : المفروض أن يكون التجميع الذى عليه التشكيل وقتئذ قادرًا على تحقيق مطالب الخطة الدفاعية ٢٠٠، فلماذا تكون هناك خطة أخرى ؟ الواقع أن التجميع في جميع الأوقات كان يخدم الخطة الدفاعية، ورغم الخداع الذى تم للعدو، فإن هناك مواقع كانت محتلة ويعرفها العدو من سابق مهاجمته لها خلال حرب الاستنزاف، وقد كانت هذه المواقع من الأنواع التامة التحصين، أى أنها قادرة على تحمل القنابل زنة ١٠٠٠ رطل، وكانت ثقتنا في المواقع المسبقة الصنع محدودة، فهي لم تدخل التجربة بعد، ومن الوجهة النظرية كان المفروض ألا تعطى وقاية سوى للصواريخ جو/ أرض، وبهذه الخطة قاصرت بالتحصين والوقاية في سبيل تصعيب مهمة الطيارين مما يجعلهم يحتاجون إلى وقت أطول في مهاجمة المواقع وهذا ما لا يريده أى طيار أو مخطط - لأن معنى ذلك زيادة زمن تعرضه للنيران، وبالتالي زيادة احتمال تدميره.

كان موضوع التجهيز الهندسى للفرقة هو الموضوع الثالث، وكان حيويًا للغاية، فعليه يتوقف إعداد المواقع للمعركة وتوفير الوقاية للمعدات والأفراد، وفي مراجعة هذا الموضوع تم دراسة مواقع المعركة كلها لمعرفة مدى صلاحيتها للاحتلال ومدى الوقاية ضد وسائل العدو المختلفة، كما تم مراجعة موقف المواقع الهيكلية وموقف الأخطاء في جميع المواقع حقيقية أو تبادلية أو هيكلية، وفي ضوء هذه المراجعة تم تحديد حجم الأعمال المطلوبة مع رئيس فرع المهندسين العسكريين.

وفي ضوء ما تحدد وجد أن وحدات المهندسين المتيسرة للعمل غير كافية، وتبعًا لذلك كان من الضروري إعطاء أسبقية للأعمال المطلوبة في ضوء عدد وحدات المهندسين الموجودة، وفعلا قامت وحدات المهندسين خلال الفترة من أول سبتمبر إلى ٢٦ سبتمبر

١٩٧٣ بحجم كبير من الأعمال شملت ما يلي :-

رص ألغام	١٠٠٠ لغم
إصلاح خرسانات	٣,٣٠٠
أعمال نسف استهلكت	١٠٠ كجم مفرقات
أعمال حفر وردم تساوى	٨٠٠ بلدوزر / ساعة
إقامة تكسيات	٤٠٠,٠٠٠ شيكارة رمل

لقد ترتب على عدم وجود وحدات مهندسين كافية تأجيل بعض الأعمال المطلوبة للعملية الهجومية لحين حضور اللواء ١١ مهندسين عسكريين الذى تدعم به الفرقة في العمليات ووصول وحدات اللواء يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣، وضعت وحداته الفرعية تحت قيادة لواءات الفرقة، وقام باستكمال التجهيز الهندسى وفقاً للتخطيط الموضوع وبالأسبقيات المحدودة، وقد بلغت جملة الأعمال التى تمت في المدة من يوم ٢٦ / ٩ / ٧٣ إلى ٥ / ١٠ / ٧٣ ما يلي :

رص ألغام	٤٤٥ لغماً
أعمال نسف استهلكت	٢٠٠ كجم مفرقات
أعمال حفر وردم تساوى	١١٦٠ بلدوزر / ساعة
إقامة تكسيات	٥٠٠,٠٠٠ شيكارة رمل

كان الموضوع الرابع، والذي يمثل جانباً كبيراً من الأهمية هو موقف المعدات من ناحية صلاحيتها وضمان ثبات مكوناتها أثناء القتال ومراجعة قطع الغيار، فقد كان عدد كبير من كتائب الصواريخ سام ٢ معدل، سام ٣ تعدت ساعات تشغيلها، وعلى ذلك راجعت الموقف مع كبير المهندسين للفرقة، ووجدنا أن حالة المعدات في ضوء القتال المنتظر من تشغيل للمعدات لمدة طويلة قد تصل إلى ٢٠ ساعة يومياً وإلى إتمام العديد من المناورات موقف غير مريح للعديد من كتائب الصواريخ؛ ولذا قررت أن تتم الصيانة المركزة بأسلوب حددناه في حينه لرفع كفاءة المعدات الفنية بما يحقق ضبطاً دقيقاً، وطلبت من كبير المهندسين للفرقة أن يعطى أوامره لمجموعات مهندسى الإصلاح ببذل كل ما

في طاقاتهم للوصول بالمعدات إلى أعلى مستوى في الأداء والضبط. ولقد أدى المجهود الذى بذل في المعدات إلى صلاحية عالية لعدد كبير من الوحدات مكنتها من أداء دورها الرائع في قتالها مع العدو ووفرت مع غيرها من العوامل الكثير من الصواريخ، هذا بالنسبة لكثائب سام ٢ معدل، سام ٣، أما بالنسبة لكثائب سام ٢ على الرغم مما اتبع معها كغيرها فإننى كنت غير واثق من قدرتها على العمل خلال المعركة بالكفاءة التى تتطلبها المعركة، وقد أثبتت المعركة ذلك فعلاً؛ ولذا كان من الواجب على أن أطيل النظر في الخطة الموضوعية مبكراً، وأفكر في الحلول التبادلية لاستخدامها في ضوء تطور المعركة المنتظرة. حقيقة لقد كانت حملاً لا يتحمله أى قائد، ولقد شكوت منها ومن عدم قدرتها على العمل في المعركة المنتظرة خلال شهر يناير ١٩٧٣.

لقد كان هذا النوع من كثائب الصواريخ صفقة من السلاح غير مجزية أعطاها لنا الاتحاد السوفيتى لثقل كاهلنا وتجعلنا نأس تماماً من إمكان قتال العدو، ولقد بذلت مجموعات مهندسى الإصلاح وأطقم قتال الوحدات في هذا السبيل كل ما في طاقاتهم من جهد وعلم وخبرة لرفع كفاءة المعدات، واستمر هذا دورهم إلى أن قامت المعركة، بل تعاظم دورهم خلال المعركة وبعدها، واستكملوا الموضوع الكفاءة الفنية للمعدات قمت مع كبير مهندسى الفرقة بدراسة موقف قطع الغيار، وأمرت باستكمال المرتبات لجميع الأصناف ١٠٠٪. عدا الأصناف الحرجة أى تلك التى يعتبر موقفها سيئاً، وطلبت من كبير المهندسين تحديد نوعياتها والأعداد المطلوبة لطلبها.

كان الإمداد بالصواريخ أثناء المعركة من المشكلات الكبيرة، فالكثائب الفنية التى تمد تشكيل القتال بالصواريخ بدل المستهلكة تقع خلف تشكيل القتال بمسافات تتراوح ما بين ٥٠ و ٧٠ كم، وبالتحول إلى تنفيذ العملية الهجومية ستزداد هذه المسافة مع احتمال قيام العدو بمهاجمة هذه الكثائب إما بقصفها جواً أو إبراز قوات منقولة جواً بجوارها لتدمير هذه الكثائب أو العمل على توقفها عن العمل وفي ضوء تلك الاعتبارات وفي ضوء احتمالات المعركة حددت أسلوب الإمداد بالصواريخ الواجب اتباعه.

كان الموضوع الأخير الذى يحتاج إلى مراجعة منى هو مراجعة مستوى التدريب للوحدات كلها للتعرف على قدراتها القتالية، وفي ضوء الوقت المتيسر أمامى وضعت مع رئيس الصواريخ والمدفعية بالفرقة خطة الاختبار والموضوعات التى يشملها

الاختبار، بل حددت للضباط القائمين بإتمام الاختبارات والنقاط التي يجب التركيز عليها والتأكيد من تمام الإلمام بها ولو استدعى ذلك إعادة شرحها العديد من المرات، وخاصة موضوعات القتال تحت ظروف الإعاقة الإلكترونية أو تحت ظروف استخدام العدو لأسلحة الخمد المختلفة أو القتال ضد الأهداف المناورة، وطلبت من رئيس الصواريخ والمدفعية بالفرقة أن يكون واقعيًا ودقيقًا حتى تكون النتائج التي تتحصل عليها الوحدات حقيقية ومن ثم يمكن معرفة مدى صلابة الأرض التي نفق عليها قبل بدء المعركة.

وفي ضوء هذا أمكن الاطمئنان إلى مستوى الكفاءة القتالية للوحدات، بل ومستوى التخصصات المهمة تلك التخصصات التي تكون عصب كتيبة الصواريخ وهم ضباط التوجيه وأفراد التتبع الإلكتروني والتتبع التليفزيوني والبصري، ونظرًا للإرهاق البصري الذي يصيب عمال التتبع من جراء عملهم ساعات طويلة أمام الشاشات الإلكترونية التي تستخدم لتحديد مكان الطائرة والصاروخ في الجو احتفظنا بعدد (وغير منهم في كل كتيبة صواريخ، مما وفر لنا أفرادًا على مستوى ممتاز أثناء القتال كان لهم أكبر الفضل في تدمير هذا العدد الكبير من الطائرات الإسرائيلية الذي شاهدته منطقة القناة وأرض سيناء.

قام الرؤساء في الفرقة بإنجاز العديد من الموضوعات وحل كثير من المشكلات على الأرض خلال مرورهم اليومي، وكم كنت سعيدًا عند مروري على الوحدات أن أرى المجهود يتعاظم يوميًا بعد الآخر، وإن كنت في لقاءاتي معهم أطلب المزيد من الجهد والدقة في تنفيذ باقى الأعمال القائمين بها، واعتبارًا من يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣ بدأ استكمال حملة القتال وفقًا للتخطيط المعمول به.

وعومًا كان كل شىء يسير على ما يرام تمامًا، الكل يعمل في صمت مطبق وشوق منقطع النظير لدفع عجلة العمل للأمام بالأسلوب الذى يحقق التوازن المطلوب للتشكيل.

الفصل الثالث عشر

«إصدارات تعليمات القتال»

العجلة تدور

بعد منتصف شهر سبتمبر بقليل وضح أن هناك شيئاً ما وشيك الوقوع، ففي يوم ١٩ سبتمبر ١٩٧٣ عقد مؤتمر بقيادة الدفاع الجوي لقادة الفرق، وفي هذا المؤتمر طلب قائد الدفاع الجوي من قادة الفرق الآتية :

- أ- العمل بعجلة متزايدة لإنهاء الأعمال المطلوبة في التشكيلات •
 - ب- تحديد احتمالات العدو في حالة قيامه باختراق جوي أو ضربة إحباط، وقد يتم ذلك ليلاً أو نهاراً، وعلى كل تشكيل دراسة هذه الاحتمالات في قطاع مسئوليته
 - ج- التركيز على تدريب الوحدات •
 - د- اتخاذ الاحتياطات اللازمة ضد عناصر التخريب التي يعدها العدو وللعمل ضد كتائب الصواريخ أو مواقع الرادار، وهذه العناصر في ماتسمي «بالمتاكان»
 - هـ- حل جميع المشكلات داخل فرق الدفاع الجوي بواسطة قادة الفرقة •
- إلى غير ذلك من التعليمات التي شملت الكثير من التفاصيل، ولكنه لم يشر صراحة إلى قرب بدء المعركة إلا أن ما جاء بتعليقاته يوحي بأن هناك شيئاً ما سيحدث، ومن هنا أصبح الموقف يتجه نحو الغموض ولكن لم يستمر ذلك الغموض طويلاً •
- لقد كان هناك بعض وحدات الدعم اللازمة للفرقة الثامنة (دفاع جوي) أهمها لواء المهندسين العسكريين الذي سيعمل مع الفرقة أثناء العملية الهجومية، وإزاء احتياجي

لإتمام بعض عمليات التجهيز الهندسي للمعركة طلبت سرعة تحرك وحدات اللواء، وإمعاناً في إخفاء تحرك وحدات اللواء الفرعية طلبت تحرك وحدات اللواء إلى مناطق تجمع معينة حسب الخطة الموضوعية لاستخدام اللواء، وقررت في ذلك الصدر إتمام جميع التحركات ليلاً، وكان تقديري أن دخول وحدات اللواء في ضوء المدة الباقية من شهر سبتمبر يعتبر كافياً لإتمام الأعمال المطلوبة بالإضافة إلى إتمام التزاورج الذي يجب أن يتم قبل العملية ضماناً لنجاح المعركة ٠

وفي ٢٢ سبتمبر ١٩٧٣ وخلال مؤتمر موسع للقادة أعطى وزير الحربية توجيهاً يفيد بقرب وقوع الحرب فبعد شرح للموقف من أبعاده المختلفة السياسية والاقتصادية والعسكرية أوضح أن المعركة الجوية على سوريا كانت معبدة للطيران الإسرائيلي، إذ تم فيها تدمير ١٢ طائرة سورية مقابل ٥ طائرات إسرائيلية، وطلب منا تجهيز الوحدات للقتال في ضربة، وضماناً للسرية أوضح أنه سيتم إجراء مشروع إستراتيجي تعبوي للقوات المسلحة ضماناً لإخفاء ما يتم من أعمال، وختم تعليماته بأن الوقت المحدد لبدء الحرب قريب ولن يحدده، ولكن يمكن القول إن المعركة أصبحت قاب قوسين أو أدنى ٠

وتبعاً لذلك التوجيه كان تقديري الخاص للمعركة أحد احتمالين، إما أن تتم قبل شهر رمضان مباشرة أو خلاله على ألا تتعدى شهر أكتوبر بأي حال من الأحوال لاعتبارات عديدة أهمها حالة الجو، وعدد ساعات الليل والنهار وفي هذه التوجيهات أصبح توقيع المعركة متظراً واحتمال صدور الأوامر في أي يوم قائم من ذلك الوقت، وفي ضوء مراجعتي السابقة لخطة الدفاع الجوي لحائط الصواريخ وتعديلها في ضوء ما استجد من ظروف سواء بالنسبة لقواتنا وأوضاعها ومهامها أو العدو وقوته وأساليبه المنتظرة رأيت من الضروري أن أضع الرؤساء الأساسيين في التشكيل في الصورة مما يجري، حقيقة لقد كانوا جميعاً على علم بالخطة الهجومية منذ تم وضعها في أول إطار سليم لها في يناير ١٩٧٣، إلا أنه كان من الضروري توضيح ما أدخل عليها من تعديلات حتى يكون الجميع على بينة مما تم ويتخذ من جانبه مايلزم.

المشكلات تجد طريقها للحل

كان تقديري لأعمال العدو وهو يعتنق في كل عملياته مبدأ الاقتراب غير المباشر Indirect approach أن العدو كي ينال من الفرقة الثامنة (دفاع جوى) بسرعة فأمامه بجوار عملياته المباشرة ضد كتائب الصواريخ الاحتمالات الآتية :

أ- مهاجمة الكتائب الفنية وهى عنصر تجهيز الصواريخ والإمداد بها، وذلك لإيقاف إمداد الكتائب بالصواريخ، فتصبح لقمة سائغة في يد العدو، ولم يكن أمام العدو من أسلوب لذلك سوى قصفها جواً أو مهاجمتها بقوات الإبرار الجوى.

ب- أو مهاجمة مخازن قطع الغيار، تلك المخازن التى تحتوى على قطع الغيار اللازمة لإمداد الوحدات بها - وكان سبيله فى ذلك هو مهاجمتها بقوات الإبرار الجوى أو مهاجمتها جواً بالطائرات كما حدث من قبل لتدميرها، وكان الاحتمال الثانى أكثرها توقعاً، نظراً لوجودها فى مكان واحد فوق سطح الأرض لا يوفر لها أى وقاية. أما عن المشكلة الأولى فقد سبق أن ذكرت أننى حددت أسلوباً فريداً فى نوعه لم يخطر على أى فكر عسكرى من قبل، وتم تدريب الوحدات عليه ليلاً ونهاراً، وكان تنفيذه مرجأ إلى أن تحين ساعة الجدد، وعلى ذلك أصدرت أمراً إلى قادة اللواء بالتخاذ ما يلزم من التجهيز الهندسى لتنفيذ هذا الأسلوب، وأمرأ آخر إلى كبير مهندسى الفرقة بالتخاذ ما يلزم لتنفيذه من النواحي الفنية، على أن يكون هذا الأسلوب جاهزاً قبل يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣.

أما عن المشكلة الثانية فقد كانت إحدى المشكلات التى اعترضتنى خلال إعداد حائط الصواريخ للمعركة، وكنت قد أعددت لها عدتها تماماً إلا أن الموقف لم يسر إتمام كل نواحي الإعداد المطلوبة، ونظرًا لضيق الوقت أصدرت الأوامر للمستولين بالبدء فوراً فى التنفيذ، وكانت الخطة تتضمن ما يلى :

أ- انتشار قطع الغيار فى مخازن مجهزة أقيمت تحت الأرض منتشرة على مساحة كبيرة من الأرض.

ب- نظرًا لتبقى كمية كبيرة فوق سطح الأرض مع طول المسافة بين المخازن ولواءات الفرقة واحتمالات المعركة المنتظرة رأيت تكوين احتياطي كبير منها على عجل، خاصة الأصناف التي تحتاج إليها الوحدات، وذلك من واقع الدراسة العلمية التي أجريت على أن يدفع هذا الاحتياط مع غيره من الاحتياطيات مثل: احتياطي الوقود، الذخيرة - المياه التعينات، قطع غيار إصلاح المركبات وجرارات الجتزر - ذلك الاحتياطي الذي بلغ إجمالى وزنه ٤٥٠ طنًا يوضع خلف القطاعات المختلفة للفرقة ليكون بمثابة نقط إمداد ومعاونة إدارية وقتية لمجابهة المواقف الطارئة أثناء المعركة.

ولقد كان بعد النظر فى اتخاذ هذا الأسلوب مصدر نجاح للوحدات فى معركتها ضد العدو الجوى، فلم يكن يزيد زمن استعواضها لقطع الغيار من هذا الاحتياط عن نصف ساعة لأى مجموعة قطع غيار، مما مكن إتمام الإصلاح ومقابلة العدو بسرعة لم يكن يتوقعها العدو. كما أن الإمداد بالصواريخ لم يزد زمنه على ربع ساعة فى المتوسط.

رفع حالة الاستعداد

فى يوم ٢٦ سبتمبر ٧٣ صدرت الأوامر من قيادة قوات الدفاع الجوى برفع حالة الاستعداد لجميع قوات وعناصر الدفاع الجوى، وفعلا تم رفع درجة الاستعداد للفرقة الثامنة من (سعت ٨٠٠) يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٧٣، ورأيت عدم تنفيذها وفقاً للتعليمات الصادرة بها حفاظاً على المعدات، على أن يتم رفع الأوضاع فعلاً بمعرفة القادة ومراكز القيادة على جميع المستويات إذا استدعى الموقف ذلك.

وعند اتخاذى هذا القرار كنت أكثر من متردد، فلقد تم حشد جميع القوات البرية المخصصة للعلمية الهجومية والقوات أصبحت على وشك أن تبدأ مرحلة إعادة تجميعها واتخاذ الأوضاع الابتدائية للعلمية الهجومية، ووحدات الكبارى على وشك أن يتم تحريكها إلى أماكنها المحددة لها فى جبهة القتال، ولكن فضلت ذلك حتى لا يتيسر للعدو معرفة أننا قمنا برفع أوضاع الاستعداد للفرقة مما يشد انتباه العدو ويجعله ينشط ويبدأ فى البحث عن أسباب ذلك، فلقد كان هذا أسلوبه معنا دائماً، وقد يقوده بحته المبكر قبل بدء الهجوم إلى الوصول على حقيقة ما يجرى من إعداد فعلى للهجوم، وهنا يقوم بضربة الإحباط التى كان جاهزاً لها، وكان على وقد اتخذت هذا القرار أن أحث عناصر المراقبة

بالنظر على مداومة اليقظة الزائدة، وفي (سعت ١٣٠٠) في نفس اليوم تم عقد مؤتمر بقيادة قوات الدفاع الجوي، صدرت فيه من التعليمات ما يفيد بالآتي:

أ- تقرر القيام بعملية هجومية ويسمح بتلقين القادة على أن ينتهي التخطيط اللازم للعملية بمعرفتهم يوم ٩/٣٠.

ب- من المحتمل قيام العدو بهجمة جوية من الآن، وعلى الفرق اتخاذ ما يلزم لصدها الهجوم.

ج- تقوم الفرقة الثامنة (دفاع جوي) بإتمام أى مناورة تراها لتأمين صد الهجمة الجوية مع عدم التأثير على خطة العملية الهجومية.

د- اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتنظيم التعاون بين الفرقة الثامنة (دفاع جوي) وبين كل من الجيشين الميدانيين في جميع الموضوعات التي تهم العمليات الهجومية.

ز- استمرار أوضاع وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوي) فيما يختص باحتلالها للمواقع الموجودة على مسافة ٦-٨ كم (والمحتلة من يوليو ١٩٧٣).

صدور التعليمات الهجومية

رغم أن للعملية الهجومية ووثائقها وتعليماتها كانت جاهزة فإنه لم يتم إصدارها لوحدات الفرقة حتى يوم ٢٦ سبتمبر ٧٣ حفاظاً على السرية، فحتى ذلك الوقت كانت الأعمال والتحضيرات تتم بأوامر مباشرة من قيادة الفرقة على أساس أنها أعمال مطلوب إنهاؤها لأغراض المشروع الاستراتيجي الذي كان قد أعلن عنه في ذلك الوقت، وفي هذا اليوم صدرت للفرقة تعليمات ببدء تنفيذ عملية إعادة التجميع لأغراض العملية الهجومية اعتباراً من ليلة ٣/٢ أكتوبر ٧٣، وفي ضوء تلك التعليمات.

ووفقاً للخطة الموضوعية أصبح يوم الهجوم هو يوم ٦ أكتوبر ٧٣، أما توقيت بدء العملية فكان سرّاً غير معروف حتى الآن، ونظراً ل حلول شهر رمضان المبارك وإمعاناً في الخداع حددت توقيتات للعمل بمناسبة شهر رمضان، من ضمن هذه التوقيتات توقيتات للراحة حددتها ما بين (سعت ١٦٠٠ إلى سعت ١٨٠٠). وكان تقديري لذلك مبنياً على أننا إذا بدأنا العملية الهجومية وتوفرت لدينا المفاجأة فلا بد أن تبدأ العملية

قبل (سعت ١٦٠٠) حتى يمكن الاستفادة من قتال بضع ساعات في النهار حتى يمكن القوات تثبيت أقدامها في الشرق، والقيام بقتال ليلي ناجح ضد احتياطات العدو، وكما أن العدو لو تمكن من معرفة نوايانا، وقرر القيام بضربة الإحباط فلا شك أنه سيقوم بها قبل (سعت ١٦٠٠) أيضًا حيث إنها تحتاج إلى نحو ساعة ونصف لتنفيذها على الأقل ويجب أن ينتهى منها قبل غروب الشمس.

بعد صدور التعليمات للفرقة كان من الضروري، إصدارها إلى مستوى اللواءات والأفواج، وعلى ذلك تم عقد مؤتمر (سعت ٢٢٠٠) يوم ٢٧ سبتمبر ٧٣ وفيه تم تلقين جميع القادة وأعطيت الأوامر اللازمة للوحدات، فبعد شرح موجز للموقف السياسى والعسكرى، قمت بتحليل العدو الجوى واحتمالاته، ومن ثم أعطيت كل قائد مهمته وحددت له أسلوب التنفيذ في مراحل المعركة المختلفة إلى آخر ذلك من التعليمات، كما أوضحت لهم أن تشكيل القتال للواءات لا يناسب أوضاع الخطة ٢٠٠ التى كان يجب أن تكون عليها تلك الخطة الموضوعة لمقابلة أى ضربة جوية يقوم بها العدو عندما تتضح له نوايانا ونفقد المفاجأة التى اتخذنا لها كل سنبل ووسيلة، وأخطرتهم أن هناك خطة معدة غير الخطة ٢٠٠ سيتم تنفيذها لو اتضح أن العدو يعد العدة لضربة جوية شاملة، وكانت الخطة تشمل عدة انتقالات لعدة كتائب صواريخ للوصول إلى تشكيل جديد، وكان هذا أول إخطار لهم بذلك.

كان من واجبى بعد إتمام التلقين أن أوضح بعض الموضوعات ذات الأهمية، وخاصة أن عددًا من القادة لم يمارس القتال الفعلى من قبل مع العدو، والرؤية الواضحة تولد الثقة، والثقة تولد النجاح، وكان فيما أوضحت من موضوعات أسلوب العمل ضد التداخل الكثيف وأسلوب العمل ضد الطائرات الحاملة للشرابك أو القنبلة التلغزيونية، أسلوب المعاونة المتبادلة بين اللواءات في صد هجمات العدو الكثيفة من أي اتجاه وعلى أي قطاع، أسلوب العمل ضد قنابل الليزر، أسلوب العمل مع الأهداف المناورة، أسلوب اصطيد العدو عند التعامل معه وطلبت في نهاية ذلك الاحتفاظ بسرية المعلومات وحددت المرءوسين الذين يجب أن يلموا بهذه التعليمات، وحددت لهم يوم ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ لعرض قراراتهم للتصديق عليها .

حضر قادة مجموعات عمليات الجيوش الميدانية التلقين الذي أعطيت قادة اللواءات والأفواج وبعد انتهاء التلقين حددت لهم الوقت الذي تفتح فيه مجموعات العمليات في مراكز قيادة الجيوش الميدانية، وفي يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٣ قمت بإتمام تنظيم التعاون مع قيادة الجيش الثاني، ويوم ٢٩ قمت بتنظيم التعاون مع قيادة الجيش الثالث الميداني، وبعد التصديق على قرارات قادة اللواءات والأفواج طلبت منهم إصدار أوامر القتال القادة الكتائب حتى يمكنهم البدء في تجهيز وحداتهم والقيام باستطلاع تفصيلي لمواقعهم المحددة لهم في الخطة والتأكد من سلامة تجهيزها الهندسي ومواصلاتها وطرقها إلى غير ذلك من النقاط التي يجب التأكد منها قبل الاحتلال حتى لا تكون هناك أي مشكلات عند الاحتلال لقد كنت مطمئناً إلى أن الاحتلال للمواقع سيتم بسرعة ويسر تام، فلقد سبق التدريب عليها العديد من المرات ليلاً ونهاراً ووصلت الوحدات إلى درجة الإجابة في ذلك، وفي يوم ٣٠ سبتمبر ١٩٧٣ تم تلقين قائد لواء المهندسين العسكريين بمهام اللواء وكذا مجموعة عمليات الفرقة التي تعمل مع مجموعة عمليات القوات الجوية من مركز القيادة المشترك في أبي صير تلك المجموعة التي تعتبر حلقة الاتصال بين قيادة الفرقة وبين القوات الجوية سواء مراكز قياداتها المتعددة أو مطاراتها المختلفة، ونظرًا لقرب بدء مرحلة التجميع للفرقة رأيت أن أصدر توجيهًا إلى الضباط والجنود يقرأ عليهم كأمر يومي بغرض تذكيرهم بما هو مطلوب منهم من ناحية وإذكاء لمعنوياتهم من ناحية أخرى، وأخيرًا لأشعرهم بأنني معهم كما كنت معهم دائماً خلال السنين السابقة، وقد كان لي في كتاب الله معين لا ينضب من الآيات التي توضح أسلوب قتال عدوهم وجيشه، كما كان لي في تاريخ مصر القديم والحديث صوراً مشرقة وانتصارات باهرة وأمجاد قديمة وحديثة لا بد من التذكير بها . وختمت هذا التوجيه بكلمة من القادة على جميع المستويات ليضعوها نصب أعينهم في أثناء القتال قلت لهم فيها. «أنتم أيها القادة على كافة المستويات قدروا الموقف بترؤ واتخذوا قراراً سريعاً وحاسماً لقتل عدوكم، تعاونوا في حماية بعضكم، ولا تتوانوا عن تقديم الحماية والمعاونة لوقاية وحداتكم، تذكروا أن العدو سيستخدم أنشطاً كاذبة في هجومه الجوي لخداكم فلا تتخذكم أعماله . تذكروا أنكم في نظره قوة كبيرة ورهيبية بما معكم من معدات وما لديكم من خبرة ومستوي قتالي فأرهبوه ودمروه بحسن الاشتباك به، وطاردوه في كل اتجاه تعثرون

عليه فيه حتى يسلم الزمام لكم وتحققوا النصر لله وهدانا إلى الطريق المستقيم طريق النصر والله الموفق وبه نستعين».

المرحلة النهائية للاستعدادات للقتال

حائط الصواريخ يخدع العدو

كان احتلالنا للمواقع الأمامية - يقصد منع العدو من الاختراق والاقتراب من القناة في حدود ١٠ كم شرقًا كما أشرت إليه - سببًا في وجود عدة كتائب صواريخ محتملة لمواقع المعركة على مسافة تتراوح بين ٦-٨ كم غرب القناة، وكان إجراء الغيار بينها وبين غيرها من الكتائب أمرًا ضروريًا حتى تعود الكتائب الأمامية للخلف لتوفر لها قسطًا من الوقت للتدريب، كما كان عدم احتلالها لمواقع ثابتة أمرًا مقصودًا، وذلك بتعويد العدو على أشكال مختلفة للاحتلال. وذلك بغرض إخفاء نوايانا للهجوم عندما يحين الوقت للمعركة ٠ ووفقًا لهذا الأسلوب كان هناك عدد من كتائب الصواريخ في الأمام وتحتل بعض مواقع المعركة في حين أن أوضاعها في الخلف، وتوجد بعض مواقع المعركة في الأمام وغير محتملة ولم يسبق احتلالها من قبل.

في ضوء ذلك تم إعادة التجميع للفرقة الثامنة د/ جو اعتبارًا من ليلة ٣/٢ أكتوبر ١٩٧٣، وبدأنا أولاً باحتلال عدد محدود جدًا من المواقع التي لا تلفت النظر للعدو، واضعين في تحيطنا بعض الاعتبار التكتيكية التي تقود العدو إلى تقدير خاطئ أتعب ذلك غيار الوحدات الأمامية ببعض الوحدات المحددة في الخطة، ولكنها احتلت مواقعها الجديدة وفقًا للخطة وفي اتجاه آخر، مما يجعل العدو لا يشك في شيء، فلقد سبق له التعود على نفس هذا الأسلوب من قبل، وفي المرحلة الأخيرة احتلت باقي كتائب الصواريخ مواقعها، واتخذت الفرق الثامنة (دفاع جوي) أوضاعها كاملة للقتال اعتبارًا من أول ضوء يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣ ٠

لكن كيف كان هذا الأسلوب في إعادة التجميع خدعة للعدو ٠ الواقع أن نشاط العدو لم يتغير فلقد وصل يوم أول أكتوبر ١٩٧٣ ٠ على سبيل المثال إلى ٢٥٢/ طلعة طائرة ولقد خلا نشاطه في هذا اليوم من أي نشاط استطلاعي إلا أنه في يوم ٢ أكتوبر ١٩٧٣ قام العدو بطلعتي استطلاع الكتروني لمعرفة أي تغيير في أوضاع القوات، وخاصة وحدات الصواريخ م/ ط، واستمرت الطلعة الأخيرة حتى (سعت ١٧٠٠) من مساء هذا اليوم ٠ وركز فيها العدو على المنطقة من شمال القنطرة حتى جنوب

البحيرات، ولو أن الجيوش الميدانية كانت قد بدأت مرحلة إعادة تجميع القوات وإتمام عمليات الغيار المطلوبة للقوات، غير أن استخدام الاستطلاع الإلكتروني لا يفيد إلا في التقاط الموجات الكهرومغناطيسية سواء للأجهزة اللاسلكية أو الأجهزة الرادارية المختلفة، وحتى وقت بدئه لم تكن وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوى) قد بدأت في إجراء تحركاتها لبدء عملية إعادة التجميع التى أشرت إليها، وعلى ذلك لا يوضح استطلاع العدو أى جديد وبانتهاء طلعة الاستطلاع الإلكتروني للعدو بدأت الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مرحلة إعادة التجميع لحرب أكتوبر المجيد.

لقد كان من الضروري علينا أن نحلل أعمال العدو وغرضه من الاستطلاع الإلكتروني المكثف الذى استمر زهاء ٤ ساعات في هذا اليوم لتصل إلى نوايا العدو المنتظرة، حقيقة لم يكتشف العدو شيئاً؛ حيث إن أوضاعنا لا تغير فيها، غير أن الحذر في الحرب أمر ضرورى منعاً للمفاجأة، وفعلاً انتهت إلى أن العدو لا بد أن يقوم بأحد الاحتمالات الآتية أو بها مجتمعة :

أ- الاستطلاع الجوى للحصول على صورة جوية حديثة لمقارنة معلوماتها بما لديه من قبل، وخاصة أوضاع وحدات الصواريخ الموجهة م / ط.

ب- القيام باستطلاع بقوة، وذلك بالقيام باختراق محدود على ارتفاعات منخفضة في منطقة البحيرات، وفعلاً اتخذت من الإجراءات ما يفوت على العدو غرضه، فقد تم قفل الأودية المتعددة بمنطقة البحيرات بفصائل الصواريخ الفردية سام ٧، وصدرت الأوامر لمراكز القيادة المختلفة باليقظة والاستعداد للتعامل مع العدو فور قيامه بأي عمل.

ج- القيام بهجوم جوى محدود لإجبار الوحدات على الفتح عليه مما يؤدي إلى كشف مواقعها.

أما كتائب الصواريخ التى اتخذت أوضاعها في الأمام أو تلك التى عادت للخلف فقد صار تقييد إشعاع محطات الصواريخ فيها كلها، ومنع عنها القيام بأي إشعاع كهرومغناطيسى إلا للاشتباك الفعلى مع العدو.

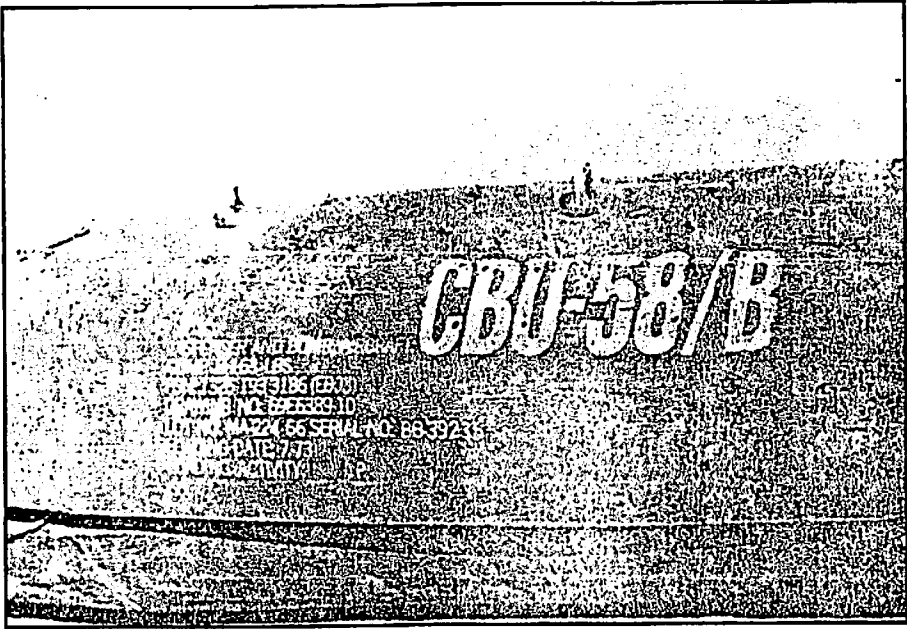
وفي يوم ٣ أكتوبر تأكد لي استنتاجي الذى حددته أمس، فلقد قام العدو بنشاط تدريبي أكبر، لقد قام العدو بنشاط بلغ ٣٧٥ طلعة طائرة، وقد تخلل هذا النشاط طلعة

استطلاع الإلكترونى بدأت فى الساعة ١١٢٥، وانتهت فى الساعة ١٣٤٩؛ أى لمدة ٢٤ ق ٢س، وذلك من مصفق إلى أبى رديس على بعد يتراوح بين ٨٠-٥٥ كم من القناة بالإضافة إلى طلعة استطلاع بالتصوير بطائرتى استطلاع فانطوم على ارتفاع يتراوح بين ١٤-٢٠ كم، وعلى عمق ٣٠-٤٠ كم مع التركيز على منطقة البحيرات، ولم يزعجنا هذا الاستطلاع أبدًا، فمن ناحية الاستطلاع الإلكترونى هناك عدم إشعاع، ومن ناحية الاستطلاع بالتصوير كان لنا بعض الوحدات المحدودة، ولكننا وضعناها فى اتجاهات تكتيكية ثانوية مع الاستمرار فى اتباع أساليب الصمت الرادارى.

وفى يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، زاد نشاط العدو إلى حد كبير جدًا، فبلغ نشاطه ٣٩٢ طلعة طائرة، وقد تخلل هذا النشاط قيام العدو بطلعتى استطلاع بالتصوير تمت كل منهما بطائرتى فانطوم مع اقتراب العدو حتى مسافة ٢٠ كم من القناة. كما رصد بالليل حركة طائرات هليكوبتر من داخل إسرائيل إلى مطار العريش، وكان استنتاجنا لنشاط العدو هو أن العدو باقترابه إلى هذه المسافة وقيامه بطلعتين اثنتين سيتمكن من معرفة ما يجرى فعلاً فى الجبهة المصرية، فنصف كتائب الصواريخ قد اتخذت أوضاعها، والنصف الآخر سيتخذ أوضاعه خلال ليلة ٤/٥ أكتوبر ١٩٧٣. كما أن الجيوش الميدانية فى ضوء الوقت الباقى على بدء العملية الهجومية قد أوشكت هى الأخرى على الانتهاء من عملية إعادة التجميع. ورغم ذلك قررت الصمت الرادارى التام، وحددت عددًا معينًا من الكتائب للتعامل مع العدو بالأساليب المختلفة التى سبق أن تعاملنا معه بها بنجاح.

كان مساء ٤ أكتوبر حافلاً بالأعمال، وحافلاً بالتقديرات، ففى ذلك المساء وصلت معلومات الضربة الجوية المركزة، وكان من الضرورى دراستها تمامًا للتعرف على حجمها وخطوط سيرها وارتفاعاتها، كما وصلت معلومات الإبرار الجوى بالطائرات الهليكوبتر وكان من اللازم عمل مستخرجات هذا المجهود الجوى وإرساله للوحدات فى مظروف مغلق على ألا تفتح إلا وفقًا للتعليمات الصادرة حفاظًا على السرية.

فى الوقت نفسه قامت باقى كتائب الصواريخ بالانتقال لمواقعها الأممية حسب الخطة الموضوعية ولم يأت أول ضوء يوم الجمعة ٥ أكتوبر ١٩٧٣ حتى كانت الفرقة كلها فى مواقعها وجاهزة للقتال تمامًا، وأصبحنا متوقعين منذ تلك اللحظة أى ضربة وقائية يقوم بها العدو.



مستودع قنابل البلي

لقد كان يوم الجمعة يحظى من جانب العدو بأسلوب خاص تعودنا عليه، فغالبًا ما يقل نشاطه الجوى خلال هذا اليوم و يقتصر نشاطه على بعض طلعات محدودة للطائرات البطيئة وطائرات الهلوكوبتر وغالبًا حوالى الظهر ينتهى نشاطه نهائيًا، حيث تبدأ الراحة استعدادًا ليوم السبت، وكان تفكيرنا هل سيتم هذا الأسلوب النمطي أو تبدأ الإجازات مبكرًا بمناسبة يوم عيد الغفران؟ الواقع أن العدو كان له نشاط جوى يعتبر قياسًا إلى أى يوم جمعة سابق أكثر من المعدل، فقد بلغ نشاطه حتى ظهر ذلك اليوم ١٤٦ طلعة طائرة، ورغم المعلومات المتوفرة لديه من استطلاع يوم الخميس، لذا كان من المنتظر إما أن يؤكد فى حالة عدم تثبته أو تحققه مما يجرى أو يقوم بضربته الجوية لإحباط العملية الهجومية، وقد كان الاحتمال الأخير هو الأكثر توقعًا بناء على تحليل طلعة استطلاع يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، والاستنتاجات الممكن أن يتوصل إليها. لقد تأكد لنا أن القوات الجوية الإسرائيلية - اعتبارًا من صباح هذا اليوم - أصبحت على أهبة الاستعداد للقتال، وأنه قد تم استدعاء جميع طيارى الاحتياط، ولقد زادت هذه المعلومات من

توقع الضربة الجوية الوقائية بين وقت وآخر، وخصوصًا بعد وصول معلومات تفيد بإيقاف الطيران المدني في إسرائيل، وأصبح لزامًا علينا الحذر واليقظة، فعلى الساعات القليلة الباقية على بدء العمليات يتوقف مصير البلاد لأجيال مقبلة.

لقد خدع حائط الصواريخ العدو تمامًا، فحتى آخر استطلاع له يوم الأربعاء ٣ أكتوبر ١٩٧٣، لم يكن تحرك من الوحدات المقرر تحركها للأمام إلا أقل من نصف عدد الكتائب، فعدد الكتائب التي تحركت خمس كتائب وبعضها في اتجاهات ثانوية والبعض الآخر في مواقع سبق احتلالها من قبل،، بل قد عاد بدلًا منها كتائب أخرى من اتجاهات أخرى، فمن ناحية أوضاع الصواريخ على الأرض لا يعنى الاستطلاع الذي تم أى تغيير عن النمط الذي عودنا العدو عليه.



كرات البلي بعد تناثرها من المستودع

منذ مدة و السؤال الذى يقفز إلى الذهن هنا، ماذا تعنى استعداد وحدات الصواريخ أرض - جو واتخاذها الأوضاع التى تعاون منها العملية الهجومية للقوات المسلحة ؟ الواقع أن استعداد وحدات الصواريخ أرض - جو والقوات الجوية يعتبر النذير الأخير بقرب المعركة، أما من ناحية الجيوش الميدانية فقد كانت القوات على وشك الانتهاء من مرحلة إعادة تجميعها، وبدأت القوات المهاجمة فى دخول منطقة الهجوم، وبدأ كثير من المعدات كالدبابات ومدفعية الميدان تتخذ أوضاعها للمعركة الهجومية، بل إن وحدات الكباري و- ما أكثرها - تواجدت فى مناطق تشوينها، وكان بكل منطقة عدد هائل جداً من العربات، ورغم الاختفاء المتبع فإن الأساليب الحديثة للتصوير مثل التصوير بالأشعة دون الحمراء تمكن من معرفة ما تحت التراب وليس ما تحت الشباك فقط.

يستخلص من ذلك أن هناك الكثير من الشواهد و المعلومات التى تدل على قرب قيام القوات المسلحة المصرية بالهجوم أمكن القيادة العسكرية الإسرائيلية الحصول عليها من الصور الجوية التى تحصل عليها العدو يوم الخميس ٤ أكتوبر ١٩٧٣، ولكن رغم ذلك لم يصل العدو إلى قرار سليم حول ما يجرى فى جبهة القتال، و هنا يكمن السر فى المفاجأة الاستراتيجية التى تمت عدو لديه معلومات كاملة و صور جوية واضحة عن الموقف يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، ورغم ذلك تخرج تحليلات الموقف و الاستنتاجات المترتبة عليها خلاف ما هو جارٍ حقيقة لقد كانت المعلومات أمام محللى معلومات جهاز المخابرات الإسرائيلية و لكنهم تعاملوا عنها أو تظاهروا بالتعامى عنها، لكن ما الأسباب التى قادت إلى ذلك؟ فى الواقع أن قرب بدء العمليات الهجومية لا يدل عليه فى موقفنا هذا إلا استعداد وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط بالجبهة، و قد كان للأسلوب الذى اتبعته وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو فى احتلال مواقع المعركة، والذى تمكن العدو من التعرف عليه خلال طلعة استطلاع يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، ما هو إلا عمل سبق أن قامت بمثله وحدات الصواريخ عدة مرات من قبل، و على ذلك فرغم الحشد الذى تقوم به القوات البرية ووجود وحدات الكباري فإن العدو لم يخرج باستنتاج يؤدى إلى توقع قرب الحرب، لأنه يعلم تماماً أن وحدات الصواريخ الموجهة م/ ط هى التى سيتم تحت سترها أى عملية هجومية متوقعة. حقيقة لقد احتلت كتائب الصواريخ

الموجهة أرض - جو مواقع أماميه لها إلا أن هذا الاحتلال كان نمطيًا بالنسبة لها، قامت به وتقوم به بين وقت وآخر، فإذا أضفنا إلى ذلك عزة النفس والكبرياء التي ركبتهم من جراء الغرور الذي انتابهم على إثر انتصارهم في حرب يونيو ١٩٦٧، وما تلاها بعد ذلك من عمليات وحوادث - وما أكثرها - من أعمال تدمير خلف الخطوط أو إلى أعمال قتل داخل البلاد العربية... إلخ لوصلنا في النهاية إلى الاستنتاج الذي وصلت إليها المخابرات الإسرائيلية، وهو أنه لو أن هناك حشدًا فإنه أمر طبعى ولا ينتظر أن يكون هناك هجوم متظر في الوقت الحالى، لقد كانت المخابرات الإسرائيلية على ثقة بأن جمهورية مصر العربية لن تقوم بأى حرب إلا إذا توافر لها سلاح جوى قوى مزود بتوقعات حديثة من القاذفات المقاتلة قادرة على ضرب الأغراض الموجودة فى عمق إسرائيل، لقد أكد تقرير لجنة أجزانات ذلك، بل أضاف بأن المخابرات الإسرائيلية كانت لديها ثقة زائدة فى قدرتها على إنذار جيش الدفاع الإسرائيلى قبل قيام المصريين بوقت كافٍ مما ييسر إتمام التعبئة العامة للاحتياطى بجميع طبقاته، لقد ذكر تقرير اللجنة أن الجنرال «زعيرا» ومساعديه الثلاثة الكبار بعد أن توصلوا فى النهاية إلى أن الحرب أكيدة يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، أخطئوا فى موعد بدء القتال، وأعطوا تأكيدات بأن الحرب ستبدأ فى الساعة ١٨٠٠ مساء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، فى حين تم الهجوم قبل ذلك الوقت بأربع ساعات كاملة. وأيا كانت تحليلاتهم فلقد تحققت المفاجأة الإستراتيجية تمامًا، و شرب العدو لأول مرة من نفس الكأس التى ذقناها من قبل.

وصلت وحدات الحرب الإلكترونية يوم ٥ أكتوبر ١٩٧٣، تلك الوحدات التى ستقوم بالإعاقة الإلكترونية على العدو، بالإضافة إلى قيامها بخداع العدو عن الأغراض التى يريد مهاجمتها، وتم توزيعها على مواقعها ليلاً، وصدرت الأوامر لوحدات الفرقة التى ستعمل هذه الوحدات فى قطاعاتها بأسلوب التعاون بينهما للوصول إلى أفضل استخدام لكليهما فى المعركة، وكان ذلك هو آخر عمل أقوم به، وبالاتهاء منه انتهت فترة التحضيرات للمعركة، وأصبح حائط الصواريخ جاهزاً من جميع الوجوه لمقابلة القوات الجوية الإسرائيلية.

وجاء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣. وجميع الفرقة في حالة استعداد كاملة للقتال، وكل مقاتل يقف في مكانه أو خلف معدته أو يراقب الجو، والجميع في انتظار ساعة بدء المعركة واللمسات الأخيرة لإتمام التحضير للمعركة، تجري بهمة، والكل في شوق زائد لمقابلة العدو، وذلك الشوق الذى انتظرناه طويلاً، رغم استعدادنا الذى قارب النهاية فإن بعض القادة كان حتى الساعات السابقة لبدء المعركة في شك من حقيقة ما سيتم. لم يترك العدو يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ يمر دون استطلاع لجبهة القتال رغم أن هذا اليوم هو يوم عيد الغفران الذى تتوقف فيه الحياة تمامًا، ففى (سعت ٩٠٨) ظهرت استطلاع شرق القناة، وغطت باستطلاعها المنطقة من جنوب البحيرات جنوباً حتى القنطرة شمالاً، وفي ضوء هذه الطلعة وفي ضوء المعلومات التى أمكن الحصول عليها من المصادر المختلفة عن تعبئة العدو لقواته الجوية واستدعاء احتياطيه منها اعتباراً من يوم ٤ أكتوبر ١٩٧٣، واستعداد قواته الجوية لتنفيذ أى مهام توقعنا قيام العدو بضربته الجوية لإحباط الهجوم خلال ساعات قلائل من انتهاء طلعة الاستطلاع، ولكن لنفس الأسباب وللغرض في عملية تحليل المعلومات والحصول منها على استنتاجات منطقية لم تتم الضربة الجوية المتوقعة، بل على العكس، قام العدو بتعزيز المطارات الأمامية (المليز، تمادا، العريش) بتشكيلات جوية محدودة، طارت على ارتفاع منخفض جداً من مطارات التمرکز الأساسية داخل إسرائيل، وقد أمكن التعرف والاستدلال عليها بالاستطلاع الإلكتروني.

لقد حدث قبل قيام قواتنا الجوية بالضربة الجوية المركزة حدثاً مثيراً كان كفيلاً إما بإرجاء العملية الهجومية كلية أو تأخير توقيتها إلى توقيت لاحق، فقبل بدء ضربتنا الجوية بقليل التقطت وحدات الرادار والإنذار هدفاً جويًا يطير بسرعة عالية متجهًا تجاه مطار فايد، مخترباً المجال الجوى، ثم بدأ الهدف في الانتشار إلى هدفين مع استخدام التداخل الكثيف، ولم أصدق ما يحدث أمامي، وهل الهدف حقيقة؟ أو إنه هدف كاذب؟ وطلبت من عدة كتائب صواريخ تحقيق صحة الهدف فأكدته رادارياً ولم تتمكن من تحقيقه بصرياً أو تلفزيونياً، وإزاء ذلك بات الموقف أكثر تعقيداً، وقفز إلى ذهني عدة احتمالات، كان أولها وأكثرها خطورة ذلك الاحتمال الذى عودنا العدو عليه دائماً من قيامه بالاستطلاع الجوى قبل قيامه بأى هجوم جوى لتأكيد أهداف الضربة

الجوية، وهنا تذكرت - على الفور - ما حدث في الضربة الجوية الباكستانية التي قامت بها القوات الجوية الباكستانية على الهند خلال حرب ١٩٧٢، والتي أدت إلى تدمير القوات الجوية الباكستانية، حيث عادت من ضربتها ووجدت جميع قواعدها الجوية ومطاراتها مدمرة الممرات، فلم تجد مكانًا للهبوط فيه، وأما ثانياً الاحتمالات، فكان إذا كان الهدف صحيحًا وقائماً بالاستطلاع، فهل يتم فتح النيران عليه لتدميره ومنعاً للعدو من الحصول على أى معلومات في الدقائق الأخيرة لبدء العملية الهجومية، وقد يتم تدميره وقد لا يتم، وفي كلتا الحالتين تهب القوات الجوية الإسرائيلية من فورها كمعادتها للتعرف على ما حدث، مما يؤدي إلى كشف كل ما يتم ويجرى إعداده منذ شهور في سرية تامة أو تركه، وإزاء ذلك التضارب طلبت قياس سرعة الهدف فظهر أنها تبلغ ٥٥٠ م/ث تقريبًا، ولما كانت هذه السرعة لا تناسب أى استطلاع يرغب العدو في إتمامه بدقة ووضوح، فقد أمرت بإلقاء الهدف واستمرار الاستعداد لتأمين ضربتنا الجوية، كما أصدرت أمرًا لكثائب الصواريخ أرض - جو الأمامية ومحطات الرادار الستيمرية الأمامية بإلقاء الإشعاع تلافياً لضربة الشرايك المحتمل أن يقوم بها العدو في ضربته الجوية الأولى، والتي يهدف من ورائها إلى تدمير كثائب الصواريخ وأجهزة الرادار.

في الساعة ١٣١٠ من ذلك اليوم صدرت تعليمات رمزية لتأمين طائرات القوات الجوية عند قيامها بالضربة الجوية المركزة، ومن هنا أيقن الجميع بحقيقة الموقف، و في الساعة ١٤٠٠ أبلغت الوحدات عن عبور القوات الجوية لتنفيذ الضربة المركزة، وبذا بدأت الجولة الرابعة بين جمهورية مصر العربية وإسرائيل، تلك الجولة التي أثبت فيها المقاتل المصرى بشكل عام ومقاتلو حائط الصواريخ بشكل خاص خرافة جيش الدفاع الإسرائيلى وقصر الذراع الإسرائيلية، فأضاع الجميع الحلم الرائع الذى عاشه الإسرائيليون طول سنوات ست، ليصبحوا على زلزال يززل كيانهم العسكرى، ويأتى على مقومات حياتهم الاقتصادية والاجتماعية والمعنوية، بل على فكرة بناء الدولة الصهيونية كما تخيلها مؤسسو الدولة ابتداء من هرتزل إلى بن جوريون.

لقد بدأ قتال الفرقة الثامنة (دفاع جوى) مع السلاح الجوى الإسرائيلى اعتباراً

من (سعت ١٤٣٠) يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣، يوم العبور العظيم، وتقف تمامًا يوم ١٩٧٣/١٢/٢٩، ويمكن تقسيم هذه الفترة إلى أربع مراحل قتال تتميز فيها كل فترة عن الأخرى في الأهداف التي يرمى إليها كلا الطرفين المتحاربين، وشكل وأسلوب القتال الذي تم و النتائج التي تحصل عليها كل طرف.

الباب السادس
أعمال قتال حائط الصواريخ

الفصل الرابع عشر

المرحلة الأولى للقتال من ٦ أكتوبر إلى ١١ أكتوبر ٧٣

بدأت المرحلة الأولى للقتال ببدء العملية الهجومية يوم ٦ أكتوبر ٧٣ وانتهت يوم ١١ أكتوبر ٧٣، واستمر فيها القتال سجالات بين الفرقة الثامنة (دفاع جوي) والذراع الطويلة لإسرائيل، وانتهت هذه المرحلة بهزيمة تامة للعدو وسيادة كاملة لحائط الصواريخ، وتكبد العدو خسائر جسيمة بل انتابه الهلع تماما، وقبل أن نستطرد في وضع الحقائق لابد من التعرف على خطط العمليات بشكل عام، حتى يعد المسرح تماما وتحدد أبعاده ليتمكنّا متابعة الأحداث التي ستجري عليه.

خطط العمليات :

كانت الخطة المصرية للعملية الهجومية بالنسبة للقوات البرية في شكلها العام مبنية على أساس قيام فرق النسق الأول للجيشين الثالث والثاني الميدانيين باقتحام القناة بعد ضربة جوية مركزة لقوات العدو ومطاراته وأغراضه في سيناء وبعد تمهيد قوى بنيران المدفعية، وذلك بغرض الاستيلاء على رءوس كباري على الشاطئ الشرقي للقناة، بعدها تقوم القوات بمتابعة التقدم شرقا لتحقيق المهمة المحددة لها، وكانت هذه المهمة محددة بتوسيع رءوس الكباري وتعميقها وتكوين رءوس كباري جيوش بعمل ١٠ - ١٢ كم في كل قطاع، وبعد تحقيق هذه المهمة تتم وقفة تعبيرية بغرض تثبيت رءوس الكباري وتدعيمها كي تعمل كقاعدة وطيدة يتم من خلالها دفع الأنساق الثانية لتطوير الهجوم شرقا بالتعاون مع الأنساق الأولى لتحقيق المهمة النهائية من العملية الهجومية، وذلك بالاستيلاء على خط يمتد من خليج السويس جنوبا إلى البحر المتوسط شمالا. يشمل منطقة المضائق ويؤمنها استعدادا للتقدم إلى الحدود الدولية لاستكمال تدمير العدو وتحرير سيناء.

تبعاً لهذه الخطة وضعت خطة الفرقة الثامنة (دفاع جوي)، بحيث توفر الوقاية للقوات البرية في جميع مراحل قتالها، وكانت في شكلها العام تهدف إلى تواجد وحدات صواريخ الفرقة الثامنة (دفاع جوي) على مقربة من القناة على مسافات تتراوح بين ٦-٨ كم، حتى يمكنها أن توفر الوقاية للقوات أثناء إجراء التحضيرات النهائية للهجوم، على أن تنتقل إلى مواقع جديدة غرب القناة على مسافات تتراوح من ١/٢ - ٣ كم، وذلك بعد استيلاء القوات على رؤوس الكباري وتعميقها وذلك بغرض تعميق ومد وقيتها للقوات الموجودة في الشرق، وعند تطوير الهجوم شرقاً لتحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة كان عليها أن تقوم بانتقالات يومية بعدة لواءات من الصواريخ بأسلوب يمكنها من متابعة تقدم القوات وتوفير الوقاية لها، في حين تقوم بعض لواءات الصواريخ الأخرى ومعها بعض وحدات المدفعية المضادة للطائرات بتوفير الوقاية عن المعابر المقامة على القناة والمطارات الأمامية التي تعمل منها القوات الجوية، وهي: مطار القطامية - أبو حماد - الصالحية.

لم تكن وقاية القوات القائمة بالعملية الهجومية في مراحلها المختلفة مقصورة على وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوي)، وهي إحدى تشكيلات الدفاع الجوي عن الدولة والتي وضع على كاهلها مهمة وقاية القوات خلال العملية الهجومية. وإنما اشترك معها وحدات الدفاع الجوي عن الجيوش الميدانية، والتي تتكون من وحدات محدودة من صواريخ سام ٦ بالإضافة إلى ما يقرب من ٢٠٠٠ قطعة مدفعية ورشاش مضاد للطائرات من العيارات المختلفة، ابتداء من الرشاش ١٢,٧ مم إلى المدفع ١٠٠ مم، وقد شاركت كلها في توفير الوقاية للقوات وفقاً لخصائصها وقدراتها الفنية والتكتيكية وإمكاناتها القتالية.

كانت الخطة الإسرائيلية استناداً إلى عقيدتهم العسكرية - تلك العقيدة المبنية على الطابع الهجومي - تلخص في شكلها العام في القيام بضربة جوية شاملة أو وقائية بكل القوات الجوية الإسرائيلية أو بأكبر جزء منها، لإحباط العملية الهجومية وإنزال أكبر خسائر ممكنة بالقوات والمعدات، وتدمير القواعد الجوية والطائرات والأغراض العسكرية والمدنية المهمة، على أن يعقب هذه الضربة العبور غرباً لقناة السويس بغرض

تدمير التجميع الرئيسي للقوات البرية المصرية، والوصول إلى خط يمتد من الصاخية شمالاً إلى القصاصين إلى جبل عويد جنوباً.

لقد كانت الخطة الإسرائيلية الموجودة خطة هجومية، ولم يدر بفكر محلي المعلومات في إسرائيل - جهاز المخابرات - احتمال قيام جمهورية مصر العربية بعملية هجومية، ولقد بنوا فكرهم هذا على أن مصر لا يمكنها أن تقوم بعملية هجومية قبل عام ١٩٧٥، عندما يتوفر لها قاذفات مقاتلة من نوعية أفضل مما لديها ليتمكنها التصدي للقوات الجوية الإسرائيلية وضرب الأغراض الإسرائيلية الموجودة في العمق، وتبعاً لذلك الفكر يمكن القول إن وقع المفاجأة بنوعها الاستراتيجية والتكتيكية قد تحقق إلى نهايته وأحداث تأثيره المطلوب، ولما تحققت المفاجأة باقتحام قناة السويس بغرض الاستيلاء على خط بارليف وتكوين رءوس كباري محدودة يتم توسيعها بعد ذلك اتجهت الخطة الإسرائيلية منذ بدء الحرب إلى :

أ- التمسك بمواقع خط بارليف.

ب- إيقاف تقدم القوات المصرية التي عبرت إلى الشرق.

ج - القيام بالهجمات المضادة بالقوات المدرعة الموجودة شرق القناة، وكانت تقدر بعدد ٣ لواءات مدرعة تؤيدها القوات الجوية لإيقاف الهجوم المصري وتدميره، وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه.

د - تقوم القوات الجوية الإسرائيلية بالواجب الأساسي في إيقاف تقدم القوات المصرية، وذلك بإيقاف عبور القوات ومنعها من إقامة أي معابر لها على القناة، حتى لا يزيد معدل تدفق القوات لما تقدمه المعابر من تسهيلات لتحرك المعدات الثقيلة.

في ضوء تلك الخطة وما وضع من أساليب العدو خلال الفترة من ٦-١١ أكتوبر يمكن بلورة الدور والمهام التي أعطيت للقوات الجوية الإسرائيلية والتي تلخص في الآتي :

أ - إيقاف عبور القوات المصرية عبر القناة وإنزال أكبر خسائر بها أثناء العبور.

ب - منع المصريين من إقامة أي معابر وتدمير ما يقام منها.

ج - معاونة الهجمات المضادة التي تهدف إلى إيقاف تقدم القوات المصرية المهاجمة، والتي تتم بواسطة الاحتياطات التكتيكية أولاً ثم التعبئة فيما بعد، وذلك بعرض تدمير القوات المصرية شرق القناة والوصول إلى القناة واستعادة الموقف إلى ما كان عليه.

د - توفير الدفاع الجوي عن إسرائيل.

هـ - القتال للحصول على السيادة الجوية بضرب المطارات المصرية ومحاولة تعطيلها أو تدمير الطائرات المصرية في الجو من خلال أعمال القتال الجوي التي تستدرج إليها أو بهما معا.

و - تدمير حائط الصواريخ المصري غرب القناة بإحداث ثغرات به لتقليل فاعليته، والعمل على استنزاف أكبر قدر من احتياطات الدفاع الجوي من المعدات.

الضربة الجوية الشاملة

بدأت حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ السادس من أكتوبر ١٩٧٣ (سعت ١٤٠٠)، وكان أول ما بدأت به هو قيام القوات الجوية المصرية بضربة جوية شاملة على أهداف العدو في سيناء بغرض تدميرها أو إسكاتها، لإفقادها القدرة على العمل لفترة محدودة لضمان نجاح عبور القوات إلى شرق القناة والاستيلاء على رءوس كباري محدودة في الشرق تعمل كقاعدة وطيدة، تقوم منها القوات بالهجوم على العدو للاستيلاء على خط بارليف وهزيمة قواته ومتابعة تقدمها شرقاً لتحقيق المهام المحددة لها.

تمت هذه الضربة على أغراض العدو بأكثر من ٢٠٠ طائرة قاذفة مقاتلة، وكانت أهم الأهداف التي وجهت إليها الضربة الجوية هي مطاري المليز وتمادا، ومركز الإنذار والإعاقة في أم خشيب، ومركز قيادة القوات الجوية بسيناء في أم مرجم، بالإضافة إلى كتائب الصواريخ أرض - جو من طراز هوك، وبطاريات مدفعية الميدان بعيدة المدى، أعقب ذلك قصف مروع بمدفعية الميدان بأعيرتها المختلفة على جميع أغراض العدو التي تقع في مداها وبكثافة هائلة وذلك لتدميرها أو إسكاتها وإلحاقها أكبر خسائر بها.

تم تأمين طائرات الضربة الجوية بإصدار الاسم الرمزي لذلك، ويتم تحذير جميع الوحدات، و طلبت من قادة اللواءات و الأفواج فرض السيطرة الجازمة على وحداتهم خلال هذه الفترة، والتي كان مقدرا لها ألا تزيد على ٢٠ دقيقة خوفا من أن يحدث نتيجة للإرهاق الذي تعانيه الوحدات منذ يوم ١٠ / ٢ الاشتباك مع طائرتنا نتيجة للتوتر العصبي الذي يصاحب الأفراد عادة، والذي يكون على أشده في المرحلة الأولى للمعركة.

وتأميننا لعودة طائرتنا تخصصت ثلاث مظلات جوية تعمل فوق القناة مباشرة، الأولى في القطاع الشمالي، والثانية في القطاع الأوسط، والثالثة في القطاع الجنوبي، وكان الغرض من تواجد هذه المظلات هو قتال طائرات العدو التي ينتظر أن تقوم بمطاردة طائرات الضربة الجوية أثناء عودتها بعد تنفيذ مهمتها، على أن تترك محلاتها بعد عودة طائرات الضربة الجوية إلى الغرب، ورغم إتمام الضربة الجوية وعودة طائرتها إلى قواعدها - عدا بعض الطائرات - فلم تترك المظلات الجوية أوضاعها، وفي (سعت ١٤٣٠) بدأت الطائرات الإسرائيلية الظهور في الجو وهي تطير مذعورة تجاه القناة لتوقف عبور القوات المصرية التي بدأت في العبور، وهنا طلبت سحب المظلات الجوية من أوضاعها كما كان متفقا لإخلاء الجو لمقابلة هجوم العدو الجوي بحرية تامة، ولكن لم يتيسر إتمام ذلك في الحال، وما في إلاثوان حتى أبلغت كتائب الصواريخ أرض / جو بأن طائرات العدو تقترب من القناة مما زاد الموقف حرجا والموجات الأولى من القوات العابرة لم تصل إلى الشاطئ الشرقي بعد، وعلى ذلك قررت الاشتباك مع العدو ورغم وجود طائرتنا، وأعتقد أن هذا القرار كان ضروريا، لأنه لو نجح العدو في اللحظات الأولى في قصف القوات العابرة فلاشك أن ذلك سيكون له أكبر الأثر على معنوياتها بالإضافة إلى ما سيحدثه من خسائر لا داعي لها، فالوحدات العابرة تعتبر غرضا ظاهرا لطيارى العدو، بالإضافة إلى أنه لا يتوفر لديها خلال هذه المرحلة أي وسيلة من وسائل الدفاع الجوي.

ولقد تمت الضربة الجوية وعادت طائرتنا كلها إلى قواعدها عدا بعض الطائرات، وفي (سعت ١٤٣٠) ظهرت الطائرات الإسرائيلية في الجو وهي تطير مذعورة تجاه

القناة لتوقف عبور القوات المصرية التي بدأت في العبور. ومنذ تلك اللحظة بدأ أول لقاء ساخن بين حائط الصواريخ المصري وبين الذراع الطويلة لإسرائيل، وسنرى كيف دار بينهما القتال إلى أن تحققت هزيمة القوات الإسرائيلية.

العدو يدفع بقواته الجوية

بمجرد بدء هجوم القوات المصرية دفعت إسرائيل بقواتها الجوية، وكان تقديرنا لأعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية في حالة قيامنا بعملية هجومية وتحقيق المفاجأة هو توجيه مجهودها لمعاونة القوات البرية الإسرائيلية ومحاولة إيقاف الهجوم المصري وهو في مراحل الأولى، وقد صدق توقعنا، إذ دفعت إسرائيل بقواتها الجوية في القتال وبمعدل عال وكثافة كبيرة، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية يوم ٦ أكتوبر ١١٧٠ طلعة / طائرة، منها ٦٧٠ طلعة طائرة خلال ساعات النهار والباقي خلال النصف الأول من الليل، بمجهود ضخم وجه لإيقاف الهجوم وإحباطه ولكنه فشل، وقد يتبادر إلى الذهن هل تمكن العدو برغم مفاجأته من الرد السريع على الهجوم؟ وهل دفع العدو بكل هذه العدد إلى جبهة القتال ليوقف الهجوم المصري؟ الواقع أن القوات الجوية الإسرائيلية كانت جاهزة للقتال تماما قبل بدء الحرب، فقد رصد قيام العدو بتعبئة قواته الجوية واستدعاء احتياطيه من الطيارين قبل ٤٨ ساعة من بدء الحرب، كما رصد أول ضوء يوم ٦ أكتوبر رفع درجة استعداد القوات الجوية الإسرائيلية، وأبلغ دليل على استعدادها هو ما انتهى إليه رئيس الأركان الإسرائيلي يوم الجمعة ١٠ / ٥ من ضرورة قيام إسرائيل بضربها الوقائية، تلك الضربة التي لم يتم إقرارها منعاً لبدء الحرب من جانبهم كما أعلنوا ذلك، أما عن دفع العدو لهذا العدد من الطائرات لإيقاف الهجوم، فالحقيقة أن استخدام القوات الجوية يخضع لأسلوب خاص، فكل هجمة جوية تتكون من عدة عناصر، لكل فيها مهمة محدودة، وجميع هذه العناصر تهدف إلى تحقيق الغرض المطلوب من الهجمة الجوية، وعادة تتكون الهجمة من العناصر التالية:

١ - مجموعة الحماية والمعاونة: وتشمل الطائرات المخصصة للقيام بالتدخل الإيجابي والسلبى، وطائرات الحماية المرافقة للقوة الضاربة أو تلك التي تعمل في مناطق المظلات الجوية خارج مناطق تدمير الصواريخ.

ب - مجموعة إخماد الصواريخ : وتعمل خارج مناطق الصواريخ ومسلحة بالصواريخ شرايك ومافاريك.

ج - مجموعة ضاربة : وهي المجموعة المكلفة بتنفيذ مهمة القصف الفعلي للقوات والأغراض، وهذه المجموعة تتراوح قواتها بين ٢٠ - ٣٠ ٪ من قوة الهجوم كلها.

د - مجموعة المطارات : وهي المجموعة المكلفة بمهاجمة المطارات لتقليلها ومنع خروج الطائرات منها، وذلك في حالة اشتغال الهجوم الجوية على مهاجمة بعض المطارات.

لقد قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة القوات العابرة بطريقة غير مركزة في أغلب الأحوال، وبهذا كانت هجماتها غير مؤثرة، وقد تميز من مجهود العدو خلال الساعات النهار يوم ٦ / ١٠ قيامه بهجمتين جويتين مركبتين على القطاع الشمالي والأوسط للقناة، الأولى بقوة ٤٤ طلعة / طائرة، والثانية بقوة ٣٢ طلعة / طائرة، وبحلول آخر ضوء كان من المتصور هدوء نشاط العدو. غير أن العدو - جريا وراء عقيدته من ضرورة حسم المعركة بسرعة لصالحه - استخدم قواته الجوية بكثرة، هادفا من وراء استخدامها إلى إيقاف تقدم الهجوم المصري، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال النصف الأول من الليل نحو ٥٠٠ طلعة طائرة - نشاط عالٍ، بل أكثر من العالي - وجهه العدو في هيئة طائرات فردية أو زوجية للقوات التي عبرت أو تلك الجاري عبورها، أو للمعايير الجاري تركيبها على القناة للمعاونة في عبور المعدات الثقيلة، أو الكباري الجاري تجهيزها لإقامتها في المحلات التي سبق تجهيزها، أو إلى وحدات المهندسين العسكريين القائمين بفتح الفتحات في الساتر الترابي بالمدافع المائية، ولكن هل نجح العدو في أن يحقق أى هدف من أهدافه ؟ لا - والسبب في ذلك يعود إلى الدور الرائع الذي قام به حائط الصواريخ.

تم تأمين طائرات الهليكوبتر التي قامت بنقل قوات الإبرار الجوي أثناء عبورها قطاع التشكيل للقيام بعمليات الإبرار المختلفة في كل من المناطق التالية : سدر - متلا - الجدي - الطاسة - بالوظة - في الذهاب والعودة، ولم يمنع ذلك الوحدات من استمرار اشتباكها مع القوات الجوية الإسرائيلية التي كانت تتزاحم في اتجاه رءوس الكباري، بقصد إيقاف عبور القوات.

لقد قام العدو (سعت ١٨٤٥) بأول هجمة ليلية على رءوس الكباري والمعابر، وذلك في اتجاه الإسماعيلية، وأمكن صدها بنجاح بالتعاون بين اللواءين ١٠٦، ٢٩٥ صواريخ، الأول يحتل مواقعه جنوب الإسماعيلية، والثاني شمال الإسماعيلية، أما الهجمة الثانية، فقد تمت (سعت ٢٠٠٠) وتركزت على القطاع الممتد من سرايوم جنوبا إلى الفردان شمالا، ولقد كانت هذه الهجمة متوقعة على أساس قيام الاحتياطي التكتيكي للعدو بالمهجوم المضاد على قواتنا التي عبرت القناة بعد ست ساعات من بدء الهجوم. وقد صدق تقديرنا تماما ولم يتحقق للعدو أي نجاح في هذه الهجمة الجوية، وفشلت كغيرها ولم تحقق ما كانت تهدف إليه، فلم يتوقف عبور القوات والمعدات، وسقطت طائراته محترقة قبل أن تصل إلى القناة. لقد قامت القوات الجوية الإسرائيلية بطلعة استطلاع إلكتروني على مسافة ٥٠ كم شرق القناة استمرت أكثر من ساعة، وقد استنتجنا من ذلك احتمال قيام العدو بضربة جوية توجه ضد حائط الصواريخ والمطارات الأمامية في الصالحية - أبو حماد - القطامية، وذلك اعتبارا من صباح يوم ٧ أكتوبر ٧٣، وكان علينا أن نستعد لتلقي هذه الضربة.

لقد بلغت الخسائر في القوات الجوية الإسرائيلية حتى (سعت ٢١٠٠) يوم ١٠/٦ نحو ٢٤ طائرة، وتعتبر هذه الخسائر كبيرة إذا قيس بالزمن الذي تم فيه القتال والذي لم يزد عن سبع ساعات، لقد ذكرتني خسائر العدو هذه بما فعله العدو معنا خلال حرب الاستنزاف وما بعدها، وخلال معركة إدخال الصواريخ في يوليو ١٩٧٠، ولم تتغير الصواريخ بل هي هي ولكن الذي تغير نوعية المقاتل المصري الذي ظهر على حقيقته في حرب رمضان ١٣٩٣، المقاتل المصري الذي كان يحارب بأسلحة صاروخية معقدة للغاية تشمل آخر تطور تكنولوجي في العلم في صناعة الصواريخ وأجهزة الرادار الموجهة لها.

استمر القتال على نفس الوتيرة بين حائط الصواريخ والقوات الجوية الإسرائيلية وخسائرها تزداد ساعة بعد أخرى حتى وصلت عند منتصف ليلة ٦/٧ أكتوبر نحو ٣١ طائرة منها ٢٥ طائرة مؤكدة. لقد أكد الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلي صحة ما دمرناه عندما أعلن يوم ١٠/٧ بأن القوات الجوية الإسرائيلية خسرت حتى (سعت ٢٠٠٠) يوم ٧ أكتوبر ٣٦ طائرة، وقد تم تدميرها بالصواريخ أرض - جو.

لقد كان قتال هذا اليوم قتالاً ممتعاً للغاية، فقد يسرنا للقوات البرية العبور، وأوجدنا سماءً خالية تماماً من الطائرات ومحمية بصواريخنا، تعمل تحتها قواتنا البرية لتدمير دبابات العدو وبدون حماية جوية لها، فتقع هي الأخرى فريسة لصواريخنا المضادة للدبابات، وتصبح هجماتهم المضادة بالاحتياطات القريبة غير مجدية، بل أصبحت القوات الإسرائيلية تولى الأدبار من جراء الخسائر التي حاقت بها فراراً في الجو، وفراراً في البحر، هزيمة منكرة لأول مرة تراها أعين الإسرائيليين.

لقد أدى هذا الموقف الجوي الفريد إلى حدوث بعض المفارقات، ففي الوقت الذي طلب فيه قائد الجيش الثاني الميداني انتقال كتائب صواريخ إلى مواقعها غرب القناة مباشرة حتى تكون قادرة على توفير الوقاية لقوات الجيش خلال قتال يوم ١٠ / ٧. ولم نوافق على هذا الطلب - نجد أن عدة فرق من فرق الجيش الثاني الميداني تمكنت ليلة ٧ / ٦ من إقامة معابرها بيسر وسهولة وإتمام عبور قواتها، بل لواءاتها المدرعة، مما يسر لها توفر قوة النيران والصدمة مع بزوغ فجر يوم ١٠ / ٧، إذ مكنتها هذه اللوحدات المدرعة من صد هجمات العدو المضادة التي قامت بها الاحتياطات التكتيكية، وذلك دون أن تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من التدخل في عملية إقامة هذه المعابر أو في عبور الأنفاق الثانية لفرق المشاة أو في عبور اللوحدات المدرعة.

كثرت الشكوى ليلة ٧ / ٦ أكتوبر من قيام القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة المعابر، وخاصة في قطاع القنطرة. ولقد نفيت هذه المزاعم، فالموقف الجوي واضح أمامنا تمام الوضوح وخسائر العدو تتزايد لحظة بعد لحظة، وما صدر إليه من تعليمات من قيادته أكبر دليل على ابتعاده عن القناة، والمعدات الإلكترونية في أيدينا هي خير وسيلة للتعرف على أعمال العدو، فهي لا تكذب أبداً، كما أن اللواء ١٠٧ - صواريخ هو الذي يقوم بالدفاع عن هذا القطاع، وأفضل كتائب وأفضل قادة هم الذين كانوا خلف المعابر (المقدم / بدر، الرائد / شلوفة، المقدم / أبو الجدايل). لقد كانوا بالمرصاد لأي محاولة للعدو في هذا القطاع كما أن النتائج التي تحصل عليها اللواء خلال ساعات القتال الأولى مع العدو كانت عالية، فلقد قام اللواء بعدة اشتباكات كانت نسبة النجاح فيها ٨٥٪.

إفقاد العدو اترانه

بدأ أول اشتباك لحائط الصواريخ فى القطاع الشمالى تجاه القنطرة مع مجموعات صغيرة «ازدواج» من طائرات العدو، تلاه اشتباك باقى القطاعات، لقد كانت هذه الطائرات المهاجمة هى طائرات الاستعداد فى مطارات العريش و الصدر و رأس النقب أقرب المطارات الصالحة لجبهة القتال بعد تعطيل مطارى المليز و تمادا من جراء الضربة الجوية الشاملة، و لم يلبث العدو أن دفع إلينا ببعض طائراته إلى القطاع الجنوبى فى محاولة يائسة لإيقاف عبور القوات، وبدأت وحدات الصواريخ الموجهة فى الاشتباك، وللأسف فشلت الاشتباكات الأولى سواء للوحدات التى اشتبكت فى قطاع القنطرة أو تلك التى اشتبكت فى منطقة الشلوفة، ومن تحليل سريع لأسلوب الاشتباكات التى تمت ورد الفعل الذى قامت به الطائرات الإسرائيلية وجدت أن سبب القصور راجع إلى قيام طائرات العدو بالمانورة الحادة لتتلافى الإصابة بالصواريخ وعلى ذلك أيقنت أن العدو دفع بالصفوة الممتازة من طياريه، وأصبح لزما علينا أن نعمل على إفقاد العدو اترانه وسحب المبادأة منه فى عملياته الهجومية، فتم تحديد نقاط الضعف التى يجب تلاشيها، وأسلوب التعامل مع مثل هذا النوع من الطيارين، وفعلا بدأت الوحدات اعتبارا من (سعت ١٤٤٠) تبلغ عن اشتباكات ناجحة، وتوالت الاشتباكات الناجحة، وامتدت من القنطرة شمالا إلى السويس جنوبا على طول المواجهة، واشتعلت السماء بنيران الصواريخ، صواريخ تطلق من هنا وأخرى تطلق من هناك، بعضها يتحرك إلى أهدافه مباشرة، والبعض الآخر يتحرك بطريقة غير مباشرة، فظهرت فى السماء كأنها تعانق بعضها بعضا لتؤكد صلابة المقاتل المصرى، وتوضح مدى قدراته وفاعليته فى استخدامها، وتكاد - وهى تتزا من مكانا، وتتواجد فى الفراغ اللانهائى - أن تشد من عزم بعضها البعض لتقهر طياري العدو وتدمير طائراتهم.

لقد واجهنا العدو بأطقم على مستوى رفيع من التدريب كان لها العمل فى أن تحيل أمانى العدو إلى سراب من البداية، وقد يسر نجاح حائط الصواريخ للقوات القائمة بالعبور مظلة من نيران الصواريخ لم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من النفاذ منها إلا ووضعت فريسة لوحدات الصواريخ، لقد دفع بعدد - كعادته عند بدء عملياته

- من صفوة طياريه، هؤلاء النخبة من الطيارين الذين كان يباهي بهم العالم أجمع، دفع بهم في الهجمات الأولى، دفع بهم وكله ثقة في قدراتهم على إحباط عبور القوات المصرية وتحويل ماء القنال إلى دماء كما كان يخطط ويعتقد، لقد حاولت القوات الجوية الإسرائيلية في هجماتها المسعورة إيقاف عبور القوات مستخدمة في ذلك كل ما في حوزتها من أسلحة من قنابل وصواريخ، وكل ما لديها من أساليب تكتيكية من هجمات على الارتفاعات المنخفضة جدا ١٠٠ متر فأقل، أو المنخفضة ٥٠٠ متر فأكثر، واستخدام أساليب المشاغلة بطائرات أخرى على الارتفاعات المتوسطة ٣-٤ كم تعمل من بعد، تخفي تحتها الطائرات المنخفضة المقربة من القناة، أو تقوم هي عندما تحين لها الفرصة بقصف صواريخ الشريك من مسافة ٢٠-٢٥ كم أو أكثر، ولكن كانت وحدتنا له بالمرصا، ولم تمكن لأساليبه المختلفة أن يكتب لها النجاح، بل كان تدمير طائراته في الجو - سواء بطياريه وملاحيه، أو هبوطها بالمظلات - هو النتيجة النهائية لأي اشتباك.

لقد دفع العدو في هجماته الأولى بطائرات الفانتوم - لما لها من قدرات عالية على المناورة بما يمكنها من الإفلات من نيران الصواريخ، يعزها في هجومها طائرات الميراج الصغيرة الحجم، ذات القدرة العالية على الغطس والصعود، ولكن لم تجد كل محاولات العدو، ولم ينجح في الوصول إلى قناة السويس ولومرة واحدة، بل كان مصيره التدمير قبل أن يصل إليها، ولكن ما العمل . هل ينسحب العدو من المعركة ويتركها ويستسلم وهي لا تزال في بدايتها والقوات العابرة ما هي إلا قوات مشاة ليس معها سوى أسلحتها الخفيفة وبعض أسلحة الدعم التي يمكن للجندي المشاة حملها وترك المعركة يعني الفرار من المعركة، وكيف يتفق ذلك مع الملف الإسرائيلي ؟

في ضوء ذلك اتجه العدو إلى أسلوب أكثر لؤما وخبثا، وذلك بالعمل في مجموعات بعيدة عن مواقع الصواريخ شرق القناة تطير على مسافة ٢٠ كم وارتفاع ٣ كم، وينحصر نشاطها في قطاع معين، وأثناء طيرانها تتسلل منها طائرة أو أكثر بالغطس تجاه القوات العابرة وتقوم بمهاجمتها، لقد كان العدو ذكيا في أسلوبه، فالهدف - المجموعة - عند ظهوره على مبيانات الرادار لا يتيسر تحديد عدد طائراته إلا بصفة تقريبية، وتسلل أي

عدد منها لا يؤثر إلى حد ما على شكل الهدف على مبيّنات الرادار، ولكن هل فات ذلك على وحدات الصواريخ لا، لأننا كنا على دراية بأساليب العدو تماما، وكنا قد وضعنا لكل احتمال ما يقابله، فلم تفلح هذه الطريقة وازدادت خسائر العدو، فبلغ ما أسقط من بدء المعركة مع الصواريخ (سعت ١٤٣٠ حتى سعت ١٦٣٠) أكثر من ١١ طائرة، معدل عالٍ من الخسائر لم يتصوره العدو، لقد هالته الخسائر وخاصة لأنها من بين أحسن أنواع الطائرات والطيارين لديه، لقد أدت هذه الخسائر بالعدو إلى أن يعمل حسابا لحائط الصواريخ، فكان أن أعلنت قيادة القوات الجوية الإسرائيلية أمرا إلى جميع الطيارين (سعت ١٦٣٠) بعدم الاقتراب من القناة لمسافة ٢٥ كم، ومن هذه اللحظة أيقنت تماما أننا بقتالنا مع العدو الساعات القليلة الماضية تمكنا فعلا من إفقاده اتزان، ويجب علينا أن نستمر في ذلك حتى نحرمه من المبادأة والمفاجأة تماما.

لقد أدى هذا الأمر إلى مزيد الدهشة والحذر، أما الدهشة فكانت راجعة إلى أن هذا التحذير معناه خروج السلاح الجوي الإسرائيلي من المعركة والوقوف موقف المتفرج، ولكن كيف تقف الذراع الطويلة لإسرائيل خارج المعركة، وإسرائيل قد بنت عقيدتها العسكرية على أساس العمل الهجومى المستبد إلى الطائرة والدبابة، أما الحذر فكان نابعا من احتمال أن يكون هدف العدو الأول هو أن نصدق ما يقوله فنضع الأمور جانبا ويقل اهتمامنا وتفتر صلابتنا التي بدأنا بها المعركة طالما أن العدو يعمل بعيدا عن القوات التي تقوم في ذلك الوقت بتثبيت أقدامها في رءوس الكباري، ولم يتعد ما استولت عليه عن عدة مئات من الأمتار قد تصل إلى كيلو متر في بعض الاتجاهات.

لقد كانت دهشتي نابعة أيضا من احتمال تعرف العدو على الأسلوب الذي حددناه للتعامل معه، والذي أدى إلى هذه الخسائر الكبيرة، لاشك أن تحديده لهذه المسافة في ضوء أوضاعنا القتالية وقتئذ يلقي ضوءا على أنه فعلا قد توصل إلى شيء ما من هذا القبيل وكان على أن أجد مخرجا من هذا الوضع، وفعلا بدأت الوحدات في تطبيق أسلوب جديد آخر، وسرعان ما بدأت الطائرات الإسرائيلية تتساقط مثل أوراق الخريف، ولقد أدلى أحد الطيارين الأسرى مما يؤكد نجاح أساليبنا المختلفة مع العدو - بأنه رغم عدم اقترابه من مناطق الصواريخ فإنه فوجئ بأن طائرته تنجذب إلى الصاروخ وتحطم كأن في الصاروخ قوي مغناطيسية تجذب إليه الطائرات، والواقع أنه لم تكن

هناك قوة جاذبة مغناطيسية كما توهم، وإنما كانت هناك عدة أساليب جار استخدامها مع العدو مما جعله غير قادر على تحديد أبعاد مناطق الصواريخ كما كان يعتقد.

الضربة الجوية الإسرائيلية المضادة

ببزوغ فجر يوم ١٠ / ٧ بدأت المعلومات تصل تباعا عن احتمال قيام العدو بضربة جوية شاملة، وكانت هذه التقديرات مبنية أساسا على عقيدة العدو القتالية وعدم قيامه بهذه الضربة الجوية بعد بدء هجوم قواتنا مباشرة كما كان متوقعا، ورغم كثرة التعليلات، فلقد كنت على اعتقاد كما كنت من قبل أن العدو لن يقوم بضربة جوية شاملة للأسباب الآتية :

- أ - الضربة الجوية الشاملة تعتمد في نجاحها على المفاجأة، والمفاجأة ليست في يده.
- ب - أدى قيام القوات المسلحة المصرية بالهجوم ووجودها شرقا إلى خلق موقف تعبوي للعدو يستلزم منه مواجهته أولا، حيث إن المعركة أولا وأخيرا ستقرر على قناة السويس وليست على أغراض في العمق مهما كانت أهميتها.
- ج - إن محاولة ضرب أغراض في العمق رغم ما يعترضها من فشل - ستكون سببا مباشرا في ضرب أغراض في العمق الإسرائيلي، ذلك العمق الذي بات يحلم خلال أعوام طوال بالأمن.

وفي أول ضوء يوم ١٠ / ٧ صح ما توقعته تماما، فلم تكذباشير الصباح تلوح في الأفق حتى بدأت القوات الجوية الإسرائيلية في القيام بنشاط جوي مكثف، واستمرت على ذلك طوال اليوم. لقد بلغ هذا النشاط ١٣٢١ طلعة / طائرة، منها ٨٢٢ طلعة / طائرة نهارا والباقي ليلا. لقد وجه العدو نشاطه الجوي المكثف إلى معاونة قواته القائمة بالهجمات المضادة أو معاونة قواته الموجودة في نقط خط بارليف التي لم تسقط بعد، أو إلى المعابر المقامة على القناة بالإضافة إلى مهاجمته إلى حائط الصواريخ والمطارات الأمامية التي تخدم العملية الهجومية.

لقد تميز نشاط العدو نهارا على مواجهة القتال قياما بثلاث هجمات جوية مركزة تراوحت في قوتها بين ١٨٠ - ٢٢٦ طلعة / طائرة، تمت الأولى منها (سعت ٦٠٠)

بقوة ٥٦ - ٧٨ طلعة / طائرة، والثانية (سعت ١٥٣٠) بقوة ٨٨ - ٩٤ طلعة / طائرة،
والثالثة (سعت ١٨٣٠) بقوة ٣٦ - ٥٤ طلعة / طائرة، وجه منها للقطاع الشمالي من
الجهة ٤٦ - ٥٦ طلعة / طائرة، والقطاع الأوسط ٥٨ - ٧٢ طلعة / طائرة، والقطاع
الجنوبي ٧٦ - ٩٤ طلعة / طائرة.

لقد أشرك العدو مدفعيته بعيدة المدى في ضرب بعض كتائب الصواريخ الأمامية في
المنطقة شمال الإسماعيلية وذلك بغرض إحداث خسائر في معدات كتائب الصواريخ
بقصد تعطيلها عن العمل. وقد تم هذا القصف قبل مهاجمة الطيران الإسرائيلي لهذه
الكتائب بفترة زمنية قليلة، أسلوب جديد، استخدام لسلحين بعيدي المدى على
التوالي، لتعاون المدفعية بعيدة المدى الطيران، وتعمل على تمهيد الأرض لإنجاح هجوم
الطيران، ولكن خاب تقدير القيادة الإسرائيلية فلم تكن نيران مدفعية العدو مؤثرة على
الإطلاق واستمرت الوحدات في عملها دون أدنى تأثير.

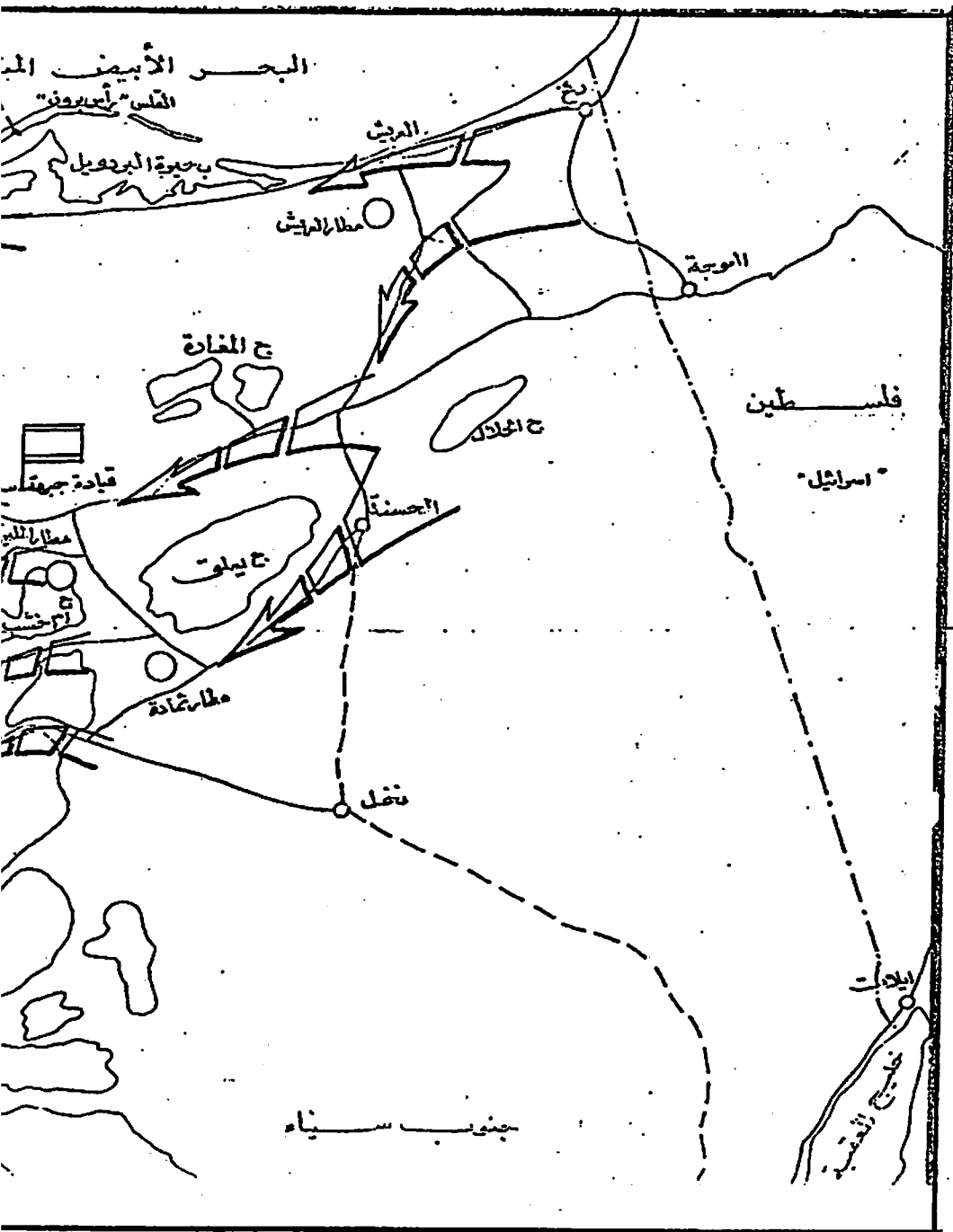
لقد كان هدف القيادة الإسرائيلية من هذه الهجمات الجوية المركزة تحقيق الآتي :

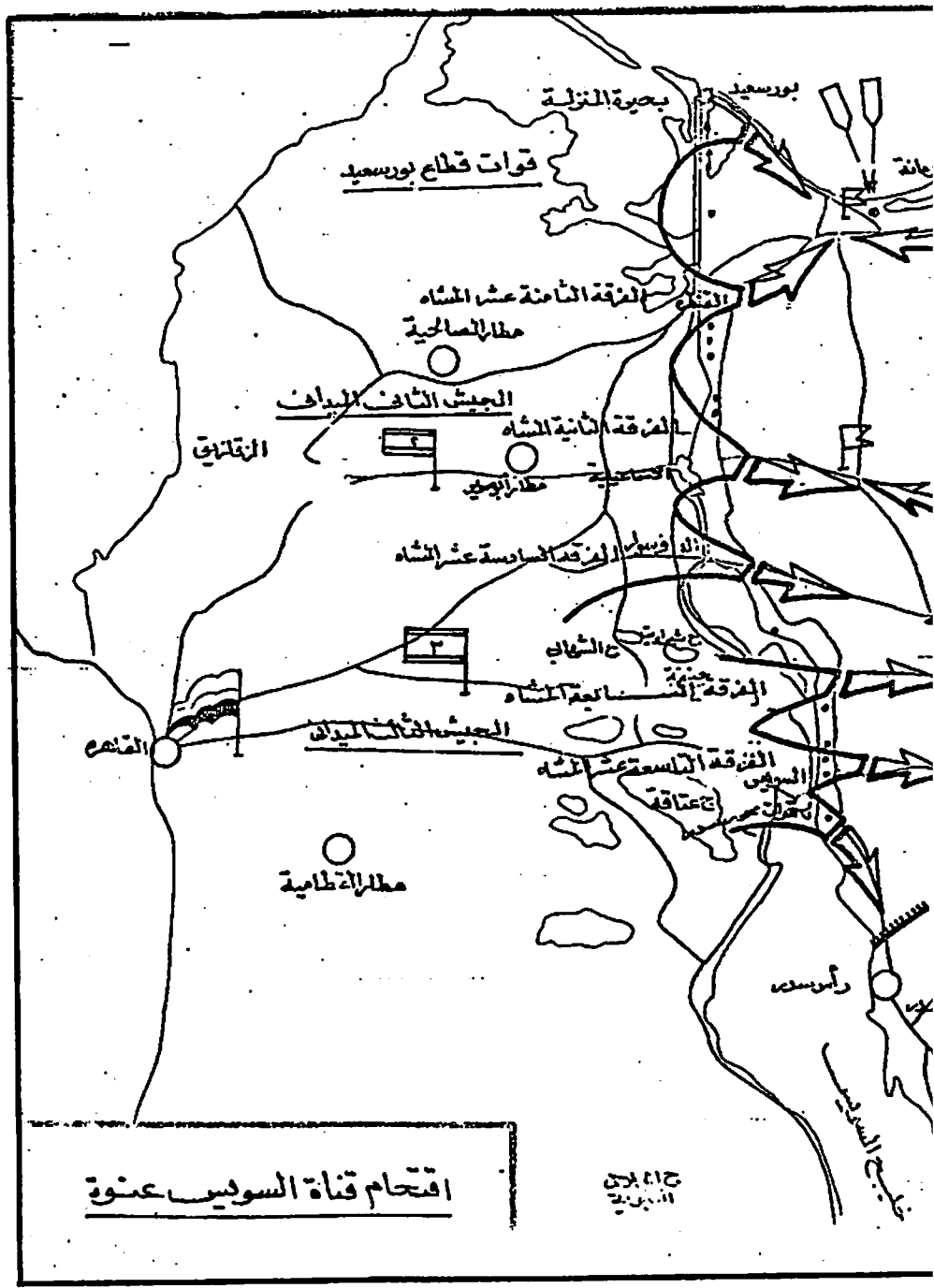
- أ - إيقاف تدفق القوات المصرية، وذلك بتدمير وسائل العبور المقامة على القناة.
- ب - محاولة إرجاع القوات التي نجحت في العبور والقائمة بتكوين رءوس كبارى
محدودة العمق والاتساع، وذلك بتدميرها وإرغامها على العودة غربا ودفاعاته
شرقا.
- د - مهاجمة وسائل الدفاع الجوي، وخاصة حائط الصواريخ، لإمكان استعادة قواته
الجوية لسيطرتها الجوية المعهودة.

لقد تمكن العدو في القطاع الشمالي من جبهة القتال من مهاجمة كتيبتى صواريخ
على التوالي، وذلك في المنطقة الممتدة بين الإسماعيلية والفردان، وكلاهما من نوع سام
٣، وذلك في محاولة يائسة لفتح ثغرة في حائط الصواريخ في هذا الاتجاه، ولكن فشل
الهجوم بفضل معاونة الوحدات الأخرى للوحدات الجارية الهجوم عليها. فعلى الكتيبة
الأولى ألقى حمولته بعيدا عنها، وتدمر له طائرة من الطائرات المهاجمة أما على الثانية فقد
تمكن من إسقاط بعض قنابله وبعض مستودعات قنابل البلي على مقربة من الكتيبة ولاذ

بالفرار، ولكن بعد أن تم تدمير طائر أخرى له. لقد كانت هذه المستودعات جديدة علينا في أسلوب قصفها أو أسلوب الوقاية منها، مستودع يحتوي على كرات يفتح في الجو على ارتفاع محدد له وتتناثر منه الكرات، وبمجرد أن تلمس أرض صلبة تنفجر الكرات ويتناثر منها كرات عديدة صغيرة الحجم، تؤثر على الأفراد الموجودين بالعراء. لقد تسببت هذه الكرات في إصابة بعض الأفراد، كما أدت عند انفجارها إلى تعطيل بعض معدات هذه الكتيبة لفترة زمنية محدودة أمكن بعدها إتمام إصلاحها.

لم يقتصر نشاط العدو خلال يوم ١٠ / ٧ على مهاجمة القوات وحائط الصواريخ في جبهة القتال بل هاجم المطارات الأمامية في المنصورة - طنطا - جناكليس - كذا مطاري القطامية والصاحلية. لقد كان العدو يتمنى في ضربته الجوية الوقائية أن ينال من القوات الجوية المصرية، إما بتدمير الطائرات داخل الدشم - وكان قد سبق أن أعلن أنه وجد خلالها نوعا معينا من القنابل ضدها - أو تدمير الممرات لتعطيلها لأكثر فترة ممكنة حتى يتم إصلاحها، وبهذا يحرم القوات البرية المهاجمة من معونة القوات الجوية لها وهو أمر ضروري. لقد وجه العدو إلى كل مطار عددا يتراوح بين ٤ - ٦ طائرات، ولكن لماذا اختار العدو هذه المطارات دون غيرها؟ الواقع أن هذه المطارات هي المطارات الأمامية التي تخدم جبهة القتال، والتي تتمركز فيها معظم القوات الجوية المصرية، فمطار المنصورة يتمركز به أحد اللواءات المقاتلة من طراز ميج ٢١، ويقوم بمهمة توفير الوقاية عن الأغراض الحيوية في منطقة شمال الدلتا بالتعاون مع الدفاع الجوي. أما مطار طنطا فكان يتمركز به طائرات الميراج الليبية والتي تعتبر أكبر خطر يهدد العدو، فعلاوة على أنها مقاتلة ممتازة يمكنها أن تنازل طائراته الفانتوم في المعارك الجوية المدبرة فهي تعمل كقاذفة مقاتلة قادرة على حمل حمولة معقولة من القنابل والصواريخ، ويسر لها مداها الكبير القدرة على مهاجمة أي أغراض في عمق إسرائيل وهذا هو الأهم، أما مطار جاناكليس فكانت تتمركز به بعض الطائرات من طرازات ي-١٦، أما مطار القطامية فكانت تتمركز به بعض أسراب الميج ٢١، في حين أن مطار الصاحلية يتمركز به لواء من طائرات ميج ١٧، وكلاهما يقوم بمهمة تقديم المعونة للقوات البرية.





افتحام قناة السويس عموة

٢١ أبريل
الطريق

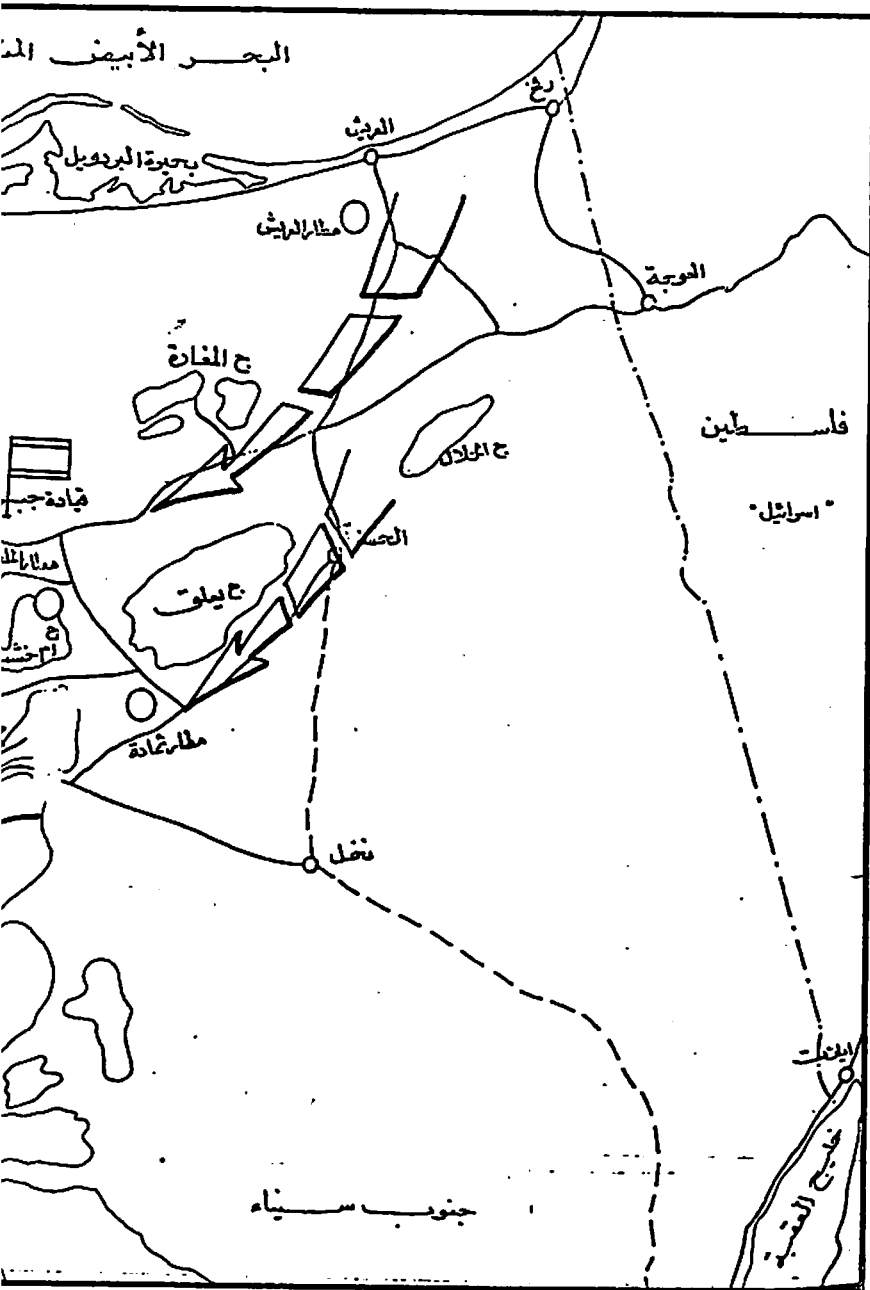
لكن لماذا قام العدو بهذا العدد الكبير من الطلعات. الواقع أن القوات الإسرائيلية قامت منذ صباح يوم ٧ / ١٠ بأول هجوم مضاد على القوات المصرية التي عبرت القناة مستخدمة الاحتياطات التكتيكية بأمل تحطيم الهجوم المصري، وكانت خطة القيادة الإسرائيلية - كما صرح الجنرال «ماتيتيا هوبليد» في تحليله لحرب أكتوبر - تتلخص في القيام بهجوم مضاد قوي باستخدام هذه الاحتياطات الموجودة، وكانت عبارة عن لواء مدرع تقريبا في كل قطاع من قطاعات الجبهة الثلاثة، على أن يتم الهجوم على المحاور بالتوالي بدءا بمحور القنطرة ثم المحور الأوسط ثم المحور الجنوبي، على أن يخصص لهذا الهجوم مجهودا جويا كبيرا، وكانت النتيجة فشل هذه الهجمات المضادة كلها، ولم يكن السبب في ذلك سوى أن القوات الجوية الإسرائيلية فشلت تماما في تقديم أي معونة للقوات القائمة بالهجوم المضاد، لقد أرسلت أول طلعة من طائرات الميراج لمعونة المدرعات القائمة بالهجوم على محور القنطرة صباح هذا اليوم، ولم تعد من هذه الطلعة ولا طائرة، كارثة وأي كارثة - كيف تقوم القوات البرية بهجوم دون معونة القوات الجوية لها، لقد تكرر الهجوم على المحاور الأخرى ولم يكن نصيبه بأوفر حظ مما سبق، وفشل الهجوم وتساقطت عدة طائرات للقوات الجوية وأصبح الموقف رهيبا.

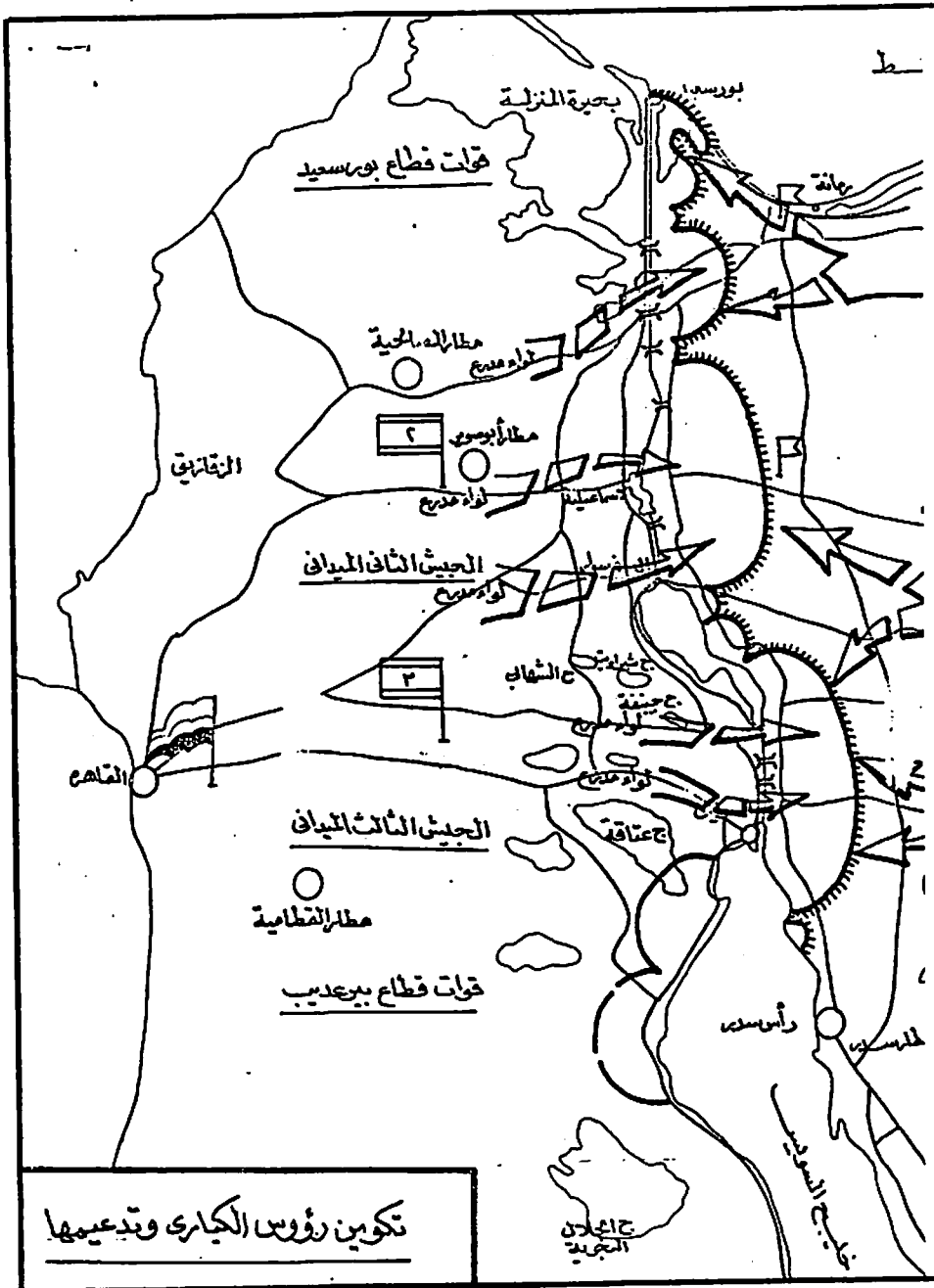
لكن هل كانت الضربة الجوية المضادة التي قام بها العدو سليمة من وجهة النظر العسكرية؟ أو كان الأولى به أن يستيقظ بمجهوده الجوي يعاون به المعركة البرية الدائرة وفقا لتطورات الموقف أولا بأول؟ وللتعرف على الإجابة الصحيحة يجب أن - نتعرف على ما كان يدور في فكر القيادة الإسرائيلية مساء يوم ٦ أكتوبر ١٩٧٣ م. لقد هال القيادة الإسرائيلية عامة وقيادة القوات الجوية الإسرائيلية خاصة ما لحق بها من فشل في إيقاف تدفق هذا المد البشري الزاحف إلى سيناء باستخدام القوات الجوية الإسرائيلية - كما كان مخططا من قبل وفي ضوء الموقف والنتائج رأى رئيس الأركان الإسرائيلي أنه لا توجد أي جدوى في ضرب المعابر والقوات التي تعبر عليها قبل إسكات بطاريات

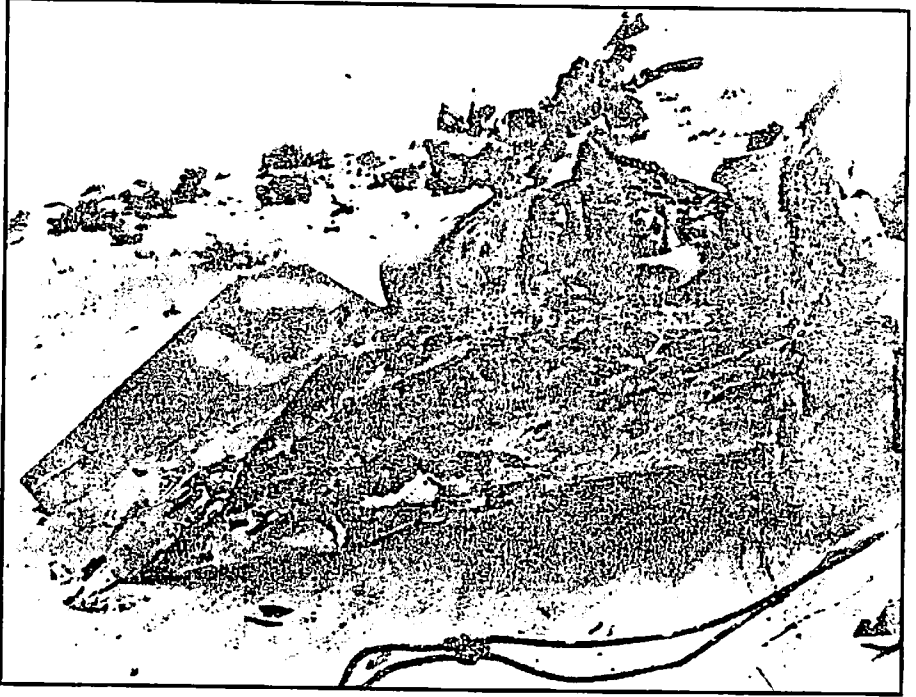
المدفعية - وقواعد الصواريخ أرض - جو مبررا ذلك بفشل كل المحاولات للوصول إلى الكباري، مما أدى إلى تدمير الطائرات بسبب تعرضها لنيران الصواريخ، وأكبر شاهد على ذلك تزايد حجم القوات المصرية المهاجمة ساعة بعد أخرى، وطلب في ابده رأى قادة القوات الجوية الإسرائيلية الذى رأى فى ضوء خسائره التى تتزايد ساعة بعد أخرى أن ذلك الاتجاه قد يكون هو الحل الأمثل لإيقاف الاستنزاف الذى يتم فى القوات الجوية الإسرائيلية، فوافق على رأى رئيس الأركان، بل أخبر وزير الدفاع الجنرال « ديان » بأن مهمة القوات الجوية يوم ٧ أكتوبر ١٩٧٣ م، ستكون مهاجمة جبهة القتال، واضعا فى الأسبقية الأولى مهاجمة قواعد الصواريخ والمطارات الأمامية، إذ أنه من خلال نجاحه فى مهاجمتها يمكنه العمل بحرية لمهاجمة القوات على جانبى القناة، غير أن رأى وزير الدفاع كان مخالفا لذلك على طول الخط، وكان رأيه هو توجيه كل المجهود الجوى لإيقاف تقدم القوات المصرية عبر سيناء موضحا أنه لو فشل الهجوم على المطارات وقواعد الصواريخ فمعنى ذلك أن الإسرائيليين أصيبوا بفشلين الأول تحطيم طائراتهم المهاجمة، والثانى بقاء المطارات وقواعد الصواريخ سليمة مع استمرار تقدم المصريين فى سيناء دون أن يعوق تقدمهم شىء، ولما كان القرار العسكرى فى يد رئيس الأركان لذا لم يعارضه، وكان بالنسبة له قرارا سيئا إذ أن العبرة فى القتال هى بمدى الخسائر فى الطائرات.

قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة حائط الصواريخ، وكانت النتيجة كما أسلفت مزيدا من الخسائر دون أن تتمكن من تدمير أى كتيبة صواريخ، كما أن الهجوم على المطارات الأمامية لم يجانبه التوفيق، إذ لا يمكن اعتبار مطاري طنطا - جانكليس - مطارات أمامية بأي حال من الأحوال، وعلى ذلك فمهاجمتها لا يخدم القرار ولا عزل ميدان المعركة اللهم إلا إذا كان الغرض هو شد انتباه القوات الجوية المصرية إلى هذه المطارات لسحب مقاتلاتها المتمركزة فى مطار المنصورة لاعتراض الطائرات الإسرائيلية عند اقترابها إلى هذه المطارات حتى يتيسر لها مهاجمة مطار المنصورة بنجاح.

كما سبق يتضح أن قرار رئيس الأركان الإسرائيلي وقرار قائد القوات الجوية الإسرائيلية لم يكونا سليمين، فقد استمر حائط الصواريخ واقفاً كالطود الشامخ، يكيل الضربات للقوات الجوية الإسرائيلية وتعطلت بعض المطارات لفترات وجيزة.







لقد حاول العدو خلال الضربة الجوية المضادة التي قام بها الاقتراب من المعابر لمهاجمتها ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل، ورغم ذلك عادت الشكوى من ضرب المعابر إلى الظهور ثانية، ولكن هذه المرة في قطاع الجيش الثالث الميداني فقط. وبولغ في تصوير الموقف، ورغم أن هناك لواء كاملاً يحمي هذا القطاع وأعطى له من الأوامر ما يكفل تدمير أي طائرة معادية تقترب من قطاع الجيش الثالث الميداني، بالإضافة إلى أن هناك لواء سام ٦ معه أيضاً علاوة على حشد هائل من المدفعية والصواريخ قصيرة المدى، فإن الشكوى لم تتوقف، مما جعلنا نبحث وندقق في أسبابها فاتفق أن ضرب المعابر لم تقم به القوات الجوية المعادية نهائياً، وإنما تقوم به مدفعية العدو بتركيز كبير وبدقة، وقد أدى هذا الزعم وتلك الشكوى إلى إعطاء الأوامر الصارمة للوحدات التي تدافع عن المعابر، مما أدى إلى قيام الأخيرة بالاشتباك مع طائراتنا عند عودتها من تأدية مهامها تمهيداً مع المبدأ المعروف «الحذر يولد الخطر».

تدعيم الوقاية عن رءوس الكباري

كان من المقرر وفقا للتخطيط الموضوع للعملية الهجومية أن ينتقل حائط الصواريخ للأمام بنهاية قتال يوم ١٠ / ٧ لتتواجد وحداته غرب القناة على مسافات تتراوح بين ١ / ٣ - ٣ كم، وكان من المفروض أنه بنهاية يوم ١٠ / ٧ تكون قوات الجيوش الميدانية قد حققت المهمة المباشرة المحددة في الخطة الموضوعة، والتي تلخص في إنشاء رأس كوبري جيش في قطاع الجيش الثالث الميداني، وآخر في قطاع الجيش الثاني الميداني بعمق ١٠ - ١٢ كم وإنشاء رأس كوبري فرقة في منطقة القنطرة بعمق ٨ - ١٠ كم. وكان من الضروري قبل إجراء عملية الانتقال معرفة موقف القوات البرية بالتدفق، ذلك الموقف الذي كنا نتابعه أولا بأول منذ مساء يوم ٦ أكتوبر للتأكد من وجودهم تحت مظلة الصواريخ أو اتخاذ ما يلزم من قرارات لتعديل أوضاع حائط الصواريخ لضمان الوقاية المطلوبة، لقد كان موقف الجيوش الميدانية (سعت ١٨٠٠) يوم ١٠ / ٦ حسب ما تبلغ لنا هو أن القوات وصلت في تقدمها إلى مسافة ٦ كم شرقا. وقد كان هذا التقدم كفيلا بأن يدير رءوسنا، إذ يعني أنها بتقدمها باكرا ١٠ / ٧ بنفس المعدل ستخرج خارج نطاق الوقاية لحائط الصواريخ على الارتفاعات المنخفضة جدا، وتعتمد في وقايتها إزاء الهجمات المنخفضة جدا - وهي أسلوب العدو المألوف نهارا - على المدفعية والصواريخ الفردية المحمولة على الكتف سام ٧، ولا شك أنها تعتبر غير كافية، وعلى ذلك طلبت صباح يوم ١٠ / ٧ التعرف على الموقف البري للجيوش الميدانية على مستوى الفرق واللواءات وبدقة حتى يمكن تحديد المناورة، وكانت أوضاع القوات بشكل عام على النحو التالي :

في قطاع الجيش الثاني الميداني الفرقة ١٦ مشاة على مسافة ٥ كم شرقا والفرقة الثانية والفرقة ١٨ مشاة على مسافة ٨ كم شرقا، علما بأنه سيتم التقدم أكثر خلال الساعات الباقية من النهار، أما في قطاع الجيش الثالث الميداني، فقد أبلغ فرع عمليات الجيش بأن الموقف عامة لا يسمح بانتقال وحدات الصواريخ خلفه، ولكنني اتخذت قرار الانتقال خلف كل من الجيشين في ضوء عدة اعتبارات.

فبالنسبة لقطاع الجيش الثاني ينتظر تماما الاستيلاء على رأس الكوبري وفقا للخطة، ومعنى ذلك الوصول إلى الطريق العرضي الأول شرق القناة أو على مقربة منه، مما

يبعد مدفعية العدو عن استخدام هذا - الطريق، وبذا يتم إزاحتها للخلف لتعمل على الطريق العرضي الثاني الذي يمتد من الشمال للجنوب شرق القناة ممتداً من بالوظة إلى الطاسة جنوباً بعمق ٣٠ كم شرقاً، وفي ذلك تأمين كامل لكتائبنا من قصف مدفعية العدو، وعلى أسوأ الفروض إن لم تتمكن قوات الجيش الثاني الميداني من إحراز أي تقدم خلاف ما أحرزته فإن خروجنا وانتقالنا للأمام سيبعد الطيران الإسرائيلي نهائياً للاقتراب لمسافة ٣٠ كم من القناة وبذا نخلق لقوات الجيش ظروفًا للقتال أفضل، تمكنها في النهاية من تحقيق المهمة المباشرة للجيش، وإن كنا ستعرض لبعض القصف من مدفعية العدو إلا أنه سيكون محدوداً من ناحية القوة، ومن ناحية الفترة الزمنية، إذ أن خلق ظروف أفضل لقوات الجيش سيمكنها متابعة تقدمها صباح يوم ٨ / ١٠ بنجاح، وما هي إلا ساعات محدودة حتى تبتعد مدفعية العدو نهائياً عن مواقعنا.

ولكن هل كان ذلك التقدير صحيحاً، الواقع يخالف ذلك تماماً، فالمعلومات التي وصلت إلينا عن أوضاع قواتنا كانت مبالغاً فيها تماماً، وبالتالي كانت تقديراتنا هي الأخرى مبنية على أرضية غير سليمة مما أدى إلى مجابهة مدفعية العدو اعتباراً من أول ضوء يوم ٨ / ١٠ أما قطاع الجيش الثالث الميداني، فقد كان من المفروض في ضوء ما أبداه فرع عمليات الجيش من عدم سماح الموقف بالانتقال لاحتلال مواقع غرب القناة ألا تنتقل عملاً بنصيحته، ولكن كان قراري الانتقال أيضاً للأسباب الآتية :

أ - كثرة الشكوى طول يوم ٧ / ١٠ من أن القوات الجوية الإسرائيلية تقوم بضرب المعابر التي يقيمها الجيش وهي بمثابة الشريان الرئيسي له، وانتقال كتائب الصواريخ خلف المعابر ييسر وقاية أكثر وأبعد.

ب - عدم وضوح الموقف البري في قطاع الجيش الثالث الميداني قد يكون سببه أنه يواجه ضغطاً برياً من العدو، وأن استمرار هذا الضغط يستلزم من العدو معارضة قواته معارضة جوية كبيرة؛ لذا يجب أن نقاوم هذا التدخل الجوي.

ج - إن انتقال وحدات الصواريخ للأمام سيخلق حاجزاً من النيران على مسافة أبعد داخل سيناء، وسيؤدي إلى تدمير طائرات العدو من بعد ولا شك أن ذلك سيكون له أثر كبير في القوات البرية القائمة بالهجوم.

تم إبلاغ قرارى لقيادة قوات الدفاع الجوى و فى انتظار وصول التصديق، ثم البدء فى التنفيذ أرسلت مجموعات المهندسين لإتمام أي أعمال هندسية لازمة لتجهيز المواقع من الناحية الهندسية للاحتلال، وفى (سعت ١١٥٥) وصل التصديق بالنسبة لقطاع الجيش الثانى و (سعت ١٨٢٥) بالنسبة لقطاع الجيش الثالث، وكانت الوحدات جاهزة لتنفيذ المهمة بمجرد وصول التصديق وفى التوقيتات المحددة لها.

كان الانتقال للأمام يهدف إلى نقل تسع كتائب صواريخ من سام ٢، سام ٣ لتتواجد فى مواقع على بعد يتراوح ما بين عدة مئات من الأمتار فى بعض القطاعات إلى ثلاثة كيلو مترات فى قطاعات أخرى، و نظرا لكثرة الشكوى من ضرب المعابر فى قطاع الجيش الثالث رأيت زيادة دعم قطاعه عما هو مقرر بكتائب أخرى حتى تهيأ له نفس الموقف الجوى الذى يعمل فيه الجيش الثانى و تنعدم الشكوى من ضرب المعابر استمرت الهجمات الجوية الإسرائيلية على عنفها حتى (سعت ٢٠٠٠)، ثم أخذ الموقف الجوى فى الهدوء، فقد حاول العدو القيام بهجمات جوية بطائرات فردية على القوات و المعابر ورغم ما عليه العدو من مستوى تدريبى جيد فإن نتائجه فى قصف القوات ليلا سواء باستخدام المشاعل أو أجهزة الرادار لم تنجح إطلاقا، وقد تميز نشاط العدو قيامه بطلعة استطلاع إلكترونى أكثر من ساعة تمت على مسافة ٥٠ كم شرق القناة.

أدى إحباط الضربة الجوية الإسرائيلية المضادة خلال يوم ١٠ / ٧ إلى تمكين قواتنا البرية من إتمام إقامه الكبارى و إتمام عبور الوحدات المدرعة و أسلحة الدعم اللازمة للقوات فى الشرق، مما جعل الموقف يزداد سوءا بالنسبة للقيادة الإسرائيلية، و الدليل على ذلك ما أذاعته محطة الإذاعة البريطانية (سعت ٢٢٠٠) بناء على ما أعلنه قائد القوات الإسرائيلية فى سيناء بأن أكثر من ٤٠٠ دبابة مصرية تمكنت من عبور القناة و التواجد فى الضفة الشرقية، وأن السيادة الجوية للقوات الجوية الإسرائيلية قد تخلخلت بمنطقة القناة بفضل شبكة الصواريخ المصرية. لقد يسر حائط الصواريخ بنهاية يوم ١٠ / ٧ عبور خمس فرق مشاة وعدة مئات من الدبابات و الأسلحة المعاونة على كبارى محدودة أمام قوة جوية لها وزنها وثقلها العالمى، فكان - فى حد ذاته نجاحا أيا نجاح، مما حدا بوزير الجيش الأمريكى إلى أن يصرح بتصريحه المشهور الذى قال فيه "إن عبور الجيش

المصري للقناة رغم التفوق الجوي الإسرائيلي يعتبر نقطة تحول في الحرب الحديثة، سيكون من شأنها إحداث تغيرات جذرية في الاستراتيجيات العسكرية في العالم، لقد عبر المصريون في مواجهة سلاح جوى حديث أكبر مانع مائى دون أن يخسروا طائرة واحدة، وإنما عبورها في حماية الصواريخ الموجة أرض - جو.

تحييد القوات الجوية الإسرائيلية

فشلت الهجمات المضادة التى قامت بها القوات الإسرائيلية يوم ١٠ / ٧ فى إيقاف الهجوم المصرى، و تزايد خسائر القوات الإسرائيلية فى البر والجو، وبات الموقف ينذر بأوخم العواقب، وكان لابد من حل لإيقاف الهجوم المصرى، وكان الحل هو القيام بهجوم مضاد كبير يوم ١٠ / ٨ على أن يحشد له كل ما تيسر من القوات البرية، وأن يخصص له أكبر مجهود جوى ممكن لمعاونته.

لقد أعلنت إسرائيل التعبئة الجزئية لقواتها يوم ١٠ / ٥، ثم أعلنت التعبئة العامة ١٠ / ٦ ومن المعروف وفقاً لأسلوب التعبئة الاسرائيلي أن الاحتياطي الإسرائيلي والذي يزيد على ٢٠٠,٠٠٠ جندي يتم تعبئة في مدة تتراوح بين ٤٨ - ٧٢ ساعة، وعلى ذلك يمكن القول إن ائزان الموقف التكتيكي على الجبهة المصرية هو الذي حدا بالقيادة الإسرائيلية إلى التفكير في القيام بهجوم مضاد قوي آخر يوم ١٠ / ٨، فقد أدت تعبئة الاحتياطي الى توفير قوات كبيرة نسبياً لها في سيناء وخاصة في الدبابات .

كانت الخطة الإسرائيلية تقضي بالهجوم على الجيش الثاني في الشمال مع تثبيت الجيش الثالث في الجنوب، وفي حالة نجاح الهجوم تقوم القوات الإسرائيلية باختراق مواقع القوات المصرية والوصول إلى المعابر المصرية والعبور عليها للغرب، بشرط أن تدور المعركة بعيداً عن مواقع الصواريخ المصرية بالضفة الغربية.

بدأ الهجوم الإسرائيلي صباح يوم ١٠ / ٨ حسب الخطة الموضوعة وفشل الهجوم، وتكررت الهجمات طول النهار ولكنها باءت بالفشل، وإزاء الإصرار الإسرائيلي على النجاح تم سحب بعض القوات من مواجهة الجيش الثالث الميداني لتعزيز الهجوم

ولكن فشلت كل الهجمات، بل اضطرت القوات الإسرائيلية إلى التراجع للخلف أكثر، وازداد الموقف سوءاً وانتهت الهجمات المتعددة التي تمت بأسر قائد اللواء ١٩٠ مدرع العقيد عساف ياجوري مساء يوم ٨ / ١٠، لقد حاولت القوات الإسرائيلية أن تمسك بزمزم المبادأة مرة ثانية يوم ٩ / ١٠، وذلك بالقيام ببعض الهجمات المضادة إلا أنها وجدت نفسها عاجزة عن وقف تقدم القوات المصرية، كما وجدت أن محاولة إيقافها تكلفتها الكثير من الخسائر؛ ولذا لم يكن أمامها سوى التراجع وترك الأرض، وهنا ظهرت بوادر الكارثة التي تحيق بإسرائيل، تلك الكارثة التي صورها وزير دفاعها موسى ديان بأنها نهاية العالم.

لقد حشد العدو كل إمكاناته الجوية لتدعيم هجماته المضادة يومي ٨، ٩ أكتوبر فلقد وجهت القوات الجوية الإسرائيلية ١٢٣٤ طلعة / طائرة إلى جبهة القتال يوم ٨ / ١٠، منها ٦٧٨ طلعة / طائرة نهاراً، ٥٥٦ طلعة / طائرة ليلاً في حين وجهت يوم ٩ أكتوبر ١٥٥٧ طلعة / طائرة منها ١١٠٥ طلعة / طائرة نهاراً والباقي ليلاً، وقد اتسمت هجمات القوات الجوية الإسرائيلية خلال اليومين بالعنف والرغبة المستميتة في مهاجمة القوات والمعارب، ومهاجمة حائط الصواريخ، وخاصة يوم ٩ / ١٠ وليس أدل على ذلك من أن مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم كان أكبر مما يمكن. إن ما تم من مجهود خلال نهار يوم ٩ / ١٠ يعتبر ذروة النشاط النهاري الذي تم خلال المعركة كلها.

لقد تميز من مجهود العدو يوم ٨ / ١٠ قيامه بأربعة هجمات مركزة على مواجهة القتال تخللتها هجمات متفرقة، بالإضافة إلى قيام العدو بمهاجمة مدينة بورسعيد. لقد بلغ إجمالي ما وجهه العدو إلى مواجهة القتال خلال هجماته المركزة ما يتراوح بين ١٦٩ - ٢٣٤ طلعة / طائرة خص القطاع الشمالي منها ما بين ١٠٢ - ١١٤ طلعة / طائرة والقطاع الأوسط ما بين ٥٠ - ٦٨ طلعة / طائرة، والقطاع الجنوبي ما بين ٤٤ - ٥٠ طلعة / طائرة، أما على بورسعيد فقد قام العدو بهجمتين جويتين بالإضافة إلى بعض الهجمات بطائرات مفردة أو أزواج.

لقد كانت آمال العدو يوم ٨ / ١٠ في النيل من حائط الصواريخ لا تزال قائمة، لقد حاول العدو ذلك منذ ساعات الصباح الأولى، فحاول الاقتراب من حائط الصواريخ ومهاجمة كتائبه، ولكن كان طمعاً سائغاً لصواريخه، لقد كرر العدو ذلك في هجماته الأربع الرئيسية طول اليوم ولكن دون جدوى. لقد اعتمد العدو في هجومه على كتائب الصواريخ على وسائل استطلاعها وذلك في تحديد الكتائب المراد مهاجمتها وخاصة معلومات الاستطلاع الإلكتروني، والظاهر أن العدو خرج من كل ذلك بنتيجة مؤكدة وهي بقاء حائط الصواريخ على أوضاعه، وهذا عكس ما حدث تماماً - فقد كانت - هناك تسع كتائب على مقربة من القناة وقامت بالاشتباك معه منذ ساعات الصباح الأولى ودمرت له عدة طائرات وحوالي (سعت ١٠٠٠) فطن العدو لما حدث وابتعد تماماً عن مناطق تدمير كتائب الصواريخ الأمامية وهي في ذلك الوقت تمد وقايتها شرقاً لمسافة ٢٢ كم فأكثر.

في ضوء ذلك الفشل المتكرر قام العدو بمهاجمة موقع رادار العين السخنة (جنوب السويس بنحو ٣٠ كم) متزها - فرصة وجوده خارج التغطية بالصواريخ وذلك بعدد ٤ طائرات على ارتفاع أكبر من ٢ كم حتى يتجنب الاشتباك مع عناصر الدفاع عن الموقع، وقد تمكن من إلحاق خسائر محدودة بالمعدات الموجودة في العراء بالإضافة إلى ذلك حاول العدو إتمام مهامه سواء بالهجوم على القوات أو المعابر أو كتائب الصواريخ بأسلوب الفرصة السانحة، مع عدم المخاطرة، ولكن لم تمكنه وحدات الصواريخ من النجاح واستخدمت معه أساليب متعددة كي تعتقد له أسلوب التعرف على ما يتم وكانت النتيجة لذلك تدمير طائرات أخرى للعدو.

لكن هل قبل العدو أن يكون فريسة لصواريخنا دون أن ينال منها، لم يقبل العدو ذلك ولم يخلد إلى الواقع الجديد الذي يراه لأول مرة، فقد كان واقعاً مرأى أن يرى أمام عينيه قواته الجوية تتهاوى كما تتهاوى أوراق الخريف وهي القوات التي كان يفاخر بها العالم أجمع، ويذل في إعدادهما ما يفوق الوصف، إلا أن الصلف الإسرائيلي والغطرسة المتوارثة فيهم جعلتهم يتعاملون عن ذلك ويدفعون بطائراتهم في محاولات فاشلة للهجوم، ورغم أساليب العدو من مناورة واستخدام للصواريخ شرايك والإعاقة

الإلكترونية بأنواعها فلم يفلت من تدمير طائراته بواسطة صواريخنا. لقد تمكن حائط الصواريخ خلال هذا اليوم من تدمير ٣٣ طائرة للعدو، منها ٢٨ طائرة مؤكدة.

العدو يهاجم بورسعيد

قامت وحدات الصواريخ ببورسعيد بحكم أوضاعها القتالية بالاشتباك المحدود مع العدو يومي ٦، ٧ / ١٠ وذلك لمنع طائرات العدو من مهاجمة قواتنا المتقدمة بحذاء ساحل البحر الأبيض المتوسط للاستيلاء على النقطة الحصينة للعدو الواقعة شرق بورفؤاد والمتقدمة بحذاء الضفة الشرقية للقناة للاستيلاء على النقطة الحصينة المعروفة باسم الكيلو ١١، وخلال هذين اليومين لم تحاول الطائرات الإسرائيلية مهاجمة مدينة بورسعيد ولا وحدات الصواريخ القائمة بالدفاع عنها. ولكن جاء يوم ٨ / ١٠ وهو يحمل بين طياته الكثير لوحدات الصواريخ، فلقد هاجم العدو جميع الصواريخ القائم بالدفاع عن بورسعيد وذلك لأول مرة. تمت الهجمة الأولى حوالي (سعت ١١٣٠) بقوة ١٦ طائرة، واستمرت نحو نصف ساعة في حين تمت الهجمة الثانية (سعت ١٥٣٠) بقوة ٢٤ طائرة على موجتين تحللها بعض الهجمات الفردية، وقد تمكن العدو من إسكات عدة كتائب صواريخ في هجومه هذا، وتمكنت الوحدات من تدمير بعض الطائرات للعدو.

وهنا يقفز السؤال الآتي، لماذا هاجم العدو بورسعيد خلال هذا اليوم - ولم يهاجمها خلال يومي ٦، ٧؟ الواقع أن العدو هاله - خسائره في قواته الجوية يومي ٦، ٧ أكتوبر، تلك الخسائر التي بلغت ٥٤ طائرة بين مؤكدة وغير مؤكدة بواسطة حائط الصواريخ فقط، مما أذهل القيادة الإسرائيلية. لقد أدت هذه الخسائر في الطائرات إلى فقدان عدد كبير من الطيارين المحترفين، مما أصاب العدو بالذهول من هول الصدمة خسائر في الطائرات وخسائر في أكفأ الطيارين لديه، فأراد أن ينتقم مما حدث فلم يجد أمامه سوى بورسعيد فيقوم بمهاجمتها لتحقيق الآتي :

أ - محاولة تدمير وحدات الصواريخ أرض - جو التي تدافع عن بورسعيد.

ب - رفع معنويات طياريه التي انهارت نتيجة خسائر الأيام السابقة مما أدى إلى إضراب طياري الطائرات سكاي هوك عن الطيران، وقيام القيادة الإسرائيلية بمحاكمة

بعض الطيارين وإعدام بعضهم، وربطهم بعد ذلك بالسلاسل في الطائرات حتى لا يهبطوا بالمظلات فرارا من الصواريخ.

ج - محاولة استنزاف وسائل الدفاع الجوي في حالة محاولة الإصرار على استمرار الدفاع عن بورسعيد بغرض استهلاك الاحتياطي المتيسر، وبالتالي يقلل أو يحد من إمكان استخدامه على مواجهة القتال الرئيسية.

لقد بلغت خسائر القوات الجوية الإسرائيلية بانتهاء قتال يوم ٨ / ١٠ نحو ٧٢ طائرة؛ أي ما يقرب من ١٧٪ من قواته الجوية، وكان من المفروض أن تنكمش القوات الجوية الإسرائيلية ويقل مجهودها الجوي إلا أن ما حدث كان هو العكس، فمع تباشير نهار يوم ٩ / ١٠ وضع تصميم العدو على النيل من حائط الصواريخ وتقديم أقصى مساعدة ممكنة لقواته البرية، فحشد لذلك كل ما يمكن من قواته الجوية حتى بلغ عدد طلعاتها ذلك العدد الذي سبق توضيحه. ولكن لماذا هذا الحشد من الطائرات، ومن أين أمكن تدبيره؟ لقد ظنت القيادة الإسرائيلية في ضوء ما أحرزته من نجاح ضد وحدات الصواريخ في بورسعيد يوم ٨ / ١٠ أنها وجدت حلا للتعامل مع حائط الصواريخ، فلو أضفنا إلى ذلك أن نجاح هجمات العدو المضادة ضد قواتنا المهاجمة تتوقف إلى حد كبير على مدى ماتقدمه القوات الجوية الإسرائيلية من معاونة صادقة لوضع لنا تماما لماذا هذا الحشد من الطائرات الذي يعتبر أكبر ما استخدمه العدو خلال حرب أكتوبر كلها نهارا، أما من أين له ذلك العدد، فالواقع أن العدو سحب جزءا من مجهوده الجوي على الجبهة السورية ليستخدمه خلال هذا اليوم على الجبهة المصرية. لقد بدأت القوات الجوية الإسرائيلية هجومها هذا اليوم مبكرا عن المعتاد، وقد تميز من قتالها خلال نهار يوم ٩ / ١٠ قيامها بهجمتين جويتين مركزيتين، بدأت أولاها (سعت ٠٥٣٠) بعد بزوغ فجر ذلك اليوم استمرت نحو ساعة واستخدم العدو فيها ٦٠ طلعة / طائرة، أما الهجمة الثانية فقد تمت (سعت ٠٧٠٠) واستمرت هي الأخرى نحو ساعة استخدم العدو فيها نحو ٧٠ طلعة / طائرة، خص قطاع الجيش الثاني الميداني منها ٨٠ طلعة / طائرة، وبالباقى لقطاع الجيش الثالث الميداني، بجانب ذلك قام العدو (سعت ٠٧٠٠) بمهاجمة مطاري القطامية والمنصورة بغرض قفلها لمنع القوات الجوية المصرية من تقديم معاونتها للقوات.

لقد قاتلت وحدات حائط الصواريخ خلال هذا اليوم قتالا بارعا ولم يتمكن العدو من تحقيق مهامه، بل مدت وقايتها شمالا في اتجاه بورسعيد وتمكنت من اصطياذ طائرات العدو التي تقترب من اتجاه الجنوب الشرقي لمدينة بورسعيد وخسر العدو عددا كبيرا من طائراته في الهجمات الجوية المركزة التي كان يبغى من ورائها الكثير، مما جعله يحجم عن تقديم المعاونة الجوية لقواته بالأسلوب المطلوب خشية تزايد خسائره، ورغم ذلك استمرت خسائر العدو تتزايد ساعة بعد أخرى، وليس أدل على ذلك من استمرار ازدياد موقفه البري سوءا هو الآخر، وفي آخر ضوء أفادت معلومات الاستطلاع اللاسلكي باحتمال قيام العدو بهجمة جوية على جبهة القتال بغرض ضرب المعابر والقوات المتقدمة، وفعلا تمت الهجمة وألحقنا بالعدو المزيد من الخسائر، لقد بلغ ما تم تدميره من طائرات العدو خلال هذا اليوم ٣١ طائرة منها ٢٩ طائرة مؤكدة.

إن ما فعله العدو في بورسعيد يوم ٨ / ١٠ وما كان يستهدفه من رفع معنويات طياريه سواء نجح في ذلك أم خسر قد أحلناه اعتبارا من أول ضوء يوم ٩ / ١٠ إلى سراب مرة أخرى، لقد ردت الخسائر المتتالية في طائراته إلى صوابه أفهمته حجمه الحقيقي. فبدأ يارس نشاطه في مهاجمة القوات في حالة من الذعر والهلع، لقد سجلت وحدات استطلاعنا بعض ما كان يدور بين الطيارين من محادثات كلها توضح مدى الفزع الذي يصيب الطيارين عند دخولهم مناطق تدمير حائط الصواريخ. إن أحسن ما فيها ما قاله أحد قادة التشكيلات الجوية الإسرائيلية لأفراد تشكيله «ارمي الحملة وانجو بحياتك» وهبط أحد الطيارين الإسرائيليين خلال هذا اليوم، وعند استجوابه بعد أن فاق من هول الصدمة لفظ جملة واحدة وكانت الأخيرة في حياته، إذ قال عندما سُئل عن سبب سقوطه: «أنا شفت صاروخ أنا مت».

أمام فشل القوات الإسرائيلية خلال يوم ٩ / ١٠ في إيقاف تقدم القوات المصرية انهارت آمال القيادة الإسرائيلية في المصرية تماما وكان رد الفعل المباشر لذلك هو تصريحات الكثير من القادة الإسرائيليين بتدهور الموقف مما جعل الجنرال ديان يعمل على مقابلة رئيسة الوزراء ويشرح لها الموقف ويعلل لها أسباب انتصار العرب، ويرجعها أساسا إلى عاملي التفوق في العدد وال سلاح مطالبا إياها بالمزيد من السلاح وخاصة الطائرات لاستعواض ما تم من خسائر، ولم يتوقف الأمر عند ذلك الحد، بل إن الجنرال ديان صرح تصريحه المعروف في ذلك اليوم الذي نقلته الصحافة العالمية ومنع

نشره كاملا في إسرائيل. لقد جعل هذا التصريح الشعب في إسرائيل يعتقد أن الأمل في النصر الذي سبق أن أعلنه ديان قد ازداد بعدا، وأصبح سرايا. لقد ذكر الجنرال ديان من ضمن ما ذكر «أن حالة التفوق الإسرائيلي قد انتهت، فلقد تم تجميع القوات الجوية الإسرائيلية بواسطة الصواريخ المصرية، لقد بلغت الخسائر فيها في اليومين الأولين للحرب ٦٠ طائرة، منها ٣٦ طائرة فانتوم، ٢٤ طائرة سكاي هوك، أنه في ضوء الموقف العسكري القائم متشائم، وأنه لا يمكنه أن يكتم بوادر الكارثة المقبلة عليها إسرائيل، أن الحرب أثبتت أن إسرائيل ليست أقوى من العرب».

إحباط أول محاولة لإقامة رأس كوبري في الغرب

تضمنت خطة الهجوم المضاد التي قام بها العدو يوم ٨ / ١٠ العبور للغرب بعد اختراق للمواقع المصرية، وفي سبيل إنجاح ذلك قام العدو (سعت ٠٩٠٠) بإبرار جوي في المنطقة الشجرية جنوب القلاح بواسطة طائرتين هليكوبتر تسللتا على ارتفاع منخفض جدا وبمجرد أن أبلغت عنها نقط المراقبة وكثائب الصواريخ المجاورة لمنطقة القناة كان من الضروري القضاء على هذه المحاولة لوقوعها على مقربة من كثائب الصواريخ لتفوت على العدو الغرض الذي من أجله تم الإبرار، وعلى الفور صدرت الأوامر إلى بعض كثائب الصواريخ المجاورة بتحريك أطقم الرشاشات المضادة للطائرات على ناقلات مدرعة إلى منطقة الإبرار وقاتال العدو بمجرد وصولها، وبيدء اشتباكها معه ولّى الأدبار عائدا إلى الضفة الشرقية.

ولكن ما الغرض من هذه العملية، هل كان الغرض استطلاعا تفصيليا للمنطقة لتحديد أماكن مناسبة لتكوين رأس كوبري غرب القناة في حالة نجاح هجومهم المضاد الكبير؟ أو كان الغرض اتخاذ قاعدة يقوم منها بأسلحة خفيفة بقصف كثائب الصواريخ وتدميرها متخذًا من أشجار الحدائق المنتشرة في المنطقة ستارا للاختفاء؟ وواقع الأمر يدل أن الاحتمال الأول - برغم وروده في الخطة الإسرائيلية للهجوم المضاد - احتمال بعيد عن التفكير الصحيح، ويوضح بجلاء كيف كانت القيادة الإسرائيلية تتخبط، فكيف يعقل أن يتم عبور للغرب والأنساق الثانية للجيش الميدانية لاتزال غرب القناة، وكيف يتم التواجد غرب القناة بعيدا عن مواقع الصواريخ، ومواقع الصواريخ منتشرة غرب القناة وبامتدادها؟ إنه الغرور الإسرائيلي وما رسخ في عقولهم

من الجولات الثلاث السابقة من أن أنسب أسلوب لإحداث الخلل وعدم التوازن المطلوب في القوات المصرية هو التواجد خلف هذه القوات، وبذا يصبح الاحتمال الثاني القائم وفي حالة نجاحه ونجاح الهجوم المضاد يمكن نجاح الاحتمال الأول.

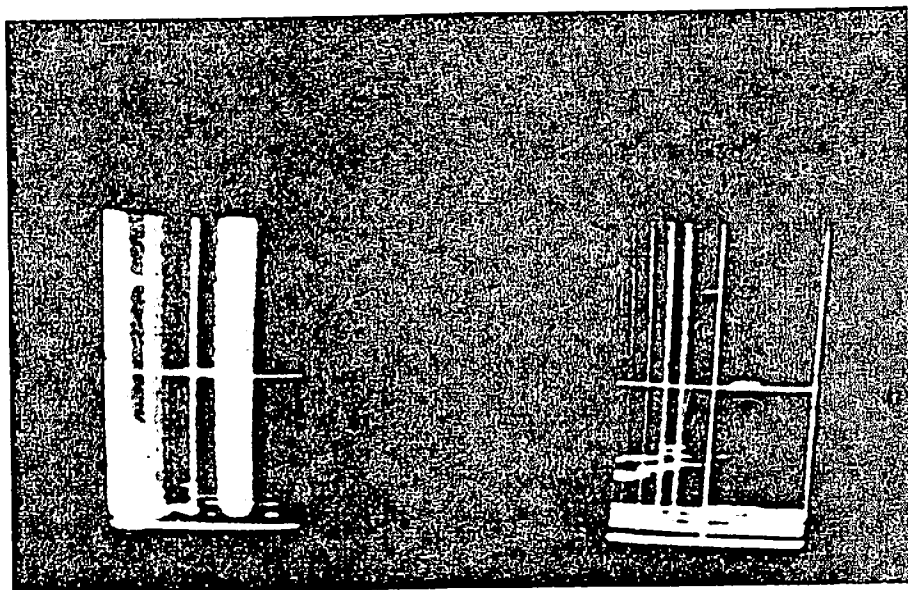
استخدام الطائرات الموجهة لا سلكيا :

بدأ العدو يستخدم هذا النوع من الطائرات عندما زادت خسائره وأحس بفشله أمام حائط الصواريخ وشهد يوم ٨ / ١٠ أول استخدام لها خلال هذه المرحلة من القتال، لقد استخدمها العدو بعد أن طاشت تقديراته عن أوضاع حائط الصواريخ، تلك الأوضاع الجديدة التي كان عليها يوم ٨ / ١٠، والتي أدت - رغم حذره وتقديراته - إلى مزيد من الخسائر، ولما فطن إلى ذلك بدأ في استخدام الطائرات الموجهة من طراز «ريان فيربي» بغرض استطلاع تشكيل قتال حائط الصواريخ بالطيران فوقه مباشرة وذلك للحصول على معلومات دقيقة عن أوضاعه وأنواعه الحقيقية منها من الهيكلي وقرن هذا الاستخدام باستخدام بعض أنواع التداخل السلبي إلا أننا اكتشفنا هذا التداخل فور استخدامه. أما استخدام الطائرات الموجهة، فقد خلق لنا مشكلة فلم يكن يدر بخاطرنا أن العدو سيدفعها في المعركة مبكرا، ولكن كثرة خسائره هي التي ألجأتهم إلى ذلك، لقد أدى استخدامهما إلى تضارب في المعلومات عنها، لقد التقطنا وحدات الرادار بل كتائب الصواريخ أيضا، ولكن نظرا لتشابه شكل هذه الطائرات والظواهر الجوية على مبيّنات الرادار، كان من الضروري التأكيد منها بالأجهزة البصرية أو الوسائل التلفزيونية مع تحقق سرعتها، ولكن نظرا لصغر حجم هذا النوع من الطائرات وما بذل فيه من تمويه جيد أصبحت رؤيته بهذه الوسائل أمرا صعبا، ونظرا لعدم تأكيد رؤيتها رأيت عدم الاشتباك بها إلا إذا كانت مؤكدة الرؤية أو مسموعة الصوت حتى لانساق وراء ما يبغيه العدو من استعمالها من قيامنا بالاشتباك معها لاستنزاف عدد كبير من الصواريخ عليها. لقد أدى استخدامهما إلى بلبله في المناطق الخلفية، فكثر بلاغاتهم عن أهداف كثيرة بعضها فوق تشكيل القتال، وبعضها في الشرق، وبعضها يتفق مع معلومات وحدات الرادار، وأغلبها غير موجود نهائيا، وقد شدت هذه الأهداف انتباه قيادة الدفاع الجوي والتي طالبت بتدميرها، ولكن ثقتي في وحداتي جعلتني لا أولى هذه الأهداف كل هذا الاهتمام، واستمر عملنا يسير مع العدو بنفس الوتيرة التي حدثت منذ اليوم الأول، فالمعركة أولا وأخيرا في أعناقنا ونحن المسئولون عنها.

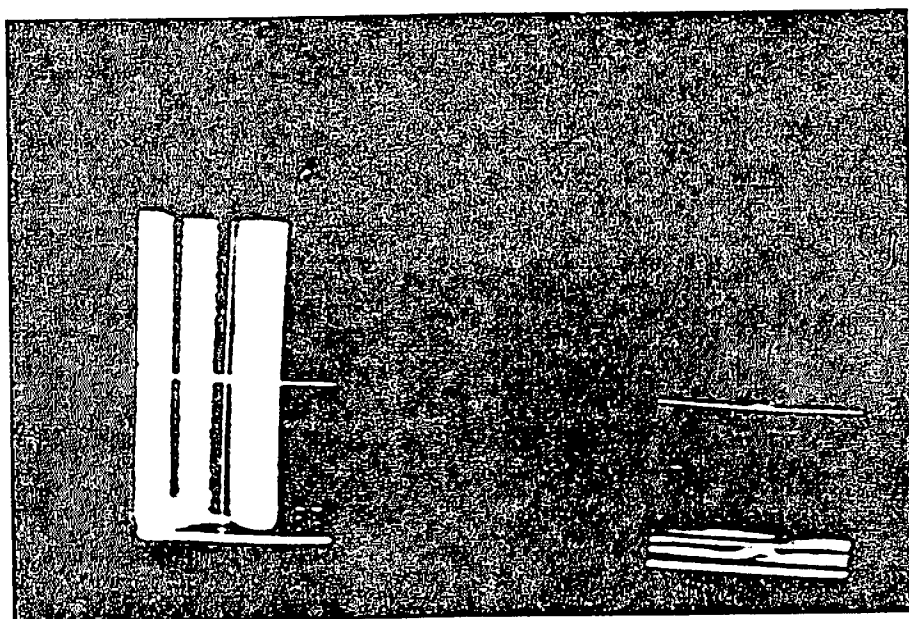
العدو يزيد من فاعلية الإعاقة الإلكترونية :

تم قصف مركز الإعاقة الإلكترونية في أم خشيب بواسطة الضربة الجوية المصرية، وبدأ حائط الصواريخ الاشتباك مع طائرات العدو، وكانت الإعاقة الإلكترونية التي يستخدمها العدو محدودة الشدة، وكانت غالباً من الطائرات المهاجمة أو من تلك الحاملة لأجهزة الإعاقة الإلكترونية، وتتواجد في الأماكن المخصصة لدوريات الإعاقة، وقد استمر الأمر على ذلك حتى (١٨٥٥) يوم ٦ / ١٠ حين بدأ العدو أول هجمة جوية ليلية في اتجاه الإسمايلية، وهنا بدأت وحدات عديدة في الإبلاغ عن استخدام الأهداف الكاذبة في الوقت نفسه. ولقد ظهرت الأهداف الأخيرة رادارياً، ولكن كنا من اليقظة لدرجة اكتشفنا معها منذ البداية حيل العدو، فلم تكن هذه الأهداف أي اهتمام، وبالتالي ضيعنا على العدو ما كان ينبغي من استخدامها، وهنا تطرق إلى خاطري مدى الأثر الذي أحدثه الهجوم الجوي الذي تم بعد ظهر يوم ٦ / ١٠ على مركز الإعاقة الرئيسي للعدو في أم خشيب واحتمال قيام العدو بسرعة استعادة موقفة كله أو بعضه هذا بجانب ما أمكن رصده خلال هذه الهجمة من وجود مصادر جديدة للتدخل في اتجاهات جديدة لم يسبق تحديدها، تقوم فعلاً بمعاونة أم خشيب في القيام بالإعاقة على كتائب الصواريخ، كل ذلك بالإضافة إلى طائرات التدخل التي كانت تطير شرقاً.

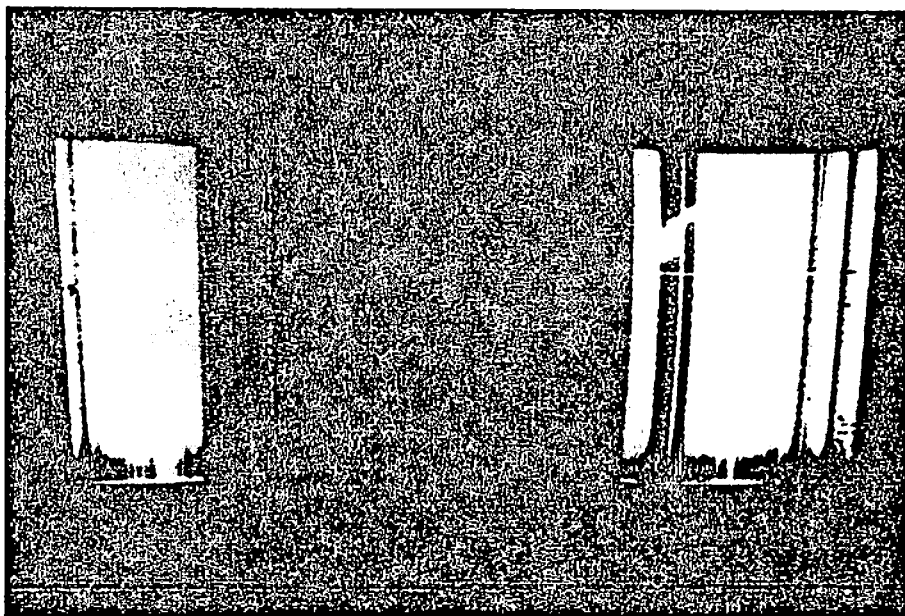
لقد أدت هذه الوسائل أثناء تنفيذ الهجمة الليلية إلى وجود إعاقة قوية في عدة اتجاهات مما جعلنا نلجأ إلى طلب معاونة القوات الجوية في تدمير طائرات التدخل الموجودة في الشرق ولكن لم يتيسر ذلك لظروف خاصة، كذا لم يتيسر قصف المراكز الجديدة للإعاقة التي أبلغنا عنها صباح يوم ٧ / ١٠ لنفس الظروف، واستمر الموقف على ذلك الحال حتى كان يوم ٩ / ١٠ وإذا بنا نفاجأ بزيادة شدة الإعاقة الإلكترونية على كتائب الصواريخ على طول مواجهة القتال وتعدد اتجاهات مصادرهما، لدرجة أن بعض كتائب الصواريخ أبلغتنا أنها غير قادرة على اكتشاف الطائرات المعادية الموجودة، في الوقت نفسه الذي وصلت فيه معلومات من وسائل استطلاع الجيوش الميدانية تؤكد قيام العدو بفتح محطات رادار جديدة في بالوطة - الطاسة - أم سمارا - الجدى، واتضح من مراقبة هذه الاتجاهات أن هذه المحطات الرادارية التي تم الإبلاغ عنها ما هي إلا محطات إعاقة إلكترونية جديدة.



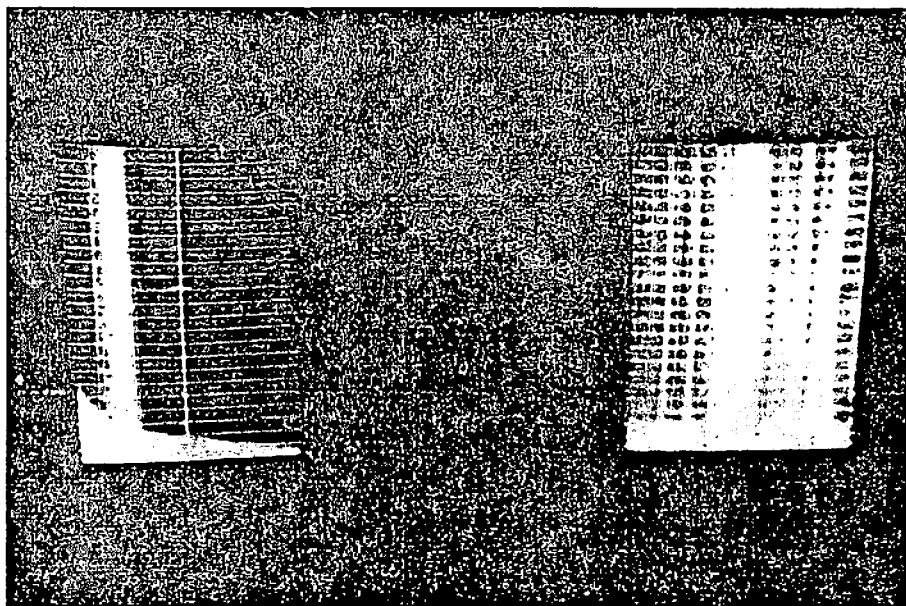
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة تظهر على أحد المبينات قبل يوم ١٠ / ٦



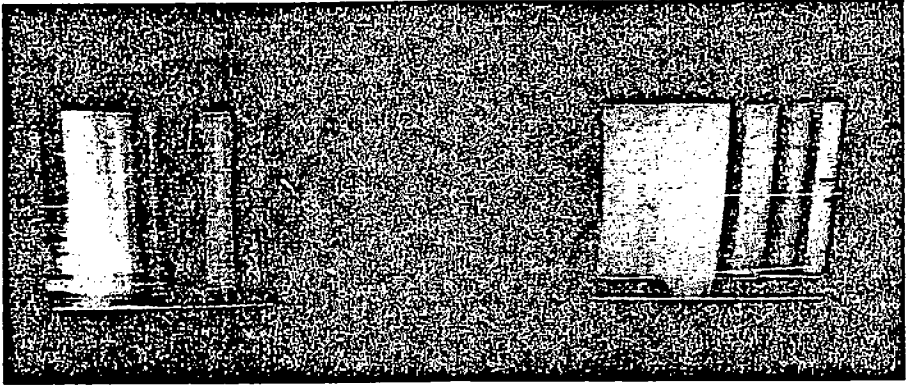
تداخل إيجابي بالشوشرة التداخل على مبن واحد. الطائرة تظهر على أحد المبينات قبل يوم ١٠ / ٦



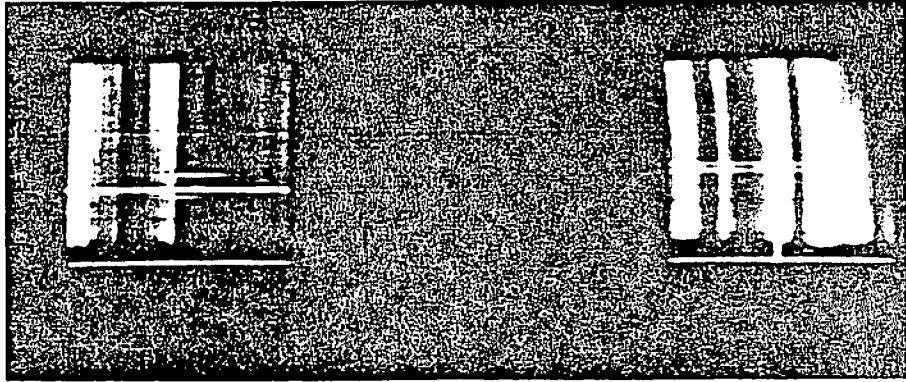
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة/ الطائرات غير واضحة بعد يوم ١٠ / ٦



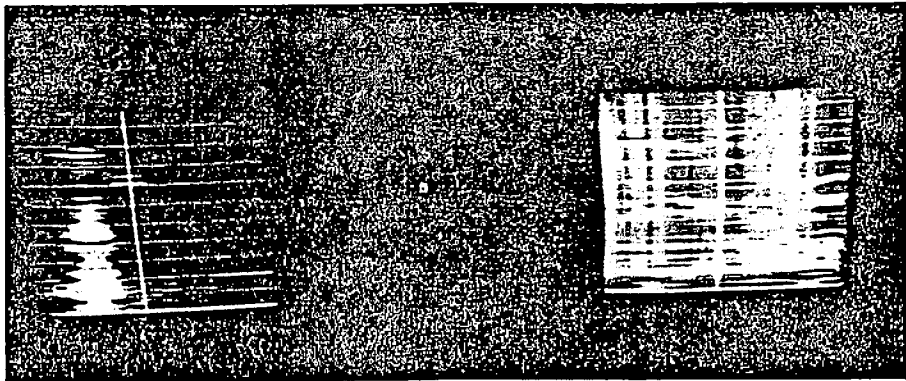
تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة واضحة على ميين دون الآخر بعد يوم ١٠ / ٦



تداخل إيجابي بالشوشرة الطائرة غير واضحة وسط التداخل



تداخل إيجابي بالشوشرة من طائرة استطلاع - الطائرة ظاهرة على أحد المبينات



تداخل إيجابي بالشوشرة من طائرة هليكوبتر - الطائرة ظاهرة على ميين دون الآخر

لقد توفرت المعلومات أمام قوات الدفاع الجوي وهي تعلم سلفاً مدى تأثير الإعاقة الإلكترونية على كتائب الصواريخ، ونصراً لما أحاط الموقف من سلبية طلبت منهم اتخاذ أي إجراء يهدف إلى إسكات عمل هذه المحطات أو تدميرها، وإزاء استمرار الموقف وتأثيره الشديد على الوحدات - ذلك التأثير الذي أضحي كالكابوس يثقل كاهل جميع القيادات، وخوفاً على أن ينال ذلك من عزيمة المقاتلين وإصرارهم - دفعتهم دفعا بأساليب مختلفة معنوية، فنية، وتكتيكية للتغلب على تلك الإعاقة الإلكترونية فكان النجاح رائدهم، وتيسر لعدد من اشتباكاتهم النجاح.

لما فشل استخدام الإعاقة الإلكترونية الإيجابية ضد وحدات الصواريخ لجأ العدو اعتباراً من يوم ٨ / ١٠ إلى استخدام محدود للتداخل السلبي لم يكن له تأثير يذكر - إلا أنه عاد يوم ٩ / ١٠ إلى استخدام نوع جديد من هذا التداخل، وذلك بإلقاء العديد من الرقائق المعدنية ليتقدم تحت سترها دون أن - يميزه باغياً من وراء ذلك السلامة أولاً واستنزاف الصواريخ على أهداف غير حقيقية ثانياً، لقد استخدم الأمريكيون ذلك النوع من التداخل السلبي في فيتنام خلال الهجوم الجوي الاستراتيجي الكبير الذي تم في ديسمبر ١٩٧٢، وقد أدى استخدام هذا النوع من الإعاقة إلى استنزاف مئات من الصواريخ إلا أننا كنا من الذكاء بحيث لم نقع فريسة لهذا الفخ إلا لكننا قد أطلقنا صواريخنا في الهواء دون أي نتيجة ملموسة، وموقف بعض أنواع الصواريخ منذ يوم ٨ / ١٠ بات شائكا.

هزيمة القوات الجوية الإسرائيلية

كان من الواجب أن تعمل على هزيمة القوات الجوية بعد تحييدها وتدميرها ٩٨ طائرة مؤكدة، منها خلال الأيام الأربعة الماضية، وكان نجاحنا في تحقيق ذلك يتوقف على استمرار الإصرار والعناد في قتال العدو مع الاحتفاظ على الكفاءة القتالية العالية للوحدات وتوفر القدر المناسب من الصواريخ من أنواع سام ٢ معدل، أما من جانب القوات الجوية الإسرائيلية، فكان الموقف يتوقف على مدى إصرار العدو على استمرار دفعه لقواته الجوية لمعاونة قواته بعد أن وصلت خسائره فيها ما يقرب من ٢٠٪.

نلاحظ كثرة قيام العدو بالاستطلاع الجوي يومي ٨، ٩ أكتوبر، سواء أكان استطلاعاً بالتصوير أم استطلاعاً إلكترونياً، ولا شك أن لهذا الاستطلاع دلالة فيما يهدف إليه العدو من ناحية التعرف على أوضاع كتائب حائط الصواريخ، وكان لابد من عمل ما استعداداً للقتال يوم ١٠ / ١٠ إلا أن العدو قام بمفاجأة جديدة خلال ساعات بعد ظهر يوم ٩ / ١٠، إذ قام بطلعتين استطلاعتين بطائرات الفانتوم على ارتفاع يتراوح بين ١٨ - ٢٠ كم، مركزاً ذلك على قطاع الجيش الثاني الميداني فقط. وكان تحليلنا لذلك هو احتمال قيام العدو بمهاجمة القطاع الشمالي لحائط الصواريخ بين الإسماعيلية والقنطرة بغرض النيل منه، وخاصة أن الدفاع عن بورسعيد متوقف منذ يوم ٨ / ١٠ واحتمال استعادة موقفه قبل يومين أمر مشكوك فيه، كما أن صموده للقتال أمام القوات الجوية الإسرائيلية احتمال ضعيف، وعلى ذلك كان قراري هو القيام بمناورة واسعة على مواجهة حائط الصواريخ وفي عمقه لتغيير تشكيل القتال بغرض جعل المعلومات التي تحصل عليها العدو عن حائط الصواريخ غير حقيقية.

تم تحديد المناورة وأخطرت بها الوحدات للتنفيذ، وأخطرت بها قيادة قوات الدفاع الجوي. التي طلبت إرجاء التنفيذ انتظاراً للوصول لتعليمات جديدة، وفعلاً وصلت التعليمات مع مندوبي شعبة العمليات (سعت ١٨٠٠) يوم ٩ / ١٠، وكانت تلخص في الآتي :

- أ - احتلال أكبر قدر من المواقع الثامة التحصين لتلافي الخسائر من أي ضربة جوية.
 - ب - تنفيذ العبور لشرق القناة ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر وفقاً للخطة الموضوعة من قبل.
- بلغ المجهود الذي وجهته القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال يوم ١٠ أكتوبر ١٢٣٣ طلعة / طائرة، منها ٨٥٦ طلعة / طائرة نهاراً والباقي ليلاً، رغم كبر المجهود الجوي الذي قام به العدو، فإن العدو قد هزته خسائر تماماً مع عدم وصول إمدادات إليه حتى ذلك الوقت من الولايات المتحدة الأمريكية. تلك الإمدادات التي تم طلبها يوم ٨ / ١٠ وزاد عليها الطلب بإلحاح يوم ٩ / ١٠ لم يجد أمامه من سبيل سوى عدم دخول مناطق الصواريخ وترك قواته البرية تقاتل في معركة ارتداد تعطيلى مع القيام ببعض الهجمات المضادة المحدودة.

قامت ١٢ كتيبة صواريخ بالمنورة إلى مواقع جديدة حسب الخطة التي وضعت لذلك، كذا قامت عدة فصائل من الصواريخ الفردية سام ٢ - بالمنورة لتتفق أوضاعها مع الأوضاع الجديدة لحائط الصواريخ بعد المناورة.

لقد بلغت الكتائب غير الجاهزة (سعت ٧٠٠) يوم ١٠ أكتوبر، نحو ٣٥٪ من قوة حائط الصواريخ، بعضها يقع في الخط الأول ويواجه العدو مباشرة ويقدم أعماق وقاية للقوات والبعض الآخر يقع في العمق ويقدم الوقاية أيضا إلى رءوس الكباري، ومعنى ذلك هو أن كثافة النيران التي تغطي المواجهة قد قلت وكان لابد من بذل مجهود خارق لرفع نسبة استعداد الوحدات للقتال. لقد وصلت صلاحية بعض اللوحدات في ذلك اليوم إلى نسبة تتراوح بين ٣٠ - ٤٥٪ رغم ما بذل من طاقات ومجهودات. لقد بذل مجموعات مهندسي الإصلاح كل ما في طاقتها، ولكن الموقف لا يتحرك، وكان من الضروري دعم عناصر الإصلاح بالفرقة لعناصر من الاحتياط بالقاهرة، وطلبنا ذلك أكثر من مرة، ولكن لم يتم أي دعم لأن كل ما كان متيسرا من هذه العناصر تم دفعه إلى بورسعيد للمعاونة في إصلاح المعدات. لقد كان من المقدر استعادة الموقف في بورسعيد خلال ٢٤ ساعة؛ أي خلال ٩ / ١٠، ولكن لم يتم ذلك رغم ما حشد من إمكانيات لذلك الغرض. إن السبب في انخفاض الكفاءة الفنية للوحدات يوم ١٠ / ١٠ يرجع إلى الأسباب الآتية :

أ - الإجهاد الذي حل بالوحدات وبمجموعات مهندسي الإصلاح لعملهم المتواصل أربعة أيام متوالية تقريبا دون قسط كافٍ من الراحة أو النوم.

ب - النقص الكبير في مجموعات مهندسي الإصلاح من بداية الحرب، إذ أن الموجود كان لا يتفق مع ما هو مخطط إليه.

ج - حالة عدم الثبات التي وصلت إليها بعض المعدات نتيجة لكثرة ساعات تشغيلها خلال أيام القتال السابقة.

إزاء ذلك كان لابد من إيجاد حل للخروج من هذا المأزق؛ لذا وضعت أسبقية لإصلاح بعض الوحدات على حساب البعض الآخر، وتبعاً لذلك تم توزيع مجموعات مهندسي الإصلاح ووضعت أسبقيات إصلاح معدة على حساب معدة أخرى، وفي

ضوء ذلك بدأت الوحدات اعتباراً من (سعت ٩٠٠) تبلغ عن تمام استعدادها للقتال على التوالي، ولكن بعد أن مرت فترة من أخرج الفترات في القتال قام خلالها العدو بهجمته المركزة الأولى والأخيرة خلال هذا اليوم. لقد سعدنا بارتفاع مستوى الكفاءة القتالية لحائط الصواريخ تدريجياً وأصبحنا في شوق للقاء طيران العدو. ولكن للأسف رغم نشاطه الواضح خلال النهار على مواجهة القتال لم يحاول التداخل في أعمال قتال القوات المهاجمة بشكل جدي مؤثراً السلامة عن الوقوع فريسة لصواريخنا، لقد استخدم العدو في هجمته المركزة ٣٢ طلعة / طائرة، واستمرت ٢٠ دقيقة، ركزها أساساً على القطاع شمال الإسماعيلية، وقد تلاحظ خلال هذه الهجمة محاولات الطيارين الإسرائيليين في مهاجمة القوات من بعد، مؤثرين العودة إلى قواعدهم سالمين.

انتهى يوم ١٠ / ١٠ وقد أسقطنا للعدو ٥ طائرات مؤكدة ويرجع سبب قلة خسائر العدو إلى إحجامه التام عن دخول مناطق تدمير الصواريخ، لقد كان يوم ١٠ / ١٠ / ١٩٧٣ هو بداية انحسار وابتعاد العدو فعلاً عن معاونة قواته، ذلك الانحسار الذي استمر حتى يوم ١٤ / ١٠ / ١٩٧٣ والذي كان سببه هو خوف العدو من أن يتزل به خسائر أكثر من ذلك، والدعم الأمريكي الذي تقرر له لم يصل، وإن كان على وشك الوصول بالإضافة إلى حاجته إلى توفير ما يمكن من مجهود قواته الجوية لاستخدامها - كما ظهر بعد - على الجبهة السورية.

كان تقديري لأعمال العدو في ضوء ما سبق هو ضعف المجهود الجوي عن يوم ١٠ / ١١، رغم كثرة قيامه بالاستطلاع الإلكتروني طول الليل ورغم ما شوهه ليلة ١١ / ١٠ من نشاط غير عادي لطائرات النقل بين مطارات إسرائيل ومطارات المليز وتمادا ورأس سدر.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١١ أكتوبر ٨٦٨ طلعة / طائرة، منها ٦٣٣ طلعة / طائرة نهراً، ومنذ ذلك اليوم أصبح هذا الضعف في مجهود القوات الجوية الإسرائيلية هو السمة المميزة لأعمال هذه القوات حتى يوم ١٤ / ١٠، ورغم قيامها بالعديد من طلعات الاستطلاع الإلكتروني فإنها عززتها بأخرى تمت (سعت ٥٤٠) يوم ١١ / ١٠، واتضح منها ومما تم قبلها أن الغرض من كل ذلك الاستطلاع

هو التعرف على أوضاع حائط الصواريخ، والتأكد من أن وحداته لم تعبر إلى الشرق. لقد لاحظ العدو - بلا شك - الأعمال التي تجري في الشرق من تجهيز هندسي للمواقع، إلى إقامة مواقع هيكليّة، وكان استنتاجه هو توقع عبور وحدات الصواريخ ليلة ١٠ / ١١، لذا كان استطلاع الإلكتروني خلال هذه الليلة مكثفا للغاية.

لم تحاول القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم مهاجمة حائط الصواريخ ولا مهاجمة القوات بتأثير يذكر لنفس الأسباب التي سبق أن أوضحناها، والتي ستستمر سمة لأعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية حتى يوم ١٦ / ١٠.

لقد تميز من أعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم مهاجمة وحدات الصواريخ في بورسعيد، كذا وحدات الجيش الثالث المتقدمة على محور سدر بتركيز كبير، بالإضافة إلى مهاجمة مطار الصالحية، لقد تميز من مجهود العدو عند مهاجمته القوات البرية قيامه بهجمة جوية مركزة واحدة تمت في الفترة من (سعت ٨٥٥ إلى سعت ٩٢٠) بنحو ٤٠ - ٤٨ طلعة / طائرة.

كان هجوم القوات الجوية الإسرائيلية على القوات خلال الهجمة الجوية المركزة التي قامت بها محدودة في الأغراض التي وجهت إليها، فقد تركزت أساسا في اتجاه البلاح والسويس أي على كل من الفرقة الثانية المشاة والفرقة الثانية عشرة المشاة في محاولات يائسة لإنجاح هجماته المضادة المحدودة أو معاونة قواته في صد هجمات قواتنا وباءت كلها بالفشل.

لقد أولى العدو الوحدات التي تتقدم على محور سدر عناية كبيرة، نظرا لخطورة هذا المحور على طبيعة العمليات الدائرة والمستقبل، وانتهاز العدو فرصة ابتعاد هذه الوحدات عن حائط الصواريخ - كما اعتقد - وأخذ يصب عليها جام غضبه في هجمات متلاحقة كثيفة لم تجد عناصر المدفعية م / ط معها شيئا، لقد فطن العدو لذلك وأخذ يهاجم الوحدات من ارتفاعات ما بين ٤ - ٦ كم بغرض إيقاف تقدمها، وكان من المفروض إيجاد أسلوب للحد من نشاط العدو على هذا المحور، لقد كان لنا في قتاله عدة أساليب متنوعة، كلها تؤدي إلى تدميره بنسبة احتمال عالية، وقد تعارضت هذه الأساليب مع حاجة هذا المحور للوقاية، ولكن أمكن بتغيير في بعض الأساليب إمكان

توفير الوقاية إلى حد ما بضمن مكلف لا تتعادل تكلفته مع نتائجه، لقد أدت الحاجة إلى المحافظة على القوات وعلى المعنويات إلى التضحية ببعض الصواريخ، والتغاضي عن سلامة أسلوب القتال مع العدو في هذا الاتجاه.

قام العدو خلال باقي يوم ١١ / ١٠ بهجمات جوية متفرقة أغلبها سيطر عليه الجبين والذعر والخوف مما تقلل من فاعلية هذه الهجمات، لقد كانت القوات الجوية الإسرائيلية أمام حائط الصواريخ صورة حية للجنب الإسرائيلي، فقد كان لنجاح قتال حائط الصواريخ معها منذ بدء الحرب وإفقادها أترانها، ثم تحييدها وإخراجها من المعركة بعد ذلك أثر في زيادة خسائرها يوما بعد يوم، ثم إتمام هزيمتها بعد ذلك، وليس أدل على إتمام هزيمتها سوى انسحاب العدو كلية من المعركة يوم ١١ / ١٠ فلم يكذب يتصف نهار يوم ١١ / ١٠ حتى انحسر نشاط القوات الجوية الإسرائيلية واقتصرت نشاطها على العمل خارج مناطق تدمير الصواريخ ولجؤها إلى أسلوب الهجمات المتفرقة الطائشة. وبدأنا نعتقد أن السيادة الجوية أصبحت لنا، وبنهاية قتال هذا اليوم تمكن حائط الصواريخ من تدمير ٨ طائرات منهم ٥ طائرات مؤكدة، وبانتهاء هذه المرحلة من القتال تم تدمير ١٣١ طائرة منهم ١٠٨ طائرات مؤكدة.

مهمة العبور للشرق

سبق أن أوضحت أن مهمة العبور للشرق ظهرت لأول مرة على السطح ليلة ٩ / ١٠ أكتوبر، حيث طلب مني تنفيذ الانتقال للشرق وفقا للخطة الموضوعة على أن يتم ذلك ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر.

لقد كان الانتقال للشرق واردا ضمن خطة العملية الهجومية، إذ كان من المخطط تواجد وحدات الصواريخ في الشرق بعد بدء التطوير (أي ليلة ي ١ / ي ٢ تطوير) وإن كنت قد طلبت أن يكون ذلك في الليلة السابقة للتطوير طالما أن رءوس الكباري ستكون بالأعماق المحددة ١٠ - ١٢ كم، وكانت حجتي في ذلك هي الرغبة في توفير الوقاية السليمة في اليوم الأول للتطوير لأبعد مسافة ممكنة، وذلك لاحتمال وجود القوات القائمة بالتطوير خارج مدى الوقاية بالصواريخ إن لم يكن طول اليوم سيكون ذلك واقعا فعلا بعد ظهر ذلك اليوم، وخاصة على الارتفاعات المنخفضة والمنخفضة

جدا ٥٠٠ متر فأقل، إذ أن الوحدات ستعتمد خارج مدى الوقاية بالصواريخ على الصواريخ الفردية سام ٧ والمدفعية م / ط، وكانت ثقتي في الأخيرة تكاد تكون معدومة بالنسبة لغالبيتها، أما الأولى فكانت هذه المعركة عملي في مسرح قتالنا تختبر فيه ولم يوافق على هذا الطلب.

في ضوء ذلك أصدرت الأوامر لكي يأخذ التنفيذ سبيله، وحددت أماكن التمرکز الجديدة للكتائب وقيادات الألوية، وقد تم اختيار بعضها شرق القناة بعدة مئات من الأمتار فقط، وذلك لأن رؤوس الكباري التي تم الاستيلاء عليها، كان عمقها محدودا إلى حد كبير، وبالأخص في منطقة القنطرة - جبل مريم - الشلوفة.

في صباح يوم ١٠ / ١٠ كان الموقف التكتيكي بالنسبة لرؤوس الكباري لا يزال كما هو عليه من ناحية عدم اتساع عمقها، مما جعلني أعمل على تأكيد مهمة العبور للشرق، لأعرف مدى التصميم القائم على استمرار العبور رغم الموقف التكتيكي السائد، وفعلا تم تأكيد المهمة حوالي (سعت ١٠٠٠) يوم ١٠ / ١٠ وبعد مضي وقت قليل أخطرت بتأجيل التنفيذ لمدة ٢٤ ساعة.

تم عمل خطة تحرك الوحدات على ضوء موقف المعابر الموجودة فعلا في كل قطاع، وأرسلت التعليمات لقدة الأولوية، وقد أدى تأخير العبور إلى وجود مزيد من الوقت تلتقط فيه الوحدات أنفاسها وتعيد مراجعة موقفنا والتأكد من سلامة المعدات والحملة والنواحي الإدارية وأسلوب التأمين الفني، وإلى ذلك من النواحي المختلفة اللازمة لسلامة وتأمين عملية عبور الوحدات مع قدراتها على أدائها مهامها بنجاح شرقا، بالإضافة إلى تحديد الوحدات الفرعية التي ستعبر كل ليلة، وقد استدعى ذلك - في ضوء قتال الأيام الماضية - تعديلا كبيرا استدعى ترك بعض الوحدات ذات القدرة القتالية المحدودة أو تلك الوحدات التي أثبتت معداتها عدم كفاءتها، فمعنى دفع النوع الأول للقتال شرقا في معركة دموية يعني قدرة محدودة على تدمير العدو، أما دفع النوع الثاني - وهو من نوع سام ٢ - فمعنى ذلك إنقاص القدرة القتالية للوحدات، وإلقاء عبء كبير على عاتق قادة اللواءات من ناحية إصلاحها وإمدادها بقطع الغيار وهم في غنى عن هذا الحمل.

في الوقت نفسه أتمت جماعات استطلاع الوحدات استطلاع المواقع الجديدة في الشرق، كما أتمت جماعات استطلاع المهندسين استطلاع الطرق، وبدأت في إنشاء المواقع التبادلية والهيكلية، كل ذلك تحت قصف مدفعية العدو. لقد أوضحت تقارير جماعات الاستطلاع ووحدات المهندسين مدى ما تعرضت إليه من قصف المدفعية في الشرق أثناء قيامها بتنفيذ مهامها، وإزاء تلك المعلومات بدأ النقاش يدور مع قادة اللواءات عن مدى تقدير خطر مدفعية العدو على كتائب الصواريخ عند احتلالها لمواقعها في الشرق، ولم يكن هناك من جواب سوى أنه بتطوير الهجوم سيرتد العدو للخلف عدة كيلو مترات، مما يبعد خطر المدفعية أو يقلله إلى حد كبير هذا هو التصور لتطوير الهجوم واحتمالاته على كتائب الصواريخ التي ستواجه في الشرق، ولكن رغم هذا التصور فإن المخاوف على موقف الوحدات شرقا كانت لا تزال قائمة في أذهان قادة اللواءات والكتائب.

مهاجمة بورسعيد للمرة الثانية

بعد أن تمكن العدو في هجومه على وحدات الصواريخ أرض - جو في بورسعيد من إسكات عدة كتائب - بدأت عملية استعادة موقف الوحدات تأخذ طريقها اعتبارا من ليلة ٨ / ٩ أكتوبر لسرعة عودة الدفاع بالصواريخ إلى ما كان عليه، وكان مقدرا لهذه العملية التي حشدت لها كل الجهود والإمكانات أن تتم خلال ٢٤ ساعة على الأكثر.

وبرغم تأكيد العدو من إسكات الدفاع بالصواريخ فإنه استمر في قصف المواقع يومي ٩، ١٠ أكتوبر وذلك نهارا بأعداد محدودة من الطائرات، واستمرت وحدات المدفعية المضادة للطائرات والصواريخ الفردية سام ٧ تؤدي دورها دون فاعلية تذكر، وهنا يجدرنا أن نتعرف على الغرض الذي كان يسعى العدو إليه من استمرار قصف مواقع الصواريخ في بورسعيد يومين متتاليين رغم تأكده من إسكاتها عقب هجوم يوم ٨، ١٠، لقد كانت هذه الأسباب منحصرة في سببين لا ثالث لهما :

أ - عرقلة عملية موقف وحدات الصواريخ الموجهة ببورسعيد سواء بإصلاح ما يمكن إصلاحه منها أو دعمها بوحدات جديدة

ب - إيهامنا إلى درجة اليقين أنه سيوجه مجهود بري لعزل بورسعيد، وقد كان ذلك الاحتمال واردا في الحساب حتى نعمل من جانبنا على تعزيز الدفاع عنها بالصواريخ الموجهة مرة أخرى، مما يؤدي إلى استنزاف عناصر جديدة في وحدات الصواريخ الموجهة، لاشك أنها ستؤثر على سير المعركة في مواجهة القتال وهي اتجاه العمليات الرئيسي، ولنتناقص كلا السببين للتعرف على أيهما كان العدو يرمي إلى تحقيقه.

إن رغبة العدو في عرقلة عملية استعادة موقف وحدات بورسعيد تخالف تماما ما كان يرمي إليه من مهاجمة بورسعيد بقواته الجوية، فعملية استعادة الموقف لا تحتاج إلى مجهود جوي كبير ومستمر، فإنما بعض الطلعات الفردية التي تحول دون إصلاح المعدات أو عرقلة عملية الإصلاح وجعلها تستغرق وقتا كبيرا. لقد كان تجميع بورسعيد تجميعا منعزلا مكونا من لواء صواريخ من خمس كتائب تقوم بالدفاع حول مدينة بورسعيد، وقد وجد العدو أنه من الضروري - بعد انهيار معنويات طياريه إزاء خسائره أمام حائط الصواريخ، وامتناعهم عن الطيران ولجؤه إلى إعدام بعضهم وتقيدهم بالسلاسل أثناء الطيران - أن يعمل على رفع معنويات طياريه وأن يثبت لهم فاعلة الطائرة أمام الصاروخ الموجه وأنها لم تفقد قدرتها على تدمير كتائب الصواريخ أو إيقافها وشلها عن العمل، فلم يكن أمامه سوى بورسعيد، وكان النجاح حليفه في ذلك، فتمكن في هجمتين متتاليتين يوم ٨ / ١٠ من أن يحقق ما يريد، وكان عليه أن يستمر في ممارسة هوايته في قصف مواقع بورسعيد لتأكيد سيادته الجوية فوقها بالإضافة إلى خلق موقف جوي يجبر فيه القوات الجوية على القيام بمهمة الدفاع عن بورسعيد بعد توقف الدفاع بالصواريخ عنها، وهنا يتم استدراجها في قتال جوي مدبر سبق له التمرس عليه خلال حرب الاستنزاف ويوقع بها خسائر وهي لا تزال حتى الآن محتفظة بكل قواتها تقريبا، ولاشك أن مثل ذلك الموقف سيؤدي تلقائيا إلى منع استعادة موقف وحدات الصواريخ الموجهة وستظل بورسعيد شركا لاصطياد القوات الجوية المصرية فوقها.

أما الاحتمال الثاني - ولو أنه وارد في الحساب - فإن قدرة العدو على الإبرار البحري غرب بورسعيد لا تتعدى كتيبة مشاة مدعمة بسرية دبابات يضاف إليها احتمال من كتيبة إلى اثنين يتم إبرارهم جوا، قوة محدودة تحتاج إلى مجهود جوي ضخم لإبرارها

وإمدادها، يقابلها من جانبنا قوات ذات حجم كبير قائمة بالدفاع عن بورسعيد، قادرة على منع العدو من أن يستولى على بورسعيد، حقيقة أن العدو كان قادراً على عزل بورسعيد من الغرب والجنوب بعمليات الإبرار السابقة، ولكن ما جدوى ذلك وما تأثيره على مسرح القتال والعمليات الدائرة فيه، إذ أن استخدام القوات يخضع لمبدأ ثابت هو أن أي عمليات في اتجاهات ثانوية يجب أن تعود بطريقة غير مباشرة بأثرها على المعركة الدائرة في الاتجاه الرئيسي وعلى قدر هذا الأثر يتقرر استخدام القوات في اتجاه المجهود الثانوي، إن عملية العزل تمنع الإمداد، وذلك الحصار يحتاج إلى قوات وحتى ذلك الوقت كانت الأنساق الثانية للجيش الميدانية واحتياطيات القيادة العامة لم تدفع للمعركة، وكانت هذه القوات كبيرة الحجم إذ تبلغ نحو أربعة فرق ما بين مدرعة ومشاة ميكانيكية غير بعض اللوآت المدرعة المستقلة، بالإضافة إلى أن قواتنا الجوية لا تزال قوية، فالحسائر التي لحقت بها حتى الآن محدودة، وعلى ذلك فلا يمكن العدو أن يخاطر بمثل هذه العملية، والعمليات البرية ليست في صالحه، فهجماته المضادة فشلت كلها، والقوات تعمق رأس الكوبرى رويدا رويدا، وسلاحه الجوي ومنى بالهزيمة تماماً فخسائره حتى ذلك الوقت بلغت أكثر من ١٠٠ طائرة من الأنواع المختلفة، يؤكد ذلك ما أذاعته الدوائر الرسمية في البتاجون من أن القوات الجوية الإسرائيلية خسرت ما لا يقل عن ٣ / ١ قواتها، وهي كما أسلفنا كانت ٤٤٨ طائرة قاذفة، وقاذفة مقاتلة من مختلف الأنواع.

الواقع أن العدو كان يهدف إلى تحقيق الإحتمال الأول جرياً وراء منع استعادة الموقف، وسحب القوات الجوية إلى معارك قتال جوي ينال منها، وهذا ما أثبتته الأيام خلال حرب رمضان، فلم يحاول العدو خلال هجومه المضاد باحتياطياته التعبوية يوم ١٤، ١٥ أكتوبر - والدفاع بالصواريخ عن بورسعيد متوقف للمرة الثانية اعتباراً من يوم ١١ / ١٠ - لم يحاول العدو أن يعزل بورسعيد إلا أن تقدير اتنا بكل أسف جرت وراء الاحتمال الثاني، وكان أن دفعت بعض كتائب صواريخ أخرى من العمق لاستعادة موقف بورسعيد، وعودة الدفاع الجوي إلى حجمه الصحيح.

تم استعادة موقف الدفاع بالصواريخ وعاد إلى حجمه الأصلي وذلك بنهاية يوم ١٠ / ١٠، وفي صباح يوم ١١ / ١٠ عاود العدو هجومه على بورسعيد للمرة الثانية بغرض إسكات وحدات الصواريخ الموجهة، ورغم كثافة الهجوم الجوي الإسرائيلي،

فإن وحدات الدفاع الجوي قاتلت العدو خلال هذا اليوم وتمكنت من إنزال خسائر بالعدو، ورغم خسارة فإنه استمر في صب حقه على الوحدات وذلك بإلقاء عشرات القنابل من مختلف الأوزان على مواقع الصواريخ، مما أدى إلى أن تفقد وحدات الصواريخ قدرتها القتالية مرة ثانية نتيجة طبيعية لما ألحقه العدو من خسائر في المعدات بل وفي المواقع الخرسانية المقامة لها.

لقد كان لمعظم الخسائر في وحدات الصواريخ وتمكن العدو من إسكاتها مرتين متتاليتين إلى أن يتبنى البعض سببا بعيدا عن الواقع لتبرير ما حدث، وكان أن ذكروا أو أذاعوا أن السبب الذي يكمن وراء تركيز العدو بهذا الشكل على بورسعيد إنما كان الغرض منه إقامة قواعد للصواريخ المصرية ذات المدى الطويل التي قد تواجه إلى العمق الإسرائيلي، وفاتهم أن أسلحة الردع سلاح ذو حدين، وأن البدء بالاستخدام يعنى المعاملة بالمثل، وحتى ذلك الوقت، بل إلى أن انتهت حرب أكتوبر لم تحاول القوات الجوية الإسرائيلية ضرب أى أغراض في العمق، فلو أضفنا إلى ذلك عدم ملاءمة بورسعيد كمدينة لدفع مثل هذا النوع من الأسلحة بها ووجود العديد من الأماكن في جبهة القتال الصالحة لذلك وتيسير الإخفاء المطلوب لهذه الأسلحة بالإضافة إلى طول المدى المتيسر لها لوضح لنا أن هذا التبرير لم يكن إلا وسيلة لإخفاء كل ما تم في بورسعيد.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

كان حائط الصواريخ بحكم المهمة الموكلة إليه يقوم بالدفاع عن المطارات الأمامية في القطامية، أبلو حماد- الصالحية وذلك بعناصر من المدفعية المضادة للطائرات وعناصر من الصواريخ الفردية سام ٧.

بالإضافة إلى الدفاع بوحدات الصواريخ الموجهة أرض-جو. وكانت هذه المطارات بحكم قربها من جبهة القتال هى المطارات التى تتمركز فيها أسراب القوات الجوية المخصصة للمعونة المباشرة للقوات البرية، وكان من الضروري المحافظة عليها سليمة دائما لضمان سرعة تلبية مطالب القوات البرية، وعلى النقيض كان العدو يبغي قفلها وتدمير ما بها من طائرات وإخراجها من المعركة. إن أمكن ليحرم القوات البرية من معونة القوات الجوية.

بدأ أول هجوم للعدو على المطارات الأمامية يوم ١٠ / ٧، إذ وجه العدو إلى مطاري القطامية والصالحية أول هجوم عليها وذلك أثناء قيامه بضربته الجوية المضادة، ففي مطار القطامية استغل العدو عودة طائرتنا من الشرق، فتعقبها بغرض تدميرها قبل نزولها أو مهاجمة المطار وتدمير الممرات ليحول دون نزولها مما يعرضها للسقوط في حالة نقص الوقود، ولكن اللواء ١١٣ صواريخ بقيادة العقيد علوي، والفوج ٨٤ مدفعية بقيادة المقدم فاروق كانا بالمرصاد لتلك الهجمة، فبمجرد أن أبلغت رادارتنا البصرية على ساحل خليج السويس باقتراب العدو قام مركز القيادة بوضع خطة لتلخص في إنزال طائرتنا والتصدي للعدو المقرب خلفها وفعلنا نجحت الخطة وأمكن نزول طائرتنا بسلام ومقابلة العدو بجميع الأسلحة من صواريخ متوسطة وقصيرة ومدفعية مضادة للطائرات، وكم كان ذلك مفاجأة له مما جعله يولي الفرار وتدمرت له طائرات سقطت قرب خليج السويس.

أما مطار الصالحية فقد وجه العدو للمطار والجانب الأيسر لحائط الصواريخ نحو ٨ طلعة / طائرة في مجموعتين، كل من أربع طائرات، وأخذ من بحيرة المنزلة ومصرف بحر البقر طريقا لاقتربه وقد كان توقعنا المسبق لاتجاه الهجوم سببا في صد الهجمة قبل الوصول للمطار. لقد تم وضع بعض وحدات الصواريخ سام ٧ في طريق الاقتراب في المناطق الزراعية المجاورة للمطار قامت بفتح النيران على العدو من اتجاهات لم يتوقعها مما أدى إلى أن يحل ارتباك بالتشكيل المهاجم مما حدا به إلى أن يلقي بحمولته بعيدا عن المطار وكتائب الصواريخ المجاورة له ويلوذ بالفرار في اتجاه الشرق.

هاجم العدو مطار القطامية للمرة الثانية يوم ٩ / ١٠ وذلك (سعت ٠٧١٧) بعدد ١٦ طلعة / طائرة في مجموعتين كل من ٨ (طلعة / طائرة) خليط من الفانتوم والميراج اقتربت من اتجا، خليج السويس متخذة المنطقة الجبلية الممتدة من خليج السويس حتى المطار ساتراها، ومن الأودية المتعددة التي تخترقها من الشرق - للغرب اتجاها محددا وواضحا للوصول إلى المطار، وبمجرد ظهورها على خليج السويس قامت وحدات الرادار البصرية المتمركزة على طول الخليج بالإبلاغ عن العدو وهو لا يزال فوق مياه الخليج، بل تمكنت من تحديد قوته ونوع طائراته مما أعطى فرصة طيبة للوحدات القائمة بالدفاع عن المطار للاستعداد لملاقاة العدو ورغم استخدام العدو للقنابل

الزمنية وقنابل البلي والصواريخ أرض - جو بغرض تدمير الممرات والدشم وإلحاق خسائر بطائرات الاستعداد الموجودة على الممرات فإن هجموه بآء بالفشل وتمكنت وحدات الفرقة الثامنة (دفاع جوي) بالقطامية من تدمير ٦ طائرات للعدو وسقطت إحداها - من طراز فانتوم - بمنطقة السخنة وهبط طيارها وملاحها بالمظلات وتم أسرهما، وأخرى سقطت في منتصف خليج السويس وهبط طيارها بالمظلات، أما الباقي فقد احتضنته المنطقة الجبلية لهضبة الجلالة البحرية لقد تم خلال هذا الهجوم أسر خمسة طيارين بمنطقة القطامية.

أما مطار أبى حماد فقد هاجمه العدو يوم ١٠ / ١٠ وذلك ضمن هجمته الجوية التي وجهها إلى المطارات الموجودة في شمال الدلتا. لقد هاجم العدو في هذا اليوم بجانب مطار أبى حماد مطاري المنصورة وقويسنا، لقد اقتربت مجموعة من الطائرات من اتجاه البحر البيض المتوسط تقدر بنحو ٨ طائرات فانتوم وميراج وهاجمت المطار، وقد طاشت هجمة العدو تماما على المطار إلا من بعض أضرار محدودة في أحد الممرات أمكن إصلاحها وإعادةه إلى حالته في وقت محدود جدا، لقد تم ضرب مطار «أبو حماد» في وقت كانت الوحدات قائمة فيه بتأمين إحدى طلعات قواتنا الجوية التي ستقلع بعد قليل من المطار، ذلك الوقت الذي عادة ما تكون فيه الوحدات غير جاهزة نفسياً لصد أي هجمة جوية، إذ أن الشواهد كلها تشير إلى قيام قواتنا الجوية بالاستعداد داخل المطار لتنفيذ مهامها، وما يستتبع هذا الموقف من حذر شديد للوحدات القائمة بالدفاع عن المطار لضمان سلامة طائراتنا عند إقلاعها حتى لا تشتبك معها، ولقد كان ذلك العمل الهجومى في ذلك الوقت من قبيل المصادفة المحضة.

عاودت القوات الجوية الإسرائيلية مهاجمة مطار الصالحية (سعت ٠٨٠٠) يوم ١٠ / ١١، وقد هاجمه العدو بطريقة جديدة لجأ فيها إلى سحب قواتنا الجوية إلى قتال جوي معه ليخلق فرصة يتم خلالها مهاجمة مطار الصالحية، لقد كان العدو على معرفة تامة بموقف المظلات الجوية التي تدفع بعد أول ضوء توفير الوقاية لمطار المنصورة، وفعلا تقدم العدو من اتجاه الشرق في اتجاه مطار المنصورة مارا على بحيرة المنزلة متحاشيا مناطق الصواريخ، وعلى ضوء ذلك تم دفع مقاتلات المنصورة لاعتراضه، ودار قتال جوي بين الاثنين فوق بحيرة المنزلة هزم فيها العدو وأسقط له طائرة، إلا أنه خلال

هذا القتال الجوي اقتربت أربع طائرات فانتوم وسكاي هوك من اتجاه البحر مستغلة الانشغال بالمعركة الجوية الدائرة، واقتربت من مطار الصالحية في محاولة لتدمير الممرات أو الدشم، ولكن كانت وحدات الدفاع الجوي عن المطار لها بالمرصاد سواء وحدات المدفعية المضادة للطائرات أو وحدات الصواريخ المتوسطة أو وحدات الصواريخ الفردية سام ٧ التي كانت تحتل أوضاعها في الأراضي الزراعية وعلى مصرف بحر البقر - مما أدى إلى سقوط طائرة وابتعاد الباقي في اتجاه الشرق بعد أن أُلقت بحمولتها على أحد الممرات وأصابته، ولكن تم إصلاحه بعد مدة وجيزة.

موقف المعدات

لقد بدأت متاعبنا مع المعدات تظهر على السطح لأول مرة عند انتقال كتائب الصواريخ ليلة ٧ / ٨ أكتوبر، وقد ظهرت بالنسبة لنوع من كتائب الصواريخ هي كتائب الصواريخ سام ٢، فلقد كانت بعض كتائب الصواريخ من هذا النوع عاطلة منذ بداية الحرب ولم تغلح الوسائل المختلفة في إصلاحها، كما أن البعض الذي قام منها بالانتقال حسب الخطة لم يتمكن من الاستعداد للقتال في التوقيتات المحدودة له، بل استمر عاطلاً طول يوم ٨ / ١٠ برغم ما بذل فيه من محاولات للإصلاح بواسطة مجموعة مهندسي الإصلاح، ولكن ما أسباب ذلك التعطل، هل هو عيب في المعدات؟ أو عدم قدرة مجموعة الإصلاح على إتمام الإصلاح؟ الواقع أن العيب كان كامناً في المعدات فهذه المعدات قديمة جداً وسلمت لنا من الاتحاد السوفيتي من ضمن صفقات الأسلحة التي سلمت لنا عقب قيام العدو بمهاجمة الأغراض الحيوية في العمق، ولا ندري السبب الذي حدا به لتسليمنا سلاحاً متخلفاً، بل إن شئت قلت قاتلاً، لأن السلاح الذي لا يعمل في المعركة ضد العدو بكفاءة - فكأنما يوجه إلى صاحبه، فلا شك أن عدم صلاحيته لها تأثير معنوي خطير على أطقم القتال، ومن المفارقات أن معظم أطقم هذه الكتائب كانت على مستوى قتالي عالٍ، ولكن ما حيلتها ومعداتنا لا تريد أن تستجيب لعمليات الإصلاح والضبط - وقد يتبادر إلى الذهن لماذا لم يتم تعديل الخطة ودفع كتائب أخرى للأمام بدلاً منها، الواقع أن تجاور الوحدات من ناحية نوعياتها يخضع لمعايير فنية ومقاييس - تكتيكية تستلزم مراعاتها، كما أن النفس في صواريخ سام ٢ معدل الذي بدأ يظهر كمشكلة لم ييسر دفع بدل منها للأمام كل ذلك بالإضافة إلى أن

هذا النوع من الكتائب يكون نحو ٢٥٪ من قوة حائط الصواريخ أدى تشغيل المعدات بصفة مستمرة إلى بدء ظهور كثير من الأعطال في المعدات اعتباراً من يوم ٩ / ١٠، وقامت مجموعات مهندسي الإصلاح وعناصر قتال الوحدات خلال هذا اليوم ببذل جهود ضخمة للمحافظة على صلاحية عالية للمعدات، لقد وفقوا في كثير من الحالات وصادفتهم العقبات في بعض الحالات ولم يكن ذلك نابعا من جهد قصروا فيه أو علم لم يدرسوه أو خبرة لم ييارسوها، وإنما كان نابعا من المعدات التي كانت تصل لنا من الاحتياطي العام، كانت في حالة سيئة فهي إما غير سليمة أو ناقصة لبعض مكوناتها مما ألقى على قيادة التشكيل وعلى مجموعات مهندسي الإصلاح عبئا كبيرا، كان الأولى بذله في القتال أو الاحتفاظ به إلى أوقات الشدة ولا تخلو معركة من أيام شدة، فالمعارك لا تسير على وتيرة واحدة، وإنما هي مزيج من الجذب والشد، مزيج من الحركة والتوقف مزيج من البساطة والتعقيد، مزيج من التروي والتسرع، مزيج من الهدوء والعنف.

استمر موقف المعدات يتذبذب بين الصلاحية وعدم الصلاحية، وزادت المناورة التي قامت بها الكتائب متأخرة إلى زيادة نسبة الكتائب غير الجاهزة للقتال، وبزوغ صباح يوم ١٠ / ١٠ كانت نسبة الكتائب غير الجاهزة نحو ٣٥٪ من قوة حائط الصواريخ.

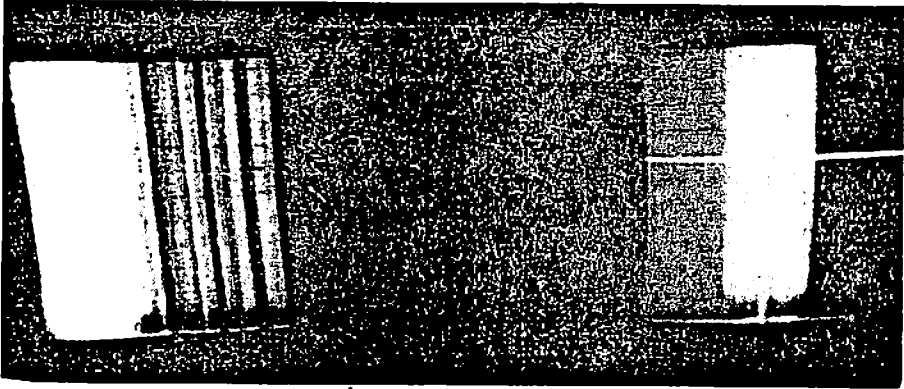
موقف الصواريخ

لم يأت يوم ٨ / ١٠ إلا وكان موقف الصواريخ من نوع سام ٢ معدل قد بدأ يهتز في القطاع الشمالي، وقد كان ذلك راجعا إلى تركيز العدو لهجماته الجوية على هذا القطاع وقيام وحدات سام ٢ معدل بدور كبير في الاشتباك مع العدو مما استدعى إعادة التوازن في عدد الصواريخ بوحدات هذا القطاع وذلك بالمناورة بالصواريخ من قطاعات أخرى، وكان من الضروري دراسة أسباب هذه الظاهرة، وفي ضوء تحليل ما تم من اشتباكات توصلت إلى حقيقة واضحة في أن وحدات سام ٢ معدل قد أثبتت قدرتها على تدمير العدو بكفاءة منقطعة النظر، تلك الكفاءة النابعة من قدرة الأطقم على سيادة المعدات أثناء الاشتباك، هذا بالإضافة إلى طول مدى اشتباكها عن وحدات سام ٣، وخاصة بالنسبة للأهداف المنخفضة، وهي الأهداف السائدة في هجمات العدو، لذا أصدرت أوامري للحد من استهلاك صواريخ سام ٢ معدل ویمعنى آخر قيدت

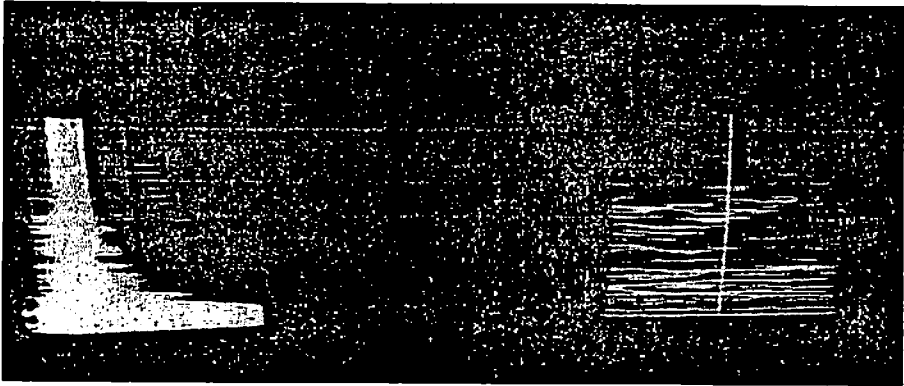
الاشتباك بها وأصدرت أسلوباً جديداً للتعامل مع الطائرات المعادية، وإزاء استمرار الموقف طول يوم ٨ / ١٠ مع كثرة ما تم من اشتباكات أدت إلى نقص أكثر في صواريخ سام ٢ معدل، إذ بلغ ما استهلك منها حتى نهاية يوم ٨ / ١٠ ما يقرب من ٤٥،٤٪ من جملة المتيسر منها قبل بدء الحرب. اتصلت بقيادة الدفاع الجوي وطلبت منها بإلحاح أن تمدنا بقدر من صواريخ سام ٢ معدل، حيث إن الموجود منها في ضوء معدلات الاستهلاك اليومية لن ييسر القتال لأكثر من ستة أيام أخرى إذا استمر مجهود العدو على ذلك المعدل، ولو أن ذلك الأمر غير مضمون وخاصة أن العمليات ستتطور فيما بعد، وكان الرافض أمراً غير متوقع إلا أن الموقف ازداد سوءاً يوم ٩ / ١٠ في ضوء ما تم من اشتباكات، وبلغت مشكلة نقص الصواريخ سام ٢ معدل درجة الحدية وتكررت طلباتنا من هذه النوعية ولكن لم تظهر قيادة الدفاع الجوي من البوادر ما يوحي بأن هناك شيئاً ما سيتم اتخاذه لحل هذه المشكلة، وكان علينا أن ندبر الأمر داخلياً ولكم كان ذلك عبئاً ثقيلاً أثناء المعركة، إلى أن تم توقف الدفاع بالصواريخ في بورسعيد للمرة الثانية بدأ إمدادنا بعدد محدود من الصواريخ وللأسف كانت في حالة فنية سيئة استنزفت مجهوداً كبيراً في الإصلاح وعدداً كبيراً من قطاع الغيار.

أساليب العدو

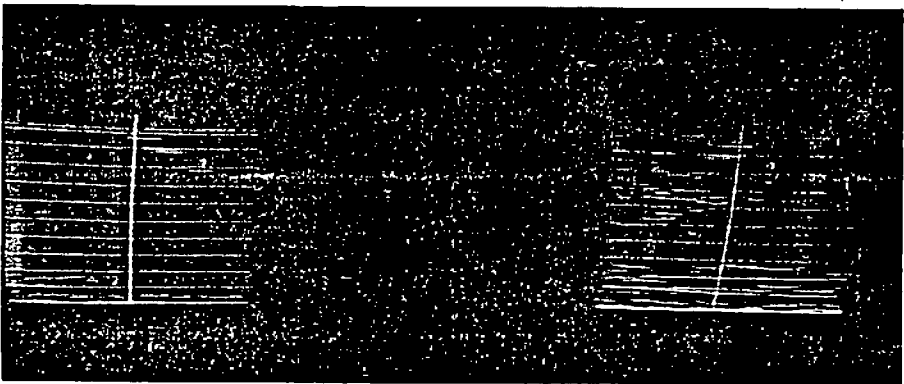
لقد استخدمت القوات الجوية الإسرائيلية بمجرد بدء القتال معها المناورة الحادة للإفلات من الصواريخ، وفعلاً تمكنت في بعض الحالات من النجاة في حين فشل في الغالبية العظمى من محاولاتها، ولقد كان الغرض من ذلك هو استنزاف أكبر قدر من الصواريخ حتى يقل ما هو موجود منها لدينا، مما يقلل من اشتباكاتنا معها وهنا تتاح لها الفرصة لتدمير حائط الصواريخ، أسلوب مشتق مما حدث في فيتنام استخدمت القوات الجوية الأمريكية خلال الهجوم الجوي الاستراتيجي، واستمر هذا أحد أساليبه ولكن بزيادة الخسائر في الطيارين المحترفين أضحت المناورة غير مجدية أمام وحدات الصواريخ، مما جعل العدو يلجأ إلى استخدام الإعاقة السلبية بجانب الإعاقة الإيجابية التي زاد من شدتها وعمل على تعدد مصادرها على طول المواجهة.



تداخل بالشوشرة موجه، يصعب رؤية أي طائرات فيه



تداخل بالشوشرة محدود، وتداخل سلبي تظهر سحابته بوضوح



تداخل سلبي - الرقائق المعدنية ظاهرة في الجو

بجانب ذلك استخدم العدو الصواريخ الشرايك. لقد استخدم هذا الصاروخ لأول مرة ضد حائط الصواريخ في القطاع الشمالي شبال الإسماعيلية وذلك ضد كتائب هذا القطاع، وقد كان لأساليبنا المتبعة أثر في عدم إصابة أي كتيبة مما أدى إلى سقوط الصواريخ على مسافات تتراوح بين ٣٠٠ - ٥٠٠ متر من كتائب الصواريخ، لقد كانت هجمة الشرايك هذه ضمن هجمة ليلية قام بها العدو في اتجاه الإسماعيلية، لقد تزايد استخدام الشرايك بعد ذلك ضد حائط الصواريخ وعلى قطاعات مواجهة القتال كلها.

لقد شهد يوم ٩/ ١٠ استهدافاً مكثفاً للصواريخ شرايك ضد كتائب الصواريخ أرض جو في قطاع الجيش الثالث واستخدم العدو في أسلوب طائرات الاستطلاع طعمًا لذلك. تطير طائرات الاستطلاع على ارتفاع ١٢ كم إلى ١٦ كم شرق القناة وداخل منطقة التدمير قريبة من الحد البعيد للمنطقة لإجبار الوحدات للاشتباك معها، وهنا تقوم دوريات الشرايك في الشرق بإطلاق صواريخها. لم ينجحنا هذا الأسلوب واتبعت إزاؤه أسلوبًا مضادًا أجبرنا فيه طائرات الاستطلاع إلى الفرار والابتعاد تارة بإطلاق صاروخ هيكلي، وأخرى بإطلاق صاروخ حقيقي من إحدى الكتائب التي تقع خارج مسافة الإصابة بالصاروخ الشرايك رغم معرفتنا المسبقة بعدم تأثيره، ولكن بغرض إزعاج وإرهاب طائرات الاستطلاع، وقد حقق الأسلوبين نجاحًا كاملاً.

ولم ينجح خلال هذه الفترة في إصابة أي كتيبة صواريخ.

أدى نجاح وحدات الرادار والإنذار في استطلاع الفضاء الجوي، والإنذار عن اقتراب الطائرات المعادية عددا ومكانا رغم قيام العدو باستخدام جميع وسائل الإعاقة السلبية والإيجابية على أجهزة الرادار لتعميتها إلى قيام العدو بإجراء إعاقة لاسلكية على شبكات الإنذار بغرض إعاقة المعلومات المذاعة عن مجهوده الجوي لحجب المعلومات عن المستفيدين منها أو جعلهم في شك من سلامة أوضاعه، ولكن لم يتيسر لهذا الأسلوب النجاح، فلقد أدت الشبكات المخففة دورها في القتال، كما أدت سرعة الانتقال من شبكة إلى أخرى جعل العدو يلهث وراء الشبكات اللاسلكية العاملة في الإنذار ليقوم بالإعاقة عليها.

لقد استخدم العدو مدفعية بعيدة المدى في ضرب كتائب الصواريخ اعتباراً من يوم ١٠ / ٧، وقد تركز ذلك الضرب شمال الإسماعيلية، ولكنه لم يكن مؤثراً بأي حال، وفي يوم ١٠ / ٨ أضحى حائط الصواريخ بانتقاله إلى الأمام لمواقعه غرب القناة أكثر قرباً للمدفعية العدو، مما جعل العدو يوجه نيران مدفعيته إلى كتائبه فمركزها على إحدى الكتائب الموجودة بمنطقة الشلوفة وأخرى شمال الإسماعيلية مما أدى إلى توقفها عن القتال لفترة ساعات حرمت فيها الوحدات المهاجمة أمامها من مجهودها ومنذ ذلك الوقت وإلى أن انتهت حرب أكتوبر ١٩٧٣، صبحت مدفعية العدو هي السلاح الوحيد الموجود في يده للتعامل مع كتائب الصواريخ الموجهة أرض - جو.

الفصل الرابع عشر

المرحلة الثانية للقتال من ١٢-١٥ أكتوبر

تعتبر هذه المرحلة تطورًا كبيرًا في قتال حائط الصواريخ، فلقد تم فيها انتقال عدة كتائب من الصواريخ الموجهة أرض - جو إلى الضفة الشرقية للقناة، وتواجدت في رءوس الكبارى التى استولت عليها القوات، ومن مواقعها الجديدة تمكنت بعض الكتائب من أن تمد وقايتها للقوات في اتجاه الشرق بقدر محدود، على حين لم يتمكن البعض الآخر من تحقيق مهمته، ويرجع ذلك إلى عاملين أولهما قلة عمق رءوس الكبارى، وثانيهما تركيز العدو لمدفعيته من الأعيةر المختلفة عليها، وقد كان تقدمها للأمام فرصة ثمينة له وصيدًا مغريًا للانتقام منها بعد أن فشلت هجماته الجوية حتى هذه المرحلة في أن ينال من أية كتيبة من كتائب حائط الصواريخ.

الفكر الحائر

انتهت المرحلة الأولى للقتال بهزيمة القوات الجوية الإسرائيلية وانحسار نشاطها وابتعادها عن مهاجمة القوات الموجودة في رءوس الكبارى إلا في حدود ضيقة، وقد ظهر ذلك بوضوح اعتبارًا من يوم ١٠ / ١٠، ولم يكن ذلك متوقعًا من العدو، ولكن كان للخسائر الكبيرة مع عدم وصول الدعم الأمريكى أثر في ذلك الانحسار بجانب ظهور فكر إسرائيلى جديد مؤداه عدم جدوى القتال مع القوات المصرية دون معاونة القوات الجوية للقوات البرية معاونة فعالة في القتال، أى العودة بالقتال الدائر إلى الصورة التقليدية للعقيدة الإسرائيلية في القتال.

لقد أدى قتال الأيام الماضية إلى ازدياد اليقين لدى جميع القادة الإسرائيليين بعدم الأمل في المعركة دون القضاء على حائط الصواريخ، وهنا تزامنت الأفكار، ولم يكن من بين هذه الأفكار فكر يعطى بريقاً من الأمل يتعلق به الجميع إلا ذلك الفكر الذى تبناه الجنرال شارون، ذلك الفكر الذى يقضى بالعبور إلى الغرب لتدمير قواعد الصواريخ، ومن ثم تستعيد القوات الجوية الإسرائيلية حريتها ومعاونتها للمعركة البرية، ومن ثم يتم القضاء على القوات المصرية الموجودة في الشرق أو على الأقل إحداث ارتباك في صفوفها وإيقاف تقدمها، لقد راققت الفكرة للقادة الإسرائيليين؛ لأنه لم يكن هناك من وسيلة للتعامل مع حائط الصواريخ سوى هذه الوسيلة، فلقد فشلت القوات الجوية الإسرائيلية ولا يمكن استخدام قوات الإبرار الجوية، نظراً لما سيصيبها من كارثة سواء في الأفراد أو الطائرات النقل، ولكن كانت نصيحة الجميع هي الانتظار، فالوقت للقيام بمثل هذا العمل يعتبر مبكراً وإن كان من الواجب وضعه في الاعتبار عند ما تحين الفرصة لذلك.

خطط العمليات

كانت خطة العمليات للقوات المصرية في هذه المرحلة تهدف إلى تطوير الهجوم شرقاً بغرض تحقيق المهمة النهائية للقوات المسلحة بالاستيلاء على منطقة المضائق وتأمينها وسيؤدي ذلك إلى تحقيق الآتى:

أ- تدمير قوات العدو واحتياطاته التعبوية

ب- الاستيلاء على دفاعات العدو التى أقامها خلال الأيام القليلة الماضية بغرض وقف الهجوم المصرى.

لقد كان فكر القيادة المصرية يهدف إلى تخفيف الضغط على الجبهة السورية، فلقد تمكنت القوات الإسرائيلية حشد مجهودها الجوى والبرى خلال يومى ١٠، ١١ أكتوبر من احتواء الهجوم السورى في هضبة الجولان والتحول إلى الهجوم، مما مكنها من تخطى خطوط وقف إطلاق النار عام ١٩٦٧ والتقدم شرقاً إلى أن وصلت إلى قرية سعسع على بعد نحو ٣٨ كم من دمشق، ولم يكن هناك من وسيلة لتخفيف الضغط على القوات السورية سوى تطوير الهجوم بواسطة القوات المصرية وذلك بمتابعة تقدمها شرقاً مما

يجبر إسرائيل على تحويل قواتها بسرعة لإيقاف التقدم المصرى - وكانت المشكلة التى تؤرق فكر القيادة المصرية هى اختيار التوقيت المناسب لتطوير الهجوم، ذلك التوقيت الذى يتم تحديده فى ضوء موقف العمليات الدائرة على الجبهة السورية، وكان ذلك الاختيار فى حد ذاته أول عوامل النجاح، وفى الوقت نفسه من أصعب الأمور لتباعد كلتا الجبهتين وميوعة الموقف على الجبهة السورية.

كان من المقرر لإتمام التطوير أن تتمسك الفرق المشاة الخمسة براءوس الكبارى التى استولت عليها على أن تندفع من خلالها التشكيلات المخصصة للتطوير فى اتجاه وسط سيناء وشمالها وتخصصت لذلك الغرض عدة لواءات مدرعة وميكانيكية يدعمها وتشد أزرها فى العملية القوات الجوية، أما دور حائط الصواريخ فى هذه العملية فكان يتلخص فى الانتقال للشرق خلف القوات بأربعة لواءات صواريخ وذلك بوثبات تكتيكية معينة على أن يتم الانتقال يومياً لعدد من كتائب الصواريخ يتراوح ما بين ٩ - ١٢ كتيبة صواريخ وذلك حتى انتهاء القوات المهاجمة من تحقيق مهمتها بنجاح.

أما فى الجانب الآخر فلقد لجأت القيادة الإسرائيلية إلى اتخاذ أسلوب الدفاع كوجه من أوجه القتال للأسباب الآتية :

أ - عدم جدوى الهجمات المضادة على الجبهة المصرية بعد فشل هجمات يومى ٨ - ٩ أكتوبر.

ب - كثرة الخسائر فى المعدات وخاصة فى الطائرات وتزايد هذه الخسائر يوماً بعد يوم والدعم الأمريكى الذى تقرر لم يصل حتى الآن.

ج - الحاجة إلى تثبيت الجبهة المصرية لحين الانتهاء من الجبهة السورية إذ لا يمكن للقوات الإسرائيلية إتمام عمليات هجومية على كلتا الجبهتين فى وقت واحد مخالفاً لعقيدتهم العسكرية فى ضرورة الانتهاء من إحدى الجبهات ثم الانتقال للجبهة الأخرى، وكانت سوريا فى نظرهم هى الجبهة التى يجب الانتهاء منها أولاً.

د - التضارب القائم بين القادة الإسرائيليين فى أفضل الطرق وأنجح الوسائل التى يجب اتخاذها لإيقاف الهجوم المصرى ودحره وعودة الأوضاع إلى ما كانت عليه إن أمكن.

هـ - الإجهاد الذى حل بالقوات الجوية الإسرائيلية بعد المجهود الجوى الكبير الذى قامت به، والذى لا يمكن الاستمرار فيه بنفس المعدل.

فى ضوء ذلك بدأت القوات الإسرائيلية فى سيناء فى اتخاذ مواقع دفاعية عملت على تقويتها وتعزيزها يوماً بعد يوم وذلك باستخدام حقول الألغام وموانع الأسلاك وخنادق الدبابات، واكتفت فى قتالها بصد الهجمات المحدودة التى كانت تقوم بها القوات المصرية.

لقد ظهر من خلال أعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذه الفترة أن المهام التى أوكلت إليها تتلخص فيما يلى :

أ - خلخلة الدفاع الجوى بالصواريخ، وذلك بمهاجمة أجناب تشكيل القتال لحائط الصواريخ، وفى حالة عدم النجاح يتم مهاجمة هذه الأجناب بالمدفعية بعيدة المدى لإحداث أكبر خسائر ممكنة بالمعدات لإيقافها عن العمل.

ب - استنزاف حائط الصواريخ على طول المواجهة بالهجمات الجوية المحدودة تعاونها المدفعية فى ذلك الغرض.

ج - تقديم معونة جوية محدودة للقوات البرية الإسرائيلية وذلك بمهاجمة القوات المصرية دون الدخول فى مناطق الصواريخ أو محاولة تنفيذ المهمة على وجه السرعة للإفلات من الصواريخ.

د - محاولة فتح ثغرة فى نطاق الكشف الرادارى لإمكان التنفيذ منها.

هـ - العمل على قفل مطارى الصالحية والقطامية لحرمان القوات الجوية من حرية العمل وإمكان تقديم المعونة للقوات البرية.

عبور الصواريخ للشرق بين التأجيل والتنفيذ

سبق أن ذكرت أن عبور كائب الصواريخ للشرق كان من ضمن التعليمات الصادرة ليلة ١٠ / ٩ أكتوبر على أن يتم العبور ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر، وفى ضوء الموقف التعبوى والتكتيكى لقوات الجيش الثالث والثانى رفضت فكرة العبور المبكر دون مبرر، وفى ضوء الإصرار أصدرت الأوامر لبدء التنفيذ.

وفي صباح يوم ١٠/١١ وفي ضوء عدم اقتناعي النابع من عدم ملائمة الموقف في رؤوس الكبارى لتواجد كتائب الصواريخ بها رأيت من الضروري تأكيد المهمة قبل التنفيذ، وعند تأكيدها (سعت ١٠٠٠) يوم ١٠/١٠ أبلغت بتأجيل العبور ٢٤ ساعة أى إلى يوم ١٠/١١ ولكن هل تم التنفيذ في ذلك التوقيت، لم يتم نظرًا لعدم سلامة الموقف التكتيكي في الشرق.

لقد كان تقديري للموقف أن هناك عبورًا للصواريخ سيتم للشرق، وأن لحظة إتمامه ستحدد على ضوء موقف القوات البرية في الشرق، وأنه بعد مضي نحو ستة أيام على القتال فلا شك أن هذه اللحظة قد حانت، وفي ضوء استعداد الوحدات وتأجيل العبور أكثر من مرة رأيت تأكيد المهمة صباح يوم ١٠/١٢ ولم أجد جوابًا شافيًا لذلك وإن كنت قد فوجئت بالتنفيذ (سعت ١٦٣٠) يوم ١٠/١٢ على أن يتم العبور ليلة ١٢/١٣، ولا شك أن صدور مثل هذا الأمر متأخرًا يؤثر تمامًا على استعداد الوحدات للقتال في اليوم التالي.

كان في الوقت الذى تيسر لنا نتيجة لتأجيل العبور للشرق - فرصة عظيمة لتقدير الموقف الإدارى والفنى بروية وإمعان في ضوء الموقف التكتيكي الحالى وما ينتظر أن يكون عليه من تطور، وفي ضوء ذلك وضعت خطة إدارية فتحت بمقتضاها مناطق تأمين إدارى في قطاعات الفرقة الثلاثة، وذلك بغرض تقديم المعاونة الإدارية والفنية للوحدات التى ستعبر للشرق.

لقد تم الفتح في مناطق القنطرة غرب، شمال الإسماعيلية، وجنوب الإسماعيلية، والشلوفة، لقد كان من المفروض أن نعتمد إداريًا وفنيًا عدا الإمداد بالصواريخ على مناطق الشئون الإدارية للجيش الميدانية، ولكن خوفًا من ابتعاد الوحدات عن مناطق إمدادها بالإضافة إلى تقديرنا لتطویر المعركة، وما ينتظر أن يتم فيها من معدلات تقدم عالية، وبالتالي الحاجة إلى الحفاظ على ديناميكية حائط الصواريخ أثناء المعركة - تواجدت هذه النقط الإدارية واحتوت كل نقطة على جميع احتياجات الوحدات من تعيينات، وقود تشغيل عربات ومعدات، مياه، ذخائر، صواريخ موجهة من الأنواع المختلفة بالإضافة إلى ورش متحركة لإصلاح المركبات والمدركات، كل ذلك بجانب

مجموعات المهندسين اللازمين لإصلاح المعدات الصاروخية ومنهم ما يلزمهم من مجموعات قطع الغيار لجميع أنواع الصواريخ لقد تواجد في النقطة الواحدة ما حمولته ١٠٩ أطنان من مختلف الأصناف عدا الصواريخ، ونظرًا لكبر عدد العربات في كل نقطة فقد كان من الضروري اختفاؤها وقد يسرت الأرض غرب القناة ذلك بسهولة، لقد أدى هذا الأسلوب خدمات ممتازة للوحدات خلال تواجدها في الشرق، واعتبر مثالا وأسلوبًا يجب العمل على اتباعه دائمًا بعد التخطيط السليم له، لقد مكن هذا الأسلوب من سرعة تلبية احتياجات الوحدات ولم يتم التقدم شرقًا أكثر مما حدث لكان نجاح هذا الأسلوب أمثل.

كان من الضروري العمل على إذكاء معنويات مقاتلي التشكيل ونحن على أبواب مرحلة جديدة من القتال، مرحلة تتسم بالعنف والشراسة، مرحلة تتميز بالديناميكية العالية وما تستلزمه هذه الديناميكية من شجاعة وعمل متواصل واندفاع لتحقيق المهام، وعلى ذلك أصدرت لهم توجيهًا أوضحته في مدى ما أحقوه من خسائر بالقوات الجوية الإسرائيلية بتدميرهم أكثر من ١٠٠ طائرة، وأنهم بذلك أحالوا أسطورة الذراع الطويلة لإسرائيل إلى خرافة، مطالبًا إياهم بالمزيد من الجهد والتضحية، فالتصر يستلزم الكثير من البذل والعطاء، وعليهم أن يبذلوا ولا يتوانوا في تحقيق المهام التي تطلب منهم. لقد كان هذا التوجيه نبراسًا وضعه جميع مقاتلي الفرقة أمامهم فلقد قاتل حائط الصواريخ منذ ذلك اليوم قتالًا عنيفًا في شكله، وفريدًا في نوعه، قاتل القوات الجوية الإسرائيلية والدعم الأمريكي بدأ يتقاطر عليها، وقاتل دبابات العدو وثبت وصمد في مواقعه أمام هجوم دبابات العدو وتقدر بالملئات غير عابئ بكل هذا بل متوثبًا لقتالها متشوقًا إلى البذل والعطاء.

كان صدور التعليمات بالعبور في مثل هذا الموقف يعتبر متأخرًا إذ لم يتبق من ساعات النهار إلا القليل، وقد سبب هذا التأخير بعض الارتباك المحدود لبعض القيادات في النواحي الإدارية سرعان ما تم التغلب عليه، ودارت عملية عبور كتائب الصواريخ للشرق في هدوء تام وفقًا للتخطيط الموضوع.

كان الغرض من عبور وحدات الصواريخ الموجهة إلى الشرق هو توفير الوقاية للقوات البرية أثناء تنفيذها لتطوير الهجوم شرقًا، ولضمان السيطرة على الوحدات في

الوثبة الأولى قررت أن يتحرك قادة اللواءات مع وحداتهم، وفي التوقيات المحدودة للعبور تواجدت الوحدات على المعابر المحددة لها، ولم يكن العبور أمراً سهلاً. ففي قطاع الجيش الثالث الميداني كان موقف المعابر شائكاً، فلقد صادف إقامتها في اليوم الثاني للقتال مشكلات عدة، أهمها طبيعة القناة وما يعترضها من مد وجزر في ذلك القطاع، كذلك مشكلة طبيعة التربة في هذا القطاع وأثر استخدام المياه عليها وتحويلها إلى مناطق مؤهلة، فلو أضفنا إلى ذلك تدرج الأرض كلما اتجهنا شرقاً، لوضح لنا كيف أن مدفعية العدو كانت مهيمنة تماماً على المعابر مما أدى إلى استمرار قصفها من وقت إلى آخر مما كان له أثر في عدم تنفيذ خطة العبور كما يجب، لقد كانت ميول المعابر في هذا القطاع حادة تماماً، وكان من الصعب على المعدات الصاروخية الثقيلة من عبورها دون مخاطرة؛ لذا تم تحسين هذه الميول وأسندت تلك المهمة إلى وحدات مهندسي الفرقة، أما في قطاع الجيش الثاني فلقد كانت المعابر في قطاع الفرقة ٢ مشاة والفرقة ١٦ مشاة لا تكتنفها مشكلات تذكر في حين تم العبور في قطاع الفرقة ١٨ مشاة في قطاع القنطرة على معديات حمولة ٩٦ طناً، وقد سبب نقص عدد المعديات عما هو مخطط للعبور بالإضافة إلى حجم وطول المعدات إلى مصاعب أدت إلى أن تستغرق الوحدات في هذا القطاع وقتاً كبيراً في العبور عما كان مقدراً فعبرت في ٨ ساعات بدلاً من أربعة لقد أدى التأخير في صدور التعليمات مع المصاعب التي قابلتها الوحدات في العبور إلى عدم استعداد الوحدات للقتال في الوقت المحدد لها، مما جعل عبء وقاية القوات تستمر قائمة على عاتق وحدات الصواريخ الموجودة غرب القناة، بل إن وقاية الكتائب الموجودة في الشرق ضد هجمات العدو الموجهة إليها كان أيضاً يقع على عاتق كتائب الغرب، وقد استمر كلا الواجبين قائمين نظراً لما تعرضت له بعض كتائب الشرق من قصف المدفعية المستمر عليها.

بدأت الوحدات تحركها من مواقعها، وفي (سعت ٢٠٠٠) اتصل بى قائد قوات الدفاع الجوي وعلم بما تم، وفي (سعت ٢٢٣٠) علمت قيادة الجيش الثاني بعبور الوحدات، وهنا علمت لخطورة العبور المبكر، وإن الوحدات ستكون عرضة لمدفعية العدو، وإن قيادة الجيش ترى أن موضوع بدء عملية التطوير للشرق باكر ١٠/١٣

يعتبر أمراً متعذراً، وأن الوقت المناسب لبدء التطوير لم يحن بعد، وإزاء هذه المعلومات بدأ القلق يساورني على الوحدات عند تواجدها في الشرق من مدفعية العدو، طالما أن عملية التطوير لم تتم. ولم يأت منتصف ليلة ١٢/١٣ أكتوبر إلا وكان أكثر من ٥٠٪ من الوحدات قد أتمت عبورها، إلا أنه في ضوء قرار تأجيل عملية التطوير ٢٤ ساعة أخرى الذي لم ننظر به بدأ الإرباك والارتباك، فبينما أتمت وحدات الصواريخ في قطاع الجيش الثالث الثاني عبورها عادت الوحدات التي عبرت في قطاع الجيش الثالث إلى غرب القناة مرة ثانية، وفي (سعت ٤٣٠) يوم ١٣ أكتوبر أى بعد ثلاث ساعات من قرار تأجيل تطوير الهجوم، اتصل بي قائد الدفاع الجوي ثانية مستفسراً عن موقف الوحدات، وبعد توضيح الموقف طلب عودة الوحدات للغرب ثانية ولكن كان هناك استحالة لتنفيذ ذلك، حيث إن بعضها جارى احتلاله لمواقع في حين أن بعضها الآخر في طريقه من المعابر إلى مواقعه؛ والبعض الآخر على وشك الانتهاء من العبور.

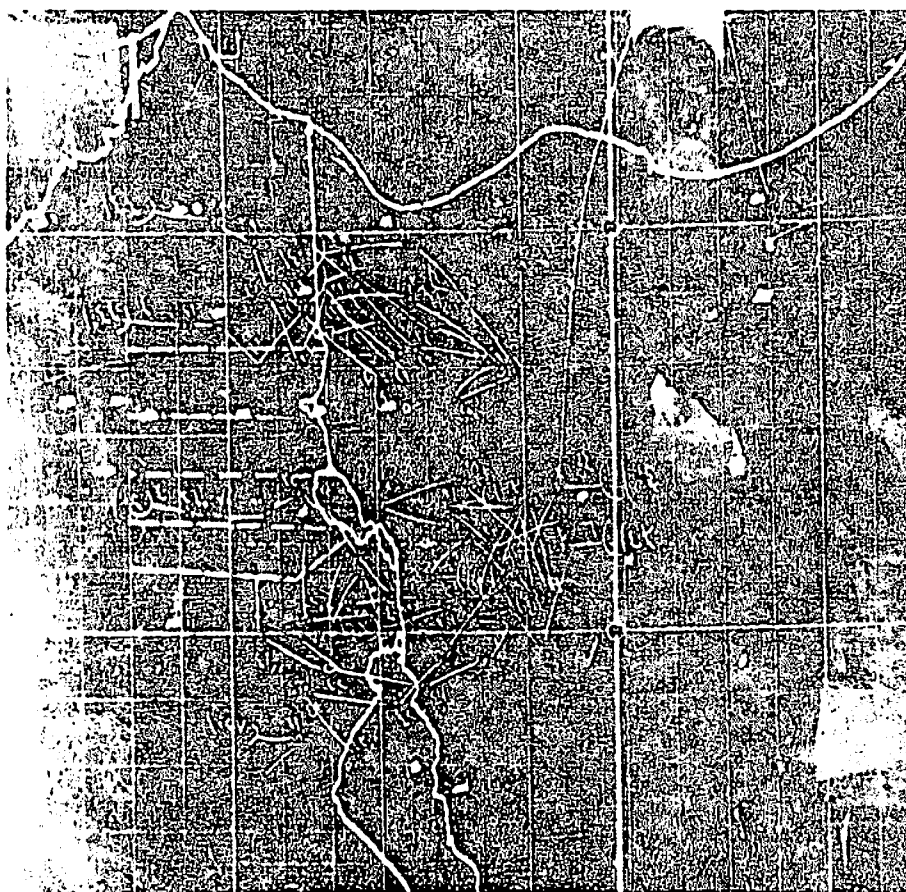
لقد كانت نتيجة العبور المبكر قبل بدء تطوير الهجوم هي وقوع الوحدات التي عبرت تحت قصف مركز لمدفعية العدو خلال يوم ١٣/١٠ وقد أدى ضعف التجهيز الهندسى الميدانى المقام شرقاً إلى أن بدأت الخسائر في الأفراد والمعدات تتوالى. ففى بعض القطاعات أدى القصف إلى تأخير استعداد الوحدات للقتال نحو سبع ساعات في حين أدى القصف في قطاعات أخرى إلى إصابة بعض المعدات مما أدى إلى عدم إمكان استعداد الوحدات إلا بعد توفير معدات جديدة أو القيام بإصلاح يحتاج إلى وقت طويل لا يتيسر إتمامه تحت قصف مدفعية العدو إلا بصعوبة بالغة، وعلى ذلك لم يكن منتظراً أن تزيد نسبة الوحدات القادرة على القتال مع العدو عن ٥٠٪ من الوحدات التي عبرت إلى الشرق.

وفي يوم ١٣ أكتوبر أصدرت الأوامر مرة أخرى للوحدات المحددة بالعبور في قطاع الجيش الثالث الميدانى بمعاودة العبور، ولم تأت ليلة ١٣/١٤ أكتوبر حتى كانت جميع الوحدات متحركة في اتجاه القناة، وكلها عزم وتصميم على تعويض ما فاتها من قتال العدو في اليوم السابق، ذلك القتال الذى كانت في شوق إليه.

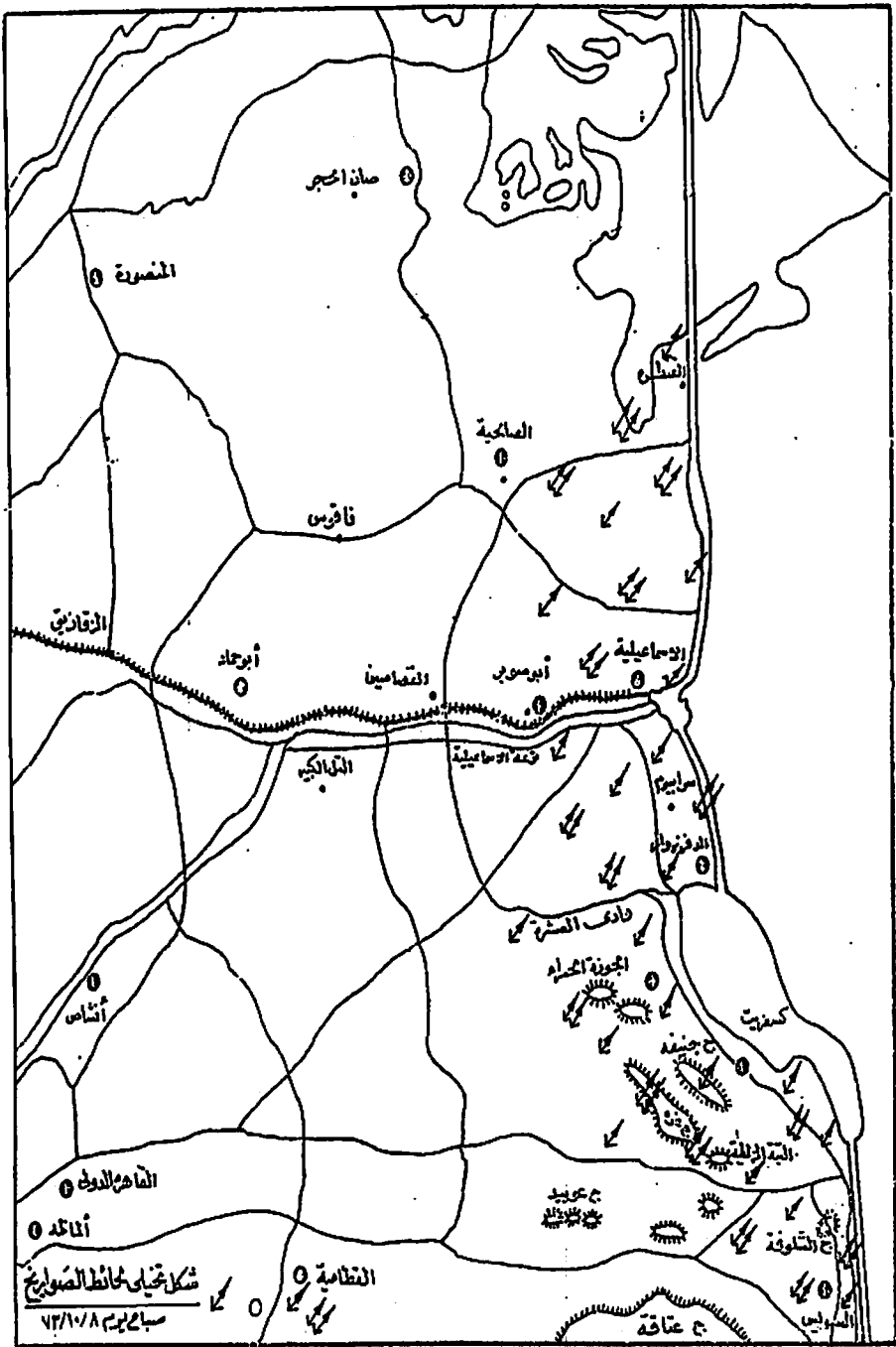
إحجام القوات الجوية الإسرائيلية عن القتال

وجهت القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال يوم ١٢ أكتوبر ٨١٦ طلعة / طائرة منها ٥٥٤ طلعة / طائرة نهارًا، ويعتبر هذا المجهود أقل مجهود وجهته القوات الجوية الإسرائيلية منذ بدء القتال، كما كان أقل مجهود جوى نهاري قام به العدو حتى الآن، بل أقل مجهود جوى نهاري قام به حتى وقف إطلاق النار في ٢٢ / ١٠ / ٧٣ وفقًا لقرار مجلس الأمن وحتى وقف إطلاق النار الفعلي يوم ٢٥ / ١٠ / ٧٣، ولكن ما هي الأسباب التي تكمن وراء هذا الضعف النسبي في عدد الطلعات بالإضافة إلى ابتعادها كاليومين السابقين عن الدخول في مناطق الصواريخ مؤثرة السلامة ومحقة أقل الخسائر، وتاركة القوات البرية الإسرائيلية تحت رحمة قواتنا سواء البرية أو الجوية لتتال منها القصاص جزاء عادلا للخطرة والزهو الإسرائيلي إن أسباب الضعف النسبي في مجهود القوات الجوية الإسرائيلية إنما يرجع إلى عوامل عدة أهمها العقيدة العسكرية الإسرائيلية، ونتائج قتال الأيام السابقة، والموقف العسكري السائد على كلتا جبهتي القتال - القناة والجولان.

فمن ناحية العقيدة العسكرية تعتنق إسرائيل أسلوب الحرب الخاطفة، ذلك النوع من الحرب الذي يهدف إلى القيام بعملية الاختراق والتطويق والنفذ بسرعة في العدو، ومثل هذا النوع من الحرب يتوقف نجاحه على عاملين أساسيين : الأول استخدام الطائرة والدبابات في حشد كبير لضمان النجاح - هذا من ناحية أداة الحرب، أما الثاني فهو الحاجة إلى إنهاء الحرب في فترة زمنية قصيرة، وكما قدرتها إسرائيل بمدة لا تزيد عن أسبوع، فمن ناحية أداة الحرب التي تعتمد عليها لتحقيق عقيدتها عجزت القوات الإسرائيلية الجوية عن أداء دورها، أو بمعنى أصح أصبح التفوق الجوى الإسرائيلي - الذي كان حقيقة مسلمًا بها من وجهة نظر إسرائيل - غير ذي موضوع، وذلك راجع إلى القتال الرائع الذي قام به حائط الصواريخ ضد القوات الجوية الإسرائيلية منذ الساعات الأولى، والتي أدت خلال اليوم الأول إلى إفقاد العدو اترانه وفقدته الثقة في قواته الجوية، وتوالى خسائره بمعدلات عالية خلال قتال الأيام التالية والتي وصلت حتى الآن أكثر من ١٠٠ طائرة مؤكدة، لقد كان معنى هذه الخسائر هو تدمير ما يقرب من ربع



القوات الجوية المصرية تهاجم مطاري المليز وتمادا وطائرات العدو تتحرك شرقاً بعيداً عنها وفقاً
لأوامر مركز قيادة القوات الجوية. وذلك يوم ١٢ / ١٠ / ١٩٧٣



القوات الجوية الإسرائيلية، فكيف تدفع إسرائيل بقواتها الجوية بعد ذلك وقد تدمر لها ما يقرب من ربعها، لقد تعالت صيحات المسئولين الإسرائيليين منذ يوم ٨ أكتوبر إزاء خسائرهم المتزايدة يوميًا بعد يوم، وقد كانت الطائرات من أنواع فانتوم وسكاى هوك على قمة طلباتهم العاجلة من الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أن عدم الاستجابة السريعة من جانب الولايات المتحدة الأمريكية لا ستعواض هذه الخسائر ألجأ القيادة الإسرائيلية إلى عدم الزج بقواتها الجوية في المعركة بالكثافة المطلوبة، ولكن نظرًا لما للقوات الجوية الإسرائيلية من أثر على معنويات جيش الدفاع ذلك الجيش الذى بنى زهمه و صلفه على أن طياريه قادرون على الإتيان بالخوارق هو الذى أدى إلى القيام ببعض الهجمات المحدودة لمعاونة قواته في المعركة.

حقيقة لقد قام العدو بتوجيه جزء كبير من مجهود قواته الجوية إلى الجبهة السورية لمعاونة قواته البرية خلال هجومه العام الذى قام به ضد القوات السورية في هضبة الجولان، ولكن المتبع لأعمال قتال القوات الجوية الإسرائيلية اعتبارًا من يوم ١٠ / ١١ مع الإلمام بخواص طائراته وقدراتها على المناورة نجد أن العدو بدأ يستخدم طائرات بطيئة من أنواع مستير وفوجا ماجستر اعتبارًا من ذلك اليوم، وبالتأكيد لم يلجأ العدو لاستخدام نوعيات مختلفة في عملياته الجوية إلا تعويضًا لخسائره الفادحة، وهذا هو السبب في عدم دفعه لقواته الجوية بصورة جديدة يوم ١٠ / ١٠ والأيام التالية لمعاونة قواته البرية حفاظًا على البقية الباقية من القوات الجوية الإسرائيلية، خاصة أن تقديرات القيادة الإسرائيلية فيما يخص بإنهاء الحرب في فترة زمنية لا تزيد عن أسبوع بدء الحرب ولم يتم حسمها، واحتمالات النجاح المصرى قائمة بعد أن ثبتت أوضاع رءوس الكبارى وتم دعمها بالأسلحة المختلفة، وبعد أن تواجدت في شرق القناة عدة مئات من الدبابات وعشرات الآلاف من المقاتلين، وظهرت مفاجآت الحرب والتي تمثلت في الصواريخ الموجهة أرض - جو والصواريخ المضادة للدبابات، كل ذلك قلب حسابات القيادة العسكرية الإسرائيلية من ناحية فترة إنهاء الحرب رأسًا على عقب، وأصبح من الضروري الاقتصاد في القوات استعدادًا لمراحل القتال القادمة، ولا شك أن مفاجأة

نجاح القوات المصرية في عبورها وفي قتلها أوفى تدميرها للعديد من الطائرات والدبابات أحال نظرية الأمن الإسرائيلي إلى مجرد ألفاظ جوفاء، وأصبحت إسرائيل تواجه خطرًا يديق أبوابها لأول مرة منذ نشأتها.

لقد تميز من مجهود العدو خلال هذا اليوم قيامه بثلاث هجمات جوية مركزة تمت الهجمة الأولى قرابة (سعت ٧٢٠) بقوة ٤٦ - ٥٠ طلعة / طائرة، خص قطاع الجيش الثالث ٥٠٪ منها، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة (سعت ١٠٢٠) بقوة ٤٢ - ٤٨ طلعة / طائرة وزعها العدو بالتساوى على كل من قطاع الجيش الثالث الميداني وقطاع الجيش الثاني شمال الأوسط من الجبهة، أما الهجمة الثالثة فتمت قرابة (سعت ١٥٣٠) بقوة ٣٠ - ٣٢ طلعة / طائرة موزعة بالتساوى على كل من القطاع الأوسط والجنوبى من الجبهة، أما بالنسبة إلى محور سدر فلقد ركز العدو هجومه عليه لليوم الثالث على التوالي، وكان علينا أن نتبع معه نفس الأسلوب لإبعاد تأثيره على تقدم القوات.

قاتل حائط الصواريخ خلال هذا اليوم بنجاح وتمكن من إسقاط عشر طائرات للعدو ٦ منها مؤكدة، وفي الوقت الذى كانت تعبر فيه الوحدات للشرق كانت هناك بعض الوحدات الأخرى التى تقوم بالمناورة الداخلية لإكساب تشكيل القتال قوة وتماسكًا أكبر، ولخداع العدو عن التحركات التى تجرى مع الاستعداد لأى تحركات جديدة للشرق قد يستلزمها الموقف، ومن المفارقات العجيبة أنه فى الوقت الذى كنا نعبر فيه للشرق كانت جولد مائير رئيسة وزراء إسرائيل فى ذلك الوقت تعلن على الشعب الإسرائيلى بأنه قد تم القضاء على حائط الصواريخ المصرى.

بدأ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية بزيادة محسوسة اعتبارًا من يوم ١٣ أكتوبر، ولا شك أن ذلك كان راجعًا إلى عاملين أولهما وصول الدعم الأمريكى الذى تقرر يوم ١٠ أكتوبر والذى أعلن عنه رئيس أركان القوات الجوية الأمريكية الجنرال جورج براون فيما بعد من أن الطيارين الأمريكيين توجهوا بطائراتهم الفانتوم إلى مطارات إسرائيل بدون توقف خلال ساعات من القرار الأمريكى لتعويض إسرائيل عن خسائرها، إذ لا يمكن أن يتم إقدام القيادة الإسرائيلية على زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية على جبهة القناة إلا إذا كانت قد ضمنت مزيدًا من الدعم الأمريكى

يعوضها عن أى خسائر متوقعة، أما ثانيهما فإن نجاح الهجوم الإسرائيلي الجوى فى الجولان يسر تخفيف المجهود الجوى ونقله إلى جبهة القناة. لقد بلغ المجهود الجوى الذى وجهه العدو إلى جبهة القتال فى ذلك اليوم ١٠٨١ طلعة / طائرة أى بزيادة ٢٦٥ طلعة / طائرة منها ٦٢٨ طلعة / طائرة نهارًا وبرغم زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية الذى يعتبر مرتفعًا نسبيًا فإنها لم تحاول دخول مناطق تدمير الصواريخ، خاصة أنها عرفت عن طريق الاستطلاع الجوى والأرضى بعبور وحدات الصواريخ إلى الشرق؛ لذا أثرت الطائرات الإسرائيلية السلامة كالمعتاد، ومحاولة الطيران فوق القوات الإسرائيلية فى مواقعها الدفاعية وأماكن تجمعها لرفع معنوياتها.

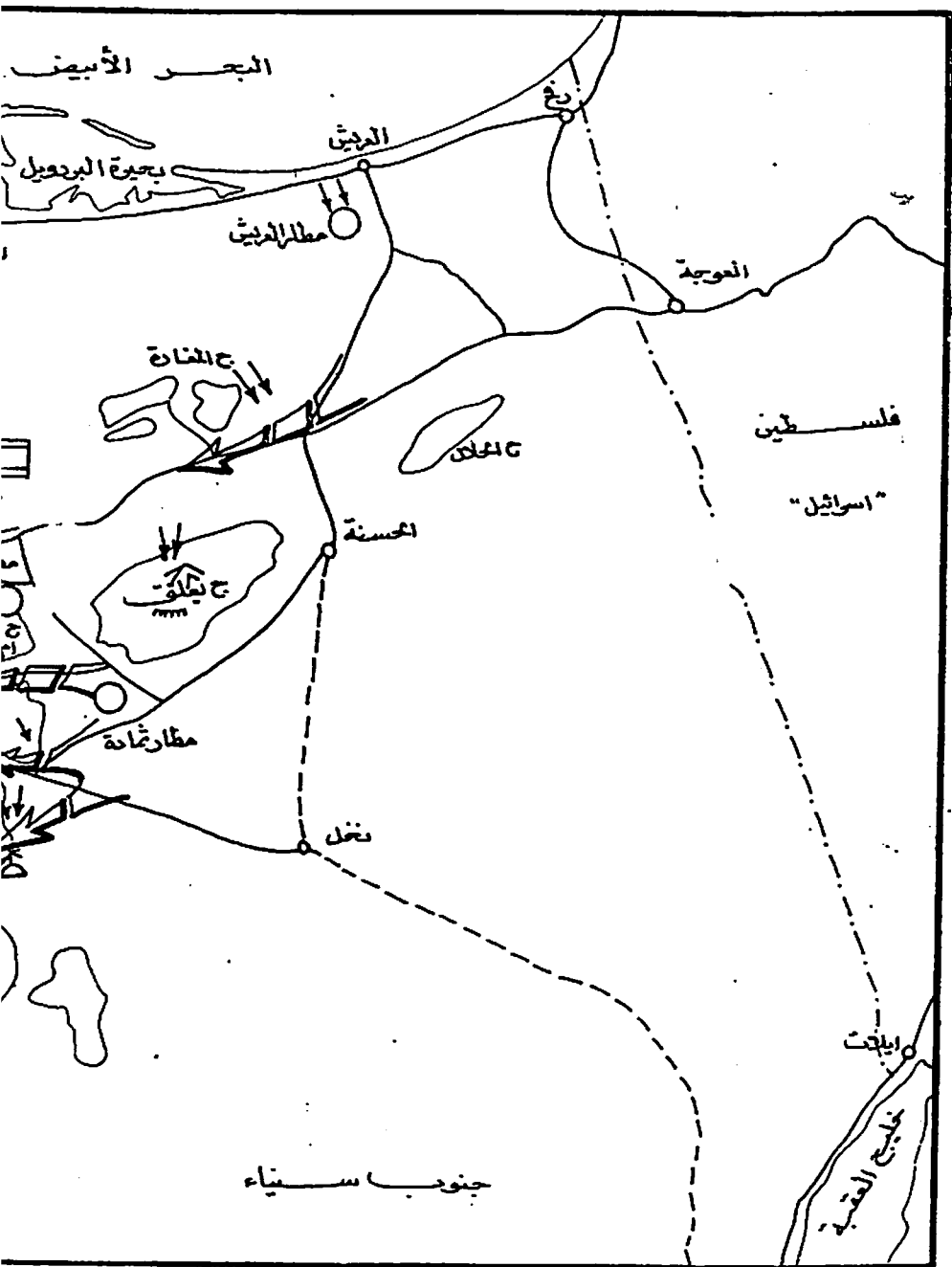
لقد كان هذا اليوم هو اليوم الثامن للقتال مع العدو، وكان الإرهاق بطياريه قد وصل إلى الذروة وجعلهم يمتنعون عن القيام بالطلعات المطلوبة منهم نظرًا لما أصابهم من الإرهاق، لقد تمكنت وحدات استطلاعنا الإلكترونية من التقاط ما يوضح ذلك من رفض الطيارين للطيران وطلبهم تأجيل الطلعات إلى يوم ١٤ أكتوبر وما ذلك إلا للإجهاد الذى أصاب الطيارين من كثرة عدد الطلعات التى قاموا بها خلال الأيام الماضية، ويعتبر ذلك متماشياً مع القاعدة العالمية من عدم قدرة الطيارين على إتمام طلعات أكثر من المعدل العادى بعد سبعة أيام من القتال دون الحصول على قدر من الراحة الإجبارية لتعويضهم عن الإرهاق الذى يعتريهم.

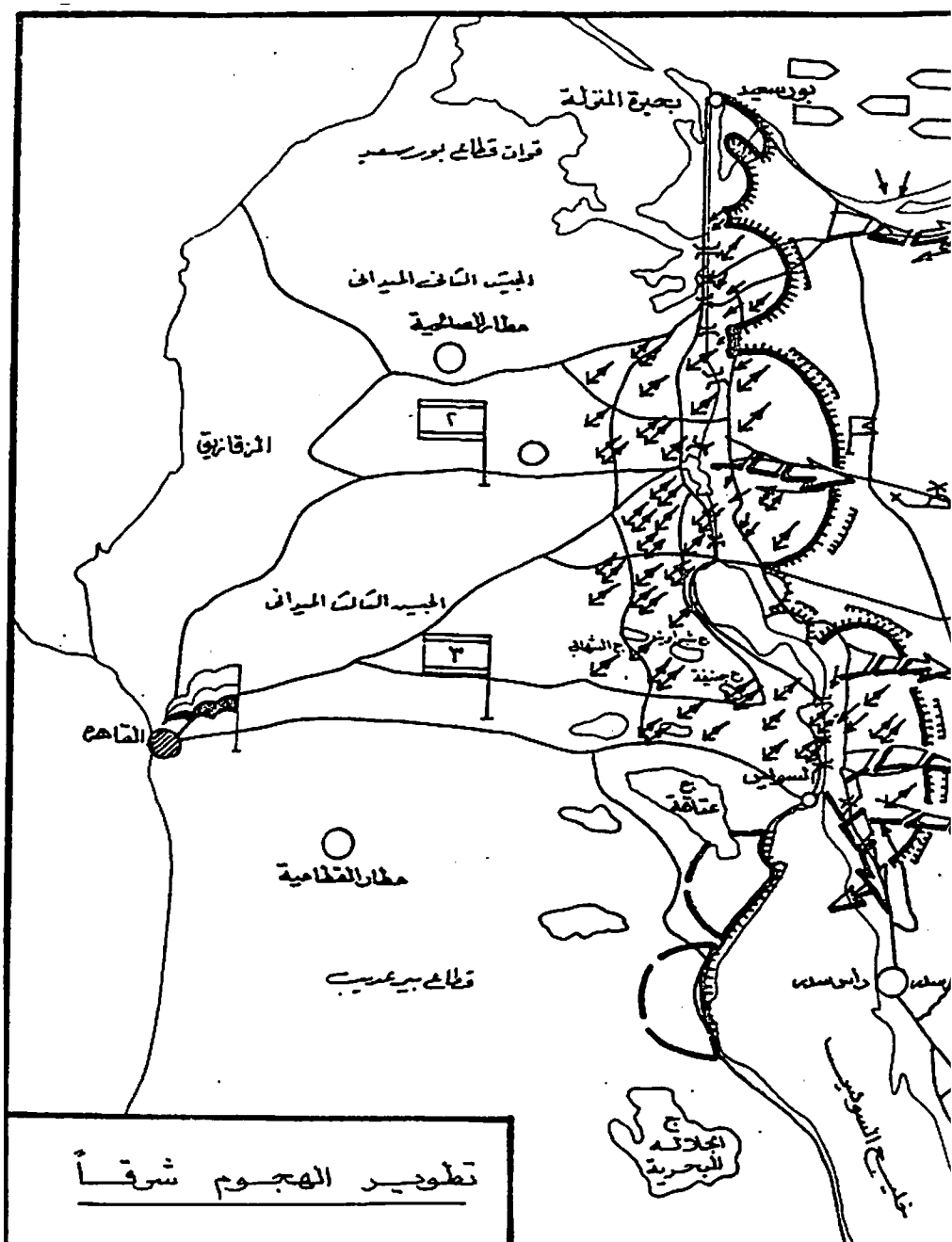
لقد تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم أربع هجمات جوية مركزة: الأولى تمّت (سعت ٥٣٠) لمدة ربع ساعة بقوة ٢٠ طلعة / طائرة على كل من القطاع الأوسط والجنوبى، أما الثانية فتمّت قرابة (سعت ٠٧٢٠) بقوة ٢٠ طلعة / طائرة على كل من القطاع الأوسط والشمالى، أما الثالثة فتمّت حوالى (سعت ١٢١٠) على القطاع الشمالى والجنوبى بنفس العدد من الطائرات على كل منهما إما الهجوم الرابعة المركزة والأخيرة فقد تمّت (سعت ١٣٤٥) على القطاع الشمالى ولمدة ربع ساعة بقوة ٣٠ طلعة / طائرة. لقد نشطت القوات الجوية الإسرائيلية منذ الصباح فى القيام بالاستطلاع فبلغت طلعات استطلاعها منذ الصباح حتى (سعت

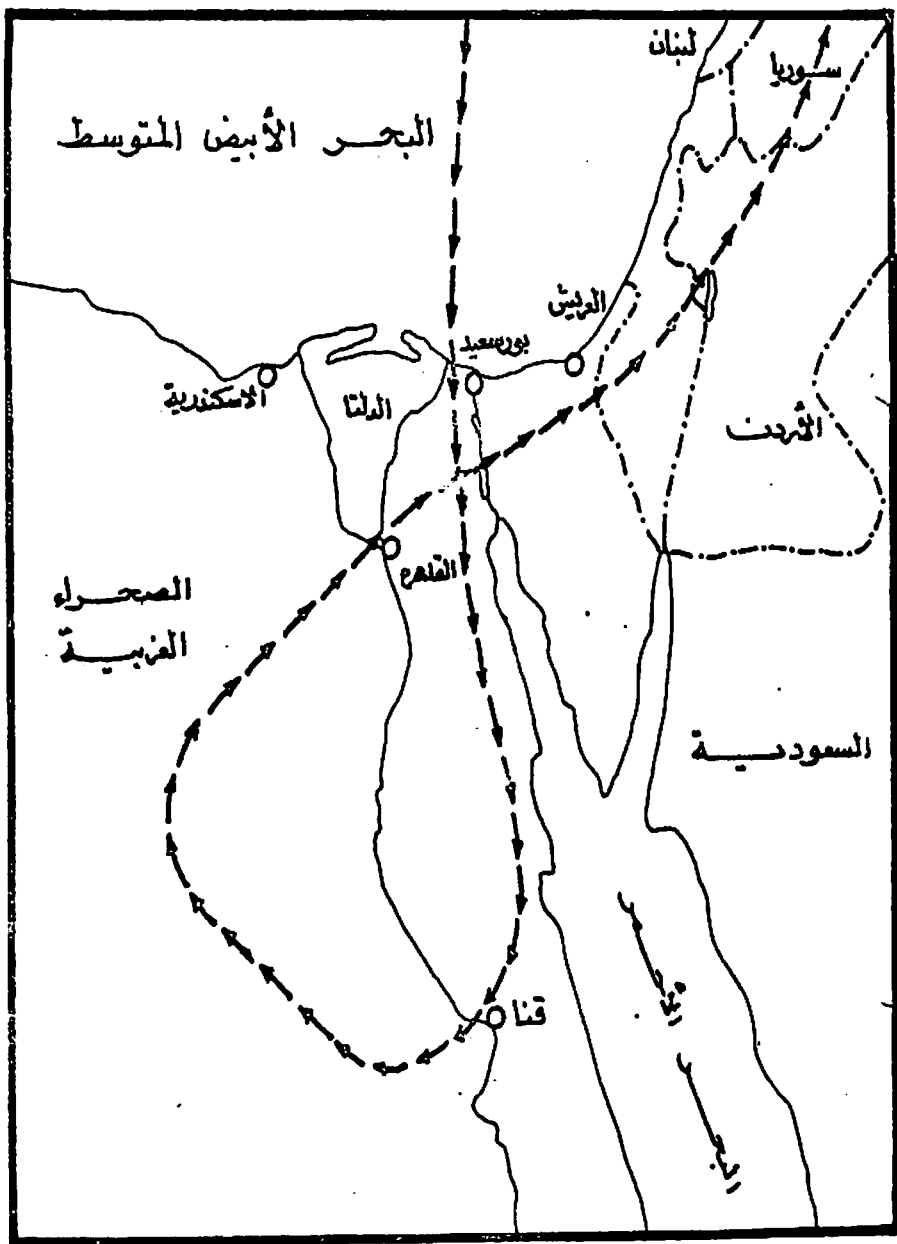
١٣١٠) ثلاث طلعات استطلاع، ولا شك أن هذه الطلعات يسرت للعدو معرفة أوضاع وحدات الصواريخ في الشرق، مما جعله يحجم ويتعد عن مناطق تدمير الصواريخ. أما من ناحية النشاط الليلي للعدو فلم يغير العدو من أسلوبه في استخدام الطلعات الفردية والهجمات المحدودة، لذا كانت غير مؤثرة هي الأخرى مثل ما كانت عليه الطلعات النهارية، فالطياريون الإسرائيليون حتى الآن في خوف ورعب من حائط الصواريخ الذي أذاقهم الأمرين في الأيام الأولى للقتال. قاتلت الوحدات التي عبرت إلى الشرق القوات الجوية الإسرائيلية بكفاءة محدودة لا تتماثل مع قتالها وهي في الغرب، ويرجع ذلك إلى أن استعداد الوحدات الناتج أساساً من صلاحية وسلامة المعدات تمكن العدو من التأثير عليه بواسطة مدفعية بعيدة المدى.

الاستطلاع الأمريكي المفاجئ

في سعت (١٣٠٤) يوم ١٣ / ١٠ اقتربت طائرة مجهولة الجنسية تطير بسرعة عالية جداً بلغت ٥٠ كم في الدقيقة وعلى ارتفاع ٢٠ كم، وذلك من شمال غرب بور سعيد، وكان خط سيرها يحاذي القناة ويتعد عنها غرباً بمسافة تتراوح بين ١٠-١٥ كم، ثم ما لبثت أن اقتربت من وحدات حائط الصواريخ في القطاع الشمالي وزادت من ارتفاعها إلى أن وصل الارتفاع الذي تطير عليه إلى ٢٦ كم، لقد كان هذا الهدف عجيبيًا وخيفًا، لقد حاولت الوحدات الاشتباك معها إلا أن المفاجأة في اقترابها بالإضافة إلى سرعتها وارتفاعها حال دون ذلك، لقد استمرت هذه الطائرة في طيرانها بهذه السرعة وعلى ذلك الارتفاع حتى وصلت إلى غرب مدينة السويس ثم تابعت طيرانها جنوباً بمحاذاة خليج السويس إلى مصر الوسطى، فالقاهرة، ثم إلى سيناء، فإسرائيل، وكانت هذه أول مرة تطير فيها هذه الطائرة في سماء منطقة الشرق الأوسط ومن دراسة خصائصها اتضح أنها طائرة استطلاع من نوع SR-٧١ ولا احتمال تكرار هذه الظاهرة بدأننا نفكر في الأسلوب الأمثل للتعامل مع مثل هذا النوع من الطائرات.







← مسار طائرة الاستطلاع الأمريكية من طراز SR-71A

تطوير الهجوم

مع فجر يوم ١٤ أكتوبر بدأت القوات المصرية عملية تطوير الهجوم شرقاً بغرض تحقيق مهمة الاستيلاء على منطقة المضائق، وكانت مهمة اليوم الأول للقوات القائمة بعملية التطوير محددة بالاستيلاء على الطريق العرضي رقم ٢ والممتد من رأس سدر جنوباً حتى بالوطة شمالاً ماراً بالطاسة على طريق الإسماعيلية - العوجة، ذلك الطريق الذى يمتد شرق القناة بنحو ٣٠ كم، وفى سبيل ذلك اندفعت عدة لواءات : لواء مدرع فى اتجاه مضيق مقل، ولواء مشاة ميكانيكى فى اتجاه مضيق الجدى، ولواء مدرع وآخر ميكانيكى فى اتجاه طريق الإسماعيلية - العوجة، ولواء مدرع فى اتجاه بالوطة على الطريق الشمالى.

كان توقعى أن تزيد القوات الجوية الإسرائيلية من مجهودها خلال هذا اليوم زيادة كبيرة، وكان علينا إزاء هذا التوقع أن نراقب الموقف الجوى بكل دقة، وأن نعمل على تدمير أى طائرة للعدو تدخل مناطق الصواريخ وألا نيسر له حرية العمل فوق سماء المعركة الدائرة فى الشرق، واضعين فى الاعتبار تقبل بعض الخسائر فى الأفراد والمعدات من مدفعية العدو. ومع بزوغ فجر يوم ١٤ / ١٠ بدأ العدو يدفع بقواته الجوية إلى المعركة بكثافة أكبر من اليوم السابق، وإزاء ذلك بدأت الوحدات فى الاشتباك مع العدو، وقد حالت بعض الصعاب فى قطاع الجيش الثالث من التعرف على موقف الوحدات فى حين كانت بعض الوحدات الموجودة فى قطاع الجيش الثانى قائمة بالاشتباك بنجاح، والبعض الآخر حال قصف مدفعية العدو عليها من إمكان القيام بأى اشتباك، وقد كان ذلك بالنسبة لى خسارة كبيرة، فخيرة كتائب الصواريخ هى التى دفعت للشرق لتتمكن من سحق العدو، ولتعمل كقاعدة وطيدة مع استمرار العملية الهجومية، وللتواجد خلال تقدمها للأمام خلف القوات فى المواقف التكتيكية الحاسمة لتؤدى دورها بكل جسارة وقدرة.

لقد لوحظ فى هجمات العدو التى تمت خلال الساعات الأولى من النهار تركيز العدو على القوات القائمة بتطوير الهجوم على محورى سدر ومتلا، مما استلزم العمل على سرعة السيطرة على الوحدات الموجودة فى قطاع الجيش الثالث للتعرف على موقفها،

واستخدامها في القتال بالأسلوب الأمثل أو إيجاد البدائل من وحدات الغرب للتعامل مع العدو، وفعلًا تم تخصيص المهام لوحدة الصواريخ غرب القناة بتغيير أسلوب اشتباكها مع العدو بما يحقق تدمير طائرات العدو ويوفر الوقاية لكتائب الصواريخ الموجودة شرقًا من أى هجوم جوى يقع عليها، وفعلًا نجح أسلوبنا فدمرنا طائرات العدو ولم يتمكن من الاقتراب من أية كتيبة صواريخ حتى المتوقف منها عن العمل.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم ١٠٩٢ طلعة / طائرة، منها ٨١٥ طلعة / طائرة خلال النهار، ومن هذا نلمس زيادة محسوسة في مجهود العدو عن اليوم السابق، كما أن مجهوده النهاري عاد إلى الزيادة بعد أن انحسر منذ يوم ١١ / ١٠ ولا شك أن ذلك وضع طبيعى ومنتظر؛ لأن نجاح عملية تطوير الهجوم شرقًا وتحقيق المزيد من الأرض المكتسبة يؤدى إلى تحطيم الجيش الإسرائيلى بالإضافة إلى أن الدعم الأمريكى الذى بدأ كقطرة بدأ يفهم، وكان لابد ما دفعه في المعركة لإيقاف هزيمة الجيش الأمريكى تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٤ / ١٠. قيامه بهجمتين جويتين مركبتين تمت قرابة (سعت ٧٢٠) بواسطة ٦٠ طلعة، طائرة على قطاعات الجبلية الثلاثة، خص القطاع الشمالى منها ٢٦ طلعة / طائرة، والقطاع الأوسط ١٦ طلعة / طائرة، والقطاع الجنوبي ١٨ طلعة / طائرة، منها ٣٢ طلعة طائرة على القطاع الجنوبي، بقوة وجهه العدو إلى قوات الفرقة ١٦ مشاة الموجودة شرق الدفرسوار أما محور العمليات الممتد تجاه خليج السويس في اتجاه رأس سدر فقد استحوذ على اهتمام العدو نظرًا لأهميته التعبوية إذ إن النجاح فيه يعرض الجنب الأيسر للقوات الإسرائيلية لأى عمليات التفاف، كما يؤدى إلى تحرير جنوب سيناء كلها ويسر استرداد حقول البترول في سدر وأبى رديس مما جعل العدو ويوجه للقوات البرية التى كانت تعمل على هذا المحور مجهودًا كبيرًا خلال هذا اليوم، إلا ان الرائد نادر تمكن من حرمان العدو بما كان يبغيه ودمر له عدة طائرات على هذا الاتجاه.

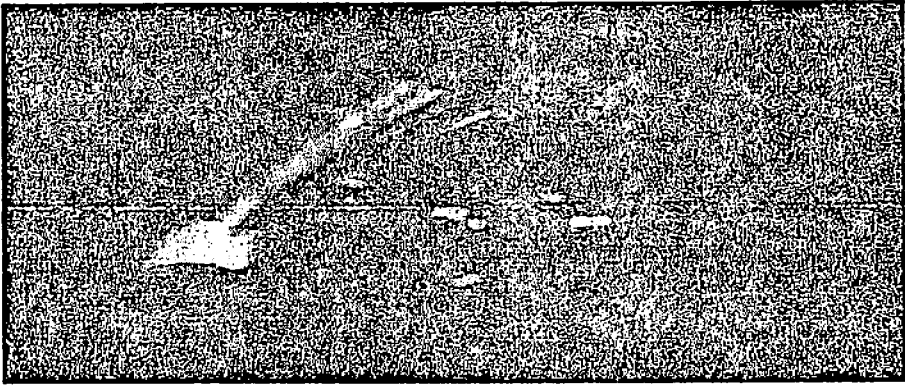
لقد حاول العدو (سعت ٧٠٠) يوم ١٤ / ١٠ القيام بهجوم جوى على حائط الصواريخ بغرض استنزاف حائط الصواريخ بتدمير أكبر عدد ممكن من كتائب الصواريخ حتى يوقف وقايتة للقوات القائمة بتطوير الهجوم، وتحقيقًا لذلك وجه مجهوده الجوى في

اتجاه الجنب الأيمن لحائط الصواريخ في المنطقة بين السويس والشلوفة، وذلك بقوة ١٦ طائرة، وكذا في اتجاه القطاع الأوسط ما بين الدفرسوار والإسماعيلية بقوة ٢٠ طائرة، مدعماً هجومه الجوي بالمدفعية بعيدة المدى، وفعلاً تمكن العدو من النجاح المحدود، وذلك بإصابة بعض هوائيات الكتائب وذلك بواسطة المدفعية، كما تمكن من إيقاف بعض الكتائب الموجودة في الشرق عن الاشتباك لمدة محدودة، أما هجوم العدو الجوي فلقد أمكن صدّه ولم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من مهاجمة أية كتيبة صواريخ أو إلحاق أى إصابات بها وإنما نجحت في إصابة أحد مواقع الحرب الإلكترونية التي تعمل معنا، تلك العناصر التي أعاق عمل القوات الجوية الإسرائيلية وجعلت من الصعب عليها إصابة أهدافها.

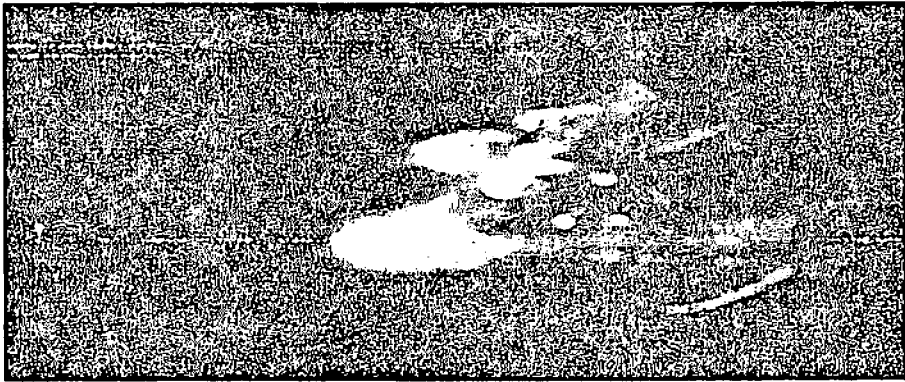
لقد استخدم العدو في هجومه هذا كل ما يمتلك من أسلحة وما يجيد من أساليب، فلقد استخدم الإعاقة الرادارية بشدة كالمعتاد، وقد كان للمحطات الأرضية العديدة التي أنشأها العدو - سواء الثابتة - أو المتحركة، وخصوصاً الموجودة في أم خشيب ويعلق - أثر كبير على جميع الوحدات بالإضافة إلى أسلحة الحمد كالشرايك، كما غير العدو من أسلوبه في مهاجمة كتائب الصواريخ، فبدلاً من مهاجمة الكتيبة الواحدة بأربع طائرات بدأ بتخصيص أضعاف هذا العدد وبرغم كل ذلك لم تجد محاولات العدو، ويكفى أن نعلم أن كتيبة واحدة خلال قتال ساعات الصباح الأولى وبالتحديد من (سعت ٧٠٠) إلى (سعت ١٠٠٠) تمكنت من تدمير ثمانى طائرات للعدو برغم هذه الظروف ولم تصب إلا ببعض الشظايا في هوائيات رادار التوجيه، ولم تكن هذه الكتيبة سوى كتيبة الرائد نادر التي أحالت منطقة جبل الراحة إلى جحيم للقوات الجوية الإسرائيلية.

بدأ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية في الانحسار تماماً بعد الظهر، وكان هذا الأمر في حد ذاته غريباً وفي ضوء احتياجات معركة التطوير للشرق بدأت قواتنا الجوية في تقديم معاونتها لقواتنا البرية، وكانت في أدائها لمهمتها تصول وتجول فوق أغراضها دون معارضة من قوات العدو الجوية، بل إن قيادة القوات الجوية الإسرائيلية أعطت من التعليمات لطائراتها فوق سيناء ما يقضى بعدم التعرض لطائراتنا المهاجمة مطالبة إياها بالتواجد شرق العريش.

ضعف نشاط القوات الجوية الإسرائيلية ليلاً كالمعتاد، واقتصرت على مهاجمة القوات المتقدمة بطائرات فردية باستخدام المشاعل، إلا أنه لوحظ خلال هذه الليلة نشاط زائد للطائرات الهليكوبتر، وذلك في المنطقة الواقعة شرق البحيرات وشرق طوسون، ولكنه كان خارج مدى الصواريخ، وكان هذا النشاط مثار تساؤل كثير، ولكن بدأ يتضح فيما بعد، فلم يكن ذلك إلا إعداد للهجوم المضاد العام الذي كان يعد العدو له ويتنظر الوقت المناسب لتنفيذه - ذلك الهجوم الذي أدى في النهاية إلى عبور العدو إلى غرب القناة.



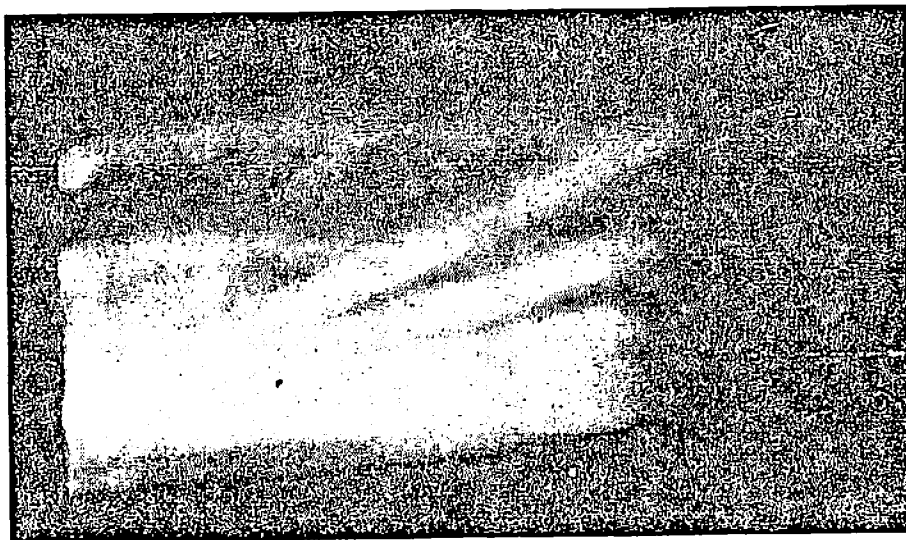
تداخل سلبي وإيجابي بالشوشرة خفيف على جهاز رادار



تداخل بالشوشرة ضعيف وتداخل سلبي قوي تظهر كراته على جهاز رادار



إعاقة ضوئية شديدة موجهة من محطات أرضية ومن طائرات استطلاع،
الطائرات لا ترى إلا في القطاع الخالي فقط



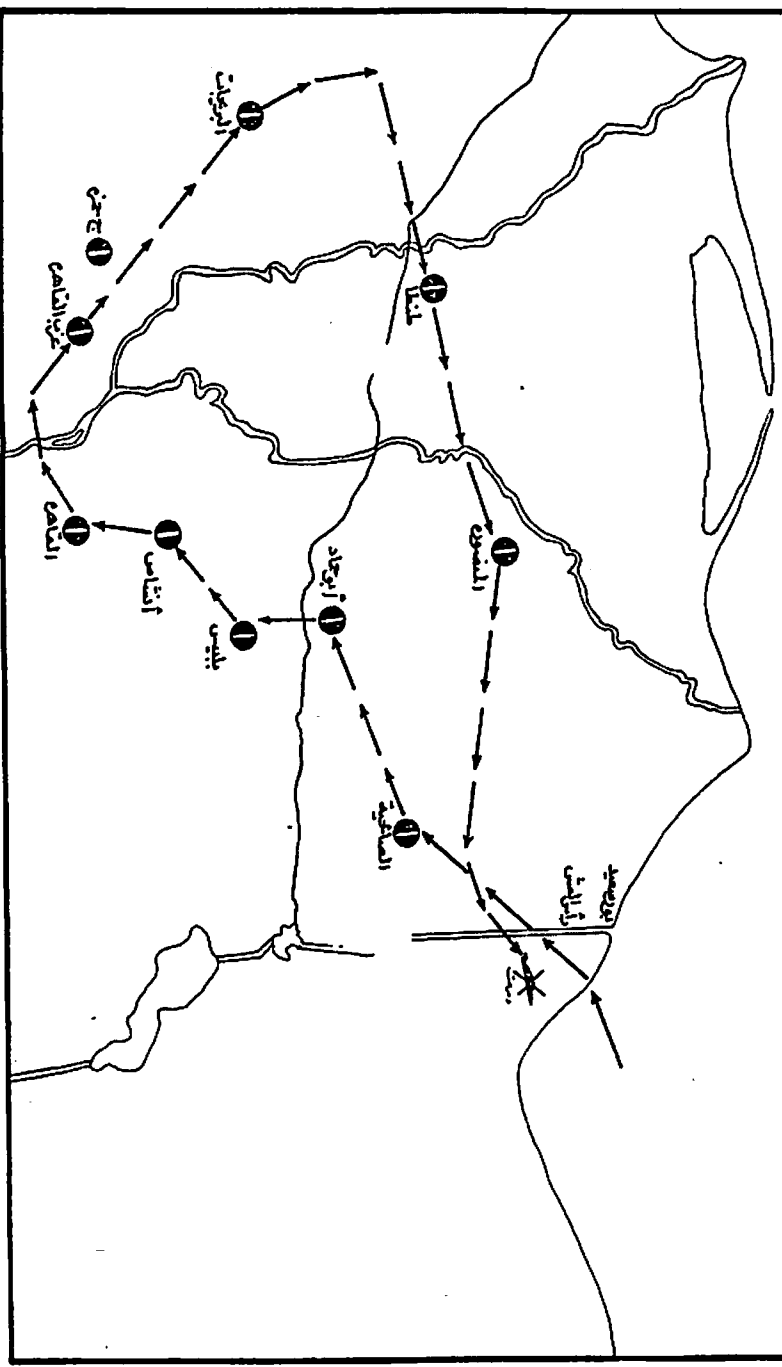
تداخل بالشوشرة شديد على رادار قياس الارتفاعات

استمرت القوات الجوية الإسرائيلية على نشاطها الاستطلاعى الزائد، وقد تم هذا الاستطلاع على ارتفاعات عالية تتراوح بين ١١-١٤ كم وغطى به العدو مواجهة القناة كلها هادفاً من ورائه إلى تحديد الأغراض المراد مهاجمتها والتعرف على نتائج هجماته أو يتخذها ستاراً يخفى نواياه في توجيه هجماته بأسلحة الحمد أو تخفى تحتها طائراته المتسللة على ارتفاعات منخفضة جداً لمهاجمة أهدافها، إلا أن وحدات الصواريخ لم تتمكن لأى أسلوب من هذه الأساليب من النجاح، وقد كان ما حدث يوم ١٣/١٠ درساً لا بد أن نعيه وأن نوضح الأساليب الفنية والتكتيكية الواجب اتباعها لتلافى الإصابة بأسلحة الحمد.

الاستطلاع الجريء والانتقام السريع

قامت القوات الجوية الإسرائيلية بأهم وأخطر عملية استطلاع قامت بها خلال حرب أكتوبر كلها، ويرجع أهميتها إلى أنها وجهت للعمق المصرى إلى عمق جبهة القتال ذلك شمل الدلتا كلها بما فيه من تجميعات من القوات البرية والجوية والدفاع الجوى، وأما خطورتها فترجع إلى أن نسبة النجاح فى مثل هذا النوع من الاستطلاع يعتبر ضئيلاً، وأما الجرأة فيها فترجع إلى المجازفة بإتمامها. ففى (سعت ١١٤٥) اقتربت طائرتا فانثوم على ارتفاع ١٦ كم واخترقت المجال الجوى جنوب بور سعيد متجهتان نحو الصالحية، وعندما حاولت إحدى كتائبنا الموجود بمنطقة جسر الحرش الاشتباك معها تمكنتا بما لديهما من أجهزة استشعار من تحاشى الدخول فى منطقة الصواريخ، لقد اتخذت الطائرتان مساراً يسر لهما استطلاع جميع مطارات الجمهورية القائمة فى الدلتا وحوها فى الصالحية - أبو حماد - بليس - أنشاص - مطارات القاهرة البريجات - طنطا ثم المنصورة، ومن المنصورة حاولتا الاتجاه إلى شرق القناة عائدتين إلى قاعدتها وخلال فترة الطيران التى استغرقت أكثر من نصف ساعة لم تتمكن الصواريخ ولا المقاتلات فى جميع المناطق التى مرت عليها من التعامل معها، ولكن حائط الصواريخ تمكن بأسلوبه المتميز ودهائه من الاشتباك بهما وتدميرهما، ولقد شوهدت الطائرتان وهما تحترقان تماماً فى الجو، وتنفجران فى لحظات، صيد ثمين بثمن زهيد، طائرتان بطياريهن وملاحيهن تم تدميرهما بثلاثة صواريخ ثمنهم ٦٠ ألف جنيه، لقد كانت الخسارة على العدو كبيرة

البحر الأبيض المتوسط



مسار المظاهرات
١٩٧٣/١١/١٤

فعلاوة على الخسائر المادية والبشرية تم حرمان العدو من المعلومات التى كان يجازف للحصول عليها لقد كانت هذه المعلومات ذات أثر مباشر على القتال الدائر وغير مباشر على الحرب الدائرة. كما كانت فى الوقت نفسه للمعلومات التى أمكن لإسرائيل الحصول عليها من الاستطلاع الأمريكى الذى تم فى اليوم السابق لقد عمت الفرحة التشكيل كله نتيجة لنجاحه وحده فى مباراة دخلت فيها جميع الأسلحة فى جميع المناطق، وهنا يبرز السؤال التالى لماذا قام العدو بالاستطلاع بهذا الأسلوب ؟ أليست هذه مخاطرة تمامًا أن يدفع العدو بطائرتى فانتوم تقومان بجولة استغرقت أكثر من نصف ساعة فوق جميع المطارات وفوق عدة مناطق مدافع عنها بالصواريخ فى القاهرة وطنطا والمنصورة؟ هل كانت هذه المخاطرة محسوبة بمعنى هل كان العدو يشك تمامًا فى إمكان عودة هذه الطائرات بعد قيامها بالاستطلاع سليمة أو كان هذا العمل مجرد إظهار عضلات يبغي العدو من ورائه هز الثقة التى اكتسبناها من قتالنا معه خلال الأيام الماضية وهزها بإثبات عجزنا عن الاشتباك معه سواء بالصواريخ أو المقاتلات ؟ الواقع أن العدو كان يبغي الغرضين الاستطلاع وإظهار العضلات لهز الثقة - لاشك أن هذا الاستطلاع كان مجازفة محسوبة تمامًا لقد كانت السرعة والارتفاع هما العاملين اللذين تعتمد عليهما المجازفة واللذين يشكلان مشكلة أمام الاشتباك مع العدو بالصواريخ والمقاتلات.

لم يقف العدو مكتوف الأيدى إزاء ذلك الحدث الذى أضاع عليه فى اللحظة الأخيرة كل ما كان يهدف إليه من هذه الطلعة، لقد بدأ رد فعل العدو مباشرة، واستمر لفترة طويلة خلال النهار وبوسائل عديدة - فقد بدأ (سعت ١٢٥٨) فى قصف كتائب الصواريخ ومركز قيادة اللواء المتمركز فى منطقة القنطرة شرق، ذلك اللواء الذى اشتبكت إحدى كتائبه بطائرات العدو ودمرتها.

تلى ذلك المحاولة الثانية للعدو للانتقام، فقام العدو بهجوم جوى بعدد ٨ طائرات على الجانب الأيسر لحائط الصواريخ والذى تتركز كتائبه فى منطقة القنطرة غرب، إلا أن استعداد الوحدات وبدء اشتباكها معه جعلته يستشعر ذلك ويفضل الفرار عن دخول مناطق تدمير الصواريخ.

لكن هل اكتفى العدو بذلك، لا، ولم يترك الموقف يمر دون محاولة ثالثة للانتقام، وكانت هذه المرة موجهة إلى مركز قيادة حائط الصواريخ بغرض تدمير الرأس المفكر الذى يقود ويدير حائط الصواريخ كى يكون فى شله ما يؤدى إلى تحقيق ما يبغيه العدو من عمليات ضد حائط الصواريخ، ففى (سعت ١٦١٠) اقتربت طائرتان فانتوم من اتجاه البحر الأبيض المتوسط شرق دمياط، واتجهت فى اتجاه مطار (أبو حماد) ومنه غيرتا اتجاههما نحو مركز القيادة بغرض مهاجمته بالقنابل، وفى الوقت الذى تم فيه الإبلاغ عن اقتراب هذه الطائرات وأنها متجهة نحونا مباشرة كانت فعلا تمر فوق رءوسنا ومن صوتها كان واضحاً أنها تستعد لبدء تنفيذ مهمتها إلا أنها ضلت غرضها وقامت بالقاء حولتها على منطقة ظنتها هى مركز قيادة حائط الصواريخ، لقد ألقت كل طائرة بقنبلتين زنة (٤٠٠٠ رطل) أدت إحداهما إلى نزع جسر سكة حديد الإسماعيلية الزقازيق لمسافة ٥٠ مترًا مع إصابة بعض المواطنين الأبرياء بالمنطقة فى حين سقطت القنابل الباقية فى الأرض الزراعية، لقد أعلنت القيادة الإسرائيلية بعد ذلك أنها دمرت قيادة حائط الصواريخ والواقع أننا جميعاً أحياء.

لقد كان النجاح مرده إلى الإخفاء الجيد لمركز القيادة، كما كان أحد أسباب تعرف العدو على موقع مركز قيادة الفرقة يعود إلى عدم اتباع قواعد الأمن فى استخدام المواصلات اللاسلكية.

لقد تمكن حائط الصواريخ خلال هذا اليوم من تدمير ٣٧ طائرة للعدو، ومنها ٣٣ طائرة مؤكدة.

الضربة الجوية غير المتوقعة :

فى ضوء الاستطلاع الأمريكى الذى تم يوم ١٣/ ١٠ والاستطلاع الفاشل الذى قامت به القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١٤/ ١٠ توقعت قيادة الدفاع الجوى احتمال قيام العدو بضربة جوية توجه إلى حائط الصواريخ بقصد إجهاضه، ولم أشاركهم هذا التقدير، فليس هناك داع لأن تدخل القوات الجوية الإسرائيلية مع حائط الصواريخ فى معركة هى الخاسرة فيها - ولا شك - وقد هجمت خلال الأيام الماضية عدة مرات

وليس أدل على ذلك من أن خسائر العدو حتى اليوم زادت عن ١٥٠ طائرة، ولماذا يخاطر العدو بهذا الأسلوب وفي يده سلاح آخر هو مدفعيته، وللأسف تم تأكيد هذا الاحتمال بواسطة الاستطلاع الإلكتروني (سعت ٣٣٠) يوم ١٥ / ١٠، واستعدت الوحدات لذلك الاحتمال، وبدلاً من أن تفاجأ الوحدات بهجوم القوات الجوية الإسرائيلية إذ بها تفاجأ بقصف مركز لمدفعية العدو عليها.

كان مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٥ / ١٠ مجهوداً عادياً ويلاحظ عليه أنه عاد للانخفاض مرة ثانية، لقد بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال اليوم ٨٠٠ طلعة / طائرة، منها ٥٨٨ طلعة / طائرة نهاراً، وقد تميز من هذا المجهود قيام العدو بثلاث هجمات جوية مركزة محدودة في قوتها، فقد تمت الأولى قرابة (سعت ٧٤٥) على قطاع الجيش الثالث الميداني بقوة ٣٢ طلعة / طائرة أما الثانية فتمت حوالى (سعت ١٢٠٠) على نفس القطاع بقوة ٢٦ طلعة / طائرة، أما الهجمة الثالثة فقد تمت قرابة (سعت ١٧٠٠) وتمت على القطاع الأوسط بقوة ٢٤ طلعة / طائرة، وفي جميع الهجمات الثلاث المركزة لم يغفل العدو توجيه هجمات محدودة لباقي قطاعات الجبهة كالعادة، بالإضافة إلى توجيه مجهود محترم للقوات التي تعمل على محور سدر في محاولة لإيقاف التقدم لقواتنا، وبرغم هذا النشاط المحدود للعدو فإنه كان لا يجسر على دخول مناطق تدمير الصواريخ.

برغم قلة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية في هذا اليوم فإنه لوحظ أن هذا المجهود قد تركز في الفترة من (سعت ٧٠٠ إلى سعت ١٣٠٠) من هذا اليوم، وكان مركزاً بشكل واضح في اتجاه القطاع الممتد من الإسماعيلية إلى الدفرسوار والذي تعمل فيه الفرقة ١٦ المشاة الفرقة ٢١ مدرعة. لقد بدأ تركيز العدو على هذا القطاع مع بدء هجومه البري المضاد الذي قام به صباح ذلك اليوم وانتهى بعد الظهر بمهاجمتين جويتين على كتائب الصواريخ الموجودة في الشرق بعدد ١٢ طائرة في كل هجمة، إلا أنه لم يكتب لها النجاح ولم تتمكن إلا من إحداث أضرار محدودة ببعض المعدات التكتيكية، وكان جزاؤه تدمير بعض طائراته وفرار البعض الآخر ملقىً بحمولته بعيداً ومؤثراً السلامة، أما نشاط الاستطلاع الجوي فقد تركز على نفس القطاع وعلى ارتفاعات عالية، وأما ليلاً

فقد اقتصر نشاط العدو على بعض الطلعات الفردية ولم يحاول التدخل بقواته الجوية في المعركة البرية الدائرة في الشرق والتي استمرت حتى (سعت ٢٠:٠) ليلة ١٥/١٦ أكتوبر والتي أدت في النهاية إلى تواجد العدو في الغرب بتكوين رأس كوبرى محدود بواسطة عناصر محدودة من المدرعات والمظليين.

قام العدو بهجومه المضاد العام منذ ساعات الصباح الأولى ووجه ثقل هجومه إلى الفرقة ١٦ مشاة مستغلا الثغرة القائمة بين الجيشين الثالث والثاني والتي كانت تصل إلى أكثر من ثلاثين كيلو مترا وفي سبيل النجاح حشد العدو على مواجهة وجنب الفرقة ١٦ ما يقرب من فرقتين مدرعتين وأخذ يدفع بلواءاته الواحد تلو الآخر في محاولات يائسة لإرجاع الجنب الأيمن للفرقة إلى الوراء تجاه الشمال بغرض الوصول إلى القناة في منطقة الدفرسوار، وفي أثناء هذا الهجوم تعرضت وحدات الصواريخ في قطاع الفرقة لقصف مدفعي عنيف عليها وكان علينا أن نقتنص بعض الوقت لإتمام عمليات الإصلاح إلا أن استمرار القصف جعلنا نجرى الإصلاح غير عابئين بأية خسائر في الأرواح وما ذلك إلا رغبة في توفير الوقاية بالشكل الذي نرتأيه إلا أنه مع تقدم القتال وزيادة عنف قصف المدفعية بدأ القلق يساورني على هذه الوحدات، ولقد كانت كتائب الصواريخ الموجودة في الشرق من أكفأ وحدات الصواريخ مثل كتيبة الرائد / نادر المقدم، نصار، عفت، ونزيه، وبدر، ومصطفى ستة من القادة كل منهم يزن الكثير.

لقد كان هؤلاء القادة جزءا محدودا من قادة كتائب حائط الصواريخ وما أكثرهم هؤلاء الذين أحالوهم إسرائيل إلى ليل أسود حالك وأنهم أخطأوا القوات الجوية الإسرائيلية وكان لابد من الإبقاء عليهم وعلى معداتهم سليمة، فالمعركة طويلة مصيرها لم يتحدد بعد.

وفي الوقت الذي كان يقوم فيه العدو بهجومه المضاد العام حاولت القوات الجوية الإسرائيلية مهاجمة أجناب حائط الصواريخ، وذلك بمهاجمة كل منها بعدد ٨ طلعة / طنا هنا منه إنه بنجاحه في قصف الكتائب الأمامية الموجودة في الغرب وتوقف بعضها عن العمل يسر له النجاح ضد حائط الصواريخ يقى أجنابه إلا أن هذه المحاولة باءت بالفشل تماما وفي ضوء موقف المعدات والحالة الفنية التي وصلت إليها المعدات قررت

إتمام مناورة على نطاق واسع بالنسبة إلى الوحدات الموجودة بالغرب، لقد كنت أهدف من وراء هذه المناورات ذات الديناميكية العالية جعل العدو عاجزاً عن التعامل معنا بالنجاح، لقد وفقت في ذلك أيما توفيق، وللتدليل على أثر ذلك ما قالته مسز مائير ” إن حائط الصواريخ المصرى أشبه بعش الغرب كلما اقتلعنا كتيبة نبتت محلها كتيبة أخرى ” كانت المناورة تهدف إلى سد بعض الثغرات التى ظهرت خلال هذا اليوم بالإضافة إلى تماسك حائط الصواريخ وإعطائه مزيداً من الصلابة والقدرة القتالية كى يكون مستعداً لمقابلة أى هجوم جوى تقوم به القوات الجوية الإسرائيلية واضعاً في الاعتبار ضمان استمرار الوقاية للقوات الموجودة في الشرق.

عودة الصواريخ من الشرق :

إن بدء التفكير في عودة كتائب الصواريخ الموجودة في الشرق ظهر إلى حيز التفكير منذ انبلاج فجر يوم ١٥ أكتوبر ٧٣ وإن كانت أحداث هذا اليوم قد عجلت بعودتها، فلقد بدأ العدو منذ فجر هذا اليوم يقصف بعنف مواقع كتائب الصواريخ الموجودة في الشرق وتلك الموجودة في الغرب بشكل لم يسبق له مثيل بل فاق كل ما قام به من هذا القبيل في الأيام السابقة.

ولم يكن حظ المواقع الهيكلية في الشرق بأوفر حظ من المواقع الحقيقة فلم يتركها العدو دون أن يوجه إليها نيرانه، والواقع أن هذه المواقع مع عدم دقة مدفعية العدو جنت المواقع الحقيقية الخسائر المميتة التي كان يتوقعها العدو، لقد كان للعديد من بطاريات المدفعية التي وصلت إلى إسرائيل كدعم عبر الجسر الأمريكى أثر كبير في عنف القصف الجارى على الوحدات، لقد أدى هذا القصف إلى خسائر في بعض المعدات التي بذل في إصلاحها من قبل مجهود كبير استمر طوال الليل، وفي ضوء تزايد الخسائر مع عدم توفر قطع الغيار اللازمة للإصلاح بالإضافة إلى عدم إمكان الوحدات تحقيق المهمة المطلوبة من اليوم بل منذ أن تواجدت في الشرق (سعت ٧٤٠) يوم ١٥ / ١٠ من قيادة الدفاع الجوى ضرورة عودة الوحدات خلال ليلة ١٦ / ١٥ أكتوبر ولكنها لم تصدق على هذا القرار.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

قام العدو سعت (٧٠٥) يوم ١٥ / ١٠ بهجمة جوية واحدة على مطار القطامية وذلك بعدد ٢٤ طلعة / طائرة على موجتين، ورغم كبر القوة المهاجمة قياما لعدد الوحدات القائمة بالدفاع عن المطار، وهذا ما وضعه العدو في تخطيطه لإنجاح هجومه إلا أن وحدتنا كانت له بالمرصاد فألهمت ظهره بنيران مؤثرة فاقت في دقتها وسرعتها كل تقذيرات العدو ومما كبده خسائر كبيرة جعلته يلجأ إلى الانتقام السريع فقام بهجمة جوية أخرى على المطار من سعت (٧٣٠) إلى سعت (٧٤٥) بعدد ٨ طلعة / طائرة وذلك بغرض ضرب كتيبة الرادار القائمة بالإنذار كذا مركز قيادة لواء الصواريخ القائم بالدفاع عن المطار، إلا أن هجمته لم تصب الوحدات إلا بخسائر خفيفة ولكن رغم تدمير عدة طائرات أخرى له، لقد بلغت خسائر العدو في هجماته الثلاث ٧ طائرات مؤكدة، ٤ طائرات غير مؤكدة وتم أسر عدد محدود من طياري العدو، لقد تناثر العدو في المنطقة الجبلية المجاورة للمطار وحاول العدو إنقاذ طياريه بواسطة طائرات الهليكوبتر ولكنه عاود أدراجه، فلقد كانت طائراته المحطمة أبلغت مظاهرات الجوية فوق المنطقة عبارة عن كتل مشتعلة من النيران تنفجر في ومعها القنابل التي تحملها.

لقد ذكر أحد الطيارين الأسرى أنه عند مهاجمته لإحدى كتائب الصواريخ وبعد انقضاضه عليها من فوق المنطقة الجبلية المجاورة للمطار إذ به يشاهد صاروخا متوجها إليه فأراد أن يتلافاه فاذا بأخر يفاجئه وماهى إلا لحظات إلا والطائرة تهتز بشدة فأيقن أنها أصيبت، فعمل على الابتعاد بها في اتجاه الشرق إلا انه لم يتمكن من السيرة عليها فقفز هو وملاحها قبل الوصول إلى خليج السويس.

السلاح الذهبي ضد الصواريخ :

لقد كان العدو يحلم عندما كان يخطط للقتال قبل حرب رمضان ١٣٩٣ هـ أكتوبر ٧٣ في أن تتواجد وحدات الصواريخ في مدى مدفعيته بعيدة المدى، حتى يمكنه أن ينال منها، وفي بدء القتال تمكن من احراز بعض النجاح ولكن بتقدم قواتنا في سيناء وانسحاب العدو شرقا زال هذا الوضع وابتعد خطر المدفعية في كثير من قطاعات القتال

إلا أن تواجد كتائب الصواريخ في الشرق اعتباراً من يوم ١٣ / ١٠ : ٧٣ أدى إلى وقوعها ثانية في مدى مدفعيته، التي بدأت في التأثير عليها، وكانت فرصة ثمينة للعدو استغلالها استغلالاً حسناً، لقد أبلغت مراكز قيادة اللواءات وكتائب الصواريخ التي تواجدت في الشرق سواء يوم ١٣ / ١٠ أو يوم ١٤ / ١٠ عن قصف مدفعية العدو لها، مما أثر على استعدادها الدائم للقتال، وقد استمر هذا التأثير قائماً طوال تواجد هذه الوحدات في الشرق، بل استمرت آثاره قائمة حتى بعد عودة الوحدات غرب القناة.

لقد وجد العدو بعد أن مارس القتال معنا خلال الأيام الماضية عدم جدوى القوات الجوية الإسرائيلية في التعامل مع حائط الصواريخ؛ لذا لم يكن لديه من سلاح - يستخدمه سوى مدفعيته بعيدة المدى، وقد أدى الدعم الأمريكي في هذا المجال دوراً كبيراً - لقد أدى قصف العدو المستمر للوحدات إلى تذبذبها بين الصلاحية وعدم الصلاحية وألقى عبثاً على الوحدات الموجودة في الغرب لتوفير الوقاية للوحدات في الشرق ضد أية هجمات منخفضة مفاجئة يقوم بها العدو على هذه الوحدات كذا القيام أساساً بمهمة تدمير طائرات العدو حتى تحرمه من فرصة التعامل مع قواتنا المهاجمة وتوفر لها حرية العمل في عملياتها، وقد نجحت في ذلك كما نجحت من قبل إلا أن الموقف تغير يوم ١٥ / ١٠ عند قيام العدو بهجومه المضاد العام إذ لم يقتصر قصف المدفعية للكتائب الموجودة في الشرق بل تعدى الأمر ذلك وشمل بعض الكتائب الموجودة غرب القناة أيضاً.

لم يكن أمامنا من وسيلة لإيقاف مدفعية العدو سوى أن نطلب من قيادات الجيوش الميدانية إسكاتها إلا أن أسلوب العدو في سرعة المناورة بمدفعيته جعل من الصعب إسكاته لقد استدعى ذلك الموقف ضرورة حشد كل عناصر الإصلاح لإزالة الأعطال الناشئة من مدفعية العدو قد برهنت هذه العناصر كما برهنت من قبل على قدرتها الفائقة على إزالة الأعطال في أزمته وجيزة.

موقف المعدات :

أدت مدفعية العدو دوراً مهماً في إلحاق خسائر ببعض معدات كتائب الصواريخ الموجودة في الشرق، كما أدت إلى تعطيل البعض الآخر عن العمل، وكان من الضروري

العمل بكل الوسائل للاحتفاظ بنسبة صلاحية للمعدات كافية لمواجهة متطلبات القتال ورغم ما بذلته مجموعات مهندسي الإصلاح في ذلك المجال يعاونها أفراد الوحدات - لم يتحرك الموقف كثيراً وظل يتمرجح إلى أعلى وإلى أسفل طوال يومى ١٣ / ١٠ ، ١٤ أكتوبر إلا أن هذا تحسن خلال ليلة ١٤ / ١٥ أكتوبر وذلك بفضل الجهود الموفقة الى بذلها الجميع ولم يأت أول ضوء يوم ١٥ / ١٠ إلا وعادت لحائط الصواريخ قدرته العالية على القتال فلم تتجاوز نسبة الوحدات غير الجاهزة ١٠٪ وبينما نستعد لقتال القوات الجوية الإسرائيلية إذا بنا نفاجأ بقيام العدو بتوجيه نيران مدفيعته على معظم الكتائب الموجودة في الشرق وهنا صدرت الأوامر باستخدام ستائر الدخان في المواقع الحقيقية والهيكلية لشمويه مدفعية العدو والامتصاص مما يمكن من نيرانه - إن نجاح العدو في توجيه نيرانه في هذا اليوم لا يعود إلى درجة دقة العدو في استخدام مدفيعته أو حسن مستواها التدريبى بقصد ما يرجع إلى حالة الثبات التى أصبحت عليها الوحدات منذ دخولها للشرق، فلقد مضى على بعضها ما يقرب من ٤٨ ساعة في الشرق ولم يسمح الموقف التكتيكى في الشرق بإتمام اية مناورة لاتخاذ تشكيل قتال جديد يحد من مهمة مدفعية العدو دقة.

موقف الصواريخ :

أدت كثرة الاشتباكات في طائرات العدو إلى استهلاك الكثير من الصواريخ وخاصة صواريخ سام ٣ معدل، ووصل الأمر في يوم ١٥ / ١٠ إلى مرحلة حرجية.

ولم يكن هناك من حل سوى المناورة بالصواريخ بين القطاعات المختلفة للتضليل تلك المناورة التى امتدت مسافاتهما لتصل أكثر من ١٠٠ كم. لقد قاتلت وحداتنا خلال اليوم قتالا مشرفاً رغم الظروف المختلفة التى أحاطت بها ورغم قصف المدفعية المعادى الذى تركز بصورة متقطعة طوال النهار على كتائب الصواريخ التى كانت موجودة في الشرق، ورغم زيادة مجهود القوات الجوية الإسرائيلية وتكليفها لهجمات الجوية باستخدام أعداد أكبر من الطائرات في مهاجمة الغرب بالإضافة إلى زسلةحة الخمد.

المختلفة والتى زاد استخدامها بصورة كبيرة إلا أن الوحدات قاتلت تماماً رغم ما وجه إليها من إتمام عدة اشتباكات ناجحة، لقد كان لجهد الوحدات والقيادات على جميع المستويات أثر كبير في تحويل ما كان يهدف إليه العدو من نجاح إلى هزيمة ولم

نسمح لنسى الخوف والرغبة الذي غرسناه في العدو الذي مرجعة إلى دقة صواريخنا من أن يغادر فكرة في أي لحظة، فاستمر اتزانة يسود، لقد تغلبنا بأساليبنا المتعددة والمتغيرة على أساليب العدو وتغلبنا بمجموعات مهندسى الإصلاح وكفاءتهم على مدفعية العدو وما كانت تهدف إليه من تعطيل المعدات أو إتلافها، وقد بذلوا في سبيل ذلك جهداً رائعاً وبذلك يسروا لكثير من الوحدات صلاحية قد تكون غير دائمة، ولكنها يسرت لها أن تشارك باقى الوحدات في الغرب في تأدية مهمة الوقاية.

أدت المعركة الضارية التي كانت قائمة في الشرق في منطقة المزرعة الصينية طوال يوم ١٥ / ١٠ وامتدادها شمالاً في اتجاه الدفرسوار مع تركيز العدو إلى ما يقرب من فرقتين مدرعتين على جانب الفرقة ١٦ مشاة إلى إصابة بعض المعدات الصاروخية التي كانت تعمل في هذا القطاع، وكانت بداية خسارة من الصعب استعواضها في زمن قصير، لقد تمكن حائط الصواريخ خلال قتال هذا اليوم من تدمير ٣١ طائرة للعدو مؤكدة منها طائرتان هليوكبتر.

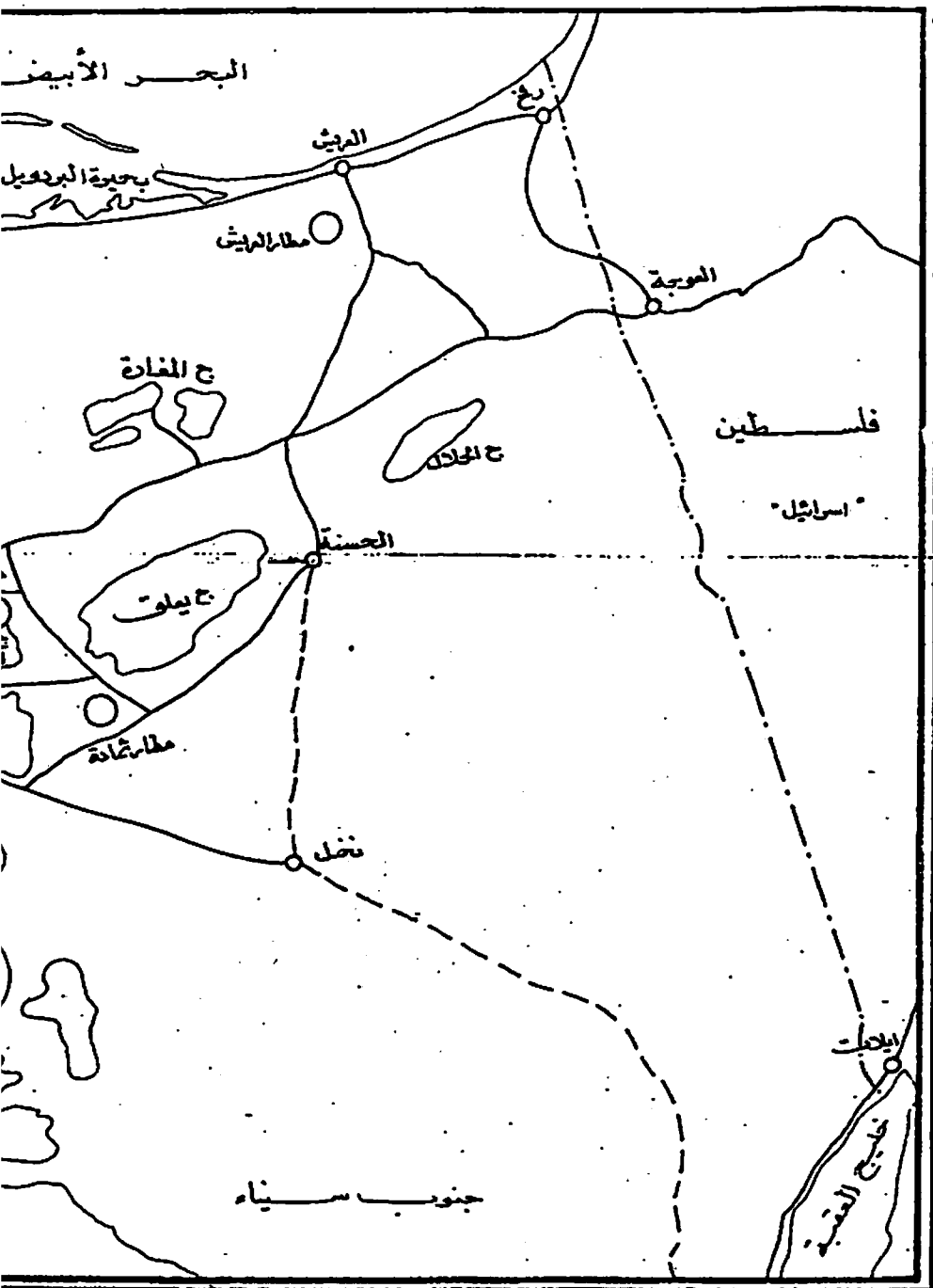
الفصل السادس عشر

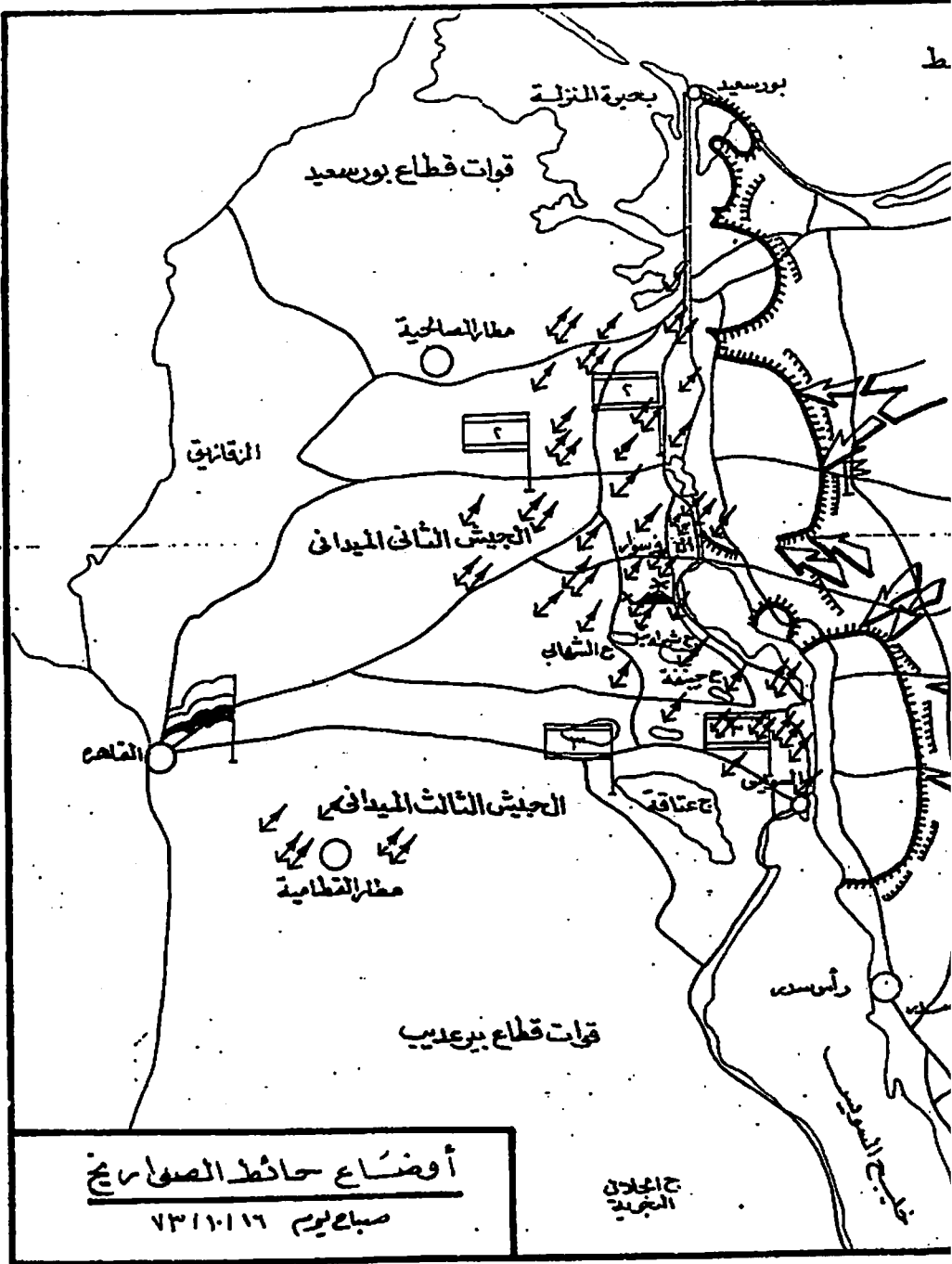
أعمال قتال حائط الصواريخ الفترة من ١٦-٢٥ أكتوبر

تعتبر هذه المرحلة من مراحل القتال مرحلة المواجهة الكاملة بين القوات المصرية والإسرائيلية، فلقد قامت إسرائيل بعد أن فرغت من الجبهة السورية بحشد معظم قواتها تجاه الجبهة المصرية، بغرض تحقيق الفكر الإسرائيلي الذي أشرت إليه سابقاً من ضرورة تثبيت القوات المصرية، ثم النفاذ بينها والتواجد خلفها لإحداث الخلل المطلوب لإجبارها على ترك رءوس الكبارى التى أقامتها فى الشرق..

لقد اتسمت هذه المرحلة بسعات مختلفة عن المراحل السابقة، فلقد خيم عليها منذ البداية ضباب المعركة، فبدأت المعلومات عن العدو ضئيلة ومتضاربة مما أدى إلى ميوعة الموقف وتشتت القوات وفقد السيطرة فى بعض الأحيان وانعكاس ذلك كله على القرارات فجاءت متأخرة وغير حاسمة، بجانب ذلك فقد كان هناك التحرك السياسى الذى كان يتم فى ردهات الأمم المتحدة وبين عواصم الدول الكبرى بغرض إيقاف إطلاق النار، ذلك التحرك الذى سيطرت اتجاهاته السياسية واحتمالاته، والرغبة فى سرعة إنجازه على سير العمليات فى هذه المرحلة، وخاصة بالنسبة إلى إسرائيل.

لقد تمكنت القوات البرية الإسرائيلية خلال هذه المرحلة من تثبيت معظم قطاعات الجبهة المصرية، ثم التركيز على أضعف نقطة فيها بغرض اختراقها والنفاذ منها، وقد تمكنت من ذلك فى المنطقة الواقعة شرق القناة فى المنطقة الممتدة بين المزرعة الصينية والديفروسوار وقد أدى نجاحها فى ذلك إلى إمكان عبورها للغرب وتكوين رأس كوبرى محدود سرعان ما اتسع نتيجة لعدم القضاء عليه فى مهده.





أدى هذا الاتساع إلى تدفق عدة وحدات إسرائيلية للغرب حاولت أولاً محاولة النفاذ في اتجاه الغرب بغرض الوصول إلى طريق الإسماعيلية القاهرة الصحراوى فلم تتمكن فغيرت وجهتها تجاه مدينة الإسماعيلية بغرض الاستيلاء عليها، ولكنها فشلت مرة أخرى فوجهت وجهتها بعد أن زاد حجمها زيادة هائلة تجاه مدينة السويس فلم تصل إليها حتى يوم ٢٢ / ١٠ / ١٩٧٣ وما كل ذلك الفشل والتعثر إلا نتيجة للمقاومة التي قوبلت بها.

لقد قاتل حائط الصواريخ خلال هذه المرحلة القوات الجوية الإسرائيلية بنفس العزيمة والإصرار والقدرة والكفاءة التي قاتل بها خلال المراحل السابقة كما تصدى لدبابات العدو، ولم يمكنها من النفاذ بين وحداته بل أحاط بها من كل جانب قاتل في الشرق وقاتل في الغرب، وتعرضت وحداته للعديد من الهجمات البرية والجوية وصمد كالطود الشامخ أمام كل ذلك، وأنزل بالقوات الجوية الإسرائيلية خسائر كبيرة وأحاط بالعدو إحاطة السوار بالمعصم.

خطط العمليات

اتجهت الخطة المصرية بعد أن تأكد حسم الموقف على الجبهة السورية لصالح العدو إلى اتخاذ موقف دفاعى في الشرق وذلك بعد أن قام العدو بتحريك معظم قواته في اتجاه جبهة سيناء، كان معنى ذلك هو قيام القوات بتحسين أوضاعها، وتعزيزها والتمسك تمامًا بها وصد أية هجمات يقوم بها العدو بغرض إزالة رءوس الكبارى أو اختراقها.

كان دور حائط الصواريخ في ضوء هذه الخطة هو استمرار توفير الوقاية لقوات الجيش الثالث والثانى الميدانيين في رءوس الكبارى بالشرق مع استمرار توفير الوقاية للمعابر والمطارات الأمامية والقواعد والمنشآت الإدارية المختلفة في الغرب.

أما الخطة الإسرائيلية، ففي ضوء توفير القوات لديها في جبهة سيناء بدأت تتحول إلى الهجوم بعد أن التزمت بالدفاع الفترة من ١٠ - ١٤ أكتوبر، وكانت في جملتها تهدف إلى إزالة رءوس الكبارى أو تقليصها. وعلى ذلك أصبحت مهمة القوات الجوية الإسرائيلية كما وضح من عملياتها خلال هذه الفترة كما يلي :

- أ - محاولة استعادة السيطرة الجوية المحلية فوق القوات لرفع معنوياتها.
- ب - خلق الظروف الجوية لاستدراج القوات الجوية المصرية لعمليات القتال الجوي.
- ج - مهاجمة حائط الصواريخ مع العمل على تقليصه من الأجانب.
- د - استمرار مهاجمة المطارات الأمامية بغرض نقلها لحرمان القوات البرية من معاونة القوات الجوية.
- ه - تركيز عمليات الاستطلاع الجوي بأنواعه وتقديم المعاونة الفعالة للقوات البرية في عملياتها الهجومية دون التعرض لنيران الصواريخ.
- و - المعاونة في عمليات النقل والإمداد والإخلاء.
- نشأة فكرة العبور للغرب

كانت المشكلة التي اعترضت القوات البرية الإسرائيلية في تنفيذ أسلوبها في الحرب الخاطفة هو تحلى القوات الجوية الإسرائيلية عن معاونتها، إذ لم تتمكن الأخيرة من أن تعمل كرأس حربة تلك المواقع التي تجابهها لتأتى المدرعات والنشأة الميكانيكية لتسحقها دون مقاومة تذكر. لقد تخبط الفكر الإسرائيلي وحار أمام عبور القوات المصرية وهزيمتها للقوات الإسرائيلية وخاصة بعد أن فشلت هجماته المضادة العديدة هنا برز إلى الظهور الحاجة إلى عبور القوات الإسرائيلية للغرب للقضاء على مواقع الصواريخ ومن ثم تمسك القوات الجوية الإسرائيلية بزمام الأمور.

لم يكن ذلك الفكر الإسرائيلي فكرًا جديدًا في حد ذاته، فلقد قامت القوات الأمريكية في حرب فيتنام بمهاجمة مواقع الصواريخ بواسطة قوات الإبرار الجوي - القوات المحمولة في طائرات الهليكوبتر وتمكنت من تدمير عدة كتائب صواريخ موجهة. وبذلك تمكنت أن توفر للقوات الجوية الأمريكية حرية العمل في مسرح القتال. لم يكن هذا الفكر جديدًا في جوهره وإنما كان جديدًا في أسلوبه، لقد أدى عدم إمكان استخدام قوات الإبرار الجوي الإسرائيلي في مثل هذه العملية خوفًا من أن ينالها نفس الجزاء إلى لجوء إسرائيل إلى استخدام القوات البرية. لقد كان ذلك الفكر فكرًا طارئًا أوجدته

ظروف القتال يوم ٩ / ١٠ / ٧٣ ولم يمكن الموقف التعبوى والتكتيكي السائد وقتئذ مكان تنفيذ ذلك.

إن فكرة العبور للغرب للقضاء على حائط الصواريخ كما سبق أن أوضحت كان الفكر الوحيد الذى راود أحلام القادة الإسرائيليين بعد أن باتوا يتخبطون فى الظلام بعد فشل الهجمات المضادة التى قام بها جيش الدفاع الإسرائيلى، لقد فشل الهجوم المضاد الذى قام به الجنرال شارون يومى ١٠٨، ٧ / كما فشل الهجوم المضاد الذى وقع يوم ٩ / ١٠ وإزاء هذا الفشل المتكرر بدأ الصدام يحتدم بين القادة الإسرائيليين، فالجنرال جوتين قائد جبهة سيناء يرى الاستمرار فى الهجوم المضاد لإنهاء القوات المصرية وإيقاف تقدمها والجنرال شارون يرى أن ذلك العمل لن يوصل إلى أى شىء سوى الرقص على أنغام المصريين وأن الحل الأمثل هو الإمساك بزمام المبادرة أه ثم العبور إلى الغرب وتنفيذ خطته القديمة المعروفة باسم الغزالة كل ذلك على مرأى من رئيس الأركان الجنرال اليعازر الذى راقت له الفكرة وإن كان لم يعلن تأييدها أو شجبها.

لقد أدى سوء موقف القوات الإسرائيلية فى جبهة سيناء، بالإضافة إلى التشاحن القائم بين القادة الإسرائيليين فى سيناء إلى تواجد وزير الدفاع الإسرائيلى ليتعرف على الموقف بنفسه وهنا استمع إلى رأى الجنرال شارون الذى رأى أنه لا جدوى من أى قتال دون أن يتم إسكات حائط الصواريخ حتى يمكن توفير حرية العمل للقوات الجوية الإسرائيلية. ليتحقق ذلك لابد من عبور القناة والوصول إلى مؤخرة الجيش الثالث والثانى الميدانيين، لكن لم يجذ وزير الدفاع هذه الفكرة ولم يرفضها وترك البت فى هذه المسائل العسكرية إلى رئيس الأركان وعاد من حيث أتى لتقديم تقرير لرئيسة الوزراء وليعلن تصريحه المشهور والذى أدلى به يوم ٩ / ١٠ / ١٩٧٣ م.

لقد التقط الجنرال اليعازر الفكرة وإن كان قد اقتنع بعدم إمكان تنفيذها فى الوقت الحالى، إلا أن رد الفعل للهزائم المتلاحقة التى منيت بها القوات الإسرائيلية فى البر والجو جعلت هذه الفكرة لاتبارح مخيلة رئيس الأركان، بل استمرت تراقص أمام عينيه من وقت إلى آخر، لقد وعد الجنرال اليعازر الشعب الإسرائيلى منذ اليوم الأول للحرب بأنه سيسحق عظام المصريين وأنه سيلقى بهم فى القناة إلى آخر ذلك من عبارات

الزهو الجوفاء ولما لم يتحقق أى شىء من ذلك، بل زاد موقف جيش الدفاع الإسرائيلى أمامه سوءاً انهار تماماً وتبعاً لذلك انهارت حالته النفسية ولم يجد أمامه من مخرج سوىبنى فكرة العبور لقناة السويس.

لقد بات أليعازر يحلم بهذه الفكرة، يحلم بعبور قواته للغرب كى تعمل بحرية تامة وهو كضابط مدرعات يعلم جيداً أن الأرض غرب القناة تعتبر أكثر ملاءمة لعمل المدرعات عنها شرق القناة كان يبنى احلامه كلها على قدرة شارون وفكرته فى أسلوب تنفيذ العملية من أنها حركة سريعة تقوم بها بعض القوات الخفيفة الحركة، فى قفزة واحدة تعبر القناة وتجرى هنا وهناك، ثم تقفز عائدة من حيث أتت بعد أن تكون أتمت تنفيذ مهمتها، قبل أن يلحق بها الصياد فيصيبها فى مقتل وبعد أن تكون قد نجحت فى عمل ثغرة فى سماء جهة القتال بتدمير عدة كتائب صواريخ.

لقد عرض رئيس الأركان الفكرة على الجنرال ديان وزير الدفاع الإسرائيلى يوم ١٠ / ١٠ ولم يوافق عليها، لأنها لا تحقق أى غرض من أغراض الحرب وتبعاً لاختلاف الرأى بين وزير الدفاع ورئيس الأركان تم عقد مؤتمر حضره المسئولون السياسيون والعسكريون وحضرته رئيسة الوزراء، دارفيه نقاش حاد حول فكرة رئيس الأركان ووضح للجميع أنها أشبه بالسراب فى مثل ذلك الموقف، فكيف يتم أى عبور للغرب وما زال للقوات المصرية عدة فرق موجودة فى الغرب قادرة على القضاء على أية قوة تنجح فى العبور وليس هناك من نتائج متظرة سوى مزيد من الهزيمة والخسائر فى تلك الأثناء وردت معلومات المخابرات تؤكد قرب عبور القوات المدرعة المصرية إلى الشرق، فكان ذلك إيذاناً بانفجار المناقشة مرة أخرى، وهنا تدخل الجنرال بارليف ورأى أن تقوم قيادة جبهة سيناء بتجهيز عملية هجومية لكسر الهجوم المصرى المدرع المنتظر صباح يوم ١٤ أكتوبر ٧٣ على أن ينظر فى أى تحركات تجاه الغرب بعد ذلك على ضوء الموقف وقد وافق الجميع على هذا الرأى. من ذلك يتضح أن القيادة الإسرائيلىة السياسية والعسكرية لم توافق الجنرال اليعازر على فكرته، بل حددت هدفاً آخر هو كسر الهجوم المصرى وقبل أن تسترسل فى سرد الأحداث يجب أن نقف وقفة قصيرة لتعرف على شخصية الجنرال شارون ذلك الجنرال الذى قاد القوات الإسرائيلىة فى

هذه العملية، لقد كان الجنرال شارون قبل يوليو ١٩٧٣ قائدًا لجبهة سيناء، وكان يطمح في أن يكون رئيسًا لأركان جيش الدفاع الإسرائيلي نظرًا لكفاءته، ولكن لم يتم اختياره فأحيل إلى التقاعد، عندما قامت حرب أكتوبر استدعى الجنرال شارون فلبى النداء مسرعًا عسى أن تيسر له الحرب وهو في اعتقاده رجل موهوب أن يصل إلى ما كان يصبو إليه ورأى في التفكك الذى أصاب قيادة جبهة سيناء وانهيار الجنرال جوين قائد الجبهة وعدم قدرته على السيطرة على قواته واتخاذ قرار سليم، فرصة جعلته وهو ذو شخصية قوية من أن يبدأ في فرض آرائه عليه ساعده على ذلك ضعف شخصية جوين وقلة خبرته بجبهة سيناء لحداثة خدمته بها. لقد وجدت القيادة الإسرائيلية في تلك الأيام العصية في الجنرال شارون الورقة الرابحة التي يمكن أن تلعب بها. فقادتها في سيناء جوين ومندلر ما بين منهار ومنهزم، كما أن سابق قيادته للقوات الإسرائيلية هناك وما قام به من تدريب لقواته على هذه الأرض وحصيلة ما تجمع لديه من خبرات، كل ذلك جعلتهما تستمع إلى آرائه ولكن دون أن تجرى وراءها، لقد كان الجنرال شارون يحلم بالوصول إلى القناة وعبورها للغرب ومن ثم يبدأ في تحقيق الخطة الهجومية الإسرائيلية التي كانت قائمة قبل أكتوبر ١٩٧٣ والمعروفة باسم «الغزالة»، والتي كان طول خدمته في سيناء بعد قواته ويدربها لتنفيذها عندما يحين الوقت لذلك، هنا يبدأ نجمه في الصعود فملاح الطريق واضحة والأمل كبير وفي نهايته تحقيق ما يرنو إليه من الوثوب إلى منصب رئيس الأركان الإسرائيلي. لقد كانت آراء الجنرال شارون هذه هي الخلفية التي بنى عليها الجنرال اليعازر فكره الذي فرضه على القيادة الإسرائيلية.

خلال يوم ١٤ أكتوبر نشبت أكبر معارك للدبابات على رمال سيناء وتدخلت القوات الجوية الإسرائيلية لتمديد العون لقواتها المدرعة لكن لم تكد تدخل المعركة حتى كانت على موعد مع كتائب صواريخنا الموجودة شرق القناة وغربها. كان قتال هذا اليوم يحمل بين طياته خسائر عظيمة للعدو سواء في الدبابات أو الطائرات. هنا جن جنون قيادة سيناء وطار صواب الجنرال شارون فرأيا أن يستغلا ليلة ١٤ / ١٥ أكتوبر في حشد ما يمكن من القوات أمام وعلى الجانب الايمن للفرقة ١٦ مشاة.

وفي صباح يوم ١٥ / ١٠ أمكن حشد نحو ٤٠٠ دبابة، وبدأت إسرائيل هجومها العام ذلك المتهجم الذي كان يقضى بثبيت مواجهة القتال كلها بهجمات ثانوية وتوجيه ضربة قوية إلى الجنب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة.

العدو يحاول الإمساك بزمام المبادرة

لقد تميز قتال القوات البرية الإسرائيلية خلال يوم ١٥ أكتوبر بكثرة الهجمات المضادة خاصة على قطاع الفرقة ١٦ مشاة. لقد صمدت هذه الفرقة لهجمات العدو العديدة سواء تلك التي وقعت على مواجهتها أو على جنبها الأيمن؛ حيث يعمل اللواء ١٦ مشاة، إلا أن طموح العدو وإصراره من ناحية مع وصول الإمدادات إليه من المدرعات ومن الطائرات التي بدأ مراقبتها في الجو اعتباراً من يوم ١٣ أكتوبر ٧٣ جعل العدو لا يحيد عن غرضه رغم كثرة خسائره في المعدات والأفراد. دار قتال رهيب بين فرقة الجنرال شارون والفرقة ١٦ مشاة خسرت فيه القوات الإسرائيلية مزيداً من الخسائر مما أجبر القيادة الإسرائيلية على دفع فرقة الجنرال بيرين لتعاون في الهجوم على الجنب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة، وانتهى هذا القتال الرهيب قرابة سعت ٢٠٠ ليلة ١٦/١٥ أكتوبر بعد أن تمكن العدو من الوصول إلى القناة في منطقة النقطة القوية في الدير سوار وما حولها ومن هنا أطلقت فكرة العبور للغرب مرة ثانية أمام الجنرال شارون فهو أمام القناة مرة أخرى وفي الدير سوار بالذات تلك المنطقة التي كان يعدّها للعبور للغرب في حالة قيامه بأية عملية هجومية، وهنا تراقصت أمامه أحلام المجد وتاج الشهرة فقرر المغامرة بالعبور.

لكن هل كان عبور العدو غرباً أمراً متوقعاً أو غير متوقع. هل توقعه القائد المحلي أم لم يتوقعه، الواقع أن تقرير الموقف لقائد الفرقة ١٦ مشاة، والذي أرسل في صباح يوم ١٥/١٠ لقيادة الجيش الثاني يحدد بجلاء احتمالات العدو في قطاع الفرقة فمن الحشود المدرعة التي حشدّها العدو على جنب الفرقة الأيمن أو الموجودة في مواجهته أو المتجمعة في منطقة الطاسة قدر قائد الفرقة احتمالات الموقف كالآتي:

أ- أما أن يقوم العدو بمهاجمة مواجهة، وجنب الفرقة الأيمن كل بقوة لواء مدرع بقصد القضاء على رأس الكوبري الذي استولت عليه الفرقة.

ب- أو يقوم بتثبيت مواجهة الفرقة بقوة لواء مدرع أو أقل، ثم المناورة بقواته ومهاجمة الجنب الأيمن للفرقة بقوة لواءين مدرعين، في هذه الحالة سيكون غرض العدو

أما دفع الجنب الأيمن للفرقة بقصد الوصول إلى الضفة الشرقية للقناة واحتلاله لإجبار الفرقة على الارتداد نحو الشمال أو للوثوب منه للغرب في ضوء هذا التقدير الذى كان معروفاً صباح يوم ١٥ / ١٠ كان من الواجب على قيادة الجيش الثانى الميدانى أن تتخذ من الاحتياطات ما يلزم لإحباط أية محاولة للعدو للعبور غرباً. لقد كان واضحاً على مستوى الجيش الثانى الميدانى منذ يوم ١٤ / ١٠ أن العدو يحشد قواته ويعد نفسه للقيام بهجوم مضاد عام بغرض إزالة رءوس الكبارى التى تم إقامتها ومحاولة عودة الموقف إلى ما كان عليه يوم ٥ أكتوبر ٧٣.

وكان من الواجب فى هذه الحالة أن يعاد النظر فى إعادة توزيع النسق الثانى واحتياطات الجيش على ضوء هذه المعلومات أو مبكراً عن ذلك ولو تم ذلك ما تمكن العدو من العبور غرباً ولما فكر فى مهاجمة جنب الفرقة ١٦ مشاة؛ لأن معنى ذلك أنه سيتعرض إن عاجلاً أو آجلاً إلى نيران حامية من الضفة الغربية.

لقد شهدت ليلة ١٥ أكتوبر أحداثاً جسام توالى ببطء، ثم تلاحقت بسرعة وانتهت فى النهاية إلى ما عرف بالثغرة وخط ٢٢ وخط ٢٥ أكتوبر، وفى كل هذه المواقف كانت الفرقة الثامنة دفاع جوى هى الصخرة التى تحطم أمامها العدو، أقولها بصراحة وإصرار، فهى التى قاتلت العدو فى الثغرة وهى التى لم تمكنه من احتلال الأرض أو التقدم غرباً متحملة فى ذلك الخسائر فى الأفراد والمعدات غير عابئة بشيء إلا بالحفاظ على تراب مصر الطاهر مهما كان الثمن.

بعد أن صدرت الأوامر للوحدات الموجودة فى الشرق بالعودة إلى الغرب رأيت من الضرورى معاونتها على العبور حتى يمكن أن تجرى عملية العبور بسرعة وبذا يتيسر لها احتلال مواقعها والاستعداد بسرعة للقتال، وعلى ذلك أرسلت كل معاونى فى القيادة العميد على شكرى، العميد شفيق، العميد منتصر كل إلى قطاع لمراقبة ومعاونة الوحدات فى عبورها للغرب، فى الوقت نفسه وضعت خطة للمناورة محدودة لتقوية بعض الاتجاهات من ناحية ولتغيير شكل تجميع القتال من ناحية أخرى.

خلال هجوم العدو على جنب الفرقة ١٦ مشاة تمكن العدو من تدمير بعض معدات إحدى كتائب الصواريخ بدباباته، بالإضافة إلى ما أحدثه هجومه فى القطاعات الأخرى من إصابة هوائيات رادار لتوجيه فى بعض كتائب الصواريخ الأخرى ورغم ما كان

يقوم به الاتحاد السوفيتى من إمدادات عاجلة عبر الجسر الجوى الذى تم إقامته لم يصل شىء من هذه الهوائيات أو المعدات ورغم علمهم تمامًا بأن الخسائر فى هذه الهوائيات هى الأمر الغالب ورغم تقديرهم السابق لخسائرننا فى الحرب بما يقرب من ٣٠ كتيبة صواريخ مدمرة تمامًا إلا أن ذلك لم يحدث. لقد حققت القوات البرية مهمتها المباشرة وصدت ضربات العدو المضادة، وقامت بتطوير هجومها شرقاً، ثم تحولت إلى تثبيت رءوس الكبارى وحتى الآن لم تدمر كتيبة صواريخ واحدة مما يؤدى إلى خروجها من المعركة فقط تدمر هوائى رادار توجيه كتيبة صواريخ واحدة ويتدبر آخر بدلا منه يمكنها العمل فوراً.

قامت من مركز القيادة بالسيطرة على الوحدات القائمة بالمناوراة فى الغرب وتلك العائدة من الشرف، لقد تعثرت عدة وحدات عند عودتها أما نتيجة لقصف مدفعية العدو عليها عند العبور أو عند توجيهها لمواقعها فى الغرب نتيجة لصعوبة التحرك على الطريق لوجود شبورة مائية كثيفة وقتئذ.

العبور المخادع وأزمة الثقة

قام العدو قبل منتصف ليلة ١٥/١٦ أكتوبر بقليل بهجوم خداعى على موقع كتيبة رادار الإنذار الموجودة على ساحل خليج السويس بمنطقة العين السخنة.

لقد أبلغت كتيبة الرادار بذلت وأورت فى الوقت نفسه أنها قائمة بالاشتباك مع العدو الذى يقوم بفتح النيران عليها من اتجاه خليج السويس. فى ضوء ذلك أصدرت من الأوامر ما يلزم وتم إبلاغ جميع المستويات القيادية التى يهمها الأمر. ان احتمال قيام العدو بإبرار جوى أو بحرى فى منطقة العين السخنة كان وارداً فى الاعتبار وأى معلومات عن العدو ولو محدودة القيمة يجب إبلاغها إلى المستويات التى يهمها الأمر وما على الأخيرة إلا إتمام تصفية المعلومات ومعرفة الطالغ من الصالح وإرسال الأخيرة للقيادات المعنية. لقد كان بلاغ الموقع مقروناً بفتح النيران عليه، أى أن هناك عملاً عادياً تؤكد النيران المفتوحة ويعنى ذلك أن الحدث صحيح وما تم حياله من إجراءات يعتبر كافياً جداً لحسم الموقف، ولكن إبلاغ المعلومات للمستويات القيادية

التي يهيمها الأمر أمر ضروري بغرض وضعها في الصورة لأعمال العدو وإن كانت تافهة وليس بغرض الاستخفاف بقدرة العدو.

العبور الرئيسي والإفراط في الثقة

سعت ٥٥ يوم ١٦ / ١٠ بدأت نقط المراقبة الجوية بالنظر الواقعة غرب القناة بين قرية سراييوم وأبي سلطان تبلغ عن وجود قصف مدفعي عنيف عليها وكان تقديري الأولى لذلك هو أن عنف المعركة البرية في الشرق على جنب الفرقة ١٦ مشاة هو سبب ذلك. بعد مضي وقت قليل أبلغت إحدى النقط الواقعة على شاطئ البحيرات المرة الكبرى عن مشاهدتها لعدد ١٣ قطعة مجنزرات للعدو حددتها بعدد ٧ دبابة، ٦ عربية نصف جنزير قادمين من اتجاه البحيرات المرة الكبرى متجهين للغرب.

بمرور الوقت كثرت البلاغات عن نشاط العدو شرق القناة، إذ شوهدت دبابات العدو على الضفة الشرقية للقناة وظهرت أصوات لنشات معادية فوق سطح المياه في البحيرة المرة الكبرى. لقد كان من الضروري في ضوء هذا السيل من المعلومات رغم ما شاب ابلاغنا عنها من تكذيب - أن يستمر الإبلاغ عن أية معلومات تحصل عليها نقط المراقبة الجوية بالنظر. ان واجب هذه النقط الأساسي هو الإبلاغ عن العدو الجوي أساسا إلا أن ذلك لا يمنع من قيامها بالإبلاغ عن أى أعمال قتالية تتم بجوارها وهنا تعتبر وسيلة ثانوية للمعلومات عن العدو الأرضي.

استمر سيل المعلومات عن العدو في شرق القناة وعبوره للغرب يزداد فترة بعد أخرى وقد لاحظ العدو نشاط شبكة المراقبة الجوية بالنظر في ذلك الصدد فقام بالتشويش على أجهزتها اللاسلكية ولكن دون جدوى. في ضوء نشاط العدو يوم ١٥ / ١٠، في قطاع الجيش الثاني الميداني وفي ضوء المعارك الضارية التي خاضها الجيش خلال قتال يوم ١٥ / ١٠ والذي لم تهدأ أحداثه حتى قرب فجر يوم ١٦ / ١٠ / ١٩٧٣ وما تجمع إليه من معلومات أبلغتنا قيادة الجيش سعت ٤٤٥ عن وجود قوات إبرار جوى كبيرة للعدو ومحتشدة في مطار المليز ويتنظر أن يستخدمها العدو للقيام بعمليات إبرار على نطاق واسع سواء على الأغراض الحيوية في الخلف أو على كتائب صواريخ

حائط الصواريخ وفي ضوء كل ما سبق عن نشاط العدو واحتلالاته أصدرت تعليمات للوحدات باتخاذ أوضاع للدفاع عن نفسها بكل قوتها وأن تمنع أى فرد من الاقتراب منها. في سعت ٠٥٤٠ أبلغتنا قيادة الجيش الثاني الميداني أن العدو تمكن من الضغط على جانب الفرقة ١٦ مشاه الأيمن وأن هناك احتمالاً بأن تكون بعض عناصر العدو قد تمكنت من عبور القناة كمتسللين.

لقد لعب القدر دوراً كبيراً ومهماً اعتباراً من صباح يوم ١٠ / ١٦ فما كاد النهار يبرز حتى ساد الجو شبورة مائية ثقيلة جعلت الرؤية محدودة لانتكاد تصل بضع عشرات من الأمتار وكما أدت هذه الشبورة المائية الى تأخر وصول كتائب الصواريخ الى مواقعها الجديدة، فقد حدث من نشاط القوات الجوية الإسرائيلية في الساعات الأولى من الصباح، إلا أنها كانت أكبر عامل مساعد للعدو للتواجد في الضفة الغربية. لقد عاونت في إمكان عبوره دون مراقبة اللهم إلا من بعض نقط المراقبة الجوية بالنظر كما عاونت في إخفاء تحركاته في الضفة الغربية حتى اختبأ تماماً داخل المنطقة الشجرية الكثيفة التي تمتد كشريط ضيق يتراوح عرضه بين مئات من الأمتار إلى نحو كيلو متر أو أكثر قليلاً غرب القناة؛ حيث تكثر حدائق الفاكهة من أشجار الموالح والمانجو بشكل خاص فلو أضفنا إلى ذلك السياجات الشجرية المقامة لحماية هذه الحدائق لتصورنا مدى الإخفاء الهائل الذي تقدمه هذه المنطقة لأى قوات تحاول الاستتار فيها.

إنشاء رأس الكوبرى بين الاندفاع والحذر

تمكن العدو من إتمام عبور بعض وحداته المدرعة التي تقدر في حجمها الكلى بما يقرب من كتيبة دبابات ٣٠-٤٠ دبابة وبعض عناصر قواته الخاصة التي تقدر بما يقرب من كتيبة مظلات وأمكنه تكوين رأس كوبرى في البر الغربى للقناة يمتد من منطقة الديفر سوار جنوباً حتى ٢ كم متر شمالاً وظل قابلاً به لا يدري ماذا يفعل، ولا يناوش ولا يقاتل. لم يحاول العدو التعرض للوحدات المجاورة له وما أكثرها من كتائب الصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات بأى عمل - ماذا نسمى ذلك في العلم العسكرى. حرب دائرية ونيرانها مستمرة منذ عشرة أيام وعد ويتلقى الهزيمة يوماً بعد يوم، ثم يقوم بعبور محدود إلى غرب القناة ويلتمس الصمت والهدوء مخبئاً في حدائق

الفاكهة الكثيفة. الوضع الطبيعي هو توسيع رأس الكوبرى وتعميقه ومحاولة القضاء على القوات الموجودة فيه وتهيأة ظروف أفضل لعبور قوات أخرى لم يحدث من ذلك شيء منذ عبر العدو سعت ١٣٠. ليلة ١٥/١٦ أكتوبر، كل ما فعله هو إيجاد الاختفاء داخل الحدائق مثله مثل السارق الذى يختبئ بسرعة بعد سحب ضحيته من فرط ما ألم به من خوف وللتدليل على ذلك أن إحدى وحداتنا كانت فى طريقها إلى موقعها بجوار العدو فى رأس - الكوبرى ولم يتعرض لها وهنا يبرز سؤال محير، لماذا لم ينقض العدو عليها وعلى غيرها من كتائب صواريخ الخط الأول غرب القناة مباشرة وعددها كتيبتا صواريخ سام ٣ طالما عبر إلى الغرب وطالما يذيع منذ ١٠/١٠/٧٣ بضرورة - تدمير حائط الصواريخ بأى ثمن حتى يمكنه أن يؤثر على المعركة البرية الدائرة. هل العدو غير مصدق لنجاحه، واقع الامر أنه نجح فعلا فكيف لا يصدق. هل قوة العدو قليلة لدرجة جعلته لا يتحرك. الواقع أنه فى هذه اللحظة لم يكن أمامه سوى وحدات حائط الصواريخ وبعض وحدات محدودة من المدفعية المضادة للطائرات. أم أن الخوف الذى كان مسيطرا عليه ولا يزال مسيطرا عليه صرفه عن القيام بأى عمل عسكري ضد وحدات الصواريخ وأيا كان التقدير فلقد توقع العدو تماما ولم يقم بأى نشاط حتى ظهر يوم ١٦/١٠.

تمكنت قواتنا البرية من تحديد شكل وأوضاع العدو سعت ١٠٠٠ يوم ١٦/١٠. وكان تقديرها للموقف - وقتئذ - هو وجود إبرار محدود للعدو فى مطار الديفرسوار وبنفس العدد من الدبابات التى سبق أن حددناه ليلا. بعد زمن قصير تخصصت مهمة القضاء على العدو فى الغرب لبعض الوحدات المجاورة لمنطقة الإبرار، وكان من بين هذه القوات بعض قوات الدول العربية الصديقة المشاركة فى الحرب. الواقع أن القرار وإن كان قد تم فى وقته إلا أنه بنى على أساس غير واقعى، فالعدو لم يتم تحديد أوضاعه بالضبط حتى الآن لم تعرف قوته الحقيقية الموجودة فى المغرب وكان هذا هو الخطأ الثانى.

قامت القوات المكلفة بالقضاء على العدو بتنفيذ المهمة المكلفة بها، وكان الواجب عليها تحديد حجمه وأوضاعه، ثم التعامل معه ولكن لم يحدث ذلك تماما، بل سيطر عامل السرعة على عملية التنفيذ فقامت بإطلاق نيرانها عشوائيا مما أدى إلى اختفاء

العدو في المناطق الشجرية وكان هذا هو الخطأ الثالث، والقاتل في الوقت نفسه، إذ أبلغ قائد القوة المكلفة بتنفيذ المهمة بأنه تم القضاء على العدو.

لقد كانت قوة العدو في رأس الكوبرى صباح يوم ١٦ / ١٠ تقارب كتيبة دبابات وكتيبة مظلات، وهذه القوة تمكنت من النجاح المؤقت؛ لأنه لم يكن أمامها أى قوات سوى مؤخرات الوحدات بالإضافة إلى كتائب حائط الصواريخ المنتشرة هنا وهناك كما أن القوات التى خصصت للتعامل مع العدو لم تكن بالقوات السليمة الواجب دفعها لإيقاف العدو غرباً وتدميره؛ لذا فقد فشلت في إيقاف انتشار العدو ولو كانت هذه القوات من القوة بحيث تتناسب مع العدو حجماً ونوعاً لتمكنت من القضاء على العدو والواقع أن العدو رغم استيلائه على رأس الكوبرى في الغرب فإنه كان من الضعف بمكان، فقوته غرباً لم تزد على ٤٠ دبابة وعربة نصف جنزير ونحو ٢٠٠-٣٠٠ جندي مظليين وإزاء هذا الضعف ورغبة منه في تثبيت رأس الكوبرى احتل العدو رأس الكوبرى المحدد غرباً والذي لم يزد اتساعه على ٢ كم ممتداً من مطار الديفرسوار الى جنوب قرية سرايوم بنحو ٣ كم وبعمق لا يتعدى ١ كم. عندما أيقن العدو أن القوات المهاجمة قد عادت أدراجها تقدم سعت ١٢٠٠ ببعض دبابته في اتجاه الغرب، قامت القوات الجوية بمهاجمته وأنزلت به بعض الخسائر وكان من الضروري أن يتوقع العدو في مكانه بين الأشجار إلا أن ما حدث هو العكس، فقد خرج العدو وتسرب ببعض دباباته تجاه الغرب وقام بقصف أول كتيبة صواريخ، كانت تقع غرب مطار الديفرسوار بنحو ٤ كم تقريباً وفي هذه اللحظة بدأ أول تعامل أرضي للعدو ومع حائط الصواريخ ورغم أن العدو وتمكن من إسكات هذه الكتيبة وتدمير بعض المعدات فإنه لم يحاول أن يهاجمها وإنما لجأ إلى اتباع أسلوب غريب - أضرب - أهرب اختبئ وأبحث عن قرية أخرى واستخدم معها نفس الأسلوب وإزاء ذلك كان لا بد لنا أن نراقب العدو وتحركاته وفعلنا كان لوسائلنا البصرية والتلفزيونية خير عون في ذلك بالإضافة إلى ما استلزمه الموقف من ضرورة وجود أسلوب جديد يتفق مع أسلوب العدو بحيث لا يتمكن من أن يفاجئ أن كتيبة صواريخ أخرى ويقصفها بمدفعية دباباته مع وضع الحاجة إلى وقاية القوات في الشرق في ذلك القطاع في الاعتبار، فعلا وجدنا الأسلوب

المناسب إلا أن العدو تقوقع مرة أخرى في المنطقة الشجرية وخلف السواتر الترابية التي كانت قواتنا قد أقامتها من قبل لإخفاء تحضيرات الهجوم.

في ضوء انتشار العدو شمالاً وجنوباً وتطوير أسلوبه القتالي واتجاهه إلى العمل في مجموعات صغيرة ٦-١٠ دبابات وتحركة بسرعة من مكان إلى مكان قامت القوات الجوية بالبحث عنه وتحديدته باستخدام الطائرات الحليو كبر، كما تحدت مهمة تدمير العدو في الغرب إلى الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكي احتياط الجيش الثاني الميداني في ذلك الوقت وكانت مكونة من لواء مدرع ولواء ميكانيكي وتتواجد وحداتها بين الشرق والغرب وفي ضوء المعلومات عن العدو المتسرب سواء من المصادر الأرضية رغم تضاربها أو القوات الجوية، قامت القوات الجوية اعتباراً من سعت ١٦٠٠ بأكثر من طلعة ضاربة من مطارات الصالحية بليس القطامية بمجهود ضخم ولكنه في جميع الأحوال لا يتماشى مع أسلوب استخدم القوات الجوية الاستخدام الصحيح.

لقد أدى هذا المجهود الضخم إلى خسائر في قوات العدو، هذا مما لا شك فيه إلا أن محاولات العدو لتوسيع رأس الكوبرى كانت لا تزال مستمرة فلم يكده يفيق من ضربات القوات الجوية حتى بدأ له أن الأفضل هو التحرك خارج المناطق الشجرية والاستئثار في الأرض مستغلاً طبيعة الأرض والحفر المنتشرة هنا وهناك ولتحقيق ذلك بدأ العدو وتقدمه في اتجاه قرية سرايوم بقوة تقدر بنحو ٢٠ دبابة وذلك في اتجاه الغرب وحاولت قواته الجوية معاونته في هذا التقدم ولكن كان حائط الصواريخ لها بالمرصاد مما حدا بالعدو إلى أن يوجه نيران مدفعيته ودباباته تجاه إحدى كتائب الصواريخ الامامية الأخرى من بعد ولكن كان لأسلوبنا الذي حددناه للتغلب على نيران دبابات العدو وأثر في عدم إصابتها إلا - بخسائر طفيفة ولم يأت آخر ضوء يوم ١٦ / ١٠ حتى توقف نشاط العدو تماماً وعاد أدراجه لرأس الكوبرى ليختبئ داخل المنطقة الشجرية.

كان لتقدم العدو غرباً كما أسلفت مفاجأة غير متوقعة، إذ أنه يتنافى مع كل المعلومات المبلغة لنا بأن العدو محاصر وجارى التعامل معه أو قامت قواتنا الجوية بتدميره كلية. لقد قام العدو وخلال أربع ساعات بتوسيع رأس الكوبرى والعمل على تأمينه، وكان من الواجب أن يتم حصاره فيه ولا يسمح له بالنفاذ منه.

لقد كان هناك خطان دفاعيان يجب منع العدو من تخطيها والتسرب غربًا وتوسيع رأس الكوبرى أولهما هو خط ترعة السويس ذلك المانع المائي الذي يبعد عن القناة في منطقة رأس الكوبرى بنحو ١ كم، وثانيهما هو ذلك الساتر الترابى الممتد بجوار طريق الإسماعيلية السويس من سرايوم إلى أبى سلطان ولو كان العدو قد تمكن من اجتياز الاول ببعض عناصر المحدودة خلال عبور ليلة ١٥ / ١٦ أكتوبر كان من الواجب التمسك بالخط الثانى؛ لأنه بعد ذلك تنعدم الهياكل الأرضية التى يمكن الاستناد إليها لتكوين خط دفاعى لحصار العدو أولاً، ثم تدميره ثانيًا، ولكن خطة القضاء على العدو اتخذت الطابع الهجومى فكان مصيرها الفشل.

العدو يعمل على تثبيت رأس الكوبرى

فى مساء يوم ١٠ / ١٦ وصلت معلومات تؤكد أن الهجوم على جنب الفرقة ١٦ مشاة فى الشرق قد أمكن صدّه وإيقافه وأن قوات الصاعقة والمشاة الميكانيكية تقوم فى الغرب بالضغط على العدو الذى يحاول الانسحاب فى الديفرسوار وساحل البحيرة المرة الكبرى وتحاول قواتنا فى ضغطها عليه منعه من الانسحاب بغرض وقوعه فى الأسر. أدت هذه المعلومات إلى زيادة الثقة والتنبؤ بأن الموقف فى الغرب بدأ ينجلي لصالحنا وأن ما قام به العدو اليوم ضد كتيبتين صواريخ لا يعنى شيئًا بالنسبة إلى حائط الصواريخ فالمنورة بالوحدات والمعدات يمكن استعادة الموقف تمامًا.

لم تلبث هذه الثقة طويلاً فقرابة منتصف ليلة ١٦ / ١٧ أبلغت نقط المراقبة الجوية فى منطقة سرايوم عن عبور جديد لدبابات العدو من الشرق للغرب وهنا قفز إلى الذهن ماذا يبغى العدو من العبور الجديد هل حائط الصواريخ أو تنفيذ خطته الغزاة للرد على ذلك لا بد من عودة للسنوات التى سبقت حرب أكتوبر.

لقد كانت القيادة الإسرائيلية تعد لعملية هجومية، وكان فكرها لتلك العملية يتخلص فى الآتى :

تقوم القوات الجوية الإسرائيلية بتوجيه ضربة جوية شاملة إلى جمهورية مصر العربية توجه إلى الأغراض السياسية والاقتصادية والعسكرية المهمة بقصد إحداث أكبر خسائر

بها وذلك لإجبارها على قبول الشروط المناسبة لإسرائيل أو القيام بعملية هجومية ضد جمهورية مصر العربية على تثبيت باقى الجبهات فى سوريا والأردن وذلك للحصول على نفس الشروط المناسبة. لقد كان الاحتمال الثانى هو أكثر الاحتمالات توقعًا، وكان يهدف العدو من ورائه على تحقيق الأهداف الآتية:

أ- تدمير القوات المسلحة.

ب- الاستيلاء على القاهرة وبعض الأغراض المهمة فى شرق الدلتا ولتحقيق هذه الفكرة كان من المنتظر أن يبدأ العدو قبل يوم الهجوم بسبعة أيام تجميع قواته وبعد أن ينتهى من ذلك يقوم بهجمات جوية مركزة ضد وحدات الدفاع الجوى مراكز القيادة، عقد المواصلات، التجميع الرئيسى للقوات البرية بغرض إحداث أكبر خسائر بها فى اليوم السابق للهجوم يقوم العدو بضربة جوية مركزة لإحداث أكبر خسائر ضد الأغراض الحيوية فى العمق مع دفع قوات الإبرار الجوى ليلا لاحتلال رءوس الكبارى على الضفة الغربية للقناة تحت ستار نيران المدفعية وذلك فى كل من القنطرة، افردان، الإسماعيلية، الديفرسوار والشط.

فى أول ضوء يوم الهجوم يقوم العدو بدفع مجموعات عملياته (فرقة) تحت ستار الطيران والمدفعية وبالتعاون مع الإبرار الجوى بغرض اختراق النطاق الدفاعى للقوات المصرية غرب القناة وتحقيق المهمة المباشرة خلال ثلاثة أيام والوصول إلى الخط الساحلى، أبو صوير - جبل عويبد بعد ذلك يقوم العدو بدفع احتياطياته الاستراتيجية من وسط سيناء مستغلا نجاحه للتقدم تجاه القاهرة والدلتا بالتعاون مع قواته الجوية بغرض الوصول إلى مشارف القاهرة.

ولو أمعنا النظر فى فكر القيادة الإسرائيلية دون الدخول فى تفاصيل نجد أن غرضها النهائى فى حالة النجاح هو الوصول إلى مشارف القاهرة وإذا درسنا أقرب المحاور من القناة للقاهرة نجد أنها إما محور الشلوفة - القاهرة أو محور الديفرسوار - القاهرة فعلاوة على قرب هذه المحاور للقاهرة نجد أنها لاتعترضها أى موانع مائية ولا تؤدى إلى الدخول فى الدلتا والتورط فى قتال مرير فيها وإذا قارنا بين المحورين نجد المحور

الأول الشلوفة - القاهرة تكتنفه كثير من الهيئات الحاكمة والمضايق التي يمكن للعدو و اجتيازها أو التغلب على أية مقاومة تتولى الدفاع عنها وذلك على العكس تمامًا من محور الديفرسوار - القاهرة الذي تعتبر طبيعة أرضه غرب القناة مفتوحة تمامًا ومثالية لعمل المدرعات، ولا توجد عليه أن هيئات طبيعية قوية تيسر للمدافع احتلال موقع دفاعي قوى عليه.

كما سبق يتضح أن العبور الجديد للعدو يتنافى مع فكر العدو في تدمير بعض كتائب الصواريخ، لقد كان فكر الجنرال شارون في ذلك يهدف إلى العبور وفي قفزة واحدة سريعة يقوم بتدمير عدة كتائب صواريخ يعود بعدها للغرب. وقد حقق ما كان يبغيه. وأوجد مجالا للقوات الجوية الإسرائيلية تعمل فيه بحرية بعيدًا عن تأثير وحدات الصواريخ. وعلى ذلك يمكن القول إن نجاح الجنرال شارون يوم ١٠ / ١٦ في التمسك برأس الكوبرى أطاح برأسه وأسكره تمامًا وفكر في المزيد ولذا طالب بعبور قوات جديدة إليه.

كان من الواجب عدم ترك العدو خلال ليلة ١٦ / ١٧ يعمل في حرية يعود إلى رأس الكوبرى ويقع فيه ويؤمن عبور قوات جديدة للغرب، بل كان الواجب وقد مضى نهار طويل والقتال مع العدو غربًا لم ينته، أن نكون أكثر حرصًا وتصميمًا على تدميره بسرعة أما خلال ليلة ١٦ / ١٧ أكتوبر أو يوم ١٠ / ١٧ على الأكثر حتى لا تتأثر المعركة شرقًا وغربًا وتنتقل المبادأة كاملة ليد العدو كان في الضروري وقد قبع العدو في رأس الكوبرى أن نحيل ليله إلى جحيم بمعرفة القوات الخاصة وأن نبني في الوقت نفسه وبسرعة نظامًا دفاعيًا في الاتجاهات المهمة يعتمد على حقول ألغام خلال وأن نسرع في حشد القوات في مواجهة العدو ونعمل على تثبيته مع إعداد ضربة مضادة قوية للقضاء عليه نهائيًا صباح يوم ١٠ / ١٧. لقد كان موقف العدو خلال ليلة ١٦ / ١٧ أكتوبر حرجًا، فداباته كانت في حاجة إلى وقود وقواته في حاجة ماسة إلى الذخائر خلاف حاجتها لمواد الإعاشة الأخرى، لقد حاول العدو التغلب على ذلك الموقف فأرسل العديد من طائرات الهليكوبتر لإمداد قواته بالوقود ومختلف أصناف الإعاشة وقررت ألا نسمح له بأى إمداد ووقفت له الوحدات بالمرصاد، لقد تمكنا خلال هذه - الليلة

من تدمير ٩ طائرات هليكوبتر منها ٧ طائرات مؤكدة مما جعل العدو إزاء هذه الخسائر الباهظة يقرر التوقف عن إمداد قواته بالطائرات.

إن عبور قوات جديدة للغرب في ضوء الموقف السالف الذكر يعتبر مخاطرة جسيمة ولا يعرف مداها. لقد كان لدى العدو قوات كبيرة متوفرة شرقاً فهناك غير فرقة الجنرال شارون، والتي تتكون من لواءين مدرع ولواء مشاة ميكانيكي وبعض القوات الخاصة من المظلات، والتي لم يعبر منها للغرب حتى الآن إلا عناصر محدودة توجد أيضاً فرقة الجنرال بيرين وتمائل سابقتها ومتجمعة شرق البحيرات المرة الكبرى شرق المزرعة الصينية. ولكن لماذا أحجم العدو رغم توفر فرصة العبور وتوافر القوات بالقدر الذي أسلفنا ذكره. هل أحجمت القيادة الإسرائيلية كما ادعت عن الجري وراء مطامع الجنرال شارون - وآرائه أم أن هناك عوامل أخرى.

الواقع أن العملية كلها - في حد ذاتها، كما أوضحت - كانت جرياً وراء غرور شخصي للجنرال شارون ولذا لم توافق القيادة الإسرائيلية على عملية العبور - نظراً لأنها لا تؤدي إلى أى غرض من اغراض الحرب. إلا أن الواقع الآن رغم عدم الموافقة هو أن القوات الإسرائيلية تمكنت من دفع الجنب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة شرق القناة ومن ثم العبور بقوات محدودة للغرب، ثم تمكنت القوات من الانتشار وإلحاق خسائر بالوحدات غرب القناة ولدى القيادة الإسرائيلية احتياطات ضخمة من القوات في الشرق على مقربة من منطقة رأس الكوبرى تبلغ نحو فرقتين مدرعتين كاملتين فلماذا لم تدفع بقواتها للغرب والنجاح أمامها مائل تماماً لتحقيق حلمها القديم في إملاء شروطها كما كانت تحلم ولتوضيح ذلك هناك عدة عوامل يجب إبرازها :

الغرض من الحرب

إن الغرض السياسى الذى قامت من أجله مصر بالحرب هو تحرير الأرض المحتلة عام ١٩٦٧ وعلى ضوء ذلك أصبح الغرض العسكرى للقوات المسلحة المصرية هو القيام بعملية هجومية تقتحم فيها قناة السويس وتدمر فيها التجميع الرئيسى للقوات الإسرائيلية في سيناء وذلك وفقاً للمراحل التى وضعت للعملية الهجومية - أما إسرائيل

فقد كان غرضها السياسى والذى أعلنت عنه مراراً هو استمرار احتلالها للأرض المحتلة عقب حرب ١٩٦٧ وتبعاً لذلك كان عليها أن تبنى خطأ دفاعياً منيعاً ألا وهو خط بارليف ذلك الخط الذى ارتكز على أكبر مانع عرفه التاريخ وهو قناة السويس. وفى ضوء كلا الغرضين وقيام القوات المصرية بعملياتها الهجومية ونجاحها فى اقتحام قناة السويس واستيلائها على رءوس الكبارى شرق القناة وتدعيمها، ثم الالتقاء فى معارك تصادمية مع احتياطات العدو التكتيكية وهزيمتها وتدمير العديد من دبابات العدو بالإضافة للكارثة التى حلت بالقوات الجوية الإسرائيلية من جراء خسائرها التى بلغت حتى يوم ١٥ / ١٠ نحو ١٩٠ طائرة مؤكدة بين قاذفة مقاتلة وهليكوبتر ونحو ٣٠ طائرة بين قاذفة مقاتلة وهليكوبتر غير مؤكدة ماذا كان ينبغى على القيادة الإسرائيلية اتخاذه؟. كان من الواجب المحافظة على الغرض السياسى والعسكرى ويعنى ذلك العمل على هزيمة القوات المصرية فى الشرق وإعادة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل يوم ٦ / ١٠ هذا هو العلم العسكرى الذى ينص على ضرورة الحفاظ على الغرض العسكرى فى جميع الأوقات وحشد جميع الجهود والطاقات لتحقيقه وفى سبيل ذلك كان على القيادة الإسرائيلية أن تقوم بهجومها المضاد فى الشرق لهزيمة القوات المصرية وإجبارها على الانسحاب من الشرق. إن نجاح العدو فى العبور إلى الغرب ايا كانت قوته لا يؤثر على سير القتال الدائر فى الشرق ولا يؤثر على موقف القوات الموجودة فى رءوس الكبارى والى التى كانت بلغت فى ذلك الوقت عدة فرق مشاة ومدربة وميكانيكية وتمكنت فى قتالها من تحطيم هجمات العدو المضادة العديدة مما جعل زحزحتها عن الأرضى التى احتلتها أمراً بالغ الصعوبة هو أقرب إلى الخيال.

شكل المعركة الدائرة

هناك مبادئ لفن القتال بمستوياته المختلفة تم اكتسابها وصقلها خلال الحروب السابقة وتلك المبادئ تقضى أن يقوم كل طرف بوجه القتال الذى يناسب الموقف وبما يحقق الغرض من الحرب ولو طبقنا ذلك مع ما كان يدور نجد أن القوات المسلحة المصرية كانت قائمة بتطوير الهجوم شرقاً يوم ١٤ / ١٠ ومعنى التطوير هو التقدم إلى الأمام والالتقاء بقوات العدو الرئيسية وتدميرها والوصول بالقوات إلى خطوط

تكتيكية واستراتيجية آمنة تمهيداً لاستخدامها كنقطة انطلاق للعمليات فيما بعد وفي ضوء ذلك نجد أن مهمة القوات الإسرائيلية كما ينبغي أن تكون هو إيقاف الهجوم المصرى أولاً - ثم تدميره وخلق أفضل الظروف للقوات الإسرائيلية للقيام بهجوم مضاد قوى بالاحتياطيات التعبوية لهزيمة القوات المصرية المسلحة وإرجاعها للخلف هذا هو المنطق العسكري الذى كان يجب أن تسير عليه المعركة فهل تم ذلك ذلك لقد تمكنت القوات الإسرائيلية من إيقاف الهجوم المدرع المصرى، ولكن لم تتمكن من تدميره وفي سبيل تدميره قامت بعدة هجمات مضادة قوية أفقدته بعض الخسائر وتكبدت هى خسائر فادحة، ولكن نظراً للتفوق العددي للعدو على قواتنا فى قطاع الفرقة ١٦ مشاة فقط تمكن العدو من النجاح والضغط على أحد لواءات الفرقة مما أدى إلى ارتداده للخلف بعد معارك عديدة وعنيفة من الارتداد والتقدم ولا يعنى نجاح العدو فى الوصول إلى القناة عقب ارتداد اللواء ١٦ مشاة الموجود فى الجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة ضرورة العبور إلى الغرب بل إن الواجب هو تهيئة الظروف المناسب للقيام بهجوم شامل على مواجهة القتال لتحقيق الغرض من الحرب. إن موضوع ارتداد القوات فى الدفاع أمر مسلم به كما أن اختراق العدو للموقع الدفاعى أمر ممكن ومسلم به، ولكن غير المسلم به هو أن يتحول - الاختراق إلى انطلاق يهز كيان الدفاع ويلقى به فى فكى العدو وما قام به العدو وأمام اللواء ١٦ مشاة لم يكن العدو واختراق موقع اللواء فقط تمكن من إرجاعه للخلف فى اتجاه الشمال - إذا فليس هناك اختراق للموقع الدفاعى لتحويله إلى انطلاق وتصور إقامة الفك الأيسر للكماشة بعبور القناة للغرب والتواجد خلف تشكيلات الجيش الثانى الميدانى ولا تزال معابر الجيش سليمة وإن كانت قد هددت فى قطاع عبور العدو إلا أنها فى باقى القطاعات فى الإسماعيلية والفردان والقنطرة سليمة ويمكن تلبية القوات بكل احتياجاتها من خلال هذه المعابر.

موقف القوات

كان للعدو فى المنطقة التكتيكية شرق القناة أربع فرق تقريباً حشد العدو منها فرقتين فى المنطقة شرق البحيرات المرة الكبرى ويعنى ذلك أن العدو قام بتثبيت مواجهة الجيش الثالث الميدانى بلواء فى مواجهة ما يقرب من ثلاث فرق وقام بتثبيت مواجهة الجيش

الثانى بلواءين فى مواجهة ما يقرب من ٤ فرق وكان للقوات المسلحة المصرية فى الغرب حشد هائل من القوات فهناك الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى عداء لواء، عدة كتائب من الصاعقة والمظلات. لواء مدرع من الفرقة الرابعة المدرعة. كل ذلك فى الغرب، فهل يعقل والموقف بهذه الصورة أن يجازف العدو بالعبور للغرب، فلو فرضنا أن القوات التى فى الغرب تمكنت من إيقافه متخذة الدفاع كوجه من أوجه القتال وقامت القوات الموجودة فى الشرق ولا يوجد أمامها سوى قوات هزيلة من العدو باستئناف الهجوم لتمكنت من النجاح وتحقيق مزيد من الأرض المكتسبة.

الموقف الإدارى

لقد كان الموقف الإدارى للقوات المسلحة المصرية فى الشرق ممتازاً للغاية، فقد تمكنت القوات من خلال الكبارى العديدة التى أقامتها، وعدم إمكان القوات الجوية الإسرائيلية التدخل نهائياً ضد المعابر أو القنولات من تكديس الكثير من النواحي الإدارية اللازمة لها وخاصة الذخائر وفى ضوء ذلك يمكن القول إن موقفها يسر لها استمرارها فى القتال لأيام عديدة بينما العدو فى محاولة عبوره للغرب لم يتمكن من إقامة أى كبرى تيسر له تكديس احتياجاته ولجأ إلى الإمداد الجوى بالطائرات الهليكوبتر وكانت صواريخنا لها بالرصاد فدمرتها تماماً. وإزاء ذلك الموقف ساء موقف قوات العدو المحدودة فى الغرب يوم ١٧ / ١٠، بل إنها قبعست خلال النهار متخذة الدفاع لعدم قدرة العدو على إمدادها ليلاً - مما ألجأه إلى القيام بإمدادها عبر البحيرات المرة الكبرى بواسطة بعض اللنشات الصغيرة فى ساعات الصباح الأولى، ولكن مهما كانت طاقاتها فهى غير كاملة، أمام كل تلك الاعتبارات يمكن الحكم على سلامة عبور العدو للغرب ومنذى أهميته للمعركة الدائرة ومدى نجاحه المنتظر هذه هى بداية الثغرة، والتى تطورت كما سنرى بعد إلى حركة التفاف واسعة تجاه السويس فى ضوء كل هذه الاحتمالات لم تقتنع القيادة الإسرائيلية خلال يوم ١٦ ولا يوم ١٧ / ١٠ بجداولها ولا بقدرتها على النجاح، ولذا لم تحاول إمدادها بالقوات الكافية وهى كثيرة ومتجمعة على مقربة منها خوفاً من أن تلقى بها فى فم الأسد، فالموقف كله ليس فى صالحها إلا أن بعض الأخطاء التى صاحبت عملية القضاء على الثغرة بالإضافة إلى النشاط السياسى الدولى،

والذى بدأ مع الحرب وبلغ قمته خلال الأسبوع الثانى منها بغرض وقف القتال كانا العاملين الأساسيين اللذين دفعا إسرائيل إلى المجازفة بعبور قوات كبيرة يوم ١٠ / ٢٠ وما بعد ذلك ولم يكن ذلك إلا بغرض قبول وقف إطلاق النار المتوقع بين وقت وآخر من موقف القوة.

العدو يرفض القتال

لقد حمل يوم ١٧ / ١٠ بين طياته كثيرا من التفاؤل ذلك التفاؤل الذى زاد من الإصرار على القتال مع العدو وبشراسة بكل الوسائل المتيسرة مهما كان الثمن فلم يكذب يزع الصباح حتى تأكد لنا من المعلومات الواردة من قيادة الجيش الثانى الميدانى أن العدو محاصر فى الديفرسوار وأن الأوامر صدرت إلى اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى من الفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكى تعاونه كتيبة صاعقة بحصار العدو وتدميره. لقد حاول العدو الانتشار غربا صباح يوم ١٧ / ١٠ كما فعل فى اليوم السابق - فتصدت له القوات البرية المكلفة بمهاجمته تعاونها القوات الجوية إلا أن - العدو أثر السلامة وانسحب سعت ١٠٠٠ من المعركة عائداً إلى رأس - الكوبرى وهنا تقع فى خطأ جديد أملاه عامل الزهو والصلف وإن كان قد بنى على تقدير خاطئ للموقف لقد أبدت القيادة المسئولة رغبتها فى القبض على قوات العدو إحياء كأسرى والابتعاد عن الاصول العسكرية للفن العسكرى وهو تدمير العدو وإزاء ذلك بدأت تصرفاتنا أما العدو فمن جانبه لم يقيم بأى تحركات أو بأى أعمال ضد الوحدات كما فعل يوم ١٦ / ١٠ ووفقاً للمعلومات التى وردت بحصاره وسوء موقفه العسكرى انتشرت الآمال عندى فى إمكان عودة الأوضاع إلى ما كانت عليه قبل عبور العدو للغرب، وفعلا قررت استعادة موقف بعض كتائب الصواريخ فى مواقعها وذلك بالنسبة إلى الكتائب التى تيسر لها معدات كما تقرر استبدال الكتائب التى لحقتها أضرار يوم ١٦ / ١٠ بكتيبتين آخرين تقرر إرسالهما لنا يوم ١٧ / ١٠ - وفى سعت ١٥٢٠ يوم ١٧ / ١٠ أكدت قيادة الجيش الثانى الميدانى لنا أن العدو محاصر تماماً بواسطة عناصر الصاعقة وأنه سيتم القضاء عليه فى أول ضوء يوم ١٨ / ١٠ مما دفعنا إلى عدم المجازفة بالوحدات الجديدة ولا سيما أنها ليس لديها خبرة قتالية وليست فى مستوى تدريب كتائب حائط الصواريخ ولذا روى

احتلالها لمواقع متأخرة يمكنها منها أن تفغل الثغرة على القناة سواء على ارتفاع ١٠٠ متر أو أكثر من ذلك.

لقد كانت قواتنا التي تواجه العدو وتحاصره مكونة من اللواء ١١٦ مشاة ميكانيكى مدعم بكتيبة صاعقة هذا بالإضافة إلى لواء مظلات كلف بمسح المنطقة الممتدة على طريق الإسماعيلية - السويس الصحراوى قوات كبيرة كافية لحصار العدو والاشتباك معه، ولكنها غير كافية لتدميره، فالعدو كان لديه ما يقرب من كتيبة ونصف دبابات أى ما يقرب من ٨٠ دبابة؛ أى أن العدو لديه التفوق فى الدبابات على قواتنا الموجودة امامه فى الغرب ورغم هذا التفوق قبع العدو فى رأس الكوبرى كما ذكرت اعتباراً من سعت ١٠٠٠ يوم ١٧/١٠ ولم يكن ذلك راجعاً.

إلا للأسباب الآتية:

أ- عدم تصديق القيادة الإسرائيلية على عبور جديد لقوات كبيرة لعدم ثقتها فى نجاح العملية رغم توفر القوات لديها.

ب- عدم القدرة على إمداد القوات الموجودة بالغرب باحتياجاتها لعرقلة ذلك سواء بالمدفعية أو الصواريخ أرض / جو التى دمرت كل محاولات العدو للإمداد بواسطة طائرات الهليكوبتر

ج- تحرك اللواء ٢٣ مدرع من الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى من مكانه فى الشرق شمال الإسماعيلية إلى الغرب فى اتجاه الثغرة ورصد ذلك بواسطة طائرات الاستطلاع للعدو.

د- عدم نجاح العدو فى تحقيق مهمته فى التعامل مع وحدات الصواريخ فى الغرب حتى يخلو الجو للقوات الجوية الإسرائيلية تصول وتجول فيه سواء شرق أو غرب القناة ورغم إصابة كتيبتين فإن هناك عدداً آخر يقوم بنفس المهمة يوفر الوقاية للقوات شرقاً وغرباً.

لقد كان العدو يعلق آمالاً كبيرة على وجوده فى الغرب - لقد كان العدو يفكر فى عمل ما ضد حائط الصواريخ منذ يوم ١٠/١٠ حتى يمكنه أن يوقف الهجوم المصرى

شرق القناة ولما كانت قواته الجوية قد فشلت في هذا الواجب وأصبح له وجود برى في الغرب وجد أن الفرص سانحة لقصف كتائب الصواريخ، وكان تقدير العدوان وحدات الصواريخ بمجرد قصفها بمدفعية الدبابات سترك له المعركة وتخلى له الأرض وهنا يتغير الموقف تمامًا وتصبح قواتنا في الشرق تحت رحمة قواته الجوية وهى قد بدأت في استعواض خسائرها بسرعة غير معهودة ومن ثم يبدأ في استخدامها بعنف ضد القوات في رءوس - الكبارى التى أصبحت عارية من الوقاية بالصواريخ أرض / جو ومن ثم يتمكن من تدميرها.

لقد كان من ضمن فكر العدو للعملية الهجومية هو أنه بمجرد ارتداد وحدات الصواريخ للخلف وخلو الجو تمامًا لقواته الجوية أن يدعم عمل قواته البرية في الغرب بعملية ابرار على نطاق واسع للسيطرة على طريق الإسماعيلية - القاهرة الصحراوى. في المنطقة حول الكيلو ٦٠ - ٦٥ طريق القاهرة / الإسماعيلية. ومن ثم يصبح على مشارف القاهرة - لقد كانت المعلومات المتوفرة سعت ٤٤٥ يوم ١٠ / ١٦ تؤكد قيام العدو بحشد لواء ابرار جوى في مطار المليز ولواء مظليين في مطار العريش وكلا اللوائين جاهزين لاستخدامهما عندما يحين الوقت المناسب، وكان علينا ألا تيسر للعدو هذا الموقف وإزاء ذلك قررت عدم ارتداد أى وحدة من الوحدات إطلاقاً مهما كانت خسائرها واستعادة موقعها في موقعها واستمرار القتال مع القوات الإسرائيلية لتوفير لوقاية للقوات في الشرق. بالإضافة إلى قتال عناصر العدو البرية في الغرب بكل ما نملك من أسلحة واضعين أماننا الأهداف التى يرمى إليها من عبوره للغرب سواء بالنسبة للقوات الموجودة في الشرق أو بالنسبة للغرض من عبوره إلى الغرب وإزاء إصرارى على الثبات في قتال العدو طلبت من قيادة قوات الدفاع الجوى إمدادنا بأكثر عدد من القواذف المضادة للدبابات (ر.ب.ج) وقمنا بتوزيع القليل المتوفر منها لدينا على كتائب الصواريخ أرض - جو التى تقع في اتجاه العدو.

أدى الدعم الأمريكى بالعديد من بطاريات المدفعية بعيدة المدى إلى زيادة قصف مدفعية العدو على كتائب الصواريخ الموجودة غرب القناة مباشرة وإزاء عدم إمكان تحاشي هذا الموقف وخطره على صلاحية معدات كتائب الصواريخ بالإضافة إلى العديد

من العوامل الفنية الأخرى وصلت إلى قرار يقضى بضرورة إبعاد كتائب الصواريخ الموجودة غرب القناة مباشرة إلى مواقع أخرى طالما أن الوقاية المطلوبة يمكن إتمامها وتيسرها للقوات في الشرق من مواقع أخرى بأمان أكثر ورغم ما أبديته من أسباب عديدة لها وزنها إلا أن طلبى لم يوافق عليه خلال هذا اليوم إلا أنه أصبح ضرورة ملحة يوم ١٨/١٠ واتخذته على عاتقى ولو كان هذا القرار قد تم اتخاذه يوم ١٧/١٠ لعاون كثيرًا في قتال يوم ١٨/١٠

العدو يدفع بقواته الجوية

لم يستمر مجهود القوات الجوية الإسرائيلية على انحساره كما كان في الأيام الماضية من يوم ١١-١٥ أكتوبر وإنما ازداد نشاطه وبلغ معدل الأيام الأولى للقتال والسبب في ذلك يرجع إلى الدعم الأمريكى من الطائرات والطيارين الذى بدأ فى الزيادة ذلك الدعم الذى بدأ يوم ١١/١٠ وظهر فى الجو يوم ١٣/١٠ ووصل إلى ذروته يوم ١٤/١٠. لقد وجهت القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١٦/١٠/٧٣ مجهودًا قدره ١١٤٠ طلعة طائرة منها ٩٦٤ طلعة طائرة نهارًا، وقد تلاحظ قلة مجهود العدو ليلاً ويرجع ذلك إلى الإجهاد ومستوى الطيارين الجدد الذين وصلوا إلى إسرائيل كمتطوعين. لقد ذكرت الصحف الإسبانية يوم ١٢/١٠ نبأ وصول ١٥٠ طيار أمريكى من طيارى الفانتوم من الذين اشتركوا فى حرب فيتنام إلى مدريد كسياح فى طريقهم إلى إسرائيل.

لقد تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات جوية مركزة تمت بقوة ٢١٦ طلعة الأولى قرابة سعت ٧٢٠ بقوة ٧٦ طلعة طائرة وجه العدو الجنوبي منها ٥٨ طلعة طائرة إلى القطاع الجنوبي والباقي إلى قطاع الجيش الثانى الميدانى، والثانية قرابة سعت ٨٣٠ بقوة ٣٤ طلعة طائرة وجه العدو ومنها ٢٠ طلعة طائرة لقطاع الجيش الثالث الميدانى، والباقي لقطاع الجيش الثانى الميدانى، أما الهجمة الثالثة، وكانت أقواها فقد تمت قرابة سعت ١٢٢٠ بقوة ٨٢ طلعة طائرة وجه العدو منها ٣٨ طلعة طائرة إلى القطاع الجنوبي و ٣٢ طلعة طائرة إلى القطاع الأوسط و ١٢ طلعة طائرة للقطاع الشمالى أما الهجمة الرابعة، فقد تمت قرابة سعت ١٥٣٠ بقوة ٢٦

طلعة طائرة منها ١٢ طلعة طائرة وجهها للقطاع الأوسط، ١٤ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي لم تحاول القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٠ / ١٦ مهاجمة أى كتيبة صواريخ، وكان علينا وقد عادت معظم كتائب الصواريخ من الشرق عاطلة أن تعمل فوراً على سرعة إصلاحها وإعادةتها إلى أوضاعها القتالية، ولكن واجهتنا في سبيل ذلك الكثير من العقبات التى كانت خارج نطاق تقديرنا وإمكاناتنا، لقد نشط استطلاع العدو الجوى نهائياً وخاصة في قطاع الجيش الثانى الميدانى وذلك بغرض تحديد أوضاع القوات المصرية أولاً بأول في الشرق والغرب بجانب الاحتياطات؛ حيث إن رأس الكوبرى الذى أقامه العدو في الغرب كان من الضعف بمكان وأى إجراء سليم حاسم ضده كان كفيلاً بإنهائه تماماً، أما خلال الليل فقد تلاحظ كثرة عمليات النقل الجوى، وكانت تهدف إلى إمداد قواته غرب القناة بالذخيرة والوقود ومتطلبات الإعاشة الأخرى بالإضافة إلى إخلاء جرحاه وقتلاه بل ونقل قواته وهنا كانت صواريخنا له بالمرصاد، فلقد تصدت لكل محاولات العدو، ودمرت له عدة طائرات هليكوبتر وتشهد مياه البحيرات المرة الكبرى والأرض شرقها على ذلك. ورغم ما أصاب وحدات حائط الصواريخ من هجوم دبابات العدو ورغم عودة معظم الكتائب للشرق في حالة سيئة ورغم القيود التى وضعت على النيران لمدد طويلة تمكن حائط الصواريخ من إسقاط ١٣ طائرة منها ٤ طائرة مؤكدة إحداها ريان فيربى.

لقد أدى تصدى وحدات الصواريخ لعمليات النقل الجوى التى قام بها العدو ليلة ١٠ / ١٦ أكتوبر الى تعثر عمليات العدو غرب القناة فبدأت خلال يوم ١٧ / ١٠ وتكاد تكون متعثرة ومقضى عليها بالفشل وعلى ذلك كان توقعنا لمجهوداته الجوى أن يبدأ مبكراً وأن يكون كبيراً وفعلاً بدأ قتالنا مع القوات الجوية الإسرائيلية منذ ساعات الصباح الأولى يوم ١٧ / ١٠ وكان قتالاً ساخناً مشجع العدو على البدء به رغبته الجارحة في إمداد قواته الموجودة في غرب القناة.

بلغ مجهوداً القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٧ أكتوبر ٩٨١ طلعة طائرة منها ٨٣٩ طلعة طائرة نهائياً، وهذا المجهود يعتبر أقل مما تم في اليوم السابق بقدر ملموس وكان الأجدر بالعدو وقد أصبح له تواجد محدود في الغرب أن يعمل على معاونة قواته

الجوية مما يؤدي إلى زيادة طبيعية في مجهوده الجوي، ولكن العكس هو ما حدث رغم سبل الإمدادات التي تتدفق عليه ويرجع ذلك إلى عاملين :

أ- لم يسر حائط الصواريخ الفرصة للقوات الجوية الإسرائيلية لتصول وتجول كما كان يتوقع العدو بل وقفت له بأساليب جديدة جعلته يخشى حائط الصواريخ ويؤثر الابتعاد عنه رغم قيامه بمهاجمة إحدى كتائبه جواً ونجاحه في إصابة معداتها، ورغم ما ركز من نيران مدفعيته في الشرق على كتائب الصواريخ الموجودة غرب القناة مباشرة.

ب- ميوعة الموقف نتيجة الاستخدام المكثف للقوات الجوية المصرية ذلك الاستخدام - الذي كان يستمر لمدد طويلة سواء في مهاجمة القوات الإسرائيلية في الشرق والغرب أو في قتال القوات الجوية الإسرائيلية.

تميز من مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٧ / ١٠ ثلاث هجمات جوية مركزة تمت كلها على القطاع الأوسط والجنوبي من جهة القتال الأولى تمت قرابة سعت ٦٣٠. بقوة ٥٢ طلعة طائرة مناصفة بين القطاعين، أما الثانية فقد تمت قرابة سعت ٠٨٣٠. بقوة ٤٢ طلعة ١٤ طلعة طائرة على القطاع الأوسط، ٢٨ طلعة طائرة على القطاع الجنوبي، أما الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١١٠٠ بقوة ٣٦ طلعة طائرة وجه منها ٢٩ طلعة طائرة على القطاع الجنوبي - والباقي على القطاع الأوسط.

لقد بدأ العدو مجهوده. ضد حائط الصواريخ سعت ٧١٧ بذكاء وأسلوب جديد استغل فيه الوديان العميقة الموجودة في المنطقة الجبلية التي تقع جنوب طريق نصر - السويس إذا اقتربت ٨ طائرات فانتوم وموتور وتمكنت من مهاجمة إحدى الكتائب الأمامية وحدثت بها خسائر جسيمة ولاذت بالفرار لقد كان العدو ذكياً في اقترابه لهذه الكتيبة إذ سلك طريقاً طويلاً للوصول إليها بل تعدى في اقترابه كتائب صواريخ أخرى كانت في طريق طيرانه دون أن يحاول مهاجمتها، إلا أنه لم يفلت من عقاب وحدات صواريخ سام ٧ التي دمرت له طائرتين.

لقد بدأ العدو في استخدام الصاروخ شرايك بكثرة وظهر يوم ١٧ / ١٠ أول استخدام لهذا الصاروخ على الارتفاعات المنخفضة، وقد كان هذا الأمر جديداً علينا

وقد تمكنت طائرة سكاى هوك من إطلاقه وتدمير هوائى رادار توجيه إحدى الكتائب إلا أن الطائرة لم تنجح من القصاص السريع فتم تدميرها بصاروخ واحد من كتيبة أخرى وأسر طيارها بجانب ذلك استخدام العدو ونفس الوسائل الخداعية المشابهة لها.

لم يكن نجاح العدو فى تدمير هوائى رادار توجيه كتيبة الصواريخ راجعاً إلى سلامة الأسلوب الجديد بقدر ما كان نابعاً من خطأ فى تطبيق التعليمات الماضية بالتعامل مع العدو ولتجنب الإصابة بالشرايك. وإزاء الرغبة الجارحة فى التعامل مع طائرات الاستطلاع العالى التى يرسلها العدو ولتعمل طعماً لدوريات الشرايك أو - الطائرات الحاملة للشرايك فرضت قيود على الوحدات فى الاشتباك مع طائرات الاستطلاع وقد أدى هذا التحديد إلى تجنبنا عدة عشرات من الصواريخ الشرايك كان كل واحد منها كفيلاً بتدمير هوائى رادار توجيه إحدى الكتائب مما يؤدى إلى توقف الكتيبة عن العمل وإلى الأبد لعدم وجود احتياطى يتم الاستعاضة منه.

لقد قامت قواتنا الجوية خلال اليومين السابقين بمجهود طيب لقتال العدو فى منطقة رأس الكوبرى وفى مناطق تجمع قواته فى الشرق ولقد أدى إلى استخدام القوات الجوية فى الشغرة شرقاً وغرباً والرغبة فى تأمينها إلى استخدام أسلوب التقييد الكامل للنيران فى قطاع ما أو أكثر وإزاء هذا الأسلوب وعدم الموافقة على طلبنا بحرية النيران واستمرار نشاط القوات الجوية الإسرائيلية فوق قطاع الفرقة ١٦ مشاة فى الشرق، أصدرت الأوامر للوحدات بالتعامل مع القوات الجوية الإسرائيلية بحرية تامة عدا قطاع الشعرة فتم تحديده بدقة تامة للوحدات وتم تركيز عدد من الوحدات لوقاية هذا القطاع وليس التركيز فى وحدات الصواريخ هو تواجد الوحدات داخل القطاع وإنما هو إعطاء قطاع ما استبقية عن غيره من القطاعات وهو ما حدث فعلاً.

لقد أدى هذا التحديد إلى خلق مرونة فى الوقف كان لا بد منها حتى لا نعطى للقوات الجوية الإسرائيلية حرية العمل دون تدخل، إلا أن خروج العديد من الطلعات الجوية عاق هذا النظام لاستخدام القوات الجوية جبهة القتال كلها فى الطيران دون قيود ورغم كل ذلك قاتل حائط الصواريخ، قاتل دبابت العدو فى الغرب بالأسلحة التى يمتلكها أو المناورة الطولية والعرضية الرائعة التى قام بها وقاتل القوات الجوية

الإسرائيلية غربًا وشرقًا رغم القيود التي فرضت طائفة صد هجوم العدو يوم ١٧ / ١٠ على مطار القطامية ووفر الوقاية لقوات الجيوش الميدانية في الشرق وتمكن من تدمير ٢١ طائر للعدو منها ٦ طائرات هليوكبتر.

لم نترك ما دار يوم ١٧ / ١٠ من قتال يمر دون استعراض للموقف من كافة جوانبه في ضوء المعلومات المتيسرة عن العدو شرقًا وغربًا وفي ضوء ما دار من مناقشات خرجت بالاستنتاجات التالية :

أ- إن الوجود الاسرائيلي في الغرب بعد انكماش القوات وتفوقها في رأس الكوبرى بالإضافة إلى حرمان العدو من إمداد قواته بواسطة طائرات النقل مع تخصيص مهمته العدو للفرقة ٢٣ مشاة ميكانيكي ووحدات الصاعقة والمظلات كان الاستنتاج المنطقي لذلك هو أن القضاء على رأس الكوبرى في الغرب أمر حتمي لا جدال فيه.

ب - في ضوء سلامة تقديرنا لأعمال القوات الجوية الإسرائيلية يوم ١٧ / ١٠ كان تقديرنا المحتمل لأعمالها يوم ١٨ / ١٠ - تلخص في أن الجانب الأيسر لحائط الصواريخ سيشهد قتالا مريباً علينا أن نستعد له من الآن - وفعلاً وفي ضوء الحالة التي وصلت إليها المعدات لم يتيسر إتمام أية مناورة بواسطة كتائب الصواريخ إلى الجانب الأيسر لحائط الصواريخ وإنما تم حشد أكبر عدد ممكن من وحدات سام ٧ واستخدماً في توزيع هذه الوحدات لأول مرة نظاماً جديداً هو النظام الصندوقي وكم كان رائعاً أن يثبت نجاحه التام من أول تجربة يدخلها.

بدء التحول في المعركة

رغم أن العدو تمكن ليلة ١٥ / ١٦ من تكوين رأس كوبرى في الغرب، تمكن بعده من التعامل مع مؤخرة القوات التي عبرت وكتائب حائط الصواريخ التي تواجهه ورغم أن النجاح كان حليفه فإن - القيادة الإسرائيلية لم تجازف يوم ١٦ / ١٠ بإمداد رأس الكوبرى بإمدادات كبيرة رغم الإلحاح في طلبها نظراً لأن الموقف كان ميئوساً منه تماماً وذلك تماشياً مع مبدأ عدم تعزيز الفشل.

لقد قام العدو وبعبر ضخم ليلة ١٧ / ١٨ أكتوبر ٧٣ رغم التأكيدات بأنه محاصر وإن الوحدات القائمة بالحصار تقوم بالتعاون مع القوات الموجودة في الشرق يمنع

العدو من العبور من الشرق الى الغرب إلا أن العدو تمكن قرابة ٣٠٠ يوم ١٨ / ١٠ من اختراق جديد للجانب الأيمن للفرقة ١٦ مشاة والوصول إلى خط المغذى الرئيسى (خط المياه الموجود تحت قناة السويس) في الشرق وفي ضوء ذلك النجاح بدأ العدو وفي عبور جديد في اتجاه الغرب بقوة تقدر تقريبا بلواء ميكانيكى وكتيبتين دبابات. وفي سبيل إيقاف هذا العبور قامت المدفعية بقصف نيران لمدة ١٠ دقائق مدعمة ببعض الصواريخ أرض - أرض لتدمير العدو إيقاف عبوره ورغم ذلك تمكن العدو من العبور رغم ما تكبده من خسائر وذلك في محاولة مستميتة لإنقاذ قواته الموجودة في رأس الكوبرى والتي كان مصيرها واضحا منذ أمس ذلك المصير الذى ازداد وضوحا بعد حشد الفرقة ٢٣ مشاه ميكانيكى حول الثغرة انتظارا للمعركة الفاصلة يوم ١٨ / ١٠.

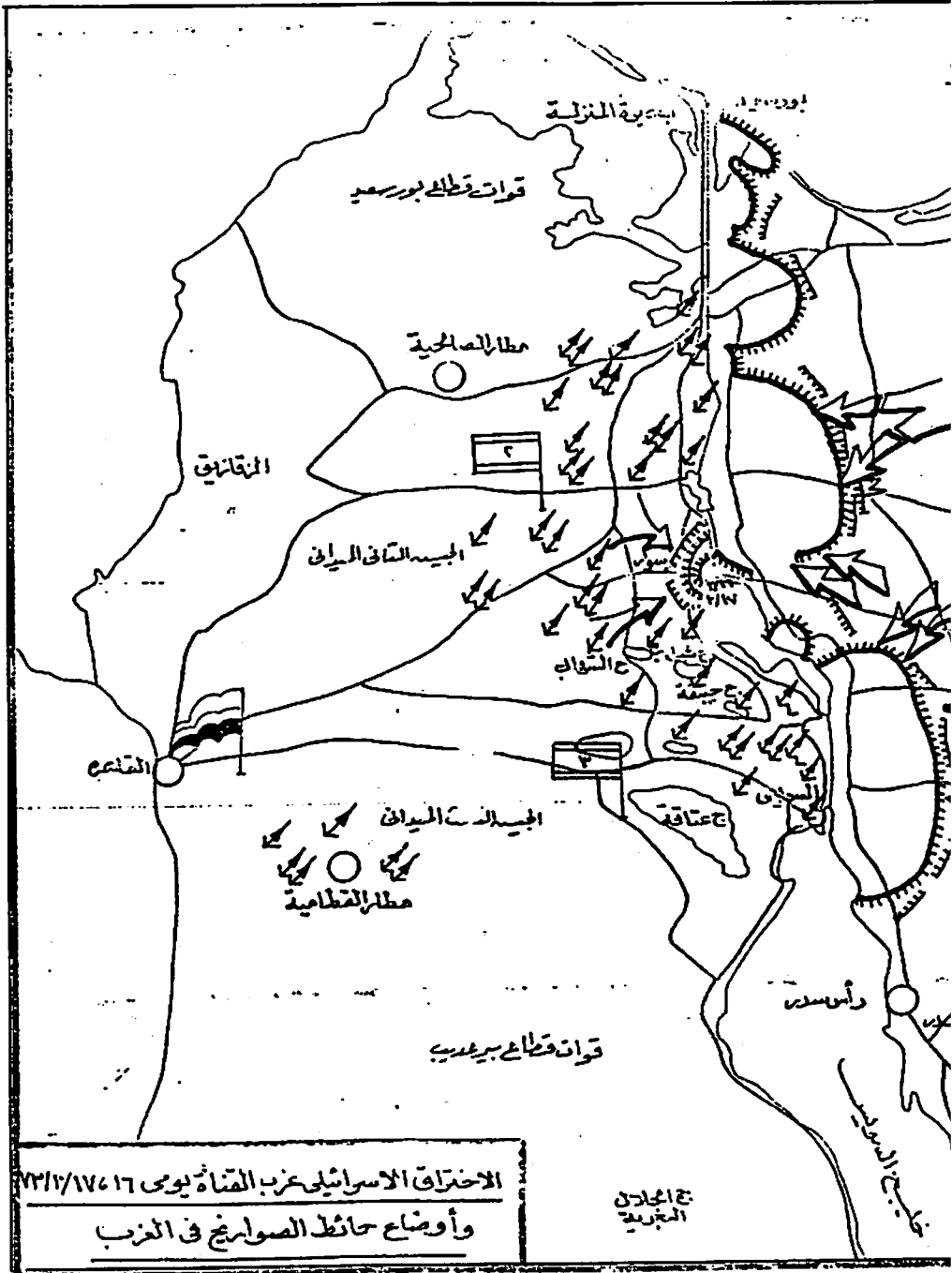
بدأت المعركة سعت ١٠٣٠ يوم ١٨ / ١٠ وانتهت بنجاح العدو، وكان نجاحه راجعا لأخطاء قاتله سواء في السيطرة على القوات أو أسلوب إدارة المعركة قرابة سعت ١٥٠٠ بدأ العدو في الانتشار شمالا وجنوبا وغربا ببعض الدبابات المفردة ففى اتجاه الشمال وصل العدو إلى أطراف المنطقة الزراعية الواقعة جنوب ترعة المنايف أما جنوبا فقد وصل إلى قرب مطار فايد بينما غربا فقد تمكن من تعميق رأس الكوبرى لمسافة ٧ كم من القناة وخلال انتشار هذا لم يتوقف عن استخدام مدفعية بعيدة المدى في ضرب كتائب الصواريخ التى كانت تقابله. لقد استنفذ ذلك منه جهدا كبيرا، فقد كان في مواجهة العدو عدة مواقع هيكلية من أنواع سام ٢، ٣ مفردة ومتداخلة مخبأة بعناية تامة يصعب تفرقتها عن مثيلتها الحقيقية لدرجة صعب على العدو عندما وقعت في يده أن يميزها عن الحقيقية من بعد وبمجرد وقوعها في يده أعلن عن استيلائه على أحدث المعدات الإلكترونية المعقدة وأسرع بدعوة المراسلين الصحفيين الأجانب لرؤية ذلك الحدث وإذا بالصحفيين يفاجئون بأن أحدث المعدات الإلكترونية ما هى إلا معدات مقلدة من الخشب والمعدن لاهية فيها. ورغم ما وجهه العدو إلى كتائب الصواريخ من نيران مدفعية بقصد إجبارها على ترك مواقعها إلا أننا لم نسر له ذلك رغم ما أصاب الوحدات من خسائر تعتبر ليست ذات قيمة في ضوء المعركة القائمة وكذا لم تترك الوحدات مواقعها. بل صممت على قتال العدو بها لديها من أسلحة فوقفت كالصخرة

العتيدة التى تحطمت عليها آمال القيادة الإسرائيلية وهذا ما لم نكن نتوقعه لقد كان انتشار العدو بهذا الأسلوب الذى سبق توضيحه مفاجأة لنا تمامًا فجميع البلاغات التى كانت تبلغ لنا من القيادة المسئولة عن إدارة المعركة تؤكد أن العدو أن العدو محاصر وإن الموقف مسيطر عليه إلا أن الواقع يخالف ذلك تمامًا، وإزاء الموقف الجديد كان لا بد من قرار سريع وفى سبيل الوصول إلى هذا القرار دارت المناقشات الساخنة. وهذا أمر طبيعى فى مثل هذه المواقف المعقدة.

كانت كل الآراء تميل إلى اتباع مبدأ السلامة للقوات قبل كل شىء وكان ذلك فى نظرى معناه ترك القوات الموجودة فى الشرق دون أى وقاية وكان على أن أضع كل ماذكر من اعتبارات أمامى بالدراسة الواعية والتمحيص البعيد عن الانفعال واضعًا الغرض من الحرب والمعركة الدائرة أمامى فكان أن خرجت بقرار مخالف لكل ما أبدى من آراء، وقررت عدم ترك الوقاية عن القوات الموجودة فى الشرق مهما كان الثمن الذى سندفعه، بل أخبرت القادة على كل المستويات بأننا لن نترك الأرض إلا على جثث الرجال وإن على كل مقاتل أن يحفر لنفسه قبرًا بجواره، قرار غريب ولكن هذا هو منطق الحرب، لقد اتخذت قرارًا تم بمقتضاه إخلاء بعض الكتائب الموجودة فى الثغرة إلى الخلف وإخلاء بعض الكتائب التى تنتظر بعد ساعات قليلة أن تكون هى الأخرى مهددة بالعدو. وأبلغت قرارى هذا إلى القيادة المسئولة وعلى ذلك أصبحت وحدات حائط الصواريخ تحيط برأس الكوبرى الذى استولى عليه العدو وفى الغرب وتحتل مواقعها على قوس دائرة يمتد من جنوب نفيسة إلى فايد ومركزها نقطة عبور العدو للغرب وذلك اعتبارًا من آخر ضوء يوم ١٨ / ١٠ / ١٩٧٣ م.

لقد الصق بعض من كتب عن حرب أكتوبر السبب فى نجاح العدو فى الثغرة غرب قناة السويس إلى حدوث ثغرة فى حائط الصواريخ؛ مثل هؤلاء الكتاب يلقون الكلام جزأًا ولا يحسنون من العلم العسكرى إلا الطنطنة - فكيف يكتبون عن حائط الصواريخ أو أسلوب الدفاع الجوى بواسطة حائط الصواريخ وهم لا يعرفون شيئًا عنه فنيًا أو تكتيكيًا. إن معركة الدفاع الجوى التى خاضها حائط الصواريخ فى مواجهة القوات الجوية الإسرائيلية شرقًا وغربًا تعتبر من أروع وأحدث معارك التاريخ وهى





الاحتراق الاسرائيلي غزب القناه يومى ١٦/٧/٧٣
 وأوضاع حائل الصوامع فى الغزب

المعركة الأولى بين الصواريخ أرض / جو والطائرة التي انهزمت فيها الأخيرة؛ ويكفى أن نعلم دون الخوض في تفاصيل فنية أن كتيبة صواريخ من طراز سام ٢ تغطي المنطقة حولها من جميع الاتجاهات بنصف قطر ٣٠ كيلو متر، فكيف يتجنون أو يلصقون بحائط الصواريخ؛ تلك الخزعبلات التي لا تستند إلى أى أساس. إن أقصى ما وصلت إليه الفرقة ١٦ مشاة في الشرق يصل إلى نحو ١٠ كيلو مترات ووفقاً لمتطلبات الوقاية المطلوبة كان من الممكن أن تكون كتائب الصواريخ في قطاع الفرقة ١٦ مشاة على عمق يتراوح ما بين ١٧-٢٠ كيلو متراً غرباً فيما بالناء وكتائب حائط الصواريخ حتى يوم ١٨ / ١٠ كانت غرب القناة مباشرة وأن ما أحدثه العدو من تدمير من معدات كتيبة صواريخ وإصابة هوائى رادار كتيبة أخرى يوم ١٦ / ١٠ لا يخل بالوقاية، إذ أن قطاع الفرقة ١٦ مشاة كان خلفه ٢ كتيبة سام ٣؛ ٢ كتيبة سام ٢ وتمركز غرب القناة على مسافات ما بين ١-٨-١٢ كيلو متراً حسب نوعها والمتطلبات الفنية للاستخدام هذا يعتبر كافياً لتنفيذ المزاعم الباطلة التى ألصقها هؤلاء الكتاب جزافاً بحائط الصواريخ؛ وإذا أضفنا إلى حائط الصواريخ ما قامت به القوات الجوية من مجهود فى الثغرة سواء قتال قوات العدو الجوية أو مهاجمة قوات العدو البرية لوجدنا أن الوقاية ضد القوات الجوية الإسرائيلية كانت فى أحسن حال. إن نجاح العدو لم يكن ناتجاً من القصور فى الوقاية من الهجمات الجوية الإسرائيلية، بل كان ناتجاً بالا استهانة بالعدو مما أدى إلى اتساع الثغرة فيما بعد لتشمل منطقة أوسع بكثير مما حدث، إن أوضاع حائط الصواريخ وموقعه حتى مساء يوم ١٨ / ١٠ يعتبر سلمياً للغاية وقادراً على توفير الوقاية المطلوبة للقوات فى الشرق؛ إلا أن محاولة العدو للانطلاق بعد نجاحه فى معركة الدبابات يوم ١٨ / ١٠ خلق موقفاً غريباً لم يكن فى الحسبان ولم يكن فى الخيال مما جعلنا نوازن بين الخسائر المتوقعة أن يحدثها العدو فى كتائب الصواريخ ومدى الوقاية الممكنة وتتخذ من الموازنة بينهما الأسلوب الذى يتلاءم مع الموقف.

العدو يعزز قواته بعبور جديد

لقد أدى نجاح العدو فى معركة الدبابات يوم ١٨ / ١٠ بالإضافة إلى التحرك الدولى السريع فى اتجاه وقف إطلاق النار إلى تغيير فورى فى فكر القيادة الإسرائيلية، فبعد

إن كانت تعارض في إمداد قواتها في الغرب بأية قوات جديدة خوفاً من الفشل الذي ينتظرها رأت وقد لاحت امامها فرصة النجاح ان تدفع بقوات جديدة إلى الغرب ليلة ١٨/١٩ أكتوبر كى تعزز وجودها في الغرب بأمل إجبار القيادة المصرية على سحب قواتها من الشرق أو أن- يكون لها وجود في الغرب يعاونها ويساندها عند التفاوض في شروط وقف إطلاق النار ذلك الأمر الذى بدأ تتحدد معالمه بشكل جدى اعتباراً من يوم ١٧/١٠ فهى بقرارها هذا تكون كالمقام الذى يلعب على المكشوف يرمى كل ما في جعبته وهو يعلم تماماً أوراق خصمه وما تحققه له من مكسب ففى سعت ١٣٠ ليلة ١٨/١٩ أكتوبر أبلغت نقط المراقبة الجوية بالنظر أن العدو يقوم بعبور جديد بلواء مدرع كامل في اتجاه الغرب وتم إبلاغ القيادات المسؤولة عن إدارة المعركة وقد تأكد لها ذلك سعت ٣٠٠ بواسطة مصادر استطلاعها وفي ضوء ذلك العبور الجديد يمكن القول إن فرقة الجنرال شارون قد أصبحت موجودة بالكامل في الغرب وأصبح للعدو تفوق ملموس.

ومع ساعات الصباح الأولى يوم ١٩/١٠ بدأ العدو في ضوء الموقف التعبوى شرقاً وغرباً وفي ضوء النجاح التكتيكي الذى أحرزه يحدد لنفسه أهدافاً معينة للاستيلاء عليها لتحقيق ما يهدف إليه فبدأ في الانتشار شمالاً في اتجاه الإسماعيلية ثم انطلق بدباباته في الأرض الزراعية المجاورة لترعة الاسماعيلية في هيئة مجموعات صغيرة محاولا عبور ترعة الاسماعيلية ولكن أمكن صدّه وتدميره لقد أدى خفض منسوب المياه في ترعة الإسماعيلية وسحب جميع الكبارى العائمة المقامة عليها وما قامت به وحدات الصاعقة والمظلات من قتال صد العدو أثر كبير في إحباط نوايا العدو يوم ١٩ أكتوبر، أما في اتجاه الجنوب فقد بدأ العدو وفي محاولة السيطرة على مشارف المنطقة الجبلية فبدأ بجبل الجوزة الحمراء وجبل شبراويت وجبل القط وفعلاً تمكن العدو سعت ٨٠٠ يوم ١٩/١٠ من الاستيلاء على هذه المناطق بنحو سريتين دبابات. وهنا أوضحت للمسئولين عن إدارة المعركة مدى خطر تواجد العدو في هذه المناطق وأثر ذلك على حائط الصواريخ وطالبتهم بالقضاء على العدو في هذه المنطقة، ولكن ذهبت مطالبنا أدراج الرياح. وهنا يقفز السؤال التالى - ما الذى جعل العدو يجيد عن خطته الأصلية

في الدخول إلى مشارف القاهرة وقد أصبح له وجود قوى في الغرب اعتباراً من يوم ١٩ / ١٠ الواقع أن العدو ولا يزال يواجه حائط الصواريخ في القطاع الأوسط بكامل قوته فهو لم يتمكن إلا من تدمير كتيبة وتعطيل أخرى وتم استعواضهما ويعنى ذلك أن قوة حائط الصواريخ في القطاع الأوسط لاتزال كما هي منذ بدء المعركة اللهم من بعض الكنائس العاطلة والجارى إصلاحها وهذا أمر طبعى وللانطلاق غرباً لتنفيذ الخطة الاصلية الغزاة يجب وجود ثغرة كبيرة لا تقل عن ٥٠ كيلو متراً خالية من الصواريخ ليتمكن للعدو استخدام قوات الابرار الجوية وابرارها خلف حائط الصواريخ على طريق القاهرة - الإسماعيلية دون أن تصاب بأى خسائر، ثم تنطلق قواته المدرعة في الغرب معززة بقواته الجوية التى أصبحت لها مطلق الحرية في العمل غرباً للاتصال بقوات الابرار التى تم أسقاطها الا أن المناورة الواعية بحائط الصواريخ في ذلك القطاع والمناورة من داخل حائط الصواريخ إلى هذا القطاع لتعزيزه واتخاذ الدفاع بالصواريخ شكل قوى حول العدو لاحتوائه واستمرار تضيق الخناق عليه ومنع قواته الجوية من تقديم أى معونة جوية له في الثغرة لجعل العدو يجهد عن غرضه في اتجاه الغرب تماماً ومن ثم بدأ يتجه شمالاً نحو الإسماعيلية لعل وعسى أن يتمكن من إحراز نجاح في هذا الاتجاه أما جنوباً فلم يكن العدو يبغي من انتشاره جنوباً حتى ذلك اليوم سوى السيطرة على جزء من المنطقة الجبلية حماية لجنبه الأيسر خوفاً من أن تنقض عليه أية قوات مصرية من هذا الاتجاه وخاصة أن أحد اللواءات المدرعة كان متمركزاً على مقربة من هذا الاتجاه وتبعاً لذلك لم يحاول العدو خلال القتال الذى دار يوم ١٦ / ١٠ التقدم في المنطقة الجبلية أو التقدم غرباً لاكتساب مزيد من الأرض بغرض الوصول إلى الطريق العرضى الممتد من تقاطع طريق أبى سلطان إلى أم كتيب إلى جبل عوبيد كوثبة تكتيكية وبدلاً من ذلك بدأ في ضرب كنائس الصواريخ الامامية بالمدفعية ١٥٥ مم، ١٧٥ مم التى عبرت إلى الغرب إلا أن عدم دقتها أدى إلى عدم تأثيرها إلا على عدد محدود جداً من الوحدات أمكن استعادة موقعها ثانية وبسرعة مما حافظ على كفاءة حائط الصواريخ في هذا القطاع وصلت إلينا بعض العناصر من الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات وأرسلت في الحال إلى القطاع الأكثر تهديداً وذلك لتعمل مع كنائس الصواريخ الامامية التى تواجه دبابات العدو، وقد تمكنت هذه العناصر من الاشتباك مع العدو وتدمير

عدة دبابات له لقد أدت هذه الصواريخ دورها في حماية كتائب الصواريخ من أى هجوم مباشر يوجهه إليها العدو، إلا أن العدو فطن لكثرة خسائر دباباته فعمد إلى استخدام مدفعيته بعيدة المدى من عيار ١٥٥، ١٧٥ مم والتي كانت تقدر وقتئذ بنحو ١-٢ بطارية استخدمها العدو في قصف كتائب الصواريخ لتعطيلها عن العمل أو لتدمير بعض معداتها بدلا من مهاجمتها بالطائرات. إزاء نوايا العدو التي بدأت تتضح ساعة بعد أخرى وموقف المعدات وموقف الإمداد بالمعدات أو الوحدات واحتمالات العدو ضد كتائب الصواريخ طلبت سعت ١١٢٥ من قيادة الدفاع الجوى التصديق على ارتداد بعض لواءات الصواريخ التي تواجه دبابات العدو للخلف إلى مواقع خلفية لتأمينها من مدفعية العدو ومدفعية دباباته على أن تظل باقى الوحدات في أماكنها تؤدي مهمتها القتالية.

وفي سعت ١٦٣٠ أخطرت بالموافقة على ما سبق أن طلبت وكان من المتوقع، وقد تمكن العدو من تثبيت رأس الكوبرى في الغرب، ان يزيد بمجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٨ أكتوبر إلا أن ذلك لم يحدث للأسباب الآتية :

أ- اقتناع العدو بعدم جدوى عملياته في الغرب جعله يحجم عن تقديم معونة فعالة لقواته.

ب- رغبة العدو في عدم الزج بقواته الجوية وهو يعيد بناءها وطياريها حديثي الخبرة ومستوى كفاءتهم القتالية دون أقرانهم السابقين.

ج- الخوف من الخسائر فالعدو لا يزال يخشى قدرة وحدات حائط الصواريخ وما تتمتع به كفاءة في التعامل معه وأن ما تم في الغرب من نجاح مبدئى ضد حائط الصواريخ لا يعنى من وجهة نظر العدو التقليل من قدرته أو التهوين من شأنه.

د- الإجهاد الذى حل بالطيارين لطول فترة الحرب.

لقد شهد يوم ١٨ / ١٠ قتالا عنيفا وناجحا بين حائط الصواريخ والقوات الجوية الإسرائيلية فلقد صبح كل ما توقعناه عن نشاط القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٨ / ١٠ سواء في كثافة الهجوم الجوى أو اتجاه الهجوم أو الأغراض التي سيقوم

بمهاجمتها لقد بلغ إجمالى مجهود القوات الجوية الاسرائيلية خلال هذا اليوم ٧٤٤ طلعة طائرة منها ٦٤٥ طلعة طائرة نهاراً والباقي ليلاً. لقد تميز من مجهود القوات الجوية الاسرائيلية خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات جوية مركزة الأولى تمت قرابة سعت ٧٥٠ بقوة ٨٤ طلعة طائرة وجه العدو ومنها ١٦ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي، ٦ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٥٢ طلعة طائرة لمهاجمة اللواء ١٠٧ صواريخ أما الهجوم المركزة الثانية، فقد تمت قرابة سعت ٩٠٠ بقوة ٨٨ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ١٤ طلعة طائرة والقطاع الاوسط ٥٦ طلعة طائرة والقطاع الجنوبي ١٨ طلعة طائرة، أما الهجوم الثالثة، فقد تمت قرابة سعت ١٢١٠ بقوة ٣٨ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ١٦ طلعة طائرة والقطاع الجنوبي ٢٢ طلعة طائرة أما الهجوم الرابعة فقد تمت قرابة سعت ١٤٥٠ بقوة ٢٨ طلعة وجه العدو منها ١٢ طلعة للقطاع الشمالى، ١٦ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي بالإضافة إلى ذلك، فقد استمر نشاط العدو خلال اليوم في هيئة هجمات متفرقة لمعاونة قواته في الشرق والغرب، وكان حائط الصواريخ له بالمرصاد سواء في القطاع الشمالى أو الجنوبي أما في القطاع الأوسط (الثغرة) فقد عاقت قواتنا الجوية أعمال قتال وحدات الصواريخ نظراً للحاجة إلى إعطائها مطلق الحرية للعمل ضد قوات العدو البرية التي بدأت في الانتشار شمالاً وجنوباً حتى يمكنها أن توقف تقدم هذه، القوات أو تحد من نشاطها أو تلحق بها أكبر ما يمكن من الخسائر ورغم ذلك أمكن إتمام بعض الاشتباكات الناجحة في هذا القطاع.

لقد أرى عدم القضاء على العدو يوم ١٧/ ١٠ وعدم إمكانه تدمير أو إلحاق أى خسائر بكتائب صواريخ جديدة من تلك التي تقع أمامة في الثغرة خلافاً لما تم يوم ١٦/ ١٠ - أثره في ان يبحث العدو عن طريقة أخرى للنيل من حائط الصواريخ؛ حيث إنه السد المنيع الذي باتت تتبخر عليه النوايا الإسرائيلية وكان لابد للعدو من ان يصل إلى حل مع حائط الصواريخ حتى يمكن أن تستخدم قواته الجوية بحرية كما تصور لقد أصبح له وجود في الغرب أدى إلى انكماش الصواريخ ولو أنه لم يؤثر على وقاية القوات لذا فالفرصة أصبحت أكثر ملاءمة فحتى يوم ١٧/ ١٠ ورغم النجاح المحدود للعدو في الغرب إلا انه لم تيسر له الحرية لدفع قواته الجوية في المعركة ليصل بها إلى الحسم المطلوب، ولم يكن التقدير الذي توصلنا إليه إلا أحد الاحتمالات التي كانت قائمة قبل القتال في ٦ أكتوبر.

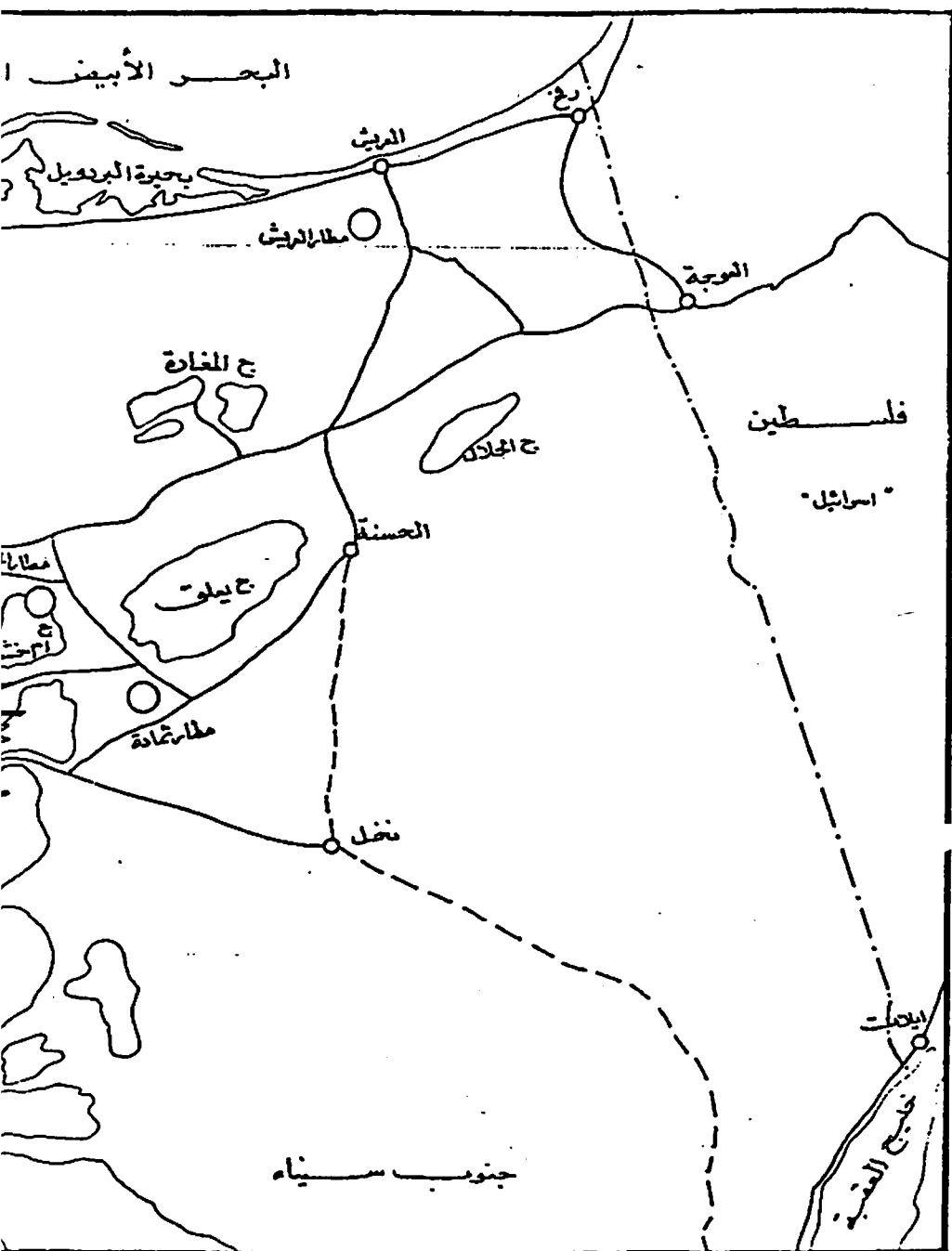
لقد كانت أكثر الاحتمالات توقعًا من وجهة نظر العدو لمهاجمة حائط الصواريخ تتلخص في قيامه بهجوم جوى مركز على القطاع الأوسط بقصد إحداث ثغرة في حائط الصواريخ وذلك بتدمير بعض كتائب الصواريخ التى تقع فى هذا القطاع بغرض تجزئة حائط الصواريخ إلى نصفين، ثم التعامل مع كل نصف على حدة بطلى أجنابه أو التعامل معه كله بطلى أجنابه إلا أن العدو ورغم محاولاته العديدة لفتح ثغرة فى حائط الصواريخ باستخدام قواته الجوية لم يقدر له النجاح حتى صباح يوم ١٦ / ١٠ - ذلك اليوم الذى بدأ فيه تواجدته فى الغرب والعمل ضد كتائب الصواريخ بمدفعاته. ورغم ما تم خلال هذا اليوم لم يتمكن العدو من إحداث ثغرة على الإطلاق وجاء يوم ١٧ / ١٠ والموقف متجمد فى الثغرة وأصبح لزامًا على العدو وقد خاب أمله أمام حائط الصواريخ بدباباته أن يبدأ فى تنفيذ باقى خطته بطلى أجناب حائط الصواريخ، وكان أمامه أحد خيارين أما طلى الجانب الأيمن الذى يحتله اللواء ١٠٩ صواريخ وبعض كتائب اللواء ٩٧ صواريخ ذلك الجانب الذى يتركز على جبل عتاقة جنوبًا وجبل جنيفة شمالًا أو يهاجم الجانب الأيسر للفرقة والذى يحتله اللواء ١٠٧ صواريخ وبعض كتائب اللواء ٩٥ صواريخ والذى يقع بين البلاح جنوبًا وبحيرة المنزلة شمالًا لقد اختار العدو الجانب الأيسر. وقد توقعنا منه ذلك للآتى:

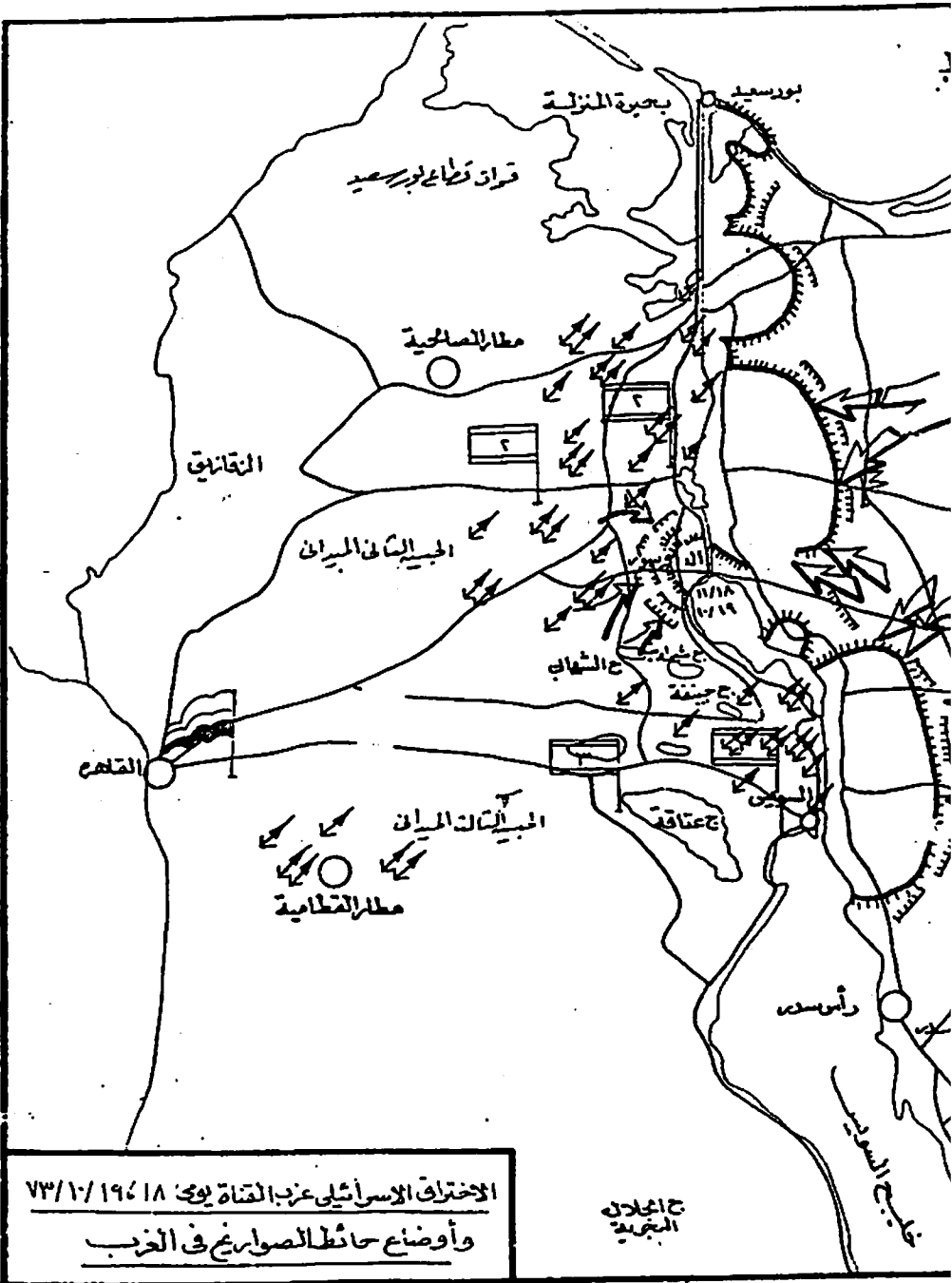
إمكان الاقتراب إلى هذا الجنب على ارتفاع منخفض جدًا ٢٠-٥٠ م وذلك باستغلال المسطح المائى لبحيرة المنزلة مما يعقد مشكلة اكتشاف العدو رادارياً والاشتباك معه.

إمكانية مهاجمة هذا الجنب من أكثر من اتجاه، إذ يمكن مهاجمته من الشرق والشمال الشرقى والشمال وذلك راجع إلى عدم وجود دفاعات فى هذه الاتجاهات.

امكان الاقتراب إليه من المطارات الرئيسية داخل إسرائيل عبر البحر الأبيض المتوسط، ثم الانقضاض على اللواء من شرق وغرب بور سعيد عبر بحيرة المنزلة مما يحقق مفاجأة فى اتجاهات الهجوم ويسر للعدو حشد عدد كبير من الطائرات فى مواجهة اللواء.

- رغبة العدو فى إضعاف الدفاع بالصواريخ عن القطاع الشمالى مما يعطى لقواته الجوية حرية العمل ضد الأغراض الموجودة فى ذلك القطاع، ويؤدى بطريق غير مباشر إلى نجاح قواته البرية عند تقدمها تجاه الإسمايلية.





- الجنب الأيمن لحائط الصواريخ يستند إلى جبل عتاقة الذى يبلغ ارتفاعه ١٠٠٠ متر تقريبا وللوصول الى هذا الجانب لابد أن يطير العدو على ارتفاعات أعلى من ذلك بكثير مما ييسر الإنذار عنه ويجعل الاشتباك به أمرا سهلا كما يحدد اتجاه اقترابه باتجاه واحد مما يجد من كثافة الهجمة الجوية ضد هذا الجنب.

ورغم ما تقدمه الأرض من تسهيلات للقوات الجوية الإسرائيلية فى القطاع المراد مهاجمته ورغم استعواض العدو للكثير من خسائره فى الطائرات إلا أن العدو وكان جبانا كعادته فرأى أن يمهد لذلك الهجوم بقصف مدفعى ليلي تم سعت ٠١٠٠ ليلة ١٧/ ١٨ على كتيبتين من كتائب اللواء الموجودة غرب الموجودة غرب القناة مباشرة بقصد تعطيلها أملا فى أن يقابل أثناء قيامه بالهجوم بأقل قوة نيران من الصواريخ وفعلا تمكنت مدفعيته من إصابات هوائيات هاتين الكتيبتين و تعطيلها عن العمل.

بدأ العدو هجومه الجوى صباح يوم ١٨ / ١٠ بمهاجمة مطار الصالحية سعت ٧٣٠ بعدد ٦ طلعة طائرة من نوع سكاى هوك و فانتوم، وقد تمكن اللواء ١٠٧ صواريخ وعناصر الصواريخ الفردية التى تدافع عن المطار من تدمير ٤ طائرات مؤكدة للعدو وفى الساعة ٨٠٠ بدأ العدو هجومه على اللواء ١٠٧ صواريخ من ثلاث اتجاهات الاتجاه الأول من غرب بور سعيد بقوة ٢٨ طلعة طائرة وبعدها بقليل اقتربت ٢٤ طلعة أخرى من اتجاه الشمال الشرقى من اتجاه رأس العش جنوب بور سعيد بالإضافة إلى ذلك دفع العدو بدوريات الشرايك وأهداف المشاغلة فى الشرق أمام مواجهة اللواء.

ورغم هذا الحشد الكبير من الطائرات ورغم الأسلوب الجديد الذى اتبعه العدو فى مهاجمة وحدات اللواء، ورغم تعطيله لبعض الكتائب ليلا لتسهيل مهمته نهائيا ورغم عدم مهاجمته لأى موقع من المواقع الهيكلية المنتشرة فى قطاع اللواء، والتى يبلغ عددها نحو ٢٠ موقعا، والتى وضعت بدقة واخفيت بعناية لامتنعاص الجزء الأكبر من هجوم العدو وإلا أن هجوم العدو قد فشل تماما ورغم فشل العدو فإنه كعادته أعلن عن طريق وسائله الدعاية عن تدميره للواء، فهل هذا هو ما تم أم أن الحقيقة خلاف ذلك.

لقد كنت متأكدا أن العدو سيتجه إلى هذا الجنب من التشكيل ليحاول أن ينال منه وفى ضوء ذلك وفى ضوء تصورى لشكل الهجمة الجوية المنتظرة وموقف وحدات اللواء التى ينتظر أن تقابل هذه الهجمة وضعت خطة محكمة للدفاع عن اللواء وطرف

الاقتراب إليه بواسطة صواريخ سام ٧ ولحسن الحظ كان لدينا نوعيات جديدة وكان من اللازم مقابلة العدو وبأسلوب جديد يمكنه تدمير أكبر عدد من الطائرات، وفعلاً تم وضع الخطة لذلك وبالمناورة الداخلية تم حشد الأعداد المطلوبة من هذه الصواريخ.

لقد أدت الخطة الموضوعية ما كان مطلوباً منها وزيادة فلقد دخلت الوحدات في معركة ضارية أفقدت العدو قدرته وألحقت به الرعب والفرع وجعلته يتعد نهائياً عن مهاجمة حائط الصواريخ حتى صباح يوم ٢٢ / ١٠. لقد استمرت هذه الهجمة مدة تتراوح بين ١٠ - ١٥ دقيقة وكم كان رائعاً أن يبلغ لنا أن هناك إبراراً جويّاً للعدو وعلى القنطرة، وفي الواقع لم يقم العدو بأى إبرار وإنما كثرة طيارى وملاحى العدو الهاطلين بالمظلات شرق وغرب مدينة القنطرة صور للقوات أن هناك إبراراً جويّاً ولكن سرعان ما اتضحت الأمور أثر مشاهدة القوات للعديد من طائرات العدو وهى تتساقط محترقة أمام أعينهم. لقد ذكر قائد الفرقة ١٨ مشاة أنه شاهد بنفسه ثمانى طائرات للعدو وتسقط أمام عينيه فى الشرق فى خمس دقائق وكم انتابته الدهشة فى ان يرى هذه النهاية للقوات الجوية الإسرائيلية التى طالما صالت وجالت نعم لقد جاء اليوم الذى تلقت فيه الدرس وإن كان قاسياً وإنما ذلك هو جزاء الغطرسة والإفراط فى الثقة. لقد بلغت خسائر العدو فى هذه الهجمة نحو ١٥ طائرة مؤكدة أى نحو ٣٠٪ من قوة الهجمة الجوية خسائر مخيفة ورهيبة جعلت العدو يتعد عن مهاجمة الصواريخ بعد ذلك.

لقد حاول العدو إنقاذ طياريه الذين هبطوا بالمظلات غرباً فوق بحيرة المتزلة، فأرسل لذلك الغرض ٣ طائرات هليكوبتر وكانت تعمل خارج مدى عمل وحدتنا فطلبنا ان يحال بينهما وبين ما تهدف إليه ولكن لم يجاب إلى طلبنا. لقد حاول المعلق العسكرى الإسرائيلى الجنرال حايم هرتزوج فى محاضراته التى ألقاها فى أحد المعاهد العسكرية فى حديثه عن المعارك التى انتصرت فيها القوات الجوية الإسرائيلية ضد الصواريخ أرض - جو فذكر أنها انتصرت فى معارك ثلاث وأثبتت فاعليتها ضد الصواريخ أرض - جو فى هذه المعارك وعدد هذه المعارك بأنها دمشق وبور سعيد والقنطرة ولا أدري كيف خانتته الذاكرة تماماً، وقد تكون القوات الجوية الإسرائيلية قد نجحت فعلاً فى دمشق أو فى بور سعيد إلا انها لم تنجح فى القنطرة والا فكيف يعلل خسائره. أليست

هذه الخسائر دليلاً واضحاً على الفشل، وكيف يكون هناك نجاح وما دفع فيه من ثمن يكاد باهظاً ٣٠٪ خسائر في الطائرات المهاجمة ورعب وفزع حل بالعدو جعله يحجم نهائياً عن مهاجمة حائط الصواريخ حتى صباح يوم ٢٢ / ١٠ إلا أنه الصلف الإسرائيلي الذي تسلط عليهم خلال ربع قرن نتيجة ما ألحقوه بالعرب من هزائم. أما خسائرنّا فقد كانت محدودة في بعض مولدات القوى وهوائيات توجيه الصواريخ، وهذا أمر طبيعي وبانتهاء الهجمة بدأنا على الفور العمل على استعادة موقف اللواء وعودة وحداته إلى كفاءتها القتالية المطلوبة.

كان مجهود العدو خلال الليل محدوداً سواء ذلك المجهود الذي خصصه لمعاونة قواته في الشرق أو الذي خصصه لمحاولة إمداد قواته في الغرب ولقد بلغ إجمالي خسائر العدو خلال هذا اليوم الذي خاض فيه حائط الصواريخ قتالاً برياً وجوياً عنيفاً ٢٦ طائرة مؤكدة منها ٣ طائرة هليوكبتر.

جاء يوم ١٩ / ١٠ وبلغ المجهود الجوي الذي وجهته القوات الجوية الإسرائيلية إلى جبهة القتال ٧٨٤ طلعة طائرة منها ٦٩٥ طلعة طائرة نهائياً والباقي ليلاً، وقد تميز من مجهود ذلك اليوم قيام العدو بثلاث هجمات جوية مركزة الأولى تمت قرابة سعت ٧٣٠ على مواجهة القتال كلها بقوة ٧٢ طلعة طائرة خص القطاع الشمالي منها ١٤ طلعة طائرة، ١٨ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٤٠ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة سعت ١١٤٠ بقوة ٦٦ طلعة طائرة وجه العدو منها ٢٥ طلعة طائرة للقطاع الشمالي، ٢٨ طلعة طائرة على القطاع الأوسط، ١٨ طلعة طائرة على القطاع الجنوبي أما الهجمة الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١٦٤٠ بقوة ٣٦ طلعة طائرة موزعة على القطاعات الثلاثة بالتساوي.

لقد أدى عدم إمكان استعادة موقف كتائب اللواء ١٠٧ صواريخ يوم ١٨ / ١٠ كما كان مخططاً له لأسباب خارجة عن إرادتنا وطاقتنا إلى وضع أسلوب جديد للدفاع عن قطاع اللواء بواسطة تجميعات من صواريخ سام ٧ والرشاشات المضادة للطائرات اختيرت أوضاعها بعناية، وتم تغطيتها بوحدات محدودة من الصواريخ المتوسطة على أن تزداد تدريجياً في ضوء تحسن موقف المعدات ورغم ما بذل من جهد في التخطيط

والتنفيذ لذلك فإن القلق كان يساورني على هذا القطاع وخاصة أن العدو كان قد بدأ في توجيه مدفعيته إلى كتائب الصواريخ الواقعة شمال ترعة الإسماعيلية في محاولة لتعطيلها إلا أنه مما لا شك فيه أن الحظ كان حليفنا تمامًا فلم يحاول العدو أن يهاجم هذا القطاع مرة أخرى، وتمكنت باقى وحدات الصواريخ بالقطاع الشمالى من توفير الوقاية لقوات الجيش الثانى الميدانى الموجود فى الشرق من سرايوم جنوباً إلى القنطرة شمالاً وبعمر رأس الكوبرى الذى تتمركز فيه قوات الجيش الثانى وفى ضوء القرار الذى اتخذ بارتداد بعض اللوآت للخلف بدأت اللوآت اعتباراً من آخر ضوء يوم ١٩ / ١٠ تقوم بتنفيذ عملية الارتداد إلى المواقع الجديدة التى حددت إليها وسط صعوبات بالغة التعقيد وتقديرات للموقف تتمرجح بين التفاؤل المطلق والتشاؤم وبيزوغ فجر يوم ٢٠ / ١٠ كانت جميع الوحدات فى مواقعها سليمة وببداية النهار أصبحت جاهزة لقتال العدو من جديد.

لقد تمكن حائط الصواريخ فى قتاله مع القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم من تدمير ٧ طائرات مؤكدة للعدو فقط حصيلة محدودة، ولكنها تتفق مع موقف الوحدات التى قاتلت العدو خلال هذا اليوم ومدى صلاحية وحداتها الفرعية، تلك الصلاحية التى تأثرت منذ يوم ١٨ / ١٠ بعوامل كثيرة أهمها :

- القصور فى الإمداد وذلك راجع إلى عدم استجابة ما يطلب من الخلف بالسرعة المطلوبة أو بالإسلوب السليم.

- القصور فى الإصلاح الناتج عن الإرهاق الذى أصاب مجموعات إصلاح المهندسين بالإضافة إلى عدم كفايتهم واستخدام العدو لمدفعيته بعيدة المدى ومدفعية الدبابات فى قصف كتائب الصواريخ.

- عدم تقديم المعاونة الفعالة وذلك راجع إلى عدم الإمداد بوحدات جديدة، كما كان مخططاً من قبل، بل إن ما تقرر إرساله منذ يومين لم يرسل لأن لعدم صلاحيته للقتال.

وقد يتساءل سائل عن السبب فى ذلك وللوصول إلى الإجابة يجب أن نعلم أن الحرب ما هى إلا قتال فى المجهول وعلى ذلك فكثير من حقائقها سيستمر هو الآخر مجهولاً لفترة زمنية معينة حتى يمكن تناوله بالكتابة والتحليل.

التردد بين السكون والحركة

تمكن أحد اللوحدات المدرعة المصرية صباح يوم ١٠ / ٢٠ من إيقاف تقدم العدو تجاه الغرب تمامًا كما توقف تقدمه من قبل تجاه الإسماعيلية وباءت محاولاته للتقدم في كلا الاتجاهين بالفشل أمام مقاومة قواتنا التي بدأت تحتشد أمامه وبسرعة بدأ توقف العدو في هذين الاتجاهين لم يحاول العدو دفع قواته الجوية في الغرب بأعداد كبيرة و اكتفى باستخدام مدفعيته بعيدة المدى الموجودة في الغرب في قصف كتائب الصواريخ سواء الموجودة شمال ترعة الإسماعيلية أو جنوبها بعد أن فشل في التعامل معها بقواته الجوية من قبل. لقد كانت كتائبنا من أوضاعها شمال ترعة الإسماعيلية قادرة على وقاية قواتنا الموجودة في الشرق في رأس كوبرى الجيش الثانى الميدانى كله في سرايوم إلى القنطرة كما كانت كتائبنا الموجودة جنوب ترعة الإسماعيلية في القطاع الأوسط من الجبهة قادرة على تغطية الأرض أمامها حتى قناة السويس وبذا أمكنا أن نحرّم العدو طول النهار يوم ١٠ / ٢٠ من استخدام مطار فايد الذى استولى عليه العدو خلال هذا اليوم.

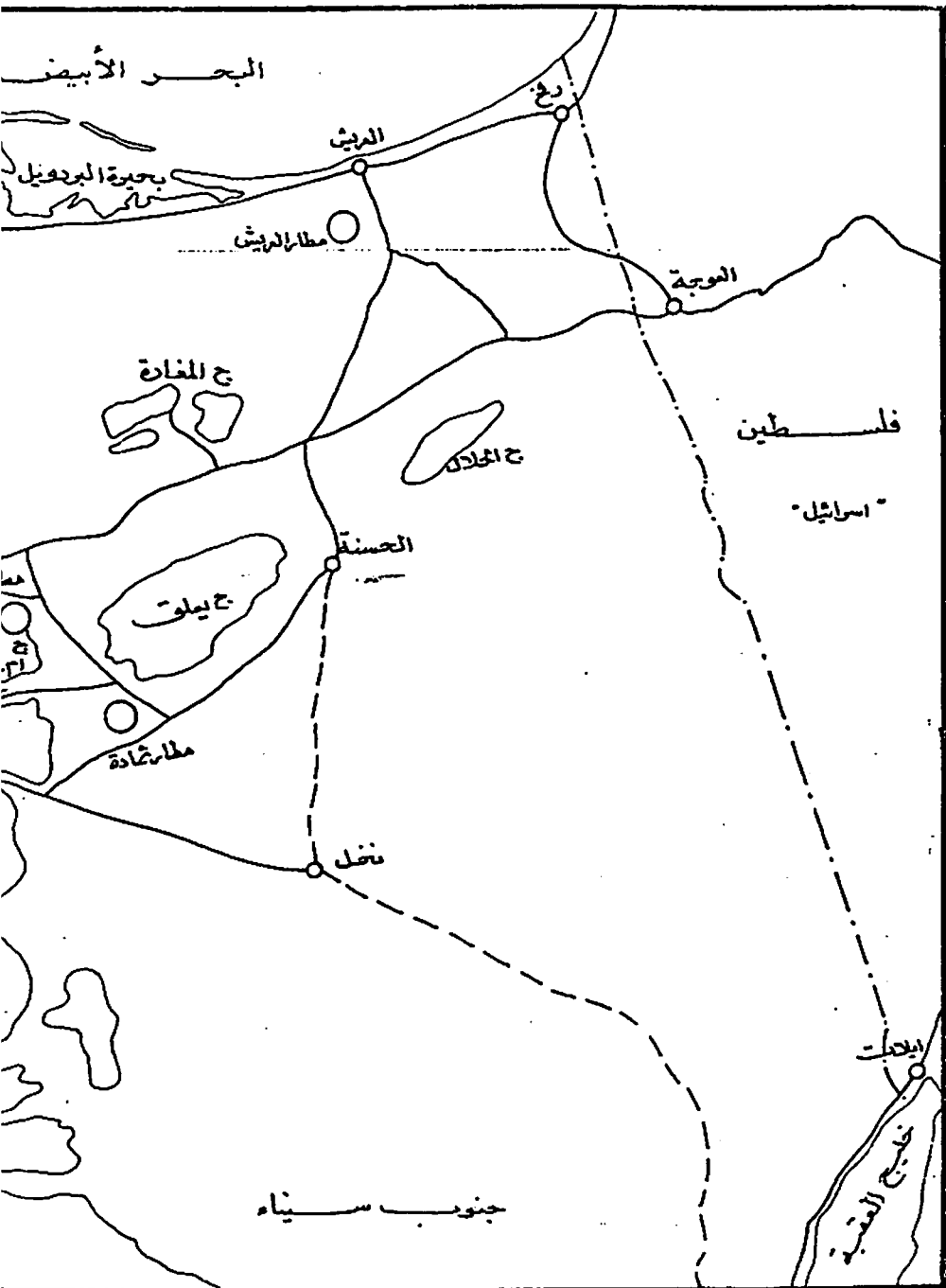
إزاء توقف العدو عن التقدم غربا وشمالا يوم ١٠ / ٢٠ وسابق سيطرته على مدخل المنطقة الجبلية التى تقع غرب مدينة فايد وتشمل جبل القط، جبل الجوزة الحمراء جبل شبرا وبدأ العدو في التسرب تجاه الجنوب متخذًا من أودية هذه المنطقة الجبلية ستارًا طبيعيًا لتحركاته وذلك لحماية جنبه الأيسر من أن تنقض عليه قواتنا من هذا الاتجاه بالإضافة إلى التعرف على أوضاع قواتنا في تلك المنطقة التى تقع خلف الجيش الثالث الميدانى، والتى تمر بها الطرق الرئيسية التى تربط القاهرة بقطاع الجيش الثالث وأوها طريق القاهرة - جنيّة وثانيهما طريق القاهرة - السويس.

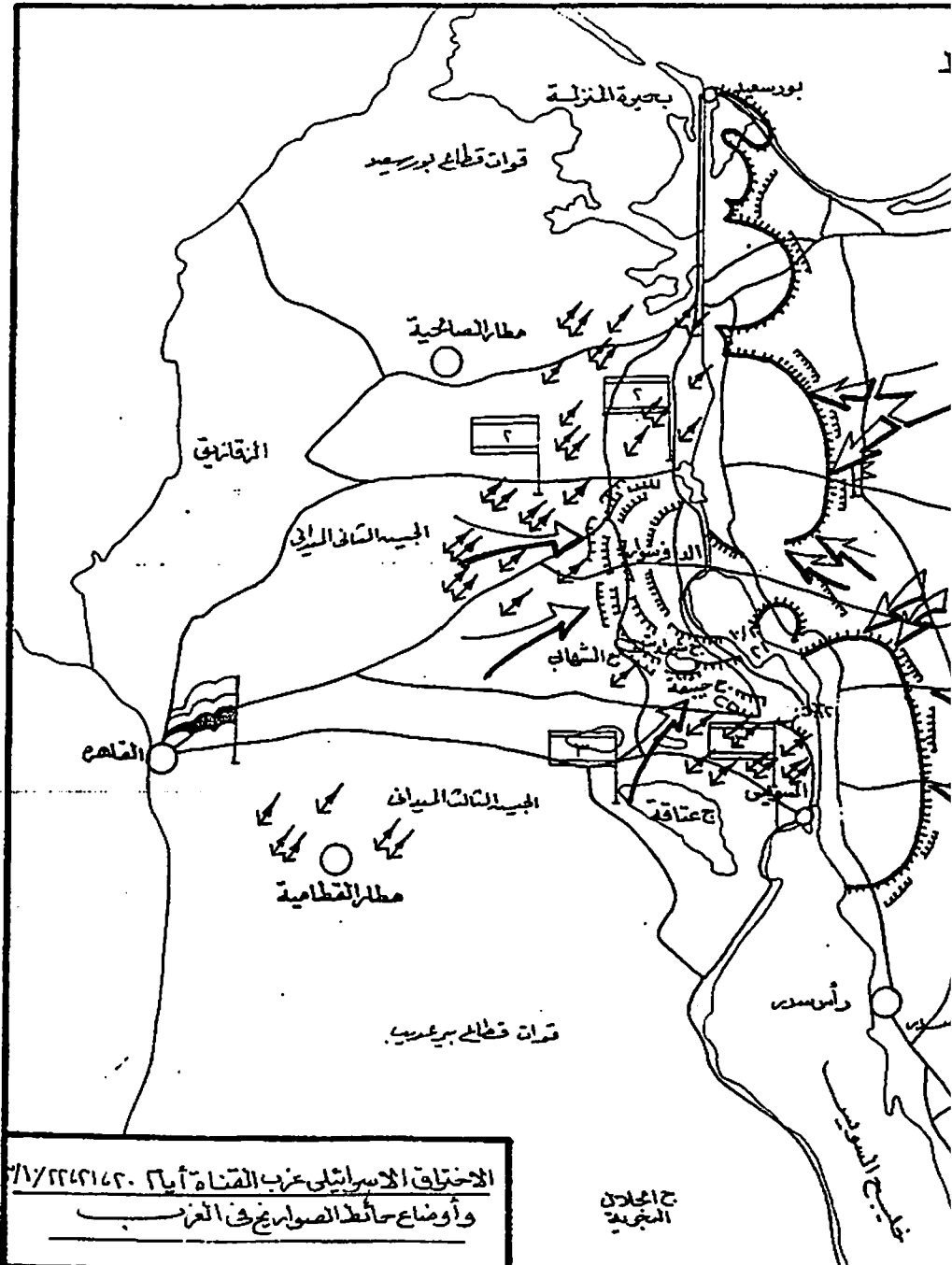
لقد كان من ضمن خطة الارتداد للخلف هو ترك المنطقة الجبلية خالية من وحدات الصواريخ نظرًا لخلوها من أى قوات وترك باقى وحدات الصواريخ في القطاع الجنوبى لتوفير الوقاية المطلوبة للجيش الثالث الميدانى شرقًا وغربًا، وكان عدد الكتائب الموجودة - من الكفاية والكفاءة قادره على تحقيق ذلك، وإزاء بدء تسرب دبابات العدو تجاه الجنوب بدأ القلق يساورنى على موقف كتائب الصواريخ الموجودة في الجانب الأيسر

للولاء ١٠٩ صواريخ في قطاع الجيش الثالث الميداني ووفقاً للمعلومات المتيسرة عن العدو ووجدت من الأفضل تأمين ذلك الجنب حتى لا يقوم العدو بقصف هوائيات ردار التوجيه بمدفيعته بعيدة المدى والتي كان له منها في الغرب بنهاية يوم ٢٠ / ١٠ ما يتراوح بين ٢-٣ بطارية مدفعية وكان هذا الأمر ينطبق على كتيبة واحدة تقع في منطقة جنيفة وفعلاً أصدرت لها الأوامر بالمناورة إلى منتصف تشكيل اللواء لتكون بعيدة عن متناول قصف مدفعية العدو وكانت في مواقعها الجديدة عاملاً مساعداً لزيادة إمكانات النيران في منتصف قطاع الجيش، إلا أن الموقف البري في الغرب على ضوء التقديرات التي قدرتها القيادة المسئولة بدأ يسيطر عليه التشاؤم قبل التفاؤل ولا يرجع ذلك إلى قوة العدو وإنما إلى الأسلوب الذي يتبعه اضرب - اهرب اختفى، ثم كرر العمل مرة أخرى ومن هنا بدأ القلق يجد له سيلاً بالنسبة لكثائب الصواريخ الموجودة في القطاع الجنوبي وعناصر الصواريخ الفردية سام ٧ الموجودة معها، في الوقت نفسه حرصنا بزيادة على ضرورة استمرار الوقاية لقوات الجيش الثالث الميداني في الشرق والغرب. في ضوء ذلك التضارب - اتخذت قراراً باستمرار الوحدات في أوضاعها القتالية تقاتل القوات الجوية الإسرائيلية ميسرة الوقاية المطلوبة للجيش غير عابثة بمدفعية العدو.

بدأ حشد العديد من الوحدات البرية من مشاة ميكانيكية ومدرعات لمقاتلة العدو ومنعه من التقدم تجاه الجنوب، ولقد تمكن العدو عن طريق وسائل استطلاعها المختلفة من التعرف على ما نعدده له وإزاء ضعفه النسبي الذي كان عليه وقتئذ وصعوبة المنطقة التي ينتظر أن يتم فيها قام العدو ليلة ٢٠ / ٢١ أكتوبر بعبور جديد فعبرت فرقة الجنرال (بيرين) المكونة من لواءين ولواء ميكانيكي وذلك بعد أن تمكن العدو من إقامة كوبري من الخرسانة على القناة في منطقة الديفرسوار ومن ثم أصبح للعدو القدره على إمكان التقدم نحو الجنوب، إذ أصبح له في الغرب حالياً ما يعادل فرقتين مدرعتين.

ساء موقف المعدات نتيجة لعدم الاستجابة لما يطلب مع كثرة الوعود غير الصادقة بالإضافة إلى القصور في التنفيذ الذي صاحب عملية الإمداد وعدم توفر بعد النظر اللازمين للقتال في الحرب الحديثة فلو وضعنا بجانب كل ذلك قرب نفاد الاحتياطي والرغبة في الاحتفاظ بالقليل التزم منه أو عدم صلاحية هذا الباقي من الاحتياطي





من المعدات لوصلنا إزاء كل ذلك إلى أن الموقف بدأ يتعقد تمامًا، بل إن حدوث تعقيدات كبيرة في الموقف أصبحت أمرًا متوقعًا وأن احتمال توقعها أصبح منتظرًا ساعة بعد أخرى وكان علينا أن نبذل كل المستحيل للخروج من هذا الموقف ولكن كيف السبيل إلى ذلك وما نطلبه لا يصل أو يصل متأخرًا أو يصل غير صالح وعليه لم يكن أمامي سوى أن يكون التخطيط للقتال وأسلوب إدارة المعركة فيهما من المرونة ما يجابه احتياجات المعركة - القتال في الشرق والقتال في الغرب القتال في الشرق ضد القوات الجوية الإسرائيلية والقتال في الغرب ضد القوات الجوية الإسرائيلية والقوات البرية التي عبرت ورغم مرونة التخطيط وأسلوب إدارة القتال فإنه كان من الضروري إدخال الكثير من التعديلات عندما يجد في الأمر ما يستدعي التعديل والتغيير ولا شك أن مثل هذا الأسلوب في قتال وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو المتوسطة المحدودة المناورة يصبح أمرًا مرهقًا للقادة والقيادات وللوحدات المطلوب منها التنفيذ كما يؤدي إلى زيادة طموح العدو في مهاجمة وحدات الصواريخ المجاورة وذلك راجع إلى اعتقاده بأن المناورة المستمرة ما هي إلا نتيجة لنجاح هجماته السابقة - بالإضافة إلى ما تخلفه المناورة من وجود بروز في جميع القتال تصبح صيدًا جذابًا للطائرات المهاجمة.

لقد أدى وجود العدو في الغرب مع عدم استعادة كفاءة معدات الصواريخ بالإضافة إلى ما أذاه ارتداد بعض الوحدات للخلف واتساع الشغرات بين وحدات الصواريخ وبعضها ووجود بعض الوحدات في بروز وفقًا لما انتهى إليه موقف قتال القوات البرية في الغرب كل ذلك جعلنا نطيل النظر فيما ينتظر أن يكون عليه قتال يوم ١٠/٢٠ وكان تقديرنا لأعمال العدو أنه سيوجه قواته الجوية لمهاجمة قطاعات حائط الصواريخ كل على حدة مبتدأ بالقطاع الشمالي الذي يمتد من الإسماعيلية إلى البلاح شمالا إلى القصاصين غربا وخاصة أنه قد مهد لذلك الهجوم بقصف كتائب الصواريخ الموجودة شمال ترعة الإسماعيلية بواسطة المدفعية بعيدة المدى - الموجودة في الغرب - في محاولة لإسكانها.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ١٠/٢٠ - ٧٣٥ طلعة طائرة منها ٦٠٤ طلعة طائرة نهارًا، ١٣١ طلعة طائرة ليلاً، وقد تميز من مجهود العدو سالف الذكر قيامه بخمس هجمات مركزة بنحو ٤٠٢ طلعة طائرة الأولى تمت قرابة سعت ٠٨٠٠

واستغرقت ٣٠ دقيقة بعدد ٤٢ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ١٦ طلعة طائرة، الأوسط ١٤ طلعة طائرة والجنوبى ١٢ طلعة طائرة أما الهجوم الثانية فقد تمت قرابة سعت ٩١٠ واستغرقت ٢٠ دقيقة بقوة ٦٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى منها ٢٢ طلعة طائرة والأوسط ١٦ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٢٨ طلعة طائرة أما الهجوم الثالثة فقد تمت قرابة سعت ١١٠٠ بقوة ٩٨ طلعة طائرة واستغرقت ٣٥ دقيقة خص القطاع الشمالى ٣٨ طلعة والأوسط ١٤ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٤٦ طلعة طائرة أما الهجوم الرابعة، فقد تمت قرابة سعت ١٢٥٠ واستغرقت ٢٥ دقيقة بقوة ٩٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى ١٠ طلعة طائرة والأوسط ٣٨ طلعة طائرة والجنوبى ٤٨ طلعة طائرة أما الهجوم الخامسة، فقد تمت قرابة سعت ١٤٥٠ بقوة ١٠٠ طلعة طائرة خص القطاع الشمالى ٦ طلعة طائرة والقطاع الأوسط ٥٨ طلعة طائرة والقطاع الجنوبى ٣٦ طلعة طائرة لقد وجه العدو هذا النشاط الضخم إلى القوات الموجودة فى رءوس الكبارى فى الشرق وإلى كتائب حائط الصواريخ على امتداد مواجهة القتال كما وجهها إلى مطار القطامية فى محاولة يائسة لضرب المطار وتجميع الصواريخ القائم بالدفاع عنه.

لقد بدأ العدو هجومه سعت ٨٣٠ يوم ٢٠/١٠ على وحدات الصواريخ فى القطاع الشمالى من اتجاه الجنوب الشرقى بمجموعات متتالية من الطائرات بلغت جملتها ٢٨ طلعة طائرة، وقد تمكنت الوحدات من تدمير ٨ طائرات للعدو وأصيب بعض المعدات والأفراد وفى سعت ١٠١٠ بدأ العدو فى مهاجمة مطار القطامية بقوة ١٦ طلعة طائرة وتمكنت الوحدات من تدمير ٧ طائرات للعدو وهبوط ٥ طيارين بالمظلات مع خسائر طفيفة فى الأفراد والمعدات بعد ذلك حاول العدو مهاجمة وحدات الصواريخ فى القطاع الجنوبى، وتمكنت وحدات اللواء ١٠٩ صواريخ من إحباط هجوم العدو وتدمير عدة طائرات للعدو وإزاء فشل العدو فى مهاجمة وحدات القطاع الجنوبى بدأ فى قصف كتائب اللواء الخلفية والأمامية بالمدفعية بعيدة المدى من الغرب والشرق بغرض إسكات كتائب اللواء وتعزيز أسلوبه هذا بدأ العدو فى استخدام طائرات المشاغلة على ارتفاعات عالية ١٢-١٤ كم التى تطير فى الشرق على مسافة ٣٠-٤٠ كم لتكون طعمًا لوحداثنا للتعامل معها حتى يتم قصفها بالصواريخ شرايك ورغم قصف العدو لنحو

٥ صواريخ شرايك خلال هذا اليوم على وحدات القطاع الجنوبي إلا أن الوحدات لم يصيبها أى سوء وإزاء الفشل الجديد في هذا القطاع بدأ العدو في استخدام الطائرات الموجهة باللاسلكى من طراز ريان فيربى وقد تمكنت وحدات القطاع من إسقاط إحداها.

نقل العدو هجومه الجوى بعد ذلك الى القطاع الأوسط في محاولة لمعاونة قواته التى تحاول التقدم في اتجاه الغرب قواتنا الجوية للعدو معظم أوقات النهار، وحاول العدو في إحدى هجماته مهاجمة كئاب الصواريخ التى تحتل مواقعها في مواجهة قواته المدرعة في هذا القطاع، ولكنه فشل وتمكنت الوحدات من تدمير بعض طائراته وإزاء هذا الفشل بدأ في مهاجمة الكئاب الأمامية في القطاع بالدبابات وتمكنت عناصر الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات الموجودة مع كئاب الصواريخ الموجهة له من تدمير بعض دبابات العدو وإزاء هذا الفشل لم يكن أمامه بد من استخدام المدفعية بعيدة المدى ضد هذه الكئاب والحق بها بعض الخسائر. لقد تمكن حائط الصواريخ خلال قتاله في هذا اليوم من تدمير ١٨ طائرة، ١٣ منها مؤكدة منها ٢ هليوكبتر وواحدة ريان فيربى.

كان من المفروض بعد أن توفر هذا الحشد من القوات لدى العدو في الغرب يوم ١٠ / ٢٠ أن يستخدم هذه القوات لتحقيق نصر عسكري، وكان أمام العدو أحد الاحتمالات الآتية أما العودة إلى الخطة الأصلية الغزاة ودفع لواءاته المدرعة في اتجاه الغرب للوصول الى طريق الإسماعيلية - القاهرة أو الاستيلاء على الإسماعيلية الواقع أن العدو رغم ما توفر لديه من قوات كبيرة لم يحاول أى من الاحتمالات السابقة، بل لم يحاول التقدم في اتجاه الجنوب مكتفياً بإرسال عناصر محدودة لوقاية قواته خوفاً من أن تنقض علينا من هذا الاتجاه. وعلى العدو ذلك القول إن العدو خلال هذا اليوم كان في حالة سكون، مرجعه تزايد المقاومة التى تواجهه غرباً وشمالاً. وعدم إمكان القوات الجوية الإسرائيلية حتى الآن القيام بالدور التقليدى الذى تتطلبه الحرب الخاطفة بالإضافة إلى الإحباط النفسى الذى أصاب القيادة الإسرائيلية من فشل قواتها في الغرب في تحقيق أى نصر عسكري.

أدى القتال المستمر طيلة الأيام الماضية وما استلزمه من كثرة ساعات عمل المعدات بالإضافة إلى تعرض الكتائب الأمامية من حائط الصواريخ لقصف مدفعية العدو بعيدة المدى لزيادة الخسائر في المعدات مما استلزم ضرورة دراسة الموقف كلية واتخاذ قرار جذرى لرفع مستوى الكفاءة الفنية للمعدات وكان في سبيل تحقيق ذلك الاعتماد على أنفسنا عملا والاعتماد على المتيسر لدينا من موارد.

في ضوء ذلك تم حصر المطلوب والمتيسر والمطلوب من الخلف، وفي ضوء ذلك تم وضع خطة استعادة الكفاءة القتالية للوحدات وأسبقيات ذلك - وعلى ضوء الخطة تم توزيع مجموعات مهندسى الإصلاح على الكتائب، ولتحقيق سرعة الإصلاح وتنفيذ مهمة الوقاية للقوات في ضوء الموقف التكتيكي والتعبوى السائد وقتئذ ونبعت خطة قتال جديدة وعلى ذلك قررت أن يتم الإصلاح في المواقع الجديدة باستغلال ساعات الليل وتبعاً لذلك أصدرت أوامر بإتمام العديد من التحركات سواء في المنطقة الأمامية أو الخلفية بعضها نهاراً والآخر ليلاً وحددت أسلوب التحرك في كل منطقة حتى لا يكشف العدو نوايانا أو يعون تنفيذ الخطة التى تهدف إليها - وبحلول مساء يوم ٢١/١٠ خابت - الآمال تماماً فلم يصل لنا شىء مما وعدنا به والذي لم يصل إلا بعد ظهر يوم ٢٢/١٠ وكان علينا أن نعتمد على أنفسنا وفي سبيل ذلك تم حشد كل الطاقات من ورش ثابتة ومتحركة كما حشدت كل الكفاءات المعنية من مهندسى الإصلاح والمقاتلين وقد أدى هذا التجميع دوراً رائعاً فلقد حققوا معجزة كان من النادر أن تحدث بها قدموه من جهد وعرق فلم يكذب فجر يوم ٢٢/١٠ حتى تم استعادة موقف أكثر من ٥٠٪ من الوحدات ومن ثم بدأت العجلة تدور وتزداد الصلاحية يوماً بعد يوم.

لقد تمكنا بهذا الأسلوب أن نؤدى دوراً عجزت وحدات الإصلاح الثابتة عن أدائه. لقد تمكنا من إصلاح عدة كتائب وإعادتها إلى أوضاعها القتالية في زمن وجيز رغم الفاروق في الإمكانيات البشرية والفنية ومدى تأثر الإصلاح بالقرب أو البعد عن أرض المعركة. لقد كان خلف هذا النجاح إرادة المقاتل المصرى التى لا تعرف الكلل أو الملل والتى تنطلق في أدائها من أن لكل مشكلة حلاً مهما استعصت.

أدت سيطرة العدو على المنطقة الجبلية غرب مدينة فايد ووصول قوات جديدة اليه تم عبورها ليلة ٢٠ / ٢١ مع اتحاد قواتنا لأوضاع دفاعية من حوله وعدم التعرض لعناصره المحدودة التي تسربت تجاه الجنوب يوم ٢٠ / ١٠ إلى أن يقوم العدو صباح يوم ٢١ / ١٠ بدفع قوات محدودة تجاه الجنوب مستغلا الوديان المتعددة في هذه المنطقة ومن ثم تمكن من الوصول إلى مناطق يهدد فيها التحركات على طريق القاهرة جنييفه إلا أن قيادة الجيش الثالث الميداني قامت قرابة سعت ٨٠٠ بدفع بعض العناصر المدرعة في هذه الاتجاهات تمكنت من القضاء على بعض قوات العدو واضطر الباقي في الانسحاب.

رغم فشل العدو لم يترك كتائب الصواريخ أرض - جو الموجودة في القطاع الجنوبي دون أن يحاول النيل منها فكان أن وجه إليها مدفعيته بعيدة المدى من عيار ١٧٥ مم إلا أنها لم تكن مؤثرة على الوحدات بأي حال من الأحوال نظراً لاستخدامها على مدى أكبر من مداها المؤثر مما جعل وحدات الصواريخ بالقطاع الجنوبي تستمر في أداء مهمتها وإزاء هذا الفشل الثاني بدأ العدو يوجه إليها أيضا نيران مدفعيته بعيدة المدى من الشرق أيضا، إلا أن كل ذلك وإن كان أدى إلى خلخلة زمنيته محدودة في الموقف إلا أنه سرعان ما عادت الأمور إلى مجراها واستمرت الوحدات في تنفيذ مهامها في وقاية قوات الجيش الثالث الميداني شرقاً وغرباً.

كان قتالنا مع القوات الجوية الإسرائيلية خلال يوم ٢١ / ١٠ محدوداً وكان مجهودها هي الأخرى محدوداً، فقد بلغ ٧٣٥ طلعة / طائرة منها ٦٠٤ طلعة / طائرة نازلاً، وقد تميز من مجهودها خلال هذا اليوم قيامها بأربع هجمات مركزة الأولى تمت قرابة سعت ٨٤٥ بقوة ١٦٠ طلعة / طائرة وجه العدو منها ٨٠ طلعة / طائرة للقطاع الشمالي، ٤٠ طلعة / طائرة للقطاع الأوسط، ٤٠ طلعة / طائرة للقطاع الجنوبي، أما الهجمة الثانية فقد تمت قرابة سعت ١٠٤٥ بقوة ٨٨ طلعة / طائرة خص القطاع الشمالي منها ٢٢ طلعة طائرة والقطاع الأوسط ٢٨ طلعة / طائرة والقطاع الجنوبي ٣٨ طلعة / طائرة، أما الهجمة المركزة الثالثة فقد تمت قرابة ١٢٥٥ بقوة ٣٢ طلعة / طائرة وزعت على القطاعات بالتساوي أما الرابعة فقد تمت قرابة سعت ١٦٥٠ بقوة ٤٦ طلعة / طائرة خص القطاع الجنوبي ٢٨ طلعة / طائرة، والباقي وجهه مناصفة بين القطاع الأوسط والشمالي.

وجهت القوات الجوية الإسرائيلية مجهودها خلال هذا اليوم إلى مهاجمة قواتنا الموجودة في رءوس الكبارى إلى معاونة قواته الموجودة في الثغرة غرب القناة لتوفير الوقاية لها أيضًا ضد قواتنا الجوية، والتي كانت في قتال شبه مستمر مع قوات العدو في الغرب. بالإضافة إلى ذلك قامت القوات الجوية الإسرائيلية بمهاجمة تجمع اللواء ١٠٩ صواريخ ذلك التجمع الذى كان يعمل منفردًا في القطاع الجنوبي ورغم محاولات العدو لمهاجمة اللواء فإنه لم يفلح في تدمير إحدى كتائبه بالمهجوم المباشر عليها؛ لذا لجأ إلى استخدام الصواريخ شرايك ضده وقد تمكن العدو من النجاح ضد إحدى كتائب اللواء ورغم الساعات المحدودة التى تسرت اللواء للاشتباك مع القوات الجوية الإسرائيلية فإن اللواء تمكن من تدمير ٩ طائرات.

قاتلت باقى وحدات حائط الصواريخ بكفاءة في الوقت الذى كانت أعمال استعادة الموقف ورفع كفاءة الوحدات تجري على قدم وساق، وقد تمكنت باقى الوحدات من تدمير ٦ طائرات للعدو وبذا يصبح إجمالى ما تم تدميره للعدو خلال هذا اليوم ١٥ طائرة منها ١٠ طائرات مؤكدة.

حاول العدو خلال ليلة ٢٢/٢١ أكتوبر إعاقة عملية تجهيز معدات وحدات الصواريخ بالقطاع الجنوبي وذلك بقصفها من بعد بالمدفعية مما عاق هذه العملية إلى حد ما إلا أنه لم تكذبغ شمس ذلك اليوم حتى بات اللواء جاهزًا للتعامل مع العدو أما في القطاع الشمالى، فقد بدأت الوحدات التى يتم إصلاحها في العمل، وبدأت طاقة الإصلاح تزداد وبالتالي عدد الكتائب الجاهزة لقتال العدو يزداد ساعة بعد أخرى بدرجة أصبحت مطمئنة على قدرة القطاع في أن يعيد أى هجوم جوى يقوم به العدو. تسرب العدو تجاه الجنوب:

عاود العدو محاولاته صباح يوم ١٠/٢٢ للتسرب نحو الجنوب مستغلا طبيعة الأرض ولكن قواتنا تمكنت من صدّه وتدميره في معظم المواقع عدا بعض الجيوب البسيطة التي قدمت فيها الأرض للعدو وميزة الاختفاء في منطقة جبل جنيفة وجبل غرة وتسيطر من بعد على طريق القاهرة - جنيفة، أما في قطاع الجيش الثاني الميداني فقد استمر التراشق بين قواتنا وقوات العدو والتي سكنت تمامًا وأصبح

لا هم لها سوى إطلاق النيران عشوائياً وإن كانت أغلب الحالات من باب بث الثقة في الأفراد. إن عدم تقدم العدو غرباً في هذا القطاع إنما يعود بالدرجة الأولى إلى اتساع المواجهة التي كان يعمل عليها العدو وبعد اندفاعه نحو الجنوب رغبة في الوصول إلى موقف أفضل وخاصة أن قرار وقف إطلاق النار أصبح وشيكاً.

بلغ مجهود القوات الجوية الإسرائيلية خلال هذا اليوم ٨٤٣ طلعة طائرة منها ٧٧٠ طلعة طائرة نهاراً ويرجع السبب في هذه الزيادة إلى رغبة العدو في الوصول إلى نصر يجعله في موقف أفضل مما هو عليه بالإضافة إلى زيادة الإمدادات الأمريكية وقد تميز من مجهود هذه القوات قيامها بأربع هجمات جوية مركزة الأولى تمت حوالي سعت ٨٤٥ بقوة ١٣٠ طلعة طائرة وجه العدو منها ٥٢ طلعة طائرة للقطاع الشمالي، ٢٦ طلعة طائرة للقطاع الأوسط، ٥٢ طلعة طائرة للقطاع الجنوبي وقد شملت هذه الهجمة قيام العدو بمهاجمة وحدات اللواء ١٠٩ بالقطاع الجنوبي، أما الهجمة الثانية فقد تمت حوالي سعت ١١١٥ - بقوة ٩٦ طلعة طائرة خص القطاع الشمالي منها ١٦ طلعة طائرة والأوسط ٣٨ طلعة طائرة والجنوبي ٤٢ طلعة طائرة، أما الهجمة الجوية المركزة الثالثة فقد تمت حوالي سعت ١٤١٥ بقوة ٧٤ طلعة طائرة وجه العدو منها للقطاع الشمالي ١٢ طلعة طائرة والأوسط ٢٠ طلعة طائرة والجنوبي ٤٢ طلعة طائرة، أما الهجمة الرابعة فقد تمت حوالي سعت ١٧١٠ بقوة ٧٠ طلعة طائرة خص القطاع الشمالي منها ٢٨ طلعة طائرة والأوسط ٨ طلعة طائرة.

لقد كان تقديري لاحتمالات العدو هو قيامه بمهاجمة الجنب الأيمن للفرقة ممثلة في وحدات اللواء ١٠٩ في القطاع الجنوبي كذا الجنب الأيسر للفرقة ممثلاً في وحدات القطاع الشمالي دون المساس بقلب التشكيل، ولكن العدو أثر السلام وهاجم القطاع الجنوبي فقط. تمشيًا مع مبدأ الاقتصاد في القوى لتحقيق الغرض الذي كانت تهدف إليه القوات الإسرائيلية البرية من اندفاعها نحو الجنوب.

بدأ العدو هجومه على اللواء ١٠٩ صواريخ سعت ٩٠٠ بقوة ٣٦ طلعة/ طائرة واستمر هجومه لمدة ٣٠ دقيقة، وقد تمكن اللواء من مقابلة هجوم العدو وبمسالة رغم ضعف موقفه التكتيكي وطبيعة المنطقة الجبلية التي يقاتل فيها وما تقدمه من مساعدات للمهاجم جواً عن المدافع لقد تمكن اللواء من تدمير عدة طائرات للعدو بلغت ٩

طائرات، إلا أن العدو تمكن في النهاية من إيقاف معدات اللواء عن العمل نتيجة عشرات القنابل التي سقطت بجوار المعدات ورغم توقف المعدات عن العمل لم يهدأ العدو بل استمر، في مهاجمة الوحدات - كعادته - بغرض تدمير المعدات الموجودة فوق سطح الأرض من أجهزة رادار وقواذف وصواريخ ومولدات قوى ورغم محاولات العدو المتكررة والتي استمرت طول اليوم لم يحرز العدو النجاح المأمول، بل فشل تمامًا، ويرجع ذلك الفشل إلى الحدود الذي قامت به وحدات الرشاشات والصواريخ المحمولة سام ٧ في الدفاع عن قطاع اللواء بأكمله واستمر اللواء في موقعه.

لقد كان اللواء في حاجة إلى بعض المعدات البديلة وقطع الغيار المحدودة وعناصر أكبر من مهندسى الإصلاح لإتمام عملية إصلاح المعدات واستعادة كفاءة اللواء للقتال خلال ٢٢/٢٣ أكتوبر وعلى ذلك لم يكن يصدر قرار وقف إطلاق النار سعت ١٨٥٢ يوم ٢٢/١٠ إلا وقد تم اتخاذ جميع الإجراءات اللازمة لاستعادة موقف اللواء وتجهيزه للقتال صباح يوم ٢٣/١٠ وكان ذلك القرار متوقعًا في تنفيذه على العوامل الآتية :

الأول : هو مدى توفير المعدات الموجودة في الاحتياطي العام، والتي تلزم لاستعادة الموقف، وكانت الأيام الماضية قد أوضحت بجلاء أن هذا الاحتياطي العام قد أوشك على النضوب إن لم يكن نضب فعلاً. وأن الجسر الجوى السوفيتى لم يكن يحمل إلا أقل القليل من المطلوب.

أما الثانى : فهو مدى احترام العدو لقرار وقف إطلاق النار، وكان هذا الاحترام موضع الشك من ناحيتي فخلال الحروب الثلاثة التى سبقت هذه الحرب نجد العدو يحاول دائمًا الحصول على مكاسب تفوق ما فى يده.

أما الثالث فكان مدى سلامة التحرك على الطرق التى توصل إلى قطاع اللواء، وكان هناك طريقتان تمكن العدو من السيطرة من بعد على إحدهما يوم ٢١/١٠.

قام العدو اليوم بمهاجمة موقع رادار الإنذار الموجود أعلى جبل عتاقة. وقد ركز العدو خلال هجومه على موقع السرية بأمل تدمير أجهزة الرادار لإيقافها عن العمل وبالتالي شل الاستطلاع والإنذار في قطاع السويس ورغم أن العدو خصص لذلك

الغرض ٢٢ طائرة تسارعت موجات كل من زوج من الطائرات فإنه لم يتمكن إلا من تعطيل هوائى أحد أجهزة الرادار أما باقى الأجهزة فلم تصب بشىء واستمرت فى أداء مهمتها. لقد تمكن حائط الصواريخ فى هذا اليوم من إسقاط ١٦ طائرة للعدو منها طائرة موجهة باللاسلكي.

أعمال العدو ضد المطارات الأمامية

أدى عبور العدو فى الغرب إلى استخدام القوات الجوية المصرية ضده بكثرة بقصد إيقاف تقدمه وتدميره، وفى هذا الصدد أدت المطارات الأمامية دورًا كبيرًا نظرًا لما تيسره للقوات الجوية المصرية من إخراج العديد من الطلعات، وقد فطن العدو لذلك فعمل على مواجهة المطارات الأمامية بقصد تدمير ما بها من طائرات أو شلها عن العمل بضرب الممرات.

سعت ٨١٠ يوم ١٧ / ١٠ بدأ العدو هجومه على مطار القطامية فاقتربت ١٦ طائرة فانتوم وميراج وسكاي هوك فى مجموعات كل من أربع طائرات وذلك من اتجاه السويس متخذة من وديان المنطقة الجبلية دليلًا وساترًا لإخفائها، ثم انقضت على المطار فى محاولة لإسكات وحدات الصواريخ القائمة بالدفاع عن المطار وتدمير الممرات بقصد تعطيله أطول فترة ممكنة لقد قدرنا سلفًا احتمالات هذا الهجوم اتجاهًا وحجمًا، وأدى التقدير إلى زيادة وحدات سام ٧ القائمة بالدفاع عن المطار ووضعت بذكاء وأسلوب جديد لتقابل أى نوع من هجمات العدو على المطار وذلك بقفل طرق الاقتراب السهلة والصعبة أمام العدو، لقد أدى هذا الأسلوب إلى أن يقع العدو فى الشرك الذى تم إعداده له قابل اللواء ١١٣ صواريخ يعاونه الفوج ٨٤ مدفعية ووحدات سام ٧ العدو - ولكن كانت المفاجأة مذهلة - إذ اضطر العدو أمام النيران التى فتحت عليه إلى الفرار دون أن يلحق بالمطار أى أضرار وتم تدمير طائرة للعدو.

هاجم العدو مطار الصاحية سعت ٧٣٠ يوم ١٨ / ١٠ قبل بدء هجومه على اللواء ١٠٧ صواريخ فاقتربت ٦ طائرات فانتوم وسكاي هوك من المطار، ولكن تمكنت وحدات الدفاع عن المطار من تدمير ٤ طائرات مؤكدة للعدو سقطت فى بحيرة المنزلة.

لقد كان غرض العدو من ذلك الهجوم هو قفل المطار لحين إتمام هجمته الجوية على اللواء على أساس منع المقاتلات الموجودة بالمطار من التدخل في إحباط الهجوم الجوية. وقعت آخر هجمة على مطار القطامية يوم ٢٢ / ١٠ فلقد حاول العدو مهاجمة المطار بعدد ٤ طائرات، ولكن هذه الهجمة لم يكتب لها النجاح.

أساليب العدو

خلال هذه الفترة لم تتغير أساليب العدو المتبعة لقتال كتائب الصواريخ ولكن تميزت بالآتي :

أ- كثرة دوريات الشرايك الموجودة في الشرق، والتي تتحين الفرصة لإطلاق صواريخها الموجهة راداريًا بقصد تدمير هوائيات رادار التوجيه، وكانت هذه الدوريات بمعدل دورية أو أكثر في كل قطاع من قطاعات الجبهة الثلاثة على ارتفاعات متوسطة أو منخفضة.

ب- كثرة استخدام الطائرات بدون طيار، ريان فيربى أو شيكار في الاستطلاع بالغرب حفاظًا على طائراته من التدمير.

ج- ازدياد شدة الإعاقة الإلكترونية عما كانت نتيجة لدخول نوعيات حديثة كإمداد من الولايات المتحدة.

د- إشراك المدفعية في الغرب والشرق في ضرب كتائب الصواريخ مع مهاجمتها جواً في الوقت نفسه.

هـ- استمرار الإعاقة السلبية باستخدام البالونات الطائرة أو الشرائح المعدنية الملقاة.

و- زيادة عدد الطائرات المشتركة في الهجمات الجوية زيادة كبيرة.

ز- استمرار الخوف لدى الطيارين وعدم اقترابهم من مناطق الصواريخ.

العدو يحسن أوضاعه

صدق ما توقعناه تمامًا فلم يلتزم العدو بقرار وقف إطلاق النار كعادته فلم تكد تمضي دقائق قليلة بعد ساعت ١٨٥٢ يوم ٢٢ / ١٠ حتى بدأت الوحدات تبلغ عن نشاط

للعـدو ونيران يقوم بتوجيهها هنا وهناك لقد حاول العدو خلال ليلة ٢٢/ ٢٣ أكتوبر العمل على زيادة سيطرته على المناطق التى تسرب إليها فى الغرب كذا العمل على امتداد هذه السيطرة تجاه الجنوب. تجاه مدينة السويس وذلك بغرض تحقيق الآتى :

أ- محاولة الاستيلاء على السويس كإحدى مدن القناة وأثر ذلك من الناحية السياسية محلياً وعالمياً.

ب- محاولة عزل قوات الجيش الثالث الميدانى الموجودة فى الضفة الشرقية وذلك بالتواجد خلفها لقطع خطوط إمدادها مما يجعلها فى موقف لا تحسد عليه بأمل استخدام موقفها كعامل للمساومة فى المفاوضات المقبلة.

ج- الحصول على نصر معنوى يرفع من معنويات قواته التى تلاحقت بها الضربات.

د- محاولة الحصول على غرض عسكري يختتم به عملية العبور للغرب ” الثغرة ” وإلا كانت مثار ضحك وسخرية فى أعين الجميع.

إلا أن محاولات العدو فى التقدم تجاه الجنوب سرعان ما توقفت بعد ساعات من بدئها ولم يكن ذلك راجعاً إلى التزام العدو بقرار وقف إطلاق النار بقدر ما يكون راجعاً إلى الآتى :

أ- عدم قدرة وحداته المدرعة على العمل ليلاً فى الأراضى الجبلية الموجودة غرب القناة.

ب- كثرة الهيئات الحاكمة بالمنطقة مما يخشى معه وقوع العدو فى كمائن مضادة للدبابات تؤدى إلى تدميره.

ج- صعوبة التعرف على الأرض ليلاً نظراً لتشابه هياكلها وبالتالي عدم إمكان اختيار أى محاور للتقدم عليها.

وإذا استثنينا العناصر المحدودة التى دفعها العدو للسيطرة على التحركات على الطرق الموجودة فى قطاع الجيش الثالث الميدانى لإرباك ما يجرى عليها من تحركات والتى بلغت مغرزين أو ثلاثة كل منها تتكون من نحو سرية دبابات وعربات مجنزرة

والتي كانت تتواجد خلف قطاع وحدات الصواريخ أرض - جو في هذا القطاع - نجد أن العدو في تقدمه حتى وقف إطلاق النار لم يكن قد وصل إلا ببعض عناصر محدودة من الدبابات تقارب كتيبة دبابات إلى مشارف منطقة جنيفة، وهذه القوة تعتبر غير كافية لتوطيد أقدامه في هذه المنطقة، إذ سرعان ما تفتتح الأرض بعد ذلك وتحتاج إلى قوات أكبر لإتمام السيطرة عليها وإسكات ما بها من قوات. لقد حاول العدو إزاء فشله في تحسين أوضاعه التأثير على معنويات القوات الموجودة بالمنطقة فاستخدم مدفعيته ومدفعية دباباته في عملية قصف عشوائي على بعض المناطق التي يعتقد في وجود أي قوات بها وعلى تلك المناطق التي يخشى أن تتقدم منها أي قوات، ومثل هذا الأسلوب أن دل على شيء فإنما يدل على الجبن والخوف الذي يتحلى به العدو، ولا شك أن هذه هي وسيلته لزيادة اطمئنانه وثقته في نفسه إزاء الموقف الذي يحيط به.

جاء صباح يوم ٢٣ / ١٠ وتأكد لنا رغبة العدو في الاندفاع نحو الجنوب تجاه مدينة السويس. ففي سعت ٨٤٠ بدأت كتائب الصواريخ الموجودة في المنطقة في جبل الشلوفة، ومطار الشلوفة، والشط تبلغ عن تحرك دبابات العدو في اتجاهها، وهنا أصدرت الأوامر لجميع كتائب الصواريخ بالتصدي للعدو بما نمتلك من أسلحة دفاعية ولا تيسر للعدو الاقتراب منها.

وقرابة الظهر بدأ العدو في مهاجمة كتائب الصواريخ التي تعترض تقدمه بمدفعية الدبابات في محاولة لإجبار الوحدات على ترك معداتها أو التسليم، ولكن ثبتت الوحدات وتصدت للعدو بكل ما لديها من أسلحة بقتاله ولم تمكنه من الاقتراب من مواقعها مما جعل العدو يترث في تقدمه في اتجاه السويس خوفاً من أن تصبح هذه الوحدات شوكة في جنبه عند تقدمه وخلال هذا القتال غير المتكافئ التسليح برزت بطولات وبطولات لمقاتلين من جميع الرتب من ذلك النوع الذي يسترخص الدم ويذل الحياة في سبيل عزة ورفعة مصر.

لم تتمكن مدفعية العدو أو مدفعية دباباته من إحداث أي خسائر لمعدات الصواريخ اللهم إلا تطاير صاروخ أو اثنين من على القواذف نتيجة لإصابتها في خزانات الوقود وكان علينا أن نعمل على إصلاح معدات اللواء وإعادةه إلى القتال، ولاحت الآمال

عندما تمكنت قواتنا المدرعة قبل ظهر يوم ٢٣/ ١٠ من السيطرة على الطرق وطرده العدو من المنطقة إلا أن العدو تمكن بعد دفع قوات جديدة للمنطقة من إعادة سيطرته على الطرق وبذا تلاشت الآمال التي حددتها من قبل بخصوص استعادة الكفاءة القتالية للواء. وفي ضوء ذلك قررت البقاء في المواقع والتمسك بها والقتال لآخر رجل وآخر طلقة وأصدرت أوامري بذلك لقائد اللواء العقيد سباحة وطلبت منه إصدار هذه الأوامر لقيادة الكتائب، ويؤكد لهم أن هذا قرارى وأنا سنقاتل قوات العدو بما هو متيسر معنا من أسلحة.

لم يحاول العدو مهاجمة كتائب الصواريخ ولكن اكتفى بقصفها بمدفعية دباباته من بعد على فترات متقطعة، لقد كانت مواقع كتائب الصواريخ محصنة تمامًا ومجهزة تجهيزًا هندسيًا ممتازًا فلم تؤد نيران العدو إلا خسائر محدودة في الأفراد والمعدات ومن هنا زادت ثقة الأفراد في إمكان قتال العدو والصمود وتمكنت طلائع قوات العدو من الوصول إلى مشارف مدينة السويس قرابة ظهر يوم ٢٣/ ١٠ وبدأت في قصف أحد مواقع رادار الإنذار مما أدى إلى تدمير هوائى الأجهزة الخاصة بالكشف المنخفض.

قامت العدو الرئيسية المتقدمة على طريق السويس بقصف إحدى الكتائب في منطقة الشلوفة بقيادة المقدم نصار بغرض إحداث أكبر خسائر في الأفراد والمعدات بالإضافة إلى أحداث التأثير المعنوى المطلوب بين الأفراد لإجبارهم على الانسحاب وترك معداتهم إلا أن هذه الكتيبة تصدت لمحاولات العدو بكل ما لديها من أسلحة خاصة الرشاشات المضادة للطائرات ذات معدل النيران العالى ورغم الخسائر الطفيفة التي ألحقها القصف في بعض العربات والأفراد فإن الموقف ظل متماسكًا تمامًا ولم تمكن الكتيبة العدو بصلابتها من تحقيق غرضه أو إمكان الاقتراب منها ورغم هذا القصف فإن معدات الصواريخ بالكتيبة ظلت صالحة تمامًا ولا تحتاج إلا لوقت قصير لاستئناف العمل بها بكفاءة ضد طيران العدو، والذي بدأ يصول ويجول في هذه المنطقة نظرًا لتوقف اللواء ١٠٦ صواريخ عن القتال لعدم إمكان استعادة موقعه حتى الآن.

حاول العدو السيطرة على مدينة السويس بعد ظهر يوم ٢٣/ ١٠ كغرض سياسى ولكنه فشل أمام المقاومة التي أبدتها المدينة وفي ضوء ذلك بدأ العدو في الانتشار جنوبًا نحو ميناء الأدبية للاستيلاء عليها ومنع استخدامها بمعرفة قواتنا.

لقد انتهى قتال يوم ٢٣ / ١٠ مع العدو ببقاء اللواء ١٠٩ صواريخ في مواقعه متناسكًا لم يتمكن العدو من الاستيلاء على أى موقع من مواقعه، بل قوبلت جميع محاولاته بالقتال والإصرار على الاستشهاد. وفي ضوء تطور الموقف البرى واحتمالات تطوره طلبت تجهيز المعدات للنسف على أن يتم نسفها عندما يتعقد الموقف ويصبح لافرار من اتخاذ مثل هذا القرار الذى تم اتخاذه سعت ١٥٠٠ يوم ٢٥ / ١٠ / ٧٣.

لقد دمر هذا اللواء نحو خمسين طائرة ووقف في وجه العدو وبقاتله منفردًا إلا من عناصر محدودة حوله من القوات البرية لمدة أربعة أيام وفي النهاية استسلم الكثير من أبطاله الشجعان الشرفاء.

لقد بدأ حائط الصواريخ قتاله يوم ٦ أكتوبر ٧٣ وقد لقن العدو أول درس في تاريخه فهو الذى أفقده أترانه، وهو الذى دمر للعدو ٣١ طائرة في اليوم الأول للقتال مما أفقده وعيه تمامًا فهو لم يألف من الصواريخ وقد قاتلها من قبل مثل هذا الحجم من الخسائر. لقد كان حائط الصواريخ هو الصخرة التى تحطمت عليها آمال العدو في الثغرة في الغرب الذى أبلغ عن عبوره وتحركاته بل وقف بالمرصاد للعدو فلم تسمح له بالاستيلاء على أى مزيد من الأرض خلال الأيام من ١٦ - ١٩ / ١٠ مما جعله يغير غرضه الأساسى من العبور للغرب عدة مرات وفي النهاية يتجه إلى الجنوب لتحقيق أى نصر يذكره ويتباهى به أمام العالم، ولم يكن غريبًا أن تكون آخر معارك العدو والفاصلة في القطاع الجنوبى تتم بين العدو وحائط الصواريخ فلقد تمسكت وحدات الصواريخ بالأرض ولم تتركها وهى التى برهنت للعالم كله أننا كنا متمسكين بها خلال يوم ٢٢ / ١٠ ولم يكن للعدو شىء سوى بعض دبابات محدودة بالمنطقة الجبلية متسللة ومخفية وهو الذى منع العدو من الاستيلاء على مواقع في القطاع الجنوبى في يوم ٢٥ / ١٠ عندما تركها خيارًا وليس خوفًا أو إجبارًا وهو الذى انضم العديد من مقاتلوه منذ يوم ٢٣ / ١٠ إلى مدينة السويس ليقاتلوا العدو بجوار أبنائها لقد انضم مئات الأفراد من الكتائب القريبة من مدينة السويس إلى قوة الدفاع عن المدينة تاركين مواقعهم نظرًا لعدم جدوى قتالهم بالصواريخ ليقاتلوا بجوار إخوانهم في السويس بسلاحهم الشخصى تحذوهم الرغبة في الاستشهاد.

حقيقة لقد كان القتال بواسطة هؤلاء الرجال الذين يندر أن يجود بمثلهم التاريخ وأقولها حقًا لله قتالا قابلنا في الإعداد له الكثير من المشاق والحرمان ووجدنا في تنفيذه

متعة ما بعد متعة، فلقد كان العدو لقادة حائط الصواريخ أشبه بأكلة شهية يحاول كل قائد أن يلتهمها قبل الآخر.

فهنيئًا إلى هؤلاء الرجال الذين سبقونا إلى دار الخلد إلى جوارهم وقد أدوا - رسالتهم أكمل أداء وأحسنه وهنيئًا لهؤلاء الأبطال الأحياء وقد كللوا هامة أمتهم بنصر مجسد فلقد تمكنوا خلال قتالهم مع العدو الذي استمر من يوم ١٠/٦ إلى يوم ١٠/٢٢ من إسقاط ٢٦٨ طائرة مؤكدة و ٥٧ طائرة غير مؤكدة أليس هذا نصرًا نعتز به، لقد اعترف به العالم تمامًا اما نحن فقد طمسنا معالمه تارة وأظهرناه في صورة مهزوزة تارة أخرى وما كل ذلك إلا من الفراغ الذي يملأ النفوس البشرية وما أجدرنا في مثل هذه اللحظات التي يكتب فيها التاريخ بحروف من نار ونور ان نترك التاريخ يكتب نفسه كما أراد الله سبحانه وتعالى.

الفصل السابع عشر

المرحلة الرابعة للقتال من ٢٥ أكتوبر إلى ٢٩ ديسمبر ٧٣

كان من المفروض وقد صدر قرار وقف إطلاق النار يوم ١٠ / ٢٢ أن تلتزم إسرائيل به- ولكن إسرائيل لم تلتزم به واستمرت في عملياتها البرية تجاه السويس والأديبة وقد فشلت تمامًا فيما كانت تهدف إليه واعتبارًا من سعت ١٨٠٠ يوم ٢٥ / ١٠ / ٧٣ التزمت إسرائيل بقرار وقف إطلاق النار وتوقفت جميع عملياتها البرية شرقًا وغربًا كذلك بدأ نشاط السلاح الجوي الإسرائيلي ينحسر تمامًا اللهم إلا من بعض طائرات الإمداد وكلها من الأنواع البطيئة متخذة من مطار فايد مكانًا للهبوط فيه، وكان هذا المطار خارج مدى وحدات الصواريخ على أي ارتفاع في ضوء أوضاع حائط الصواريخ الجديدة والتفافه حول العدو في الثغرة غربًا. وكان علينا إزاء هذا النشاط المحدود أن نعمل بسرعة وجهد لكي نعيد تشكيل حائط الصواريخ كما كان من الضروري القيام بإصلاح معداته وأن نقيم له من الواقع ما يلزم وأن نخطط له للاشتراك في الخطة «شامل» تلك الخطة التي وضعت بغرض تدمير العدو في الثغرة، ونظرًا لأهمية عامل الوقت فقد سارت جميع الأعمال على التوازي .

استعادة موقف الوحدات

كان من الضروري. وقد توقف القتال فعلا. ولم يعد هناك أثر لأي اشتباك بين القوات البرية أن نعمل بسرعة على استعادة موقف الوحدات وأن نعيد حائط الصواريخ إلى ما كان عليه قبل ما حل به من خسائر نتيجة لتدمير بعض الوحدات أو المعدات. لقد صدر قرار قيادة قوات الدفاع الجوي يوم ١٠ / ٢٢ بإزالة بعض الكتائب إلى القاهرة

بكامل معداتها لإتمام عملية استكمالها وإصلاحها وضبطها وإعادتها على وجه السرعة إلى جبهة القتال مرة أخرى. وعلى ضوء ذلك تم إنزال عدة كتائب صواريخ للورش في القاهرة تكفلت قيادة الفرقة بإصلاح عدة كتائب أخرى حسب ما تيسر لها من معدات وقطع غيار.

لقد كان هذا الموضوع هو الشغل الشاغل لجميع القيادات، فالكمل يعمل جاهداً للوصول بحائط الصواريخ إلى كامل قدرته وقوته حتى يحيط بقوات العدو في الثغرة إحاطة كاملة ليقوم بدوره في وقاية القوات البرية سواء غرب القناة أو شرق القناة وفقاً لأوضاع القوات في ذلك الوقت.

إعادة التجميع وإعادة تشكيل حائط الصواريخ

في ضوء عدم انصياع إسرائيل إلى وقف إطلاق النار، وفي ضوء ما قامت به دبابتها في الانطلاق تجاه الجنوب ومحاولة إحكام الحصار على اللواء ١٠٩ صواريخ يوم ٢٤/١٠/٧٣ رأيت ضرورة إعادة التجميع لحائط الصواريخ في ضوء عدد الكتائب المتيسرة لدينا واضعاً في اعتباري العوامل التالية :

* عدد كتائب الصواريخ الجارى إصلاحها ويتنظر الانتهاء منها، خلال ٢٤ - ٤٨ ساعة

* عدد كتائب الصواريخ الجاهزة للقتال الفوري.

* موقف العدو في الثغرة وأوضاع مدفعية الميدان الموجودة ١٧٥ مم، ١٥٥ مم.

* الحاجة إلى وجود تجميع متماسك أساسه عدم وجود ثغرات بين اللواءات وليس كثرة عدد الكتائب في اللواء الواحد حتى لا يتيسر للعدو مهاجمة كل لواء على حدة .

* يجب مراعاة عدم تمطية الفواصل بين الكتائب في الأنساق المختلفة وإن كان النسق الأول يحتاج إلى فواصل ضيقة لتوفير عدد من دورات النيران فيجب أن تكون الفواصل في الأنساق الأخرى مماثلة أو أكثر من ذلك حتى لا يتيسر للعدو معرفة شكل التجمع، ولا إمكان مهاجمته بأسلوب واحد.

* مراعاة البروز الموجود حالياً والنتائج من وجود العدو في الثغرة غرباً وما أدى إليه ذلك من تباعد بين كل من اللواء ٩٥، ١٠٦ صواريخ.

✳ اختيار مواقع جديدة ميدانية يتم تجهيزها للوحدات مع مراعاة مشكلات القطاع الجنوبي من الجبهة وكثرة الهجمات الأرضية المرتفعة به وما تشكله من عائق في كشف الأهداف الجوية المنخفضة.

✳ محاولة عودة الكتائب إلى وحداتها الأم بعد كثرة المناورة بها حتى يتم الانسجام اللازم في العمل ولا يخلق أية مشكلات جديدة لقيادات الألوية هي في غنى عنه لتصرف إلى ما هو أهم وهو التجهيز للقتال. في ضوء ذلك تم وضع خطة إعادة التجميع وإعادة التشكيل وكان المتيسر لدينا في ذلك ما يقرب من ٤/٣ الكتائب التي دخلها خلفاً بها القتال يوم ٦ أكتوبر ٧٣. لقد كانت خطتي تهدف إلى احتلال القطاع الشمالي بصدد ١٤ كتيبة صواريخ واحتلال القطاع الأوسط بعدد ٤ كتيبة صواريخ تزداد خلال ٢٤-٤٨ ساعة إلى ٦ كتائب، ثم دخول اللواء ٩٧ صواريخ جنوب اللواء ١٠٦ صواريخ بعدد ٤ كتائب تزداد إلى ٦ كتائب خلال ٢٤-٤٨ ساعة مع استمرار الدفاع باللواء ١١٣ صواريخ من خمس كتائب عن مطار القطامية.

✳ بمجرد وصول كتائب جديدة من تلك التي تم إصلاحها يدخل اللواء ١٠٥ صواريخ ما بين تجميع اللواء ١٠٦، ٩٧ صواريخ وبهذا الأسلوب نضمن تحقيق الآتي :

✳ وجود تجميع قوى في القطاع الشمالي من الجبهة يمكنه أن يدمر أية محاولات للعدو لمهاجمته قادر في الوقت نفسه على توفير الوقاية تماماً لكل من فرق ١٦، ٢، ١٨ مشاة في رءوس الكباري التي تحتلها شرعاً ضد أي أهداف منخفضة تطير على ارتفاع ١٠٠ متر وذلك من مواقعه التي يحتلها على بعد ٦ كم غرب القناة وتمتد وقيته أمام رءوس الكباري وحولها كلما زاد الارتفاع.

✳ منع العدو من حرية الطيران في الثغرة على أي ارتفاع في ضوء مدى تدمير الصواريخ.

✳ استمرار توفير الوقاية لمطار القطامية بقوة أكبر مما كان أيام القتال.

- منع العدو هذا هو الأهم من إمكان القيام بأي اختراق بين اللوائيات. لم يصدق قائد الدفاع الجوي على تلك الخطة، وقامت قيادة الدفاع الجوي بوضع خطة جديدة مبنية على الآتي :

✽ إنقاص عدد الكتائب للقطاع الشمالي.

✽ إعادة احتلال اللواءين ١٠٥، ٩٧ صواريخ لمواقع جنوب قطاع اللواء ١٠٦ صواريخ وبعدهم محدود من الكتائب لا يتجاوز ٢-٣ كتيبة صواريخ في كل لواء .

✽ اتخاذ أوضاع لا تتفق مع أوضاع العدو في الثغرة ولا طبيعة الأرض اعتمادًا على خلفية قديمة منذ بدء حائط الصواريخ قتاله مع العدو في يوليو ١٩٧٠ ومع شرح الملابس الخاصة بخطتي تم التصديق عليها وبدأ التنفيذ فيها يجري على قدم وساق لقد أدت السرعة في إتمام إصلاح المعدات سواء في الورش بالقاهرة أو على مستوى الفرقة الثامنة دفاع جوى إلى استكمال تشكيل اللواء ٩٧ صواريخ قبل يوم ١ / ١١ / ٧٣ ما لبث إن استكمل إلى كامل قوته يوم ٦ / ١١ أما اللواء ١٠٥ صواريخ فقد دخل منطقة تمر كزه بين اللواءين ١٠٦، ٩٧ صواريخ بعدد محدود من الكتائب لم يلبث أن تكامل فيما بعد وبذا وصلت قوة حائط الصواريخ إلى سابق قوته قبل بدء عمليات أكتوبر ٧٣ مع تحسن في نوعية بعض الكتائب فلقد استبعد عدد كبير من كتائب الصواريخ من أنواع سام ٢ واستبدلت بعدد مماثل لها من أنواع سام ٢ معدل، إذ أن القتال أثبت عدم كفاءة النوع الأول، ولقد أشرت من قبل الحرب بشهور إلى ذلك. ولكن لم نجد أدنا صاغية، تستجيب لذلك وقد برهنت المعركة على صحة نظرتنا وموقعنا للمعركة ولو كان تم الأخذ مما طلعت له لكان لنا في القتال مع العدو شأن آخر. قد تكون نهاية السلاح الجوي الإسرائيلي لقد تم تدعيم حائط الصواريخ بكتيبة من نوع جديد من نوع سام ٤ (فولجا) ذات مدى أكبر من الأنواع الموجودة، ويتميز بميزات جديدة تجعله قادرًا على التغلب على التداخل والإعاقة الإلكترونية. فكانت بداية طيبة علقنا عليها آمالا عريضة، إذ أن أي سلاح جديد لا شك سيحقق مفاجآت في القتال.

بناء المواقع

أدى تواجد العدو في الغرب واتخاذ قواتنا البرية إلى أوضاع تكتيكية وتعبوية تتناسب مع أوضاع العدو والمهام المكلفة بها إلى أن أصبح القطاع الأوسط والجنوبي خاليين تمامًا من أي موقع محصنة من النوع المحصن أو المسبق الصنع اللهم إلا النذر اليسير، وهنا

كان من الواجب أن نعمل على تجهيز مواقع ميدانية للوحدات تتفق في سرعة إنشائها مع سرعة الإصلاح مضافاً إلى ذلك عدد آخر من المواقع الميدانية ليخدم خطة المواقع المتبادلة وعدد آخر يخدم المواقع الهيكلية وقد استدعى ذلك الإنشاء من مجموعات مهندسي الفرقة جهداً كبيراً، أدى إلى الانتهاء منها مما هو مطلوب منها قبل موعده مما كان له أكبر الأثر في احتلال الكتائب لمواقعها في توقيتاتها التي حددت لها كذلك إتمام المناورة اللازمة ووضع خطة المواقع الهيكلية لخداع العدو محل التنفيذ حتى أصبح لدينا ٨٠ موقعاً هيكلياً تدخل ضمن التجميع الرئيسي للتشكيل.

ونظراً لصدور التعليمات القاضية بتصفية العدو في الغرب كان من اللازم وقد توافرت الوقاية المطلوبة تماماً لقوات الجيش الثالث والثاني الميدانيين شرقاً وغرباً إذا استثنينا قوات الجيش الثالث الميداني في الشرق أن نعمل على زيادة قدرة حائط الصواريخ على الصمود أمام هجمات العدو الجوية وذلك بتحويل المواقع الميدانية إلى مواقع محصنة من النوع المسبق الصنع وتحقيقاً لذلك وضعت خطة تتفق مع إنتاج هذا النوع من المواقع وقد استغرق ذلك العمل وقتاً ليس بالقصير إذ لم يتم الانتهاء منها إلا في أوائل يناير ١٩٧٤ وكان ذلك من وجهة نظرنا نهاية لإنشاء مواقع جديدة محصنة من النوع مسبق الصنع كافياً لعمل حائط الصواريخ خلال معركة تدمير العدو في الثغرة إلا أن العدو عند انسحابه من الثغرة في ضوء قرار فك الاشتباك الأول، لم يترك مواقع الصواريخ كما هي رغم ما وعد به من تركها سليمة - لقد قام العدو بتدميرها لقد دمر العدو ٥٢ موقعاً ما بين محصن ومسبق الصنع ولم يكن ذلك إلا انتقاماً من حائط الصواريخ ووحداته ورغبة العدو في تأخير تقدمه للإمام ووقايته للقوات الموجودة في الشرق، ولكن سرعان ما اندفعت الوحدات واحتلت مواقع ميدانية أعقبها إقامة مواقع محصنة ومسبقة الصنع في ضوء تخطيط جديد وقد استلزم ذلك نحو خمسة شهور من العمل اشتركت فيه وحدات المهندسين العسكريين، اشتركت فيه أيضاً بعض شركات المقاولات المصرية.

خداع العدو

كان ولا بد وقد قاتلنا العدو عدة أيام قام بها حائط الصواريخ بإتمام نحو ٤٠٠ اشتباك بالصواريخ المتوسطة ونحو ٢٠٠ اشتباك بالصواريخ الفردية وقاتل غرباً وشرقاً

وتصدى للعدو في الثغرة فلم يمكنه من النفاذ منه في اتجاه الغرب وتصدى لمدفعيته دباباته بالمنورة السريعة المخططة، أن نعمل على تحقيق أسلوب جديد لخداع العدو خاصة أن العدو بتسربه إلى الغرب قد تمكن من الاستيلاء على بعض المعدات التي ظنها حقيقة وإذا به يفاجئ بأنها معدات هيكلية مصنعة من الأخشاب وهنا كان لابد لنا من الاعتماد على المعدات المعدنية أساساً ولا بأس من ازدواجها بمعدات خشبية لزيادة حيرت العدو وقد كان لنا من الخبرة الماضية ومدى ما توصل إليه العدو من معلومات عن حائط الصواريخ أكبر الأثر في الوصول إلى الأسلوب الأمثل لخداع العدو في هذه المرحلة مما جعل العدو يقع في حيرة مرة أخرى تلك الحيرة التي جعلته يلجأ إلى القيام باستطلاع جوى مكثف أكثر من مرة خلال النهار شرق القناة وغرب القناة مما جعلنا نستمر في التصدي لقتال السلاح الجوي الإسرائيلي وتدمير بعض طائرات الاستطلاع المعادية وأسر طيارها مما جعل العدو يلجأ إلى استخدام الطائرات الموجهة لاسلكياً من طراز ريان فيربى وشكار ورغم صغر حجم هذه الأهداف وصعوبة مشاهدتها على مبيئات أجهزة الرادار وخاصة الأخيرة منها فإن الوحدات تمكنت من تدميرها .

لقد استخدم العدو الطائرة شكار في الاستطلاع عندما أغلق عليه الموقف وبات موقف حائط الصواريخ أمامه طلسماً جديداً، لما لها من قدرة على الطيران المنخفض ٥٠٠-١٥٠٠ م وما يتوفر لها من إمكانات تصوير تعتبر على درجة عالية من التقدم.

القتال ضد طائرات الاستطلاع

كانت الاستعدادات تجري على قدم وساق غرباً لتدمير العدو الموجود في الغرب وشملت هذه الاستعدادات التخطيط لعملية هجومية تتم على الجيب الإسرائيلي بغرض تدمير القوات الإسرائيلية الموجودة فيه، والتي كانت تقدر بنحو ٦ لواءات منهم ٤ لواءات مدرعة، وفي سبيل ذلك بدأ حشد العديد من وحدات الدبابات - المشاة - المشاة الميكانيكية - الصاعقة - المظلات - وحدات قنص الدبابات - بالإضافة إلى وحدات أخرى من الدول العربية الشقيقة وقد بلغ حجم القوات المصرية التي خصصت للعملية ١٣ لواء منه ٥ لواءات مدرعة، وكانت الإجراءات للتحضير للعملية تتم بسرعة واتساق كامل بين القوات المشتركة في العملية، وكان دور حائط الصواريخ

هو توفير الوقاية للتجمع الرئيسي لقواتنا التي تقوم بحصار العدو وتدميره غربًا مع سرعة الانتقال لنقل الوقاية شرقًا لتغطية قوات الجيش الثالث الميداني في الشرق هذا بالإضافة إلى توفير الوقاية لقوات الجيش الثاني الميداني الموجودة شرقًا .

لقد كان موقف العدو في الغرب ممتعًا وصعبًا في وقت واحد ممتع؛ لأنه بموقفه هذا يقف بين شقي الرحى للقوات المصرية شرقًا وغربًا تلك القوات التي بدأت في الازدياد وأصبحت متفوقة عليه بنسبة ١:٢ غرب القناة فلو أضفنا إلى ذلك ضعف دفاعات العدو واتساع المواجهة بالنسبة إلى حجم القوات وكثرة الدبابات على عنصر المشاة التي تعتبر حجر الزاوية في أي موقع دفاعي مع وجود جيب في منطقة جبل القط في الخط العام لدفاعات العدو تحتله القوات المصرية ذلك الجيب الذي يجعلها لا تبعد عن ساحل البحيرات المرة الكبرى في فايد بأكثر من ٧ كم، والذي لو تم النجاح فيه لأدى إلى شطر القوات الإسرائيلية في الغرب إلى قسمين والقضاء على كل منها على انفراد وأما من ناحية أنه صعب فلقد كان ذلك راجعًا إلى موقف قوات الجيش الثالث الميداني الموجودة في الشرق ووجودها خارج نطاق التغطية بالصواريخ، مما سيؤدي بالعدو إلى تركيز مجهود قواته الجوية عليها خلال العملية الهجومية بقصد إنزال أكبر ما يمكن بها من الخسائر أو اقتران ذلك الهجوم الجوي بعمليات برية بقصد إزالة أو تقليص رأس الكبرى للجيش الثالث الميداني إن أمكن، إذ إن العدو كان لديه من القوات الاحتياطية في الشرق ما يعادل ٧ لواءات منهم ٣ لواءات مدرعة وفي ضوء هذا التقدير لأعمال العدو، كان من الضروري الانتهاء من العملية الهجومية كلها خلال يوم أو يومين ومن هنا جاءت الصعوبة إلا أن الواقع الذي كانت عليه القوات المصرية في الغرب والروح المعنوية التي تتحلّى بها نتيجة انتصاراتها السابقة ووجود الرغبة القوية لدى الوحدات في ضرورة ابتلاع هذه الوجة الشهيّة في الغرب وبأي ثمن كل ذلك كان كفيلا بالقضاء على العدو، ولا شك أن القضاء عليه في الثغرة كان معناه القضاء على ثلث قواته الموجودة والمحتشدة في مواجهة جمهورية مصر العربية أو ما يعادل ١/٥ قوات جيش الدفاع الإسرائيلي لقد كان مظهر الجنود الإسرائيليين في الثغرة، خوفهم، رغبتهم في عدم القتال مدى الذعر الذي يصيبهم عند فتح النيران عليهم، استسلامهم

لقواتنا بمجرد الاقتراب منهم، يوحي بأن هذه الوجبة ستكون دسمة للغاية ومن هنا كان الباعث القوي متوفرًا لدى الأفراد في ضرورة تدمير العدو في الثغرة .

إزاء ازدياد نشاط قواتنا في الثغرة وقيامها بعمليات إزعاج للعدو على طول المواجهة بغرض تكبيد العدو خسائر في الأفراد . وإزاء ما يتم حشده من قوات في مواجهته بات العدو قلقًا على موقف قواته في الغرب فلم يعمل تعزيزها بقوات جديدة تتفق مع طول المواجهة التي يحتلها، لأن ذلك معناه أن يتم ذلك على حساب قواته في الشرق وأمامه خمس فرق مشاة مصرية وبعض اللوآت المدرعة واستعاض العدو على ذلك بالقيام بطلعاته الاستطلاع الجوى لعدة مرات يوميًا أقلها ثلاث مرات ونظرًا لتواجد قوات العدو في الغرب في الجيب الإسرائيلي بدأ العدو يتبع أسلوبًا جديدًا في الاستطلاع بدؤه أولاً بالاستطلاع من الشرق على ارتفاع عالٍ وخارج مدن وحدات الصواريخ في الغرب وكان العدو كعادته يهدف إلى تحقيق غرضين في وقت واحد الأول هو إتمام الاستطلاع الرأسي والمائل لمواقع قواتنا، والثاني ليهاجم كتائب الصواريخ باقترابها منها مما يجعلها تقوم بالتعامل معه وهنا تلوح الفرصة لبعض طائراته التي تعمل في الشرق «دوريات الشرايك»؛ حيث تسنح لها الفرصة بإطلاق صواريخها على أكثر من كتيبة صواريخ بغرض تدميرها، بدأ العدو هذا الأسلوب يوم ٢٠ / ١٠ / ٧٣ وبدراسة ما تم وضح لي تمامًا هدف العدو، وهو أن يصطاد إحدى الكتائب دون أن تتمكن من اضطياده لذا أصدرت أوامر محددة حددت فيها القيود التي يجب أن تراعى عند الاشتباك، ولما لم ينجح هذا الأسلوب بدأ العدو في اتباع أسلوب آخر في الاستطلاع وهو أن يطير غرب القناة وشرقا على مسافة تتراوح ما بين ١٠-١٥ كم من القناة مع عمل تزامن بين الطلعتين يجبرنا على التعامل معه في الشرق والغرب على التوالي بما يسمح بوجود وقت يسر دوريات الشرايك في الشرق من النجاح ولقد أدى استخدامه لهذا الأسلوب إلى نجاحه للمرة الوحيدة في تدمير هوائي توجيه كتيبة الصواريخ التي كانت تشتبك معه لقد خطط العدو لهذه الطلعة تخطيطًا سليماً مكن إحدى طائرات دورية الشرايك في الشرق من قصف الكتيبة المشتبكة مع طائرة الاستطلاع في الغرب بصاروخ شرايك تمكن من تدمير هوائي التوجيه قبل أن يصل الصاروخ المطلق من الكتيبة إلى طائرة

الاستطلاع، وهنا كان لابد من أن نعمل على منع مواجهة تكرار مثل هذا الأسلوب وأن تدمر طائرات العدو ولا نسمح له بتدمير أي هوائي من هوائيات رادار التوجيه.

في ضوء هذا النجاح زاد العدو من دوريات الشرايك في الشرق، وأصبحت تتكون من دورتين كل منها من ٤ طائرات تعمل على ارتفاعات من ٥٠٠ إلى ٧ كم الدورية الأولى تواجه منطقة البلاح والدورية الثانية تواجه منطقة الإسماعيلية وفي الوقت نفسه بدأ العدو يارس هواياته في الاستطلاع وكان علينا إزاء ذلك أن نلجأ إلى استخدام أسلوب الكمان وذلك بدفع وحدات من كتائب الصواريخ للأمام أقرب ما يكون للقناة لإبعاد دوريات الشرايك بعيداً في الشرق أو تدميرها في حالة اقترابها وقد تم التخطيط لهذا الأسلوب بعناية تامة جعلت العدو لا يجرؤ على دفع دوريات الشرايك في اتجاه الغرب إلى المسافة التي تؤثر بها على كتائب الصواريخ وبالتالي لجأ العدو إلى الابتعاد باستطلاعهم شرقاً، فأصبح يتم على مسافة ٢٠-٢٥ كم وعلى ارتفاع ١٦-١٨ كم بعد أن كان يتم على نفس الارتفاع على مسافة ١٥ كم ولم يجرؤ العدو على القيام بأي استطلاع غرب القناة وبات العدو حذراً، بل خائفاً من موقف الكمان وهي التي سبق أن أذاقت طياريه المحترفين عدة دروس، فما بال الحال وطياروه الحاليون ليسوا من النوعية التي شاهدها الأيام الأولى من الحرب والتي أذهبتهم صواريخنا مع طائراتهم. حطاماً تتناثر هنا وهناك.

إزاء خوف العدو من الكمان الموضوعة بدأ يقوم بالاستطلاع في الشرق بعيداً عن القناة مكتفياً بتكثيف دوريات الشرايك إلى ثلاث دوريات إلا أنه فشل في أن يدمر أي معدة من معدتنا أو يلحق بها أي خسائر كما أننا لم نتمكن من تدمير أي طائرة له. وإزاء ذلك عاد العدو إلى الاستطلاع الجوى غرب القناة متبعاً نفس أسلوبه السابق بغرض تدمير إحدى كتائب الصواريخ في حالة قيام الوحدات بالاشتباك معه ومستغلاً في ذلك بعض نقاط الضعف التي تتواجد في أي نوع من المعدات المضادة للطائرات قارناً ذلك باستخدام التداخل الكثيف لقد نجح العدو في محاولاته الأولى وكان نجاحه راجعاً إلى عدة عوامل أولها وهو الأهم الخوف الذي بدأ يسيطر على قادة الكتائب من احتمال إصابة معداتهم بواسطة الصاروخ شرايك وما استلزم ذلك من حذر مبالغ فيه

أما العامل الثاني فكان طبيعة خط السير الذي كان يطير عليه العدو وما يؤديه التداخل من تعمية كاملة للهدف، هذا بالإضافة إلى أن بعض الوحدات التي ضمت حديثاً كانت قليلة الخبرة للتعامل مع العدو، والذي يطير على ارتفاعات عالية وبسرعات تصل إلى ٢٥ كم في الدقيقة وغير متمرس على التعامل مع الأهداف الحاملة للشرائح ولقد أدى ذلك الموقف إلى تدخل قيادة قوات الدفاع الجوي مطالبة بتدمير العدو مع عدم تمكنه من تدمير أي معدة من المعدات - ومعنى ذلك هو الكف عن الاشتباك حتى لا يكون هناك إشعاع في الجو، ولقد كان موقف قيادة الدفاع الجوي نابعاً من عدم وجود أي معدات احتياطية لديها، أما من الناحية القتالية فاحتمال الإصابة بواسطة الشرائح قائمة طالما أن هناك أكثر من كتيبة تحاول الاشتباك مع العدو. وكان لزاماً إزاء ذلك الموقف أن أراقب الموقف لإحدى الطلعات بمعرفتي داخل إحدى الكتائب التي قررت أن تشتبك مع العدو وأرى مدى الصعوبة التي تواجههم وفعلاً تمكنت خلال إحدى الطلعات أتعرف على مشكلة عدم تدمير العدو حتى الآن لقد كانت المشكلة الحذر، فالحذر يولد الخوف والخوف ينهى الثقة ويذهب بعقل المقاتل بعيداً عن الصواب ولحظة القرار ما هي إلا ثوان معدودة. وعلى عندما عدت إلى مركز قيادي وضعت خطة جديدة حددت فيها الكتائب التي تشتبك وأسلوب اشتباكها وأسبقيته الاشتباك، ورفعت جميع القيود والأوامر التي كانت تحذر من الإصابة بالشرائح وجاء يوم ٩/١١/٧٣ وتواجدت مع الوحدات وفي سعت ٩١٥ يوم ٩/١١ بدأ العدو يقترب بطائرتين فانتموم من غرب بورسعيد على ارتفاع ١٤ كم أخذت في الزيادة إلى ١٦ كم مع زيادة السرعة إلى ٢٥ كم في الدقيقة واشتبكت الكتيبة الأولى ودمرت طائرة فانتموم غرب القنطرة سقط طيارها من هذا الارتفاع الشاهق مصاباً لم يلبث لفظ أنفاسه بعد نقله إلى إحدى المستشفيات العسكرية بينما تناثرت الطائرة إلى حطام. أما الطائرة الثانية فقد تم تدميرها كتيبة أخرى وتمكن طيارها من الهبوط بها إلى الأرض شرق الإسماعيلية في قطاع الفرقة الثانية المشاة وبمجرد ارتطامها بالأرض اشتعلت النيران فيها وتم إخمادها وتم أسر الطيار سليماً ومن معاينة هذه الطائرات اتضح أنها من طائرات الفانتوم الجديدة التي تم الإمداد بها من الولايات المتحدة الأمريكية حديثاً والمخصصة للاستطلاع وطاقمها يتكون من طيار فقط ولا يوجد بها ملاح كما في النوع القديم.

توقف استطلاع العدو غرب القناة تمامًا وأثر العدو الابتعاد عن الاستطلاع خوفًا من أن يتم تدمير طائراته وبدأ في القيام بالاستطلاع شرق القناة من بعد وإزاء ذلك تم إخراج عدة كمائن لاصطياد العدو في الشرق في حالة دخوله مناطق تدمير الصواريخ وإزاء رغبة العدو في معرفة أماكن الكمائن الموضوعة له قام باستطلاع بقوة عدد ٢ طائرة ميراج يوم ١٨/١١ اقتربت من اتجاه سراييوم على ارتفاع ١٠٠ متر في اتجاه أبى صوير ثم الفردان وهنا اشتبكت إحدى كتايبنا مع طائرات العدو وتمكنت من إسقاط طائرة ميراج سليمة سقطت في الشرق في المنطقة السبخية الموجودة شرق البلاح. لقد كان العدو يأمل وقد انقطع نشاط الاستطلاعي أو ابتعد أن ركن إلى الهدوء ولم يعلم أننا كنا له بالمرصاد في كل مكان نهارًا وليلاً وبمجرد اكتشافه بواسطة وحدات الرادار صدرت الأوامر بتدميره وفعلاً تم إسقاط إحدى طائراته بصاروخ واحد.

ونظرًا لحاجة العدو إلى معلومات عن أوضاع قواتنا التي تحتشد حول الثغرة في الغرب بدأ العدو في استخدام أسلوب آخر يضمن به سلامة طياريه وهو عليهم ضنين جدًا فبدأ في استخدام الطائرات الموجهة بدون طيار من طراز شيكار مستخدمًا مطار فايد وماله من أجهزة رادار في المطار في توجيه هذه الطائرات وفعلاً نجح العدو أولاً في إمكان الاستطلاع ولم يكن مرد ذلك هو صغر حجم الهدف وضعف احتمال اكتشافه بواسطة وحدات الرادار والإنذار، ولكن المشكلة التي كانت تواجهنا هو أن إطلاق صاروخ على مثل تلك الأهداف الصغيرة جدًا يحتمل معه تدميره ويحتمل أيضاً عدم إصابته إلا أننا تمكنا في المرة الثانية لاستخدامه من تدمير هذا النوع من الطائرات وإسقاطها سليمة يوم ١٣/١٢/٧٣ لتكون هدية للشعب المصري في المعرض الذي كان مقامًا في القاهرة - ولكن رغبة العدو في الاستطلاع لم تتوقف في حاجته إلى معرفة أوضاع قواتنا البرية التي تحتشد حوله في الثغرة لتدميره كان أمراً ملحاً - فبدأ يوم ٢٨/١٢/٧٣ في استخدام طلعات الاستطلاع بالطائرات الفانتوم من اتجاه الجنوب ماراً فوق جبل عتاقة متجهًا إلى الشمال، ولكن تم تدميره فعاد إلى استخدام نفس الأسلوب مستخدمًا الطائرات الموجهة من طراز ريان فيربى يوم ٢٩/١٢/٧٣ ولكن تمكنا أيضاً من تدميره وهنا تأكد للعدو فشل كل خطته ومحاولاته المتنوعة أمام كفاءة قوات حائط الصواريخ

ذلك الحائط الذي قضى على آماله في معركة أكتوبر، بل قوض عقيدته القتالية وقلب أركانها رأساً على عقب. ويتدمير هذا الهدف الموجة انتهى قتالنا في حرب أكتوبر مع السلاح الجوي الإسرائيلي وقد بلغ إجمالى ماتم تدميره من السلاح الجوي الإسرائيلي ١١ طائرة منذ توقف إطلاق النار يوم ٢٥ / ١٠ / ١٩٧٣. ليزداد عدد الطائرات المدمرة المؤكدة ليكون ٢٧٩ طائرة مؤكدة، ٥٧ طائرة غير مؤكدة .

الباب السابع

التعليق والدروس المستفادة

الفصل الثامن عشر

التعليق التاريخي على حرب رمضان / أكتوبر

تعتبر حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ - ٦ أكتوبر ١٩٧٣ الحرب الرابعة بين العرب وإسرائيل وهي أول حرب انتصر فيها العرب على إسرائيل بعد حروب ثلاث مريرة، ولذا تعتبر هذه الحرب أخطر حدث في منطقة الشرق الأوسط خلال الربع قرن الماضي، أي منذ مولد دولة إسرائيل لما يحمله من معاني عميقة وآثار بعيدة لم تقتصر في أبعادها على دول المنطقة العربية بل تعدته إلى العالم أجمع .

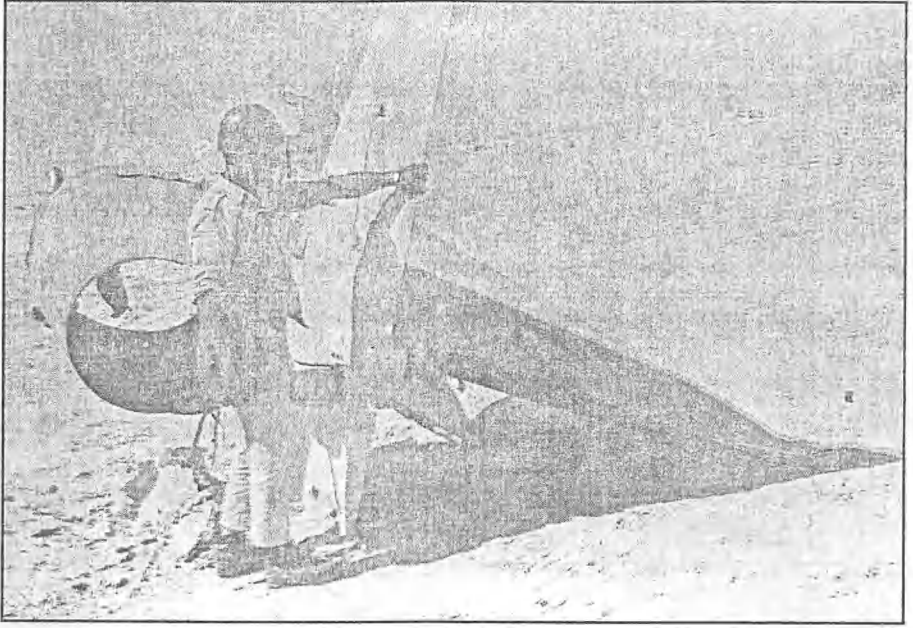
لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر أول معركة بعد الحرب العالمية الثانية تقم بين قوات مسلحة نظامية تمتلك قدرًا كبيرًا من أسلحة القتال، تتم على مسرح قتال صحراوي أعد فيه كل من المهاجم والمدافع ما أمكن إعداده من وسائل وتحصينات وتقف في قناة السويس كأكبر مانع مائي عرفه التاريخ حتى الآن في صلابتها .

لقد أثبتت هذه الحرب أن الأمة العربية إذا أحسنت تقديرًا إمكانياتها البشرية والاقتصادية والمعنوية واستخدمتها في المعركة بذكاء يمكنها التأثير على مجرى السياسة العالمية، فالأمة العربية تمتلك قوة بشرية هائلة وتتمتع بقدر كبير من الصفات المميزة التي تجعل من مقاتليها قوة رهيبية كما تمتلك البترول الذي هو عصب الحرب كذا الأموال الطائلة وعلى ذلك فلديها كل مقومات القوة والسيادة اللازمة لعصر اليوم وذلك على النقيض من إسرائيل .

لقد احتلت هذه الحرب قدرا كبيرا من اهتمام الدوائر السياسية والعسكرية في العالم أجمع، وستظل هذه الأهمية قائمة وذلك راجع إلى ما انطوت عليه هذه الحرب من تغيير في موازين القوى العالمية والتأثير على قضية الصراع العربي الإسرائيلي .



حطام الطائرات الإسرائيلية



حطام الطائرات الإسرائيلية



فمن الناحية التاريخية

تعتبر هذه الحرب أول حرب ينتصر فيها العرب على إسرائيل منذ مولد الدولة في مايو ١٩٤٨ - لقد كان الانتصار الإسرائيلي في حرب ١٩٤٨ راجعا في المقام الأول إلى بعد نظر قادة إسرائيل وقتئذ واستغلالهم ما أصاب بريطانيا من هزائم في منطقة الشرق الأوسط خلال الحرب العالمية الثانية وقيامهم بتكوين قوات عسكرية أما على هيئة عصابات مسلحة أو على هيئة وحدات كاملة كانت تقاتل مع القوات البريطانية جنبا إلى جنب . كل ذلك كان يجري والعالم العربي وقتئذ مفكك الأوصال . تتابى عوامل الوهن والحقد تلك العوامل التي بذرها الاستعمار البريطاني في المنطقة منذ تواجد وأخذ يعمل على تنفيذها يوما بعد يوم بالإضافة إلى الضعف الذي كانت عليه الجيوش العربية .

وفي حرب ١٩٥٦ تمكنت إسرائيل من أن تستفيد من الموقف السياسي الناشئ من تأميم قناة السويس وتدخل شريكا مع بريطانيا وفرنسا ، وتقوم بالدور الذي حددها والذي كان القصد منه هو توجيه نظر القوات المصرية في سيناء لاستدراج الجزء الأكبر منها . تهيئة لخلق الموقف المناسب لنزول القوات البريطانية والفرنسية في منطقة القتال ولولا ذلك ما كانت إسرائيل قادرة بمفردها على القيام بهجوم على مصر في ذلك الوقت .

أما في حرب ١٩٦٧ فلقد كان انتصارها راجعا إلى عوامل كثيرة سياسية واجتماعية وعسكرية أملت بمصر في ذلك الوقت عوامل عادت بمصر إلى الوراء ولم تعدها خلال مسيرتها إلى التقدم . لقد تمكنت إسرائيل في حرب يونيو ١٩٦٧ من تحقيق انتصار ساحق تمكنت به من تحقيق حلم الصهيونية - وإن لم يكن كاملا - وبهذا النصر وصلت إسرائيل إلى حدود آمنة مرتفعات الجولان في سوريا ونهر الأردن شرقا وقناة السويس جنوبا . وبهذا النصر اعتقدت إسرائيل أنها حققت كل ما تريد والدليل على ذلك ما أعلنه قادتها عقب نصر ١٩٦٧ بأن هذه الحرب هي الحرب التي أنهت كل الحروب وأن أمام العرب لكي يصحو من كبوتهم ما لا يقل عن عشر سنوات كما قدرها أحسن المتفائلين من الإسرائيليين - هذا بجانب تصريحات الزهو والنشوة التي انتابت الإسرائيليين من جراء هذا النصر .

وتتوالى الأيام وتمر السنوات بمرارتها وجمهورية مصر العربية مصرة على استعادة الأرض - واستعادة حقوق الشعب الفلسطيني وتقابل في سبيل إعداد قواتها المسلحة للقتال وتحرير الأرض بالكثير من الصعاب فمن مواقف سياسية عالمية تتغير جذرياً وتنادى بتأييد الحق العربى كما حدث بالنسبة لدول أوروبا الغربية إلى مواقف سياسية أخرى تتعاطف مع الحق العربى، ولكن مع اختلاف في وجهات النظر إزاء حل المشكلة كما حدث بالنسبة للقوتين العظميتين ذلك التعاطف الذى انتهى عام ١٩٧٢ بالوافق بين القوتين الأعظم والاتجاه إلى نبذ الحروب وحل جميع المشكلات العالمية بالطرق السلمية مما أدى إلقاء ظلال داكنة على المشكلة وبات أمر وضعها في زوايا النسيان واضحاً .

بجانب هذه المواقف السياسية كانت هناك مشكلة العلاقات المصرية السوفيتية تلك العلاقة التى نشأت في منتصف الخمسينيات وتمت في منتصف الستينيات، ثم أصابها الضعف عقب هزيمة يونيو ٦٧ وما لبث أن تحول هذا الضعف إلى عقم أصاب الصداقة المصرية السوفيتية نتيجة لتباطؤ الأخيرة في الإمداد بمستلزمات القتال من الأسلحة الجديدة أو قطع الغيار والذخائر اللازمة للمعدات ذلك التباطؤ الناتج من عدم قناعة الاتحاد السوفيتى بسلوك طريق الصراع المسلح أسلوباً لحل المشكلة حتى لا ينهار الوفاق الدولى بين القوتين العظميين .

في ظل هذه الغيوم الداكنة التى كانت تظل سماء المنطقة العربية أدركت إسرائيل أن فتره أحلامها قد امتدت إلى آجال طويلة وأن احتمال قيام جمهورية مصر العربية بحرب جديدة أمر مستبعد، بل يكاد يكون مستحيلاً وأنه في حالة إقدامها على هذه المغامرة فإن هزيمة ساحقة أكبر من هزيمة ١٩٦٧ ستحل بالعرب وستكون نهاية لقيام لهم بعدها .

وجاء أكتوبر فكان مفاجأة تامة للجميع العدو والصديق فبالنسبة إلى العدو كان وقع المفاجأة عليه عنيماً . فقد زلزلت الحرب معتقداته السابقة بأن العرب أصبحوا جثة هامدة لا تنتظر سوى مدارتها بالتراب صحت إسرائيل على المارد العربى يدق أعماقها بقوة وعنف أعماقها النفسية قبل أعماقها المكانية وسارت الحرب من نصر إلى نصر فكان وقع ذلك النصر أشد إيلاًماً على النفسية الإسرائيلية التى لا ترضى بالسيادة بديلاً؛ لأن معنى الانتصار هدم لكثير من المعتقدات والآراء السائدة لديهم . أما بالنسبة إلى

الصديق فلم يكن هناك من بين الأصدقاء على كثرتهم إلا قلة مؤمنة بأن يوم القصاص آتٍ لا ريب فيه . لقد كان توقع الكثير من الأصدقاء عدم قدرة جمهورية مصر العربية على الحرب وكان تأييدهم لها يتراوح بين التمنيات الطيبة وضرورة التزام إسرائيل بالانسحاب - من الأراضي العربية وتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ ولم يكن ذلك التوقع نابعا إلا لما لداود الصغير من قدرة عسكرية تفوق كل القدرات . قدرة لا يمكن مجاراتها بالإضافة إلى التفوق التكنولوجي والفجوة الحضارية الموجودة بين كلا الطرفين . أما القلة المؤمنة بأن يوم القصاص آتٍ فقد كانت تعلم تماما أن للمصريين تاريخاً طويلاً وحضارة تضرب بجذورها في أعماق التاريخ وأن ما حدث لجمهورية مصر العربية أنسأ له سوابق في تاريخها القديم فقد غزاها الهكسوس أجداد بنى إسرائيل كما غزاها التتار والنتيجة الحتمية لذلك كانت هزيمة المعتدى والقضاء عليهم ومهما طال الزمن فإن النفسية المصرية لا تقبل الهزيمة وتقبل التحدى وهذا هو سر الحضارة المصرية القديمة التى حافظت على قوتها تراثها منذ القدم إلى اليوم رغم الإعصارات العنيفة التى أحاطت بها خلال القرون العديدة التى مرت بها هذه الحضارة .

ولكن ما العبرة فى ذلك النصر وما الآثار المترتبة عليه فى المدى القريب والبعيد . أما العبرة فإن هذا النصر هو أول نصر للعرب على إسرائيل . والنصر يولد النصر ويحدد ملامح الطريق ويؤدى فى النهاية إلى النجاح . لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر بمثابة فجر لاح بعد ليل طويل دامس . ليل عانت فيه الأمة العربية ما عانت من التمزق والتفكك واختلاف الرأى مما ساعد على توطيد أركان دولة إسرائيل . لقد كانت حرب رمضان / أكتوبر دواءً شافياً للأمراض العربية فكان أن استعاد العرب ثقتهم بأنفسهم وقدرتهم على الحرب كما أدت الحرب والنصر الذى حققته القوات فى ميدان القتال إلى جمع كلمة العرب وكلمة أقل ما يوصف به الشعور العربى ظهر فى شعوب المنطقة على امتدادها وقتئذ .

لقد وقفت الأمة العربية قادة وشعوباً وراء دول المواجهة خير عون للمقاتلين فى جبهة القتال ذلك العون المعنوى الذى أشعرهم بأن أمثلهم تقف من ورائهم سداً منيعاً ولم يقف الأمر على التأييد المعنوى وإنما تعداه إلى التأييد المادى، بل زاد التأييد حتى

وصل الذروة بقيام دول البترول بقطع البترول مما أدى إلى حدوث زعر عالمي وخاصة في دول أوروبا الغربية مما جعل هذه الدول تقف بجانب العرب وتطالب إسرائيل بتنفيذ قرار مجلس الأمن والانسحاب من الأراضي العربية المحتلة والاعتراف بحقوق الشعب الفلسطيني.

لقد أوضحت حرب رمضان / أكتوبر أن الدولة اليهودية كما أثبتتها الصهيونية العالمية أمر يستحيل تحقيقه وأنه مجرد حلم تبناه الفكر النظري لبناء الصهيونية فبعد أربع حروب تمت خلال ربع قرن ورغم المساعدات الضخمة التي تلقتها إسرائيل سواء أكانت مساعدات اقتصادية أم عسكرية أم فنية لم تتمكن إسرائيل من إملاء إرادتها أو فرض شروطها على الدول العربية . لقد كان نصر العرب بعد هزائم ثلاث بمثابة النذير الأخير لإسرائيل بالابتعاد عن تبني فكرة دولة إسرائيل الكبرى الممتدة من النيل إلى الفرات أو دولة إسرائيل العظمى التي تسيطر على المنطقة وتسخر إمكاناتها لصالحها لقد أدى نصر رمضان / أكتوبر إلى تغيير جذري في العقلية الإسرائيلية حركها من الخيال إلى الواقع وانتزعها من أرض الأحلام إلى أرض الآباء والأجداد إلى ذلك الامتداد الأرضي الذي تقع عليه الدولة حاليا .

أما الآثار المترتبة على ذلك النصر فمتعددة فلقد ظهر لإسرائيل تماماً أن منطق القوة أصبح لا جدوى من ورائه، فالعرب قادرون على أن يسخروا موازدهم للحاق بها وأن ما لدى العرب من كم يعتبر كافياً لتعويض الكيف كما تدعى إسرائيل لسنين محدودة لا تزيد على ١٥ سنة بعدها يصبح الكم والكيف في يد العرب . وهنا تكون الطاقة الكبرى على إسرائيل وحتى استقرار التاريخ القديم للمنطقة العربية والتعرف على الإمكانيات البشرية والاقتصادية وما تتحلى به الشخصية العربية . من سجايا وصفات حميدة أهمها الشجاعة والرغبة في التضحية . كل ذلك يجعل بقاء إسرائيل في المنطقة عن طريق القوة أو ضد إرادة الدول العربية أمراً مقضى عليه بالفشل في النهاية .

لقد ظهر لإسرائيل أيضاً أن العرب لا يقلون عنهم قدرة في المجال السياسي لقد كانت هزيمة ١٩٦٧ م . كبوة لإهمال أحد مبادئ الحرب وهو اكتساب الرأي العام العالمي ذلك المبدأ الذي أدى إهمال إلى تخبط في السياسة المصرية وحيرتها بين الشرق

والغرب تارة بأهداف وأخرى بدون أهداف مما أدى إلى ضياع المصالح القومية لمصر في الطريق بل وإلى تعثر حركة نمو الدولة ولا شك أن الإمساك بالمجال السياسى العالمى وتحريكه بما يتفق مع متطلبات مصر يعتبر ضربة للسياسة الإسرائيلية التى حاولت منذ وجود دولة إسرائيل أن تحيك الدسائس والمؤامرات للإيقاع بالسياسة المصرية بعيدا عن مصالحها الوطنية ولا شك أن نجاح السياسة المصرية فى فترة ما بعد الحرب قادت إلى مكاسب كثيرة بل وأدت إلى ما هو مطلوب منها من نتائج .

لقد كان لهزيمة يونيو ١٩٦٧ م . وما أحاط بها من ملابسات سياسية قبل المعركة وبعدها وما صاحب الأيام العصيبة التى مرت بها جمهورية مصر العربية عقب الهزيمة من معتقدات سياسية عالمية ومحلية وعقبات اقتصادية وآثار معنوية إلى أن يصحو الشعب المصرى، ويبدأ فى البحث عن ذاته متلمسا الطريق فى ليل دامس طويل . وجاء نصر رمضان / أكتوبر موضحا معالم الطريق ومحددا ملامح الاستراتيجية السياسية التى يجب أن تسير عليها فى علاقاتها مع جميع دول العالم تلك العلاقات، التى يجب أن يسودها الود والاحترام المتبادل، وتلعب فيها المصالح المتبادلة لشعوب العالم دورها المؤثر كما اهتدى إلى أن أمنه وسلامته بل والأهداف القومية التى تسعى إليها لا تقتصر فى تحقيقها على دولة عظمى دون أخرى وإنما تعتمد على من يمكنه أن يقدم العون لحلها فكان اتجاه مصر نحو دول أوروبا الغربية كلها دون تفرقة بين دولة وأخرى طالبة ودها سببا فى وقوف كل هذه الدول مؤيدة للحق العربى، كما كان الاتجاه الإيجابى لجمهورية مصر العربية نحو أمريكا إحدى القوتين العظميين من ناحية والمتبينة للمصالح الإسرائيلية والأمن الإسرائيلى والمدافعة عنه من ناحية أخرى سببا فى عودة العلاقات الطبيعية بين الدولتين وازدياد هذه العلاقة توثقا وارتباطا لموضوع الأهداف القومية وثبات الاستراتيجية السياسية على ما خطته لنفسها من مبادئ وأغراض تسعى إلى تحقيقها .

أما فى الجانب الإسرائيلى فلقد أظهرت هذه الحرب أن للتأييد الدولى حدودا وأن المجتمع الدولى يسير دائما فى اتجاه الحق يعمل على تدعيمه وأن المكاسب السياسية التى حصلت عليها فى السنين السابقة بإظهار العرب بمظهر الوحوش الضارية التى تريد افتراسها وإلقاءها فى البحر إنما هو محض افتراء لا يسنده دليل وأن الادعاءات الإسرائيلىة لا أساس لها بل على العكس فإسرائيل هى التى تحتل الأرض العربية بالقوة ولا تريد الانسحاب منها إلا عن طريق الحرب ومن ذلك فقدت إسرائيل كثيرا من

التأييد الدولي الذي كانت تتمتع به، وأصبحت تقاسى في المجال الدولي عزلة دولية وامتعاضاً من المجموعة الدولية لم تألفه من قبل .

أما عن الآثار الاقتصادية فلقد تركت هذه الحرب آثارها على الاقتصاد الإسرائيلي لقد بلغت خسائر إسرائيل في المعدات بالإضافة إلى نفقات الحرب ما يقرب من ٣ مليارات دولار رقم كبير لا يمكن للاقتصاد الإسرائيلي أن يتحملة . فالاقتصاد الإسرائيلي يعيش متطفلاً على الاقتصاد الأمريكي، إذ من المعلوم أن إسرائيل تكاد تكون خلواً من خامات الصناعة إذ استثنينا خام الفوسفات وليس لها من مصادر الطاقة إلا النذر اليسير أما إمكاناتها الزراعية فهي محدودة جداً، أما الصناعات القائمة في إسرائيل فتعتمد كلها على المواد الخام والمصنعة المستوردة من الخارج واقتصاد بهذا الشكل لا يمكن أن يكون قادراً على الصمود في حرب طويلة أو أن يكون قادراً على مد عجلة الحرب بمطالباتها دون معارضة خارجية . لقد أدت الخسائر التي أصابت الاقتصاد الإسرائيلي إلى زيادة التضخم ومن ثم اضطرار إسرائيل إلى تخفيض عملتها عدة مرات وما تبع ذلك من اضطرابات داخلية سواء بين المثقفين أو العمال، الكل يطالب بزيادة الأجور لمجاراة التضخم الكبير الذي أدى إلى ارتفاع السلع والحاجات .

إن الكبوة التي دخل فيها الاقتصاد الإسرائيلي وحاجة الحرب إلى اقتصاد قوى يقيم أودها يجعل من الصعب على إسرائيل في المستقبل القريب أن تشن حرباً أخرى على الدول العربية وعلى ذلك فليس أمام إسرائيل إلا قبول الأمر الواقع ومحاولة الإبقاء عليه أطول فترة ممكنة حتى تقوم من كبوتها، ولكن هل ستيسر لها الاستراتيجية العربية هذا المشوار أم ستقطع عليها الطريق لإحلال السلام في المنطقة .

أما عن الآثار المعنوية فلقد انهار الفكر الإسرائيلي بعد الساعات الأولى من الحرب نتيجة عدم توقعه الحرب من ناحية ونجاح القوات العربية من جانب آخر انهارت معه كثير من أحلام السيطرة الإسرائيلية .

إن حلم بناء الدولة بحدودها التي تبنتها الصهيونية العالمية من النيل إلى الفرات بات تحقيقه أمراً صعباً يصعب تحقيقه بعد صحوة مصر من الثبات العميق الذي كانت تغط

فيه خلال قرن مضى بأكمله تردت فيه مصر من سبى إلى أسوأ، وفقدت فيه تاج المجد والعظمة الذى كانت تحتله خلال القرون السابقة ولم يكن هذا الحلم هو الحلم الوحيد الذى صحت عليه إسرائيل لتجده واقعاً مرّاً، بل كان هناك الكثير من الأحلام التى كانت تراود الإسرائيليين فى بناء دولتهم الكبرى وانهارت جميعها.

لقد كانت السيطرة على البحر الأحمر . أحد أحلامهم فلقد خططوا لذلك وبذلوا الكثير على الصعيدين السياسى والعسكرى كما كان النفاذ إلى القارة الإفريقية للسيطرة على مواردها الاقتصادية وتسخيرها لخدمة الأطماع الإسرائيلية حلماً آخر سعت إليه ونجحت فيه أياً نجاح وجاء رمضان / أكتوبر ليهدم كل هذه الأحلام فلقد قفلت مصر البحر الأحمر بالسيطرة على مدخله الجنوبى من منطقة باب المندب كما بادرت كثير من الدول الإفريقية إلى قطع علاقتها مع إسرائيل والوقوف بجانب الأمة العربية تساندها وتؤازرها.

لقد خرجت إسرائيل من الحرب وهى فى حالة صدمة عنيفة لما حدث وساد الشعب الإسرائيلى الاكتئاب . فلقد هزت الحرب المجتمع الإسرائيلى من القاعدة إلى القمة وانتهت الثقة فى الحكام وعادت المخاوف والشكوك عند الزعماء والقادة، وبدأ التساؤل هل فى قدرة إسرائيل أن تشن حرباً وقائية فى المستقبل وما أبعاد هذا المستقبل أى بعدكم من السنين يمكن أن يتم ذلك، فى الوقت الذى نرى الفرق الكمى بين إسرائيل والعرب يزداد والفجوة فى الكيف تتناقص . لقد انتهت أسطورة الجيش الذى لا يقهر والذراع الطويلة التى يمكنها أن تنال من جميع الدول العربية دون عائق يحول بينها .

لقد أدت الحرب والهزيمة التى حاقت بالقوات الإسرائيلية إلى حدوث شرخ فى المجتمع الإسرائيلى، فلقد انعكست الهزيمة على جميع نواحي الحياة فى إسرائيل ابتداء من رجل الشارع إلى القيادة السياسية فى إسرائيل . لقد انقلبت الثقة المفرطة والصلف والغرور الذى انتاب الجميع عقب انتصار الإسرائيليين فى حرب ١٩٦٧ م . إلى شعور بالخوف وعدم توفر الأمن الذى طالما تغنوا به مما أرجع الكثير من الإسرائيليين إلى صوابهم، وبالتالي النظر إلى الأمور بنظرة واقعية . ومن هذه النظرة أدرك هؤلاء أن العرب قادرون على مجاراتهم فى الحرب والدفاع عن أوطانهم والثأر لكرامتهم مهما طال الزمن وأن حرب رمضان / أكتوبر بما جلبته من خسائر وتصدع نفسى فى الشعب

الإسرائيلي يجب أن تقود الإسرائيليين إلى الاقتناع أن إسرائيل ليست من القوة بحيث لا تقهر أو انها الدولة التي يمكنها السيطرة على مقدرات المنطقة أو أن لديها أكبر وأعظم قوة جوية يمكن بها أن تغزو أية دولة حتى القطب الشمالى . وفي ظل هذا الاقتناع يمكن التسليم بما للعرب من حقوق وبالتالي تتجه المنطقة كلها نحو السلام .

لقد كانت هذه الحرب أول حرب ينزل فيها بجيش الدفاع الإسرائيلي هزيمة وبالتالي يصيبه خسائر جسيمة في الطائرات بلغت ٢٧٩ طائرة وخسائر في الدبابات تزيد من ٨٠٠ دبابة بجانب خسائر في معدات القتال الأخرى - هذا بجانب الخسائر البشرية التي زادت على ٣٠٠٠ قتيل وأضعاف أضعاف هذا العدد من الجرحى والمشوهين . لقد أدت هذه الخسائر إلى حدوث تصدع في الحكومة الإسرائيلية، فلقد أصبحت الحكومة هي المسئولة عن الهزيمة والخسائر الفادحة التي لحقت بالجيش الإسرائيلي ولم تتمكن الحكومة الإسرائيلية من الوقوف أمام الغضب العارم الذى أنتاب الشعب الإسرائيلى والمظاهرات الصاخبة التي تنادى بسقوط الحكومة مما ادى فى النهاية إلى تفككها وتهرب المسئولين وإلقاء مسئولية ما حدث على من يستحق وزاد الطين بلة اتجاه الكثير من المسئولين السياسيين إلى لغة السباب والشتائم وفى النهاية سقطت زعامة حزب العمل الإسرائيلى تلك الزعامة التي استمرت ربع قرن تماما منذ مولد الدولة الإسرائيلية، وبدأ تدفق الهجرة إلى إسرائيل يضمحل بينما ارتفع عدد المهاجرين إلى الخارج تحول خطير شهدته إسرائيل من أول ضربة يضر بها العرب بالأسلوب الصحيح ولا ندرى لو كانت هذه الضربة أثقل وأعنف أو تكررت فيما بعد - ماذا تكون النتيجة لقد أدت الخسائر الكبيرة فى الأفراد، والتي لم تشهد إسرائيل مثيلا لها من قبل إلى حدوث تمزق كبير فى المجتمع الإسرائيلى لقد خرجت الأمهات لأول مرة فى تاريخ إسرائيل يبكين أولادهن وخرجت الزوجات يندبن حظهن والمصير المظلم الذى ينتظرهن وكذلك فعل الأبناء وفى النهاية طالب الجميع القيادات السياسية بالكف عن الحرب رحمة بجيل الأبناء ولا شك أن هذا التمزق الذى أصاب المجتمع الإسرائيلى كان أيضا من عوامل الإطاحة بحكومة حزب العمل كما أنه سيكون عاملا مؤثرا فى الخطوات التي يجب أن تتبناها إسرائيل حيال السلام فى المستقبل .

أما الآثار العسكرية التي ترتبت على هذه الحرب فهي عديدة فلقد وضح لإسرائيل كما وضح للعالم حقائق كثيرة عن طبيعة القوى العربية تأتي على أهمها .

إن القوى العربية قادرة على اتخاذ المبادرة وتحقيق المفاجأة وأن كلا العاملين يؤيدان إلى نصر في مراحل الحرب الأولى قد يستمر إذا أحسن تطبيق مبادئ الحرب الأخرى بعد ذلك . لقد تمت المفاجأة الإسرائيلية رغم جميع الاحتياطات التي تتخذها إسرائيل ورغم جميع الأجهزة الإلكترونية التي تستخدمها للتعرف على مدى استعداد القوات المسلحة المصرية للهجوم ويعنى ذلك أن أجهزة الاستشعار من بعد وما يتقدمها من حواسيب إلكترونية للتحليل كذا وسائل الاستطلاع الجوى المختلفة من صور رأسية ومائلة واستطلاع رادارى وبالأشعة دون الحمراء كل ذلك كان متوفراً لدى إسرائيل ولم تتمكن من معرفة نوايا القوات المصرية ولو لم تتسرب أنباء الهجوم عن طريق أحد الدبلوماسيين الأجانب قبل بدء الهجوم لكان وقع المفاجأة أعنف مما حدث ولما تمكنت إسرائيل من أن تفيق من تلك الضربة .

إن الجندي العربي قد أجاد استخدام الأسلحة الحديثة بشكل ملحوظ لفت نظر جميع الدوائر العسكرية فهو الذى عمل على وحدات الصواريخ الموجهة المضادة للطائرات والتي تعتبر أكثر الأسلحة تعقيداً في النواحي الفنية وأسقط بها مئات الطائرات كذلك هو الذى عمل على الصواريخ الموجهة المضادة للدبابات، وهو الذى قاتل بها برباطة جأش هجوم دبابات العدو ودمرت منها المئات وأفضل منها عدة هجمات . وإزاء هذا الاستخدام بطل الزعم الذى تدعمه إسرائيل بتخلف الجندي العربي، تلك الفرية التي ألصقتها به إسرائيل ساعدها على التصديق بها ما أصابه من هزائم في الحروب الثلاث السابقة لهذه الحرب والتي لم يجد منصفاً ينصفه ويبرز دوره فيها ويوضح الأخطاء التي أدت إلى كل هزيمة .

إن الشجاعة كسمة من سمات الأمة العربية هي السمة المميزة للجندي المصري وأنه في سبيل الأرض والحق والتاريخ يضحي بنفسه غير عابئ بالنيران والمخاطر التي تحف به والشجاعة وإن كانت سمة إلا أنها تحتاج إلى تعهد وإنهاء حتى تترعرع وتؤتي أكلها حينها يحين القتال .

أثبتت الحرب الحدود الآمنة التي تدعيها إسرائيل، والتي جعلتها منهجا تحفى من ورائه نواياها التوسعية فى المنطقة . لقد وصلت إسرائيل لأول مرة منذ وجودها إلى حدود آمنة وحسبت تمامًا أن الأمن قد أتاها، وكانت حرب رمضان / أكتوبر مفاجأة تامة لإسرائيل فصحت إسرائيل على دمار يندق أبوابها ولم تقف الموانع الطبيعية التى حسبها مستعصية على المهاجمين - وهى كذلك فى الحقيقة - لم تقف حائلا دون تخطيطها وتدميرها . فلقد عبرت القوات المصرية قناة السويس فى دقائق معدودة، وتسلفت الساتر الترابى، وبدأت تقدمها وتحرير الأرض المحتلة ثم الاستيلاء على النقاط الحصينة فى خط بارليف. كل ذلك فى ساعات محدودة .

لقد انهزمت إسرائيل فى هذه الحرب من حدود آمنة، فهل بعد ذلك تعتبر الحجة الإسرائيلية فى ضرورة وجود حدود آمنة امر قائم . إن أمن الحدود فى ضوء تطور الأسلحة اليوم وفى ضوء التطور الذى يلاحق استخدام القوات المسلحة يمكن فى حسن الجوار والعلاقات الطيبة التى تسود الدول .

لقد اعتمدت إسرائيل فى أمنها على جهاز مخبرات وصفته بأنه قمة أجهزة المخبرات فى العالم وأنه لا يغيب عنه شىء يمس إسرائيل من قريب أو من بعيد فى هذا العالم الواسع وباتت إسرائيل تغط فى نوم عميق اعتمادًا على هذا الجهاز وإذا بها تفاجأ بالحرب، ويفشل أعظم جهاز للمخبرات فى الحصول على معلومات عما يجرى بل وعندما تتضح أمامه صورة الهجوم المحتمل يفشل فى تحليلها وتحديد توقيت الهجوم بجانب ذلك كان الأمن الإسرائيلى يعتمد فى المقام الثانى على قوة جوية فعالة قادرة على إحباط أية عمليات هجومية قبل بدئها أو أثناء بدئها، ورغم أن القوات الجوية الإسرائيلية كانت على تمام الاستعداد وقامت بهجومها بعد بدء العمليات الهجومية فإنها لم تكن مؤثرة، بل خرجت من الحرب منذ الساعات الأولى، وبذا انهارت دعامة الأمن الثانية .

أما دعامة الأمن الثالثة وهى جيش الدفاع الإسرائيلى فلم يكن حظه بأفضل من سابقه فمن المعلوم أن هذا الجيش يعتمد على تعبئة الاحتياط لاستكمال قواته وأن تعبئة الاحتياط تتوقف على مدى الإنذار الذى توفره المخبرات وقد فشلت فى ذلك بالإضافة إلى ما تمكنت القوات الخاصة من المظليين والصاعقة المصرية من أدائه لتعويق حشد

القوات الاحتياطية مما أثر على حجم القوات الإسرائيلية في مواجهة القوات المسلحة المصرية .

أما دعامة الأمن الرابعة فهي تبني إسرائيل لعقيدة الحرب الخاطفة وإنهاء الحرب في أقصر وقت أقبل أن تتدخل القوى الدولية في الموقف وتحسمه، وفي هذه الحرب خاب أملها فامتدت الحرب أكثر من ١٥ يوما وتدخلت الدول الكبرى لحسم الموقف .

أما دعامة الأمن الخامسة فهي الحدود الآمنة ومن الحدود الآمنة انهزمت إسرائيل ويعنى ذلك أن الحدود الآمنة بالإضافة إلى غيرها من دعائم نظرية الأمن الإسرائيلي لم تقف كلها حائلا دون هزيمة إسرائيل . والسؤال الذى يطرح نفسه هنا بعد هذا الدرس ماذا يجب على إسرائيل أن تتبعه في المستقبل، هل ستستمر حاملة للسلاح كالقلعة المسلحة وتتحين الفرصة للانقضاض على الدول العربية وهل لدى إسرائيل قناعة بان العرب يمكنهم السكوت عن حقوقهم المسلوبة مهما طال الزمن ومهما كانت الخسائر التى تصيبهم، وإذا كان هذا مستحيلا، فهل معنى ذلك أن تظل القلعة تذخر بالسلاح وتضع أيديها على الزناد وتراقب الموقف بعين متيقظة . لا شك أن ذلك وإن كان غير مستبعد إلا أنه لا يمكن أن يستمر لزمن طويل وخاصة بعد صحوة الدول العربية إذا لا مناص من أن تخضع إسرائيل للواقع الجديد في المنطقة وتعمل جادة على حل مشكلة الشرق الأوسط حلا عادلا وإلا فعليها أن تحمل السلاح إلى الأبد وسيأتى اليوم الذى تنتهى فيه وتعود إلى صوابها وليس هذا اليوم ببعيد .

الفصل التاسع عشر

الدروس المستفادة

لقد تمخضت حرب رمضان / أكتوبر ٧٣ عن كثير من الدروس المستفادة سواء على المستوى الاستراتيجي أو التبعوي أو التكتيكي، ونظرًا لطبيعة الصراع المسلح في المنطقة وامتداده زهاء ربع قرن، وما حاق بإسرائيل من هزيمة لم تكن متوقعة لها سواء على الصعيد المحلي أو العالمي بالإضافة إلى ما تميزت به حرب رمضان / أكتوبر من استخدام للعديد من الأسلحة المتطورة مع طول أمد القتال، كل ذلك أضفى على هذه الحرب أهمية خاصة، إذ أصبحت مجال تحليل جميع الدوائر العسكرية في العالم بغرض التعرف على أسباب النجاح وأسباب القصور ومدى ما حققته الأسلحة المختلفة من نتائج وأى الأساليب كانت محل النجاح وأيها كان مصيره الفشل وما أسباب النجاح والفشل في كل موقف وذلك جرياً وراء استنباط أساليب جديدة للقتال أو تعديل القائم منها بالإضافة إلى تطوير أسلحة ووسائل القتال على ضوء الخبرة المكتسبة من هذه الحروب .

لقد قام حائط الصواريخ بدور بارز في هذه الحرب بل يعتبر أبرز دور على الإطلاق وذلك راجع إلى النتائج الباهرة التي تحصل عليها، فلقد دمر للعدو ٢٧٩ طائرة من مختلف الأنواع وحاز بأسلوبه ونتائجه وتصديه لمدرعات العدو في الغرب على كبر حجمها إلى إعجاب المراقبين العسكريين وإليك قليل من كثير مما ذكره، فلقد ذكر أحد التقارير السرية الإسرائيلية أن الجيش الإسرائيلي لم يكن في بداية الحرب قادراً على تقديم المعاونة الجوية لقواته البرية وذلك راجع إلى الكميات الهائلة من أسلحة الدفاع الجوي ذات التكتيك الرائع من الأنواع سام ٢، ٣، ٦، ٧ . وإذا كان نظام التسليح معروفاً بوضوح فإن الكميات الكبيرة التي ظهرت كانت عاملاً من عوامل المفاجأة السلبية إما

نا حوم جولدمان فلقد ذكر في مقال في مجلة (نيواوات لوك) لقد حارب العرب بكفاءة أعلى مما كانوا في ١٩٦٧ هذا علاوة على أنهم استطاعوا كسب أراض جديدة . ولقد كان أهم انتصار لهم هو تدمير قوة الطيران الإسرائيلي أما مجلة (صنداي تايمز) Sunday Times فلقد علقت على حرب رمضان / أكتوبر بقولها لقد كانت مهمة القوات الجوية الإسرائيلية اعتباراً من يوم الأحد ٧ أكتوبر هي تدمير المعابر المصرية المقامة على قناة السويس . لقد كانت مهمة مكلفة وفاشلة . لقد أدت الهجمات إلى قتل العديد من الطيارين الشجعان ولم تدمر الكبارى . لقد تم إحداث الخسائر المطلوبة للكبارى بواسطة المدفعية بعيدة المدى ١٥٥ مم / ١٧٥ مم .

أما مجلة تايم فقد ذكرت في ٢٩ أكتوبر أن السيطرة على نظام الدفاع الجوي في جبهة القناة يعتبر أمراً صعباً للغاية، ولكن النجاح كان حليف المصريين في ذلك . كما ظهر الاستخدام المصري للصواريخ قد تم التخطيط له بعناية وتم تنفيذه بدقة ثم تساءلت «هل كانت التكتيكات المخططة تسير كما كان متوقعاً لها أم أفضل مما كان متوقع، وما التغييرات التي تمت في الاستخدام التكتيكي لهذا السلاح .

أما تحليل العسكريين الأمريكيين لحرب الشرق الأوسط الذي ظهر في مجلة نيوزويك في ٢ / ١١ / ٧٣ فقد جاء فيه بعد سرد لمعركة الدفاع الجوي وتحديد نوع الأسلحة التي كان لها أكبر تأثير عن غيرها وفقاً للمعلومات التي حصلوا عليها أن المصريين استخدموا صواريخ سام بفاعلية كبيرة ولكنهم أجادوا بطريقة لم تكن متوقعة مما عوض عن فاعلية الطائرات السوفيتية .

لقد ذكرت ذلك لأوضح مدى نجاح حائط الصواريخ في معركته ضد القوات الجوية الإسرائيلية، والتي استحوذت على اهتمام كل الدوائر العسكرية في الغرب والشرق، بل ولا تزال تستحوذ على نفس الاهتمام بغرض التعرف على تفاصيل هذه المعركة سواء من ناحية أسلوب القتال أو الاستخدام التكتيكي للمعدات أو أساليب التغلب على الإعاقة الإلكترونية وما وسائل الإعاقة المضادة التي اتبعت للتغلب عليها، وهل كانت مقصورة على الوسائل الفنية أم كان للوسائل التكتيكية فيها نصيب كذلك التعرف على الأسباب التي أدت إلى ارتفاع احتمالات الإصابة عما هو معروف وعما

كان سائداً من قبل سواء في المسرح المصرى أو في المسرح الفيتنامى . هذا قليل من كثير تعمل كل الدوائر العسكرية وتلك أهمته بدراسة تاريخ الحروب وتحليلها إلى الوصول إليه، مما يخلق فكراً جديداً واسلوباً مناسباً وسلاحاً متطوراً يقضى بمتطلبات حروب المستقبل .

ونعد الآن إلى الدروس المستفادة من هذه الحرب فيما يختص بالدفاع الجوى وهى وإن كانت عديدة إلا أننى سألتزم بذكر البعض دون البعض الآخر .

المفاجأة الاستراتيجية

إن قيام جمهورية مصر العربية وسوريا بالحرب فى رمضان / أكتوبر يعتبر تحدياً لكل الموازين المتعارف عليها . ومن هنا كانت المفاجأة الاستراتيجية التى ستستمر قائمة فى أذهان الإسرائيليين . لقد كانت دعائم الاستراتيجية كلها ليست فى صالح مصر للقيام بحرب الدعائم السياسية والاقتصادية والبشرية والنفسية والعسكرية .

فمن الناحية السياسية كانت مصر تحاول جاهده العمل على اكتساب التأيد السياسى لقضيتها وخاصة مع دول الغرب ذات الثقل والوزن العالمى فرنسا وإنجلترا وألمانيا، ثم أمريكا بما لها من ثقل كقوة عظمى ولما لها من مركز ونفوذ فى إسرائيل فهى التى تنبت الدولة منذ نشأتها، وهى التى تقيم أودها وتقدم لها كل ما تحتاج إليه من مساعدات عسكرية واقتصادية ودعم سياسى عالمى . وهى فى هذا المضمار لا يمكنها أن تصل إلى ما ترنو إليه من علاقات تصدعات خلال ما يقرب من عشرين عاماً كثيراً من الحقد والمرارة لدى هذه الدول فكان كسبها لتأييد الحق العربى وإزاحة إسرائيل عن المركز الممتاز الذى احتلته لدى هذه الدول أمراً معقداً وبالعكس الصعوبة .

أما العامل الاقتصادى، فلقد كان الاقتصاد المصرى يتحرك نحو الخط الاشتراكى فى أوائل الستينيات قد بدأ يأخذ شكلاً وأوضاعاً جديدة ارتبط فيها بالنظام الاقتصادى السوفيتى واتجه يميل نحو الماركسية تماماً وضاعت المسئولية وروح المنافسة، وانتهت فيه قدرة الفرد على الخلق والإبداع مما أدى فى النهاية مع تعاظم النفقات العسكرية

خلال حرب اليمن وحرب يونيو ٦٧ وما بعدها إلى أن نصل إلى مرحلة الإفلاس ومن الواضح أنه لا يمكن للدولة يصل اقتصادها إلى هذا الوضع أن تقوم بأي حرب تحتاج إلى مئات الملايين من الجنيهات .

أما العامل البشرى فلم يستحوذ أي اهتمام خلال السنين التي تلت ثورة ١٩٥٢ لقد بنت ثورة يوليو ٥٢ العديد من المصانع، ولكنها لم تبني الإنسان المصري الذي هو عماد كل نجاح على هذه الأرض ولم تبق عليه كما كان قبل الثورة والإنسان ما هو إلا روح وعقل وجسد وغذاء الروح الإيمان وغذاء العقل العلم والثقافة أما الجسد فمقوماته الصحية والغذاء والرياضة . لقد أدى - التخطي في الخط الاشتراكي إلى إهمال الناحية الروحية وإلى إلغاء الثقافة والهبوط بمستوى التعليم وإلى عدم إمكان تحقيق القدر اللازم من المقومات المطلوبة للجسد ومن هنا كان الحكم على الفجوة الحضارية الموجودة بين الفرد في إسرائيل وذلك الموجود في جمهورية مصر العربية والتي يعتبرها الاستراتيجيون عاملاً معاكساً للاستراتيجية القومية المصرية، إذ أن هذه النوعية لا يمكنها تفهم واستيعاب المعدات الحديثة المعقدة ولا يتوافر لديها القدرة على التصور وإدارة المعارك الحربية التي تتسم بخفة الحركة العالية والحشد الكبير من القوات والأسلحة المختلفة والتي تدور على مواجهات واسعة .

أما العامل النفسي فلقد لحقه الإهمال هو الآخر فليس أشق على النفس البشرية من أن تعيش حياة غير آمنة على النفس أو الرزق وهنا ضاعت القدرة المصرية التي أعطاها الخالق - سبحانه وتعالى - لهذا الشعب القدرة على العمل والإنتاج وتحمل المسؤولية والخلق والابداع كما اهتزت عوامل الشجاعة والثقة بالنفس والقدرة على اقتحام الأخطار وكلها صفات لازمة لأي شعب يريد أن يجد له مكاناً تحت الشمس . لقد عاش الشعب المصري في ضوء التوجيه الإعلامي الخاطي الذي كان يوجه إليه ليلاً نهاراً، عاش أحلاماً سعيدة بني فيها آمالاً عريضة، ثم استيقظ فجأة على واقع هزيمة يونيو ٦٧ فكان رد الفعل النفسي عليه عميقاً وأصبح احتمال قيامه من هذه الكبوة أمراً صعباً .

أما العامل العسكري فيكفى أن تعلم أن كل ما سلح به الاتحاد السوفيتي جمهورية مصر العربية كانت كلها أسلحة دفاعية وأنه بمقارنة القوات كما ونوعاً لوجدنا أن ميزان القوى يميل في صالح إسرائيل بل ويجزم بعدم قدرة جمهورية مصر العربية شن أية حرب لا في أكتوبر ٧٣ ولا بعد ذلك بعدة سنين ورغم ذلك قامت جمهورية مصر العربية بالحرب .

ومن كل ذلك تمت المفاجأة الاستراتيجية وأوضحت بجلاء أن الحضارة المصرية وخصائص الشعب المصرى المميزة قادرة على الإتيان بالمفاجآت غير المتوقعة وغير المحسومة في أى وقت ويجب على إسرائيل وغيرها أن تعمل لهذه المعطيات حسابها .

الضربة الجوية من الوجهة الاستراتيجية

لم تكن الضربة الجوية التى قامت القوات الجوية الإسرائيلية على جمهورية مصر العربية فى حرب يونيو ١٩٦٧ الأولى فى التاريخ العسكرى فلقد سبقتها عدة ضربات خلال الحرب العالمية الثانية وكذلك لن تكون الأخيرة فى تاريخ الحرب ولنجاح أية ضربة جوية يلزم توافر العوامل التالية :

أ- المفاجأة التامة فى توقيت الضربة الجوية، إذ أن اكتشافها يفقدها قيمتها وقوتها ويلحق بالقوات المهاجمة خسائر كبيرة أو قد تؤدى إلى إحباطها وتدمير القوة المهاجمة .

ب- أن يكون حجمها متفقاً مع الأهداف المطلوب مهاجمتها ونسبة التدمير - المطلوبة لكل هدف .

ج- عدم التعرض لوسائل الدفاع الجوى من صواريخ ومقاتلات إلا لأقل فترة زمنية .

د- الدراسة السليمة للحقل الرادارى المعادى لاكتشاف ما به من اتجاهات قوة أو ضعف .

هـ- سلوك طرق الاقتراب غير المغطاة بالكشف الرادارى، أو التى يكون فيها الكشف الرادارى محدود بما لا ييسر استعداد وحدات الدفاع الجوى .

و- استخدام طرق الاقتراب غير المباشرة للأغراض الموجودة بالعمق وتلافى المناطق الدفاعية ولتحقيق المفاجأة على الغرض وإرباك عمليات المقاتلات .

ز- التزامن للضربة الجوية - على قدر الإمكان - أمر ضروري للعمل على تشبع الحقل الرادارى مما يعقد الموقف الجوى ويربك القيادة والسيطرة ويعمل على بعثرة مجهود المقاتلات .

ح- استخدام الارتفاعات التى تتناسب مع مدى الطائرات وإمكان الإفلات من الاكتشاف الرادارى إلا على مسافات قريبة .

وتعتبر المفاجأة أهم عامل لنجاح الضربة الجوية ولنا ما حدث فى حرب ١٩٦٧ وحرب الهند والباكستان عام ١٩٧٢ خير دليل على ذلك ففى الأولى طلب قائد القوات الجوية الإسرائيلية قواته بالعودة فى حالة ما إذا تم اعتراضهم بالمقاتلات المصرية لما يعنيه ذلك من استعداد عناصر الدفاع الجوى المصرى للقتال وفى الثانية تمكنت الهند فى معرفة نوايا الباكستان فأخلت مطاراتها فى وقت مناسب مما أدى إلى فشل الضربة الجوية الباكستانية لتعود الطائرات الباكستانية إلى مطاراتها فتجدها قد تدمرت وبذا لم تستطع الهبوط فتدمر فى الجو .

وتحقيق المفاجأة فى العصر الحديث بعد تقدم وسائل الاستطلاع المختلفة يعتبر أمراً صعباً إلا فى الحالات الآتية :

أن يكون الجو السياسى قبل بدأ الحرب مهيأاً للتهدة ونبذ الحرب كما حدث فى الضربة الجوية التى حدثت ضد الأسطول الأمريكى فى بيرل هاربور ففى الوقت الذى كان فيه وزير خارجية اليابان يتفاوض فى أمريكا لتحسين العلاقات بين الدولتين وجهت اليابان ضربتها الجوية .

أو أن يكون الدفاع الجوى فى حالة استرخاء كما حدث فى حرب يونيو ٦٧ فلولا هذا الاسترخاء الذى كانت عليه قيادات وتشكيلات الدفاع الجوى لما أمكن لهذه الضربة الجوية أن تحقق كل أغراضها من تدمير للقوات الجوية المصرية فى مطاراتها ومن تعطيل للمطارات تلاها بعد ذلك تدمير مواقع الرادار وكتائب الصواريخ أرض جو دون خسائر تذكر .

والسؤال الذى يطرح نفسه الآن، ما احتمالات الضربة الجوية فى المستقبل؟ وللدرد على هذا السؤال يجب أن نعلم أن أغراض الضربة الجوية يتم الدفاع عنها بوسائل الدفاع

الجوى المختلفة من مقاتلات وصواريخ موجهة م/ ط ومدفعية مضادة للطائرات بجانب توزيعها الاستراتيجى على مناطق محدودة وفى ضوء حرب أكتوبر والدروس المستفادة من حروب الشرق الأوسط أصبح من الضرورى توفير الوقاية لكثير من الأغراض سواء بإقامتها تحت الأرض أو إقامة تحصينات خاصة لها فوق الأرض كالمطارات وقواعد الصواريخ ومواقع الرادار وذلك بغرض تقليل الخسائر فيها إلى حد كبير وزيادة قدرتها على الصمود فى المعركة وفى ضوء توفر وسائل الدفاع الجوى الإيجابية بالقدر اللازم مع توفر الوقاية للأغراض المختلفة المعرضة بإقامة ما يلزم لها من تحصينات نجد أن احتمال الخسائر بات ضعيفاً ولا يتناسب مع المجهود الضخم الذى يعد للضربة الجوية ولا يتعادل مع الخسائر المنتظر أن تتم فى طائرات هذه الضربة . إن استعداد الدفاع الجوى لصدم وتدمير هذه الضربات كفيل بالعمل على إحباطها وإنزال خسائر كبيرة بالطائرات المهاجمة ومن هنا اتجه التفكير بالنسبة للدول العظمى إلى إتمامها بالوسائل الصاروخية سواء أكانت رءوساً تقليدية أم نووية .

حائط الصواريخ يحقق المفاجأة

حقق حائط الصواريخ فى حرب رمضان / أكتوبر المفاجأة على المستوى التعبوى والتكتيكى والفنى والنفسى .

فعلى المستوى التعبوى لعب حائط الصواريخ دوراً بارزاً فى إخفاء ما يبغى العدو فى الحصول من معلومات عنه . ولقد كانت وسائل العدو المتيسرة فى ذلك الاستطلاع الجوى بأنواعه أجهزة الاستشعار المتوفرة لديه، العملاء ومن جميع الوسائل السابقة كان يهدف الى معرفة عدد الكتائب التى يتكون منها حائط الصواريخ وأوضاع تمرركزها على الأرض ونوعياتها والترددات التى تعمل عليها وأسلوب إشعاعها فى الفراغ الجوى . وكان علينا أن نعمل على منعة من الحصول على هذه المعلومات أولاً وأن نعطيه قدرًا من المعلومات مخطط ليخدم مهمة التشكيل سواء فى الخطة الدفاعية التى كانت قائمة أو فى الخطة الهجومية وكان سبيلنا لذلك الوسائل الآتية :

أ- استخدام المواقع الهيكلية بكثرة سواء في المواقع التبادلية أو الهيكلية وإظهارها بمظهر المواقع الحقيقية تمامًا وذلك باستخدام المواد المعدنية في تصنيعها وإضافة العديد من العواكس الركنية لزيادة قوة الإشعاعات المرتدة منها .

ب- إخفاء المواقع الحقيقية والتبادلية بأسلوب واحد لإيجاد التطابق بين الاثنين .

ج- إيجاد الحياة في المواقع التبادلية بإيواء العناصر الإدارية منها لإيجاد حياة كاملة فيها بالإضافة إلى إعطائها حيوية فنية بالمناورة إليها تارة بوحدات الصواريخ وتارة بأجهزة رادار تخصص لذلك .

د- المناورة بكتائب الصواريخ إلى المواقع التبادلية أو إلى المواقع الهيكلية في بعض الأوقات بكتائب الصواريخ أو أجهزة الرادار وفقًا لمقتضيات المعركة المقبلة وطبيعة المعلومات المطلوبة إعطاؤها للعدو .

هـ- خلق مراكز قيادة جديدة علاوة على القيادات القائمة وقيامها بممارسة القيادة الفعلية على مواقع تحدد لها، تحوى بعض المواقع التبادلية بجوار المواقع الحقيقية أو بعض المواقع التبادلية بجوار بعض المواقع الهيكلية أو مزيج من الجميع وفقًا لشكل تشكيل القتال المطلوب إعطاؤه للعدو ورغبة في تصديق العدو لما يقدم له من طعم كانت هذه القيادات تمارس القيادة فعليًا، وتستخدم اللاسلكى في قيادتها لوحداتها وترسل الكثير من المعلومات الحقيقة وفقًا لتخطيط مسبق لذلك .

و- احتلال مواقع المعركة في وقت متأخر - يوليو ٧٣. بأسلوب يوضح للعدو أن الغرض هو منع العدو من الاستطلاع الجوى على مقربة من القناة مع تغيير المواقع والوحدات كل فترة زمنية بمواقع أخرى . ووحدات جديدة حتى لا يفتن العدو ولما يجرى واستمر هذه الأسلوب إلى إن كان صباح يوم ٥ أكتوبر، حيث تواجد حائط الصواريخ في مواقعه القتالية وكان له من كتائب الصواريخ ٩ كتائب صواريخ تقع على مسافة من ٦-٨ كم غرب القناة بزيادة ٣ كتائب عن الأوضاع التي كانت سائدة منذ يوليو ١٩٧٣؛ ولذا لم يفتن العدو إلى أن هناك هجومًا يجرى الإعداد له إذ أن هذه الزيادة في عدد الكتائب يعتبر إجراءً عاديًا لا يتم عن أى

استعداد للهجوم فعدد المواقع الأمامية التي احتلت للمعركة كان مساوياً لقصف عدد المواقع الكلية الموجودة على هذه المسافة من القناة .

ز- استخدام أكثر من خطة خداع بغرض إرباك المعلومات التي تحصل عليها العدو .

ح- فرض الصمت الجزئي أو الكلي على حائط الصواريخ للاحتفاظ بالصورة المهزوزة لدى العدو وقد تم ذلك حتى قامت حرب رمضان / أكتوبر .

ط- إحكام التخطيط لكل هذه العمليات حتى تؤدي كلها في وقت واحد إلى تحقيق المهمة المطلوبة .

في ضوء كل هذه الإجراءات ماذا كانت النتيجة المتوقعة . لقد قدر العدو حجم وحائط الصواريخ حسب ما أدى الطيارون الأسرى بنحو ١٠٠ كتيبة صواريخ وأن لواء الصواريخ يتكون من ٨ - ١٠ كتائب؛ أي أن هناك ما يتراوح بين ١٠ - ١٢ لواء صواريخ في حائط الصواريخ وبذلك يمكن القول إن حائط الصواريخ قد حقق لنفسه المفاجأة التعبوية بإظهار حجمه أكبر من اللازم مما أدى إلى وجود انعكاسات لذلك على مستوى التخطيط والتنفيذ للعمليات الجوية الإسرائيلية في حرب رمضان / أكتوبر كما أن وجوده في مواقع المعركة منذ يوليو ٧٣ ساعد في إخراج المفاجأة الاستراتيجية إلى حيز الوجود إذ أن استعدادات الصواريخ الموجهة أرض - جو والمقاتلات هما لتدبر للعدو بقرب بدء الهجوم ووفقاً لما توضح كان تقدير العدو بالنسبة لتواجد وحدات الصواريخ في مواقع المعركة تقديرًا سلبياً .

أما على المستوى التكتيكي فقد تمكن حائط الصواريخ من تحقيق المفاجأة على النحو التالي :-
استخدام أساليب قتال متميزة مع العدو

لقد استخدم حائط الصواريخ أساليب قتال جديدة سواء في الاشتباك مع الأهداف المنخفضة أو المناورة أو تلك القائمة بالتداخل - تلك الأساليب التي نبعت من الدراسة المستمرة لأساليب العدو وماذا يجب اتخاذه للتغلب عليها دعمتها الخبرة المكتسبة من مسرح القتال المصري والفيتنامي . لقد كان لهذه الأساليب الأثر الأكبر في إفقاد العدو أترانه بعد ساعات من بدء الحرب كما كان لها أثر بالغ فيما حاق بالقوات الجوية الإسرائيلية من هزيمة وصلت إلى تدمير ٢٧٩ طائرة للعدو؛ أي أكثر من ٥٠٪ من قواته الجوية .

خفة الحركة

تعتبر خفة الحركة سمة مميزة لمعركة الأسلحة المشتركة الحديثة وعلى ذلك يجب أن تكون عناصر الدفاع الجوي المكلفة بوقاية هذه القوات على درجة كافية أو ماثلة لهذه القوات حتى يمكنها أن توفر الوقاية لها دائماً وخفة الحركة هي الوسيلة لرفع قدرة الوحدات على المناورة ولم يكن ما نبغيه في هذا الاتجاه مقصوراً على زيادة خفة حركة الوحدات بزيادة قدرتها على التحرك وإتمام تحركاتها بسرعة، ولكن كان لخفة الحركة التي نفيها معان أخرى تتمثل في الآتي :

* توفر قادة على جميع المستويات لديهم القدرة على التفكير السريع والخروج بقرارات صحيحة ودقيقة .

* توفر قادة لديهم القدرة على التصور والابتكار وأعمال العقل دائماً في المشكلات التي تحيط بهم مما يؤدي بالتالي إلى سرعة التفكير .

* السرعة في تنفيذ المهمة المكلفة بها الوحدات إذ أن التأخير في التنفيذ قد يؤدي إلى نجاح محدود للعدو قد ينقلب إلى نجاح أكبر أو يؤثر على النواحي المعنوية للقوات خلال القتال .

* السرعة في تنفيذ الاشتباك بواسطة قادة كتائب الصواريخ أرض - جو ذلك من ناحية سرعة تقدير الموقف - تحديد أسلوب الاشتباك وتحديد لحظة إطلاق الصواريخ بها يضمن أفضل أفضل احتمال لتدمير الهدف .

* تقصير الذيل الإداري على جميع المستويات - فالاحتياجات الإدارية لوحدات الصواريخ من وقود - صواريخ - ونواحي فنية ومختلف متطلباته الإعاشة اليومية تحتاج إلى العديد من العربات مما يحد من خفة الحركة؛ لذا يجب أن يتجه التفكير دائماً إلى ما من شأنه تقليل طول هذا الذيل وذلك بإيجاد نوعيات بديلة وخفيفة الوزن واستخدام عبوات سهلة التوزيع وعربات ذات حمولات كبيرة ولها القدرة على السير عبر الأراضي .

❖ الاحتفاظ بمناطق إدارية محملة، تقع خلف الوحدات مباشرة تحوى كل الاحتياجات الإدارية والفنية بما فى ذلك الصواريخ المضادة للطائرات وذلك لتوفير احتياجات الوحدات المقاتلة فى أقل وقت ممكن .

حشد الصواريخ

لقد يسر مدى الصواريخ أو بمعنى آخر اتساع منطقة التدمير إلى إمكان حشد صواريخ أكثر من كتيبة صواريخ واحدة فى الفراغ الجوى لمقابلة الهجمات المركزة للعدو على قطاع ما فإذا تصورنا كثافة الصواريخ كانت ٢-٣ كتيبة صواريخ للكيلو فى المواجهة وأن مدى كتيبة الصواريخ يصل إلى ٢٧ كم وأن العدو يقوم بهجومه الجوى على مواجهة ٦ كم لوجدنا أن هناك عدة كتاب يمكنها توجيه نيرانها لإحباط هذه الهجمة وتدمير أكبر عدد من الطائرات ويتوقف تحديد الكتاب التى تخصص لتنفيذ المهمة على ارتفاع الهدف ومسافته ومدى خطورته على القوات البرية ونوع التداخل ودرجة شدته وأخيرا مدى استعداد هذه الكتيبة أو تلك وقدراتها الفنية على تحقيق المهمة بنجاح ولا شك أن هذا الخيار يعتبر محك النجاح عند التنفيذ لقد أدى هذا الأسلوب إلى إحباط كل الهجمات المركزة التى كان يقوم بها العدو على القطاعات المختلفة التى تعمل فيها القوات البرية شرق القناة .

أما المفاجأة الفهم التى حققها حائط الصواريخ فقد كانت كل تصور وخيال، بل وفاقته أكبر الأحلام تفاؤلا وكان ذلك مرده الانطباعات والنتائج التى ترسبت فى الأذهان عن قتال الصواريخ سواء على المسرح الفيتنامى أو المسرح المصرى خلال حرب يونيو ٦٧ وحرب الاستنزاف بما فى ذلك قتال يوليو ٧٠ . لقد أدت هذه الانطباعات والنتائج إلى اعتقاد جازم لدى إسرائيل بقدرتها على محو حائط الصواريخ فى أقل من ساعة وكان اقتناعها بذلك راجعا فى المقام الأول إلى العوامل الآتية :

- المعرفة التامة بخصائص بعض أنواع الصواريخ نتيجة لوقوع إحدى الكتاب فى أيديهم سليمة فى حرب يونيو ١٩٦٧ م .

- وجود قصور فى إمكانات الصواريخ القتالية خاصة عند التعامل مع الأهداف المنخفضة والمنخفضة جدا والأهداف المناورة .

- معدات الصواريخ الموجودة لدينا تعتبر من الأجيال الأولى التي أنتجها الاتحاد السوفيتي وكأى معدة إلكترونية يتأثر عمرها بمرور الوقت مما يجعلها كثيرة الأعطال والتوقف عن العمل ويؤدى هذا بالتالى إلى إضعاف كفاءتها القتالية .

- اعتقادة القيادة الإسرائيلية بعدم قدرة المصريين على تشغيل المعدات وإصلاحها نظراً لنقص الكفاءة الفنية لدى المصريين .

- الثقة التامة فى إمكان شل حائط الصواريخ بما تمتلكه إسرائيل من وسائل إعاقه إلكترونية أثبت نجاحها من قبل ولحققتها يد التطوير لزيادة فاعليتها .

ولكن كانت النتيجة عكسية تماماً ووقعت المفاجأة الفنية وكان لوقوعها صدى على القوات الجوية الإسرائيلية كما كان لها نفس الصدى على الدوائر العسكرية المختلفة التى كانت مفرطة الثقة بإسرائيل، ولكن كيف تمت المفاجأة الفنية لقد تمت بالعديد من الوسائل منها:

- ابتكار أساليب فنية جديدة للاشتباك مع العدو وتطوير الأساليب القديمة .

- إعطاء المزيد من العناية للتدريب الفنى والتركيز على التفاصيل الفنية لخلق كوادى على مستوى فنى عالٍ يمكنها تفهم دقائق عمل المعدات والعمل عليها بكفاءة وصيانتها وإصلاحها فور توقفها ولقد أدى المجهود الذى بذل فى هذا الاتجاه إلى إيجاد كوادى ذات مستوى رفيع على جميع المستويات القيادية .

- ابتكار أساليب تكتيكية وفنية للتعامل مع الأهداف المنخفضة والأهداف المناورة .

- توزيع كئائب الصواريخ فى تشكيل قتال يتناسب مع الخصائص الفنية والتكتيكية لكل منها بحيث تكمل بعضها البعض .

- تعدد نوعيات الصواريخ المستخدمة أوجد خصائص فنية متعددة مثل نطاق التردد لكل نوع . طبيعة الإشعاع الكهرومغناطيسى، وقد أمكن بالدراسة الواعية استغلال هذه الخصائص أفضل استغلال سواء فى التغلب على وسائل الإعاقه أو استخدام النوع المناسب فى الصواريخ بما يتناسب مع الهدف المراد تدميره .

- ابتكار أساليب فنية خداعية للتعامل مع الأهداف للتغلب على مفعول أجهزة الاستشعار مما يفقد الطيارين الثقة في مفعول هذه الأجهزة ويؤدي بهم إلى العمل في ظلام عما يتم حيالهم .

- عدم السير على وتيرة واحدة في الأساليب الفنية أو التكتيكية المستخدمة في القتال بل كان التغير الدائم هو سمتها المميزة .

أما آخر أنواع المفاجأة فكانت المفاجأة النفسية تلك المفاجأة التي أذهلت العدو منذ الساعات الأولى، بل جعلت الذهول سمة له حتى آخر أيام القتال ولم يتوقف مدى هذه المفاجأة النفسية على العدو، بل كان لها وقعها على كثير من الشعوب والدوائر العسكرية المهمة بدراسة الحروب ويعزى وقع هذه المفاجأة النفسية للعوامل الآتية :

الأداء البطولى لحائط الصواريخ وتصديه لهجمات العدو المركزة واحدة تلو الأخرى ويومًا بعد يوم تلك الهجمات التي بلغت في قوتها حتى آخر يوم للقتال ٢٥ أكتوبر إلى أكثر من ٢١٠٠٠ طلعة / طائرة.

الإصرار على القتال رغم محاولات العدو المختلفة في مهاجمة كتائب الصواريخ سواء بالأسلحة الجوية أو الأرضية وقد ظهر ذلك بوضوح في عدم الاكثرات بالخسائر البشرية والمادية والعمل الدءوب لسرعة إصلاح المعدات .

تصدى حائط الصواريخ للعدو بعد عبوره للغرب وعدم إعطائه الفرصة للانطلاق غربًا كما كان ينبغي، بل وقتاله بكل ما يمتلك من أسلحة . ومنع قواته الجوية من معاونته قواته البرية الموجودة في الغرب .

الرغبة الجارحة لدى الجميع في ضرورة تدمير العدو وعدم إعطائه الفرصة لمهاجمة القوات البرية وذلك باليقظة والاستعداد المستمر .

الشجاعة التي تحلى بها الكثيرون وقد ظهر ذلك عند تنفيذ المهام المطلوبة في ظروف صعبة أو تنفيذ العديد من المهام المحفوفة بالمخاطر عند تواجد العدو في الغرب .

أهمية الخداع

أدى التطور التكنولوجى إلى وجود العديد من المعدات التى يمكنها تحديد محلات عناصر الدفاع الجوى بدقه تامة بل وإمكان معرفة نوعياتها وأسلوب عملها وما كل ذلك إلا جرياً وراء إيجاد الوسائل الكفيلة بتقليل فاعليتها .

والمشكلة التى تواجه الدفاع الجوى هو الإشعاع الإلكترونى الذى تشعه أجهزة الرادار بأنواعها المختلفة فى القضاء والذى يمكن التقاطه بمعرفة أجهزة الاستشعار وعن طريق الحواسب الإلكترونية التحليلية يمكن معرفة كل الخصائص الفنية كل ذلك بجانب ما يقدمه الاستطلاع الرادارى والأشعة دون الحمراء والصور الجوية من معلومات عن أوضاع الوحدات على الأرض ويكمل كل هذه الوسائل ما يمكن الحصول عليه من معلومات عن طريق العملاء . وهنا تتضح أبعاد المشكلة فأجهزة الإعاقة الإلكترونية يلزمها معرفة نطاق التردد الذى تعمل عليه أجهزة الرادار كما أن أسلحة الخمد الموجهة بالرادار فى حاجه إلى نفس المعلومات فلو أضفنا إلى ذلك مهاجمة كتائب الصواريخ تستلزم فى المرحلة الأخيرة من الاقتراب إليها ضرورة قيام الطيار برؤية الغرض بالعين المجرد؛ ليحدد أسلوب الاقتراب النهائى للغرض ومهاجمته ثم الابتعاد عنه .

وبتوفر هذه المعلومات يمكن إيجاد الأسلحة المضادة لعناصر الدفاع الجوى من أجهزة رادار للإنذار وأجهزة رادار للصواريخ والمدفعية المضادة للطائرات . ولكن ما هى الوسيلة التى يمكن اتباعها لحرمان العدو من الحصول على هذه المعلومات والعدو من جانب آخر يجد بوسائله الإيجابية التى ذكرناها فى الحصول على هذه المعلومات كما يجد بوسائله السلبية فى الحصول على ما يمكن من المعلومات سواء من الشركات المنتجة للسلاح أو بواسطة عملائه من أى اتجاه يجد لذلك فيه سبيلاً . وطالما أنه لا يمكن إيقاف الإشعاع وإلا وقت الكارثة؛ لذا كان الخداع هو الوسيلة الوحيدة لتضليل العدو قد اتبعنا فى ذلك أساليب كثيرة للخداع، الخداع الفنى والخداع التكتيكى .

لقد شمل الخداع الفنى الكثير من الجراءات منها :

أ- فرض الصمت الإشعاعى على بعض المواقع دون غيرها وعدم السماح لها بالإشعاع إلا فى حالة القتال الفعلى .

ب- استخدام الكتائب المتجولة فى القطاعات المختلفة فى بعض المواقع الهيكلية مع صمت الإشعاع بالنسبة لأجهزة رادار الصواريخ والاستعاضة عنه بأجهزة رادار الإنذار لنفس الوحدات .

ج- تحديد ترددات معينة للعمل بها والاحتفاظ ببعض الآخر سرىً للحرب والانتقال إليه بمجرد بدء القتال .

د- تثبيت الوحدات التى تقوم بالخدمة فى كل قطاع .

هـ- عدم استخدام نظام الخدمة النمطى بل تغيير الخدمة بأسلوب عشوائى سواء من ناحية الوحدات التى تعين للخدمة أو وقت بدء الخدمة ونهايتها وقد أدى استخدام هذا الأسلوب إلى حدوث هلع لدى القوات الجوية الإسرائيلية استمر أيامًا عديدة واستلزم منهم حذرًا شديدًا عن الطيران على مقربة من القناة .

و- استخدام الوسائل الالكتروبصرية والبصرية فى استطلاع الموقف الجوى والاشتباك مع العدو به إذا لزم الأمر منعا للإشعاع فى الفراغ .

ز- مراعاة توزيع الترددات عند الانتقال إلى ترددات الحرب بما يحقق إمكانية مقابلة أسلحة الخمد التى يستخدمها العدو وبنجاح .

لقد برهنت حرب رمضان / أكتوبر أن الخداع الذى تم بمعرفة حائط الصواريخ قد نجح تمامًا فرغم أن العدو توفرت لديه معلومات كاملة عن النطاقات الترددية التى كانت تعمل عليها أنواع الصواريخ المختلفة إلا أن التداخل الذى استخدمه أو أسلحة الخمد التى وجهها لم تحقق ما كان متوقعًا لها من نتائج . لقد برهنت المعدات التى تم فيها الانتقال إلى تردد جديد - بمجرد مشاهدة التداخل - قدرتها على مقاومة التداخل بنجاح . كما برهنت الترددات المتباعدة نفس القدرة على مقاومة التداخل كما أوضحت

بضعة ترددات مختلفة تعمل في اتجاه واحد قدرتها على تحويل أسلحة الخمد بعيدًا عن غرضها، كما أن إدخال نوعيات جديدة في المعركة سواء في نطاقاتها الترددي أو أسلوب إشعاعها في الفراغ أو في كبر منطقة تدميرها يؤدي إلى مفاجأة العدو مفاجأة لن يفق منها إلا بعد زمن ليس بالقصير.

أما الخداع التكتيكي فقد شمل الكثير من الوسائل منها :

- استخدام المواقع المتداخلة فردية وثنائية وثلاثية مجهزة تجهيزًا هندسيًا مناسبًا وبها من المعدات الهيكلية معدات مشابهة لتلك الموجودة في المواقع الحقيقية وتتواجد في اتجاهات الهجوم المحتملة بغرض جعل المهاجم في حيرة من أمر الغرض المطلوب مهاجمته بالإضافة إلى امتصاص ثقل الهجمة مما يؤدي إلى الحفاظ على سلامة المعدات الحقيقية .

- استخدام المواد الملتهبة في مواقع محددة يتم إشعالها عند قيام العدو بمهاجمة إحدى كتائب الصواريخ المجاورة و مسيطر عليه تمامًا و ذلك بغرض إظهار نجاح هجوم العدو رغم فشلها .

- استخدام المواد بطيئة الاشتعال في أماكن مختارة لإنتاج ستائر دخان ثقيلة لتعمية وسائل التنشيط البصرية و الإلكتروني بصرية التي تعتمد عليها أسلحة الخمد عند توجيهها ضد كتائب الصواريخ .

- استخدام الدخان بكثافة في المواقع الحقيقية لتعمية العدو عند مهاجمته لها مما يؤدي إلى تصعب مهمته بالإضافة إلى استخدامهما في المواقع التبادلية أيضًا و ذلك بغرض توزيع مجهود العدو مما يقلل من احتمالات الخسائر.

الإخفاء

يؤدي الإخفاء دورًا مهمًا في إخفاء معدات القتال دورًا يتزايد رغم ما وصل إليه التقدم العلمي من تطور أمكنة التعرف على المعدات التي يتم إخفاؤها بعناية أو تلك المدفونة في باطن الأرض على أعماق محددة ورغم ذلك، فلقد أظهر الإخفاء الجيد

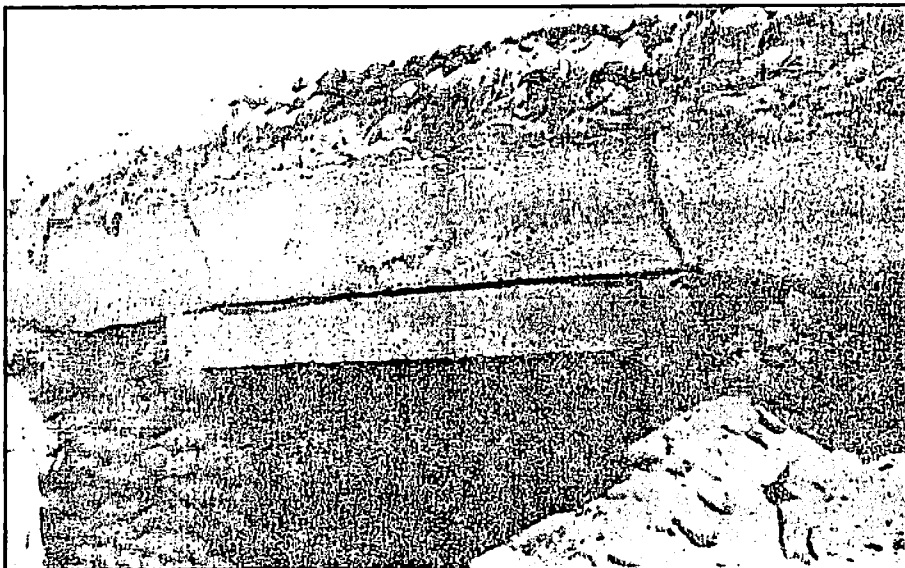
للمواقع الهيكلية دورًا كبيرًا في امتصاص كثير من هجمات العدو وخلال معارك الاستنزاف وذلك بالنسبة إلى مواقع الرادار والمدفعية المضادة للطائرات - للهيكليّة كما أدى نفس الدور في معارك يوليو ٧٠ بالنسبة إلى الصواريخ الموجهة أرض جو .

لقد أدى الإخفاء الجيد مع خطط الخداع التعبوي المختلفة التي نفذت إلى تحقيق ما كنا إليه من جعل العدو في حيرة من قوة حائط الصواريخ الفعلية وفعلا قدرة بأكثر من قوته بكثير . أما عن دور المواقع الهيكلية في حرب رمضان / أكتوبر، فلقد كان محدّدًا وذلك راجع إلى فشل العدو في النيل من حائط الصواريخ منذ يوم ٧ أكتوبر وبذا لم توضح هذه الوحدات محل الاختبار إلا في مواقف محدّدة الأول في مطار القطاميّة؛ حيث أدت دورها في امتصاص هجوم العدو والثاني عند تواجد كتائب الصواريخ شرق القناة في مرحلة تطوير الهجوم أدت دورًا ممتازًا في امتصاص نيران المدفعية بعيدة المدى التي كان يوجهها العدو مما أدى إلى وقاية الكثير في المعدات أما في المرحلة الأخيرة من الحرب وبعد تواجد العدو في الغرب فلقد تلافي العدو هذه المواقع بعد أن تعرف عليها.

لقد أدت المناطق الزراعيّة دورًا رائعًا في الإخفاء فلقد يسرت - إخفاء كتائب الصواريخ عند قيامها بعمل كائن للعدو ولم يتمكن من التعرف على أوضاعها رغم اشتباكها معه كما يسرت بعض الشجيرات المحدوده إمكان إخفاء أجهزة الرادار بنجاح.

التجهيز الهندسي

أدى التجهيز الهندسي بجميع أنواعه ما كان ينتظر منه وأكثر . لقد أثبتت مواقع الصواريخ المحصنة والسبقة الصنع قدرتها على تحمل القنابل زنة ١٠٠٠ - رطل أكما أثبتت الحوائط المقامة من شكاير الرمل بسمك وارتفاع معين قدرتها على تحمل الصواريخ الحرة وانفجار القنابل التي تسقط بجوارها وفي ضوء كل ذلك يمكن القول إن التجهيز الهندسي المعتمد على استخدام الخرسانة المسلحة قادر على وقاية المعدات والأفراد وقاية كاملة ضد الإصابات المباشرة بالقنابل . لقد يسرت المواقع المحصنة الوقاية، ولكن أيضا تمكنت المواقع الميدانية، من توفير الوقاية ضد القوات الجوية



شكل يوضح الآثار المترتبة علي هجمة جوية بالقنابل علي أحد المواقع السابقة التجهيز



سقف الموقع ولم يتأثر بالقنابل زنة ٣٥٠ رطل. سوى إصابته ببعض الشقوق

المعادية وفرتها بالنيران، بالقدره على تدمير طائرات العدو من بعد ومن هنا نصل إلى حقيقة رائدة أن الوقاية بالنسبة لوحدات الدفاع الجوى ليست بالتحصينات بقدر ما هى بالقدرة على تدمير العدو بالنيران وأن التحصينات تعتبر بمثابة الخط الأخير للوقاية ولنا مثلاً ما حدث فى بور سعيد إذ أدى ضعف النيران إلى أن يهاجم العدو مواقع محصنة باطمئنان وثقه فتمكن من إيقاف النيران وإنزال خسائر جسيمة بالمعدات والأفراد وبذا لم تغن المواقع المحصنة عن النيران .

إن ما تتسم به معركة الأسلحة المشتركة من خفة حركة ومعدل تقدم عالٍ للقوات يحتم على قوات الدفاع الجوى ملاحقة هذه القوات، وهنا تبرز حاجتها لعناصر المهندسين لإتمام ما يلزمها من تجهيز هندسى للمواقع المنتظر احتلالها أو إتمام ما يلزم من مواقع تبادلية وهيكليّة أو تسهيل عملية التحرك اللازمة لها بتمهيد طرق التحرك وإزالة المواقع التي تعترض التحرك - كل ذلك بجانب الإخفاء الذى تحتل إليه الوحدات ومن هنا تبرز أهمية تواجد عنصر مهندسين متكامل فى وحدات الصواريخ يتناسب حجمه مع حجم الأعمال التى ستوكل إليه فى ضوء نوع المعدات المستخدمة وحجمها وأسلوب قتالها .

مهاجمة المعابر

لقد أثبتت حرب رمضان / أكتوبر أن تدمير المعابر والكباري المقامة على قناة السويس أمر صعب . لقد أدت الهجمات المتتالية التى بدأت مع بزوغ فجر يوم ٧ أكتوبر إلى تدمير العديد من الطائرات وقتل الكثير من الطيارين الإسرائيليين المحترفين .

لقد تمت الهجمات الإسرائيلية المحدودة التى وقعت على المعابر أما من الدوران أو بالغطس عليها وكلا النوعين من أساليب الهجوم لم تؤد إلى أى - نتيجة . أن مهاجمة المعابر فى ضوء وجود دفاع جوى يعتبر عملية انتحارية بالنسبة لطيارين ويرجع ذلك إلى صغر حجم الغرض وصعوبة التشيّن عليه أثناء الطيران وإزاء الفشل لجأت القوات الإسرائيلية إلى استخدام المدفعية الميدانية من الأعيرة المختلفة وقد تمكنت فى حالات كثيرة من النجاح - وذلك راجع إلى اتباعها مبدأ الضرب ثم الانتقال إلى موقع جديد .

لقد قابلت القوات الجوية الأمريكية نفس المشكلة في فيتنام مما أدى إلى استخدامها لقنابل الليزر وبها أمكن إحداث خسائر في المعابر وإن كانت في كثير من الحالات تعتبر خسائر محدودة وأمكن إصلاحها بسرعة .

في ضوء كل ما سبق وفي ضوء الحاجة العسكرية إلى وسيلة لتدمير المعابر والكبارى يجب أن يتجه العلم والتكنولوجيا إلى إيجاد وسيلة قادره على ذلك بتكلفة معقولة وإلى أن يظهر ذلك السلاح ستستمر المدفعية بعيدة المدى أو الاقتحام الرأسى بالقوات المنقولة جواً تحت ستر الظلام هما أفضل الوسائل لذلك وذلك إذا لم يتمكن المدافع عن إيقاف المهاجم والعمل على سرعه اتران الموقف وسحب المبادأة والقيام باختراق عميق في اتجاه هذه المعابر لتدميرها .

عمل الأركان

لقد أظهرت حرب رمضان / أكتوبر أهمية عمل الأركان بالنسبة إلى تشكيلات ووحدات الدفاع الجوى سواء أكانت تعمل في التشكيلات البرية أم في الدفاع الجوى عن الأغراض في العمق أن المفهوم السائد للأسف لدى الأركان على مختلف المستوى - القيادى هو إدارة المعركة بفكر أصم محدود يهدف في النهاية إلى تخصيص المهمة لتدمير أى هدف حيوى، نفس أسلوب الحرب العالميه الثانيه وهذا هو المنطلق الخاطى في معركة الدفاع الجوى الحديثه فاختلف سرعات الطائرات وأسلوب استخدام القوات الجوية ومهاجمتها لأغراضها كل ذلك يتطلب فكراً متفتحاً قادراً على إدارة المعركة ولديه الرؤية السليمة لما يهدف إليه العدو من هجومه الجوى قادر على تمييز الهجمات المخادعة من الحقيقية لديه القدره على الحكم السريع عن نشاط العدو واحتمالاته المقبلة قادراً على تقديم المشورة الصحيحة في الوقت المناسب يتوفر لديهم القدرة على فرض السيطرة الحازمة على الوحدات ومعاونته على تنفيذ المهام وإصرارهم على التنفيذ في الوقت المطلوب للوصول بالمعركة الحديثة إلى الديناميكية المطلوبة .

لقد ظهر كنتيجة لحرب رمضان / أكتوبر ضرورة أن يكون ضباط القيادات على دراية تامة بمعركة الأسلحة المشتركة بكل تفاصيلها وعمل جميع القوات والأسلحة

في مراحل المعركة المختلفة علمًا وخبرة وتصورًا، إذ أن عدم الدراية يؤدي إلى عشوائية المهام.

تبادل المعلومات

إن موضوع تبادل المعلومات والاستنتاجات عن العدو وأعماله ليست بالأمر الجديد ولكن حرب رمضان / أكتوبر لم توضح أهميه هذا الموضوع فقط، ولكن أوضحت مدى الجدية والصدق اللازمين عند التنفيذ بالإضافة إلى سلامة الفكر وإعمال العقل فيما يجب أن تكون عليه الاستنتاجات .

لقد أعلنت قيادة العدو عن سيناء يوم ١٠ / ٩ عن عدم قدرتها على مجابهة القوات المصرية، بل وأعطت أوامرها لبعض الوحدات بالانسحاب إلى شرق المضائق، بل وأعلن وزير الإسرائيلى أن الحاجة تدعو إلى الانسحاب من سيناء . ورغم تبادل هذه المعلومات فإنه لم يتم تحليلها تحليلًا صحيحًا للوصول إلى استنتاجات منطقية، بل ولم يتم اتخاذ ما يلزم من إجراءات لتأكيد صحة هذه المعلومات ولو تم كل هذا في حينه لتمكنت القوات المسلحة المصرية من الاندفاع إلى الأمام والاستيلاء على مداخل المضائق الغربية .

لقد أذاع العدو اعتبارًا من يوم ١٠ / ٩ والأيام التالية أنه لن يتمكن من إيقاف تقدم القوات المصرية طالما أن قواته الجوية غير قادرة على تقديم المعاونة لقواته البرية وأنه إزاء ذلك لا بد من اتخاذ حل ضد حائط الصواريخ ولو بالعبور إليه غربًا لتدميره ورغم أهمية هذه المعلومات وهذا الفكر والإعلان عنه مسبقًا لم يتم إبلاغه لنا، بل ولم يتم تحليله تحليلًا سليمًا ليتمكن معرفة جدية ذلك الفكر من عدمه وهل في مقدوره الإييان بمثل هذا العمل، وما الإجراءات الواجب اتباعها - ولكن أغلب الظن أنه لم يحصل من ذلك شيء . لقد تواجد لدينا مندوب شعبة العمليات ولم يخطرنا بأى شيء من هذا القبيل فقط طلب احتلال أكبر عدد من المواقع المحصنة والاستعداد للعبور للشرق ليلة ١٠ / ١١ أكتوبر ولم تم إخطارنا بتلك المعلومة لكننا من جانبنا اتخذنا ما يلزم من احتياطات لمقابلة أى عبور يحتمل أن يقوم به العدو وقتئذ أو مستقبلا .

التردد بين غرضين

يجب أن يكون لكل مرحلة قتال بالنسبة إلى الدفاع الجوي غرض تسعى التشكيلات والوحدات إلى تحقيقه كما يجب أن يكون الغرض واضحاً ومدرّساً في ضوء احتياجات المعركة وإمكانات الوحدات حتى يمكن الاقتناع به أولاً وإقناع المرءوسين به ثانياً . هذا هو منطق فن الحرب أما السعى وراء أحلام الشهرة وتحديد أغراض فوق إمكانات الوحدات ولا يتفق مع مرحلة القتال الجارية فأمر يرفضه فن الحرب .

لقد أدى السعى إلى تحديد غرض جديد لا يتفق مع متطلبات القتال، بل إن تنفيذه لا يحقق سوى الخسائر في الأفراد والمعدات ورغم عدم الاقتناع تم التخطيط له وصدرت الأوامر الابتدائية لتدور عجلة التنفيذ كإتمام الاستطلاع والتجهيز الهندسى وإقامة المواقع الهيكلية .. إلخ من الإجراءات وعند بدء التنفيذ نفاجأ بتحول عن الغرض الاول إلى غرض آخر وبالتالي خطة جديدة توضح . لقد أدى هذا التردد إلى وضع الوحدات في حالة من البلبلة وعدم الاستفزاز النفسى وهو ألزم ما يكون للمقاتل في المعركة فالتردد ما هو إلا علامة عدم سير المعركة كما ينبغى بالتالى تتأثر الروح المعنوية للمقاتلين .

مستقبل الطائرة

لقد تمكن حائط الصواريخ من إنزال هزيمة ساحقة بالقوات الجوية الإسرائيلية وإزاء هذه الخسائر بدأت كثير من الدوائر العسكرية تهتز معتقداتها فيما يختص بدور الطائره في المستقبل فذهب البعض إلى أن دورها انتهى أمام بروز دور الصواريخ في حرب رمضان / أكتوبر بينما كان رأى البعض الآخر هو بقاء دورها كما هو .

والواقع الذى أثبتته حرب رمضان / أكتوبر أن دور الطائرة باقٍ، ولكن لا بد من تغير في أسلوب الاستخدام لضمان الحفاظ على القوات الجوية في المعركة سليمة ولكن كيف يتم ذلك .

إن إتمام الضربة الجوية الشاملة أو الضربة الجوية للإحباط أمام دفاع جوى على درجه من الاستعداد والتدريب لقادر أن ينزل بهذه الضربة خسائر تتراوح بين ١٥٪ - ٢٠٪ من طائرات الضربة الجوية وهنا يجب المقارنة في كلتا الحالتين بين الخسائر المحتملة

في الأغراض والخسائر المقدرة في الطائرات وعلى ضوء هذا التقدير يمكن المجازفة باستخدام أى نوع من الضربات.

أما تقديم المعاونة المباشرة للقوات البرية بالصورة التقليدية التي تقوم بها القوات الجوية أحياناً فأصبحت أمام الدفاع الجوي بالصواريخ المتنوعة العناصر أمر مكلف للغاية ويجب استبداله بالهجمات المركزة المدمر ويعنى ذلك استخدام نظام الضربة الجوية المركزة بعدة موجات متتالية في قطاع ضيق وبهذا الأسلوب فقط يمكن تحقيق المعاونة المباشرة المطلوبة بأقل خسائر وإلا فيستعاض عنها بمدفعية الميدان بعيدة المدى وهنا يجب تقدير حجم المدفعية المطلوبة وأنواعها للقيام بمثل هذه المهام . ويجب على قادة التشكيلات البرية من الآن التخطيط للقتال بدون معاونة فعالة من القوات الجوية وتدريب قواتهم على تلك المواقف من الآن حتى لا تكون مفاجأة لهم .

الروح المعنوية

لعبت الروح المعنوية في الحروب جميعها منذ القدم حتى اليوم دورها البارز فهي القود الذي يدفع بالمقاتل لاجتياز المخاطر والمصاعب وهي القوى المتأججة التي تدفع به ليقابل الموت بصدر رحب راضياً مرضياً .

والروح المعنوية ليست كمية ثابتة يمكن قياسها وإنما هي متعددة المستويات وتختلف من وحدة إلى أخرى تبعاً لتوفر العوامل التي تعمل على اتباعها، والأسلوب الذي يتبع في تأجيحها ومعارك الحرية وتحقيق الأمانى القومية للشعوب حافلة ببث كوامن الروح المعنوية وأشكالها لقد وقفت الروح المعنوية لمقاتلي حائط الصواريخ أمام هجمات العدو الجوية رغم عنفها واستمرارها بشكل لم تنقطع فكانت كالبركان الثائر الذي لا يهدأ بل تقذف بصواريخ رجالها هنا وهناك مدمرة له طائراته .

أما وقفنها التاريخية أمام قوات العدو البرية في الغرب فكانت كالطود الشامخ الذي لا ينتزحزح، فلقد وقفت وحدات الصواريخ في القطاع الأوسط والجنوبى من جبهة القتال أمام قوات العدو البرية بعد عبوره للغرب ورغم تفوق العدو الذي كان يزداد يوماً بعد يوم إلى أن وصل يوم ١٩ / ١٠ إلى ما يقارب فرقة مدرعة لم تسمح له هذه الوحدات بأن ينال منها بل أدى ثباتها في مكانها إلى تخوف العدو ومن الاقتراب منها

ومحاولة قصفها بمدفعيته ومدفعيته دباباته من بعيد .

لقد أثبت المقاتل المصرى بسلاح محدود قدرته على الثبات وتحدى العدو .

اعرف عدوك

قال الفيلسوف الصينى « صن تزو » : « إذا أردت أن تنتصر على عدوك فاعرف عنه أكثر مما يعرف عن نفسه وازن بعمق وحكمة بين إمكاناتك وإمكاناته وبذلك تقرر مصير الصراع قبل أن تندلع النيران ويستخدم القتال . فالحرب ليست مجرد حماسة واستعداد للتضحية بقدر ما هى طاقة وعلم وإرادة » .

حكمة لها آلاف السنين ولكن لا تزال باقية لليوم فالحرب هى الحرب والبشر هم الذين يثيرونها وهم فى الوقت نفسه وقودها ومن هنا تتضح أهمية معرفة العدو .

لا تقتصر معرفة العدو على معرفة قوته والأسلحة التى يمتلكها، بل يجب أن يتعدى الأمر ذلك إلى معرفة كل شئ عن العدو وفجانب قوته وأسلحته يجب معرفة مستوى تدريبه وكفاءته القتالية . الموقف الإدارى لقواته . الروح المعنوية التى تتمتع بها، القادة وقدراتهم ونقط الضعف والقوة فيهم، أساليبه التكتيكية إلى غير ذلك مما يجب معرفته . وليس الغرض من هذه المعرفة هو مجرد التعرف عليها والإلمام بها وإنما هو تحليلها للوصول إلى نقط القوة والضعف فى العدو وتحديد إمكاناته القتالية ليتمكن مقارنتها بالإمكانات القتالية المقابلة لمعرفة شكل المعركة والنتائج المتوقعة .

إن كثيرًا من الهزائم التى لحقت بالجيش فى تاريخ الحروب ترجع إلى نقص المعلومات عن العدو وحرب يونيو ٦٧ يمكن وضعها فى مصاف هذه الهزائم التى تتصف بنقص المعلومات عن العدو .

لقد كانت هناك معلومات، ولكنها كانت ناقصة فى كثير من جوانبها وما كان معروف لم يكن دقيقًا وكاملاً حتى أن قوة العدو ما يمتلكه من أسلحة لم يكن لها من الدقة ما يجب ولذا جاءت التقديرات كلها من جانبنا بعيدة عن الواقع .

إن وضع العدو فى وضعه الصحيح، أى عدم المغالاة فى تقديره وتقدير إمكاناته أو بخسها بقصد إظهار ضعفه هو الداء الذى يصيب أجهزة التحليل والتقدير وهنا

يكمن الخطر فكلًا الأمرين مر، فالأول يستدعى قوات أكثر وموارد أكثر ويشبط العزيمة ويحبط الهمة . بينما الثانى يثلج الصدر ويحيل الإعصار المدمر إلى ريح رخاء، ثم تكون المفاجأة عند بدء القتال عندما يصاب الجميع بالذهول مما يحدث لا يحركون لذلك ساكنًا بل يصيبهم الشلل العقلى وينغلق الفكر وتعمى الأبصار ولا يمكنها متابعة الأحداث.

إن الحصول على معلومات عن العدو وبكل الوسائل أمر ضرورى ومتابعة ما يقوم به من دعم لموارده البشرية والاقتصادية والنفسية والعسكرية أمر يجب ومتابعته وعدم تركه للظروف العشوائية فالحرب تنشب فجأة وبدون مقدمات.

إن استمرار دراسة العدو يومًا بعد يوم وتحليله واستخلاص النتائج اللازمة فى ضوء ما يطرأ على قوة العدو من زيادة فى الحجم أو تغيير فى النوعيات المستخدمة أو إدخال تسليح جديد بالإضافة إلى التعرف على أسلوب الاستخدام التكتيكى للقوات الجوية المعادية أو أسلوب مهاجمتها للأغراض المختلفة بغرض معرفة نقاط القوة والضعف ووضع الحلول والوسائل المناسبة للحد من نقاط القوة واستغلال نقاط الضعف للنفاذ منها . لو تم هذا كله بدقة وعناية مع إعمال الفكر فى الاحتمالات المختلفة المنتظر أن يقوم بها العدو فى ضوء التطور العلمى والتكنولوجى السائد لقادر على أن يعطى لنا التصور السليم لأعمال العدو وبالتالي أفضل الاحتمالات للرد عليه .

الإعداد وشكل المعركة

يجب أن يتم الإعداد للقتال فى ضوء تصور شكل القتال مع العدو وذلك فى ضوء المتغيرات العلمية والتكنولوجية التى تصاحب عملية الإعداد . ومن هذا المنطلق يمكن الوصول إلى فكر سليم من ناحية الإعداد .

إن معركة الدفاع الجوى الحديثة هى فى الواقع معركة معدات إلكترونية سواء أو أكانت تعمل فى حلقة القيادة والسيطرة أم تعمل فى استطلاع الفضاء الجوى أم فى إطلاق الصواريخ وتتبعها أو فى إدارة نيران المدفعية المضادة للطائرات . وجميع هذه المعدات عرضة لأعمال العدو الإلكترونية المضادة . تلك الأعمال التى يلاحقها التطور بصفة مستمرة، فمعدات الاستشعار sensors وحواسب تحليل المعلومات Elechonie

compuluse تيسر معرفة النطاق الترددى الذى تعمل عليه المعدات وأسلوب عملها الإلكترونية مما يمكن من تطوير المعدات - الإلكترونية أو إنتاج أنواع جديدة منها تفوق في قوتها وأسلوب عملها الموجودة حالياً مما يؤدى إلى نتائج مضادة في عمل معدات الدفاع الجوى فيقلل من فاعليتها في المعركة .

إن معرفة أنواع أجهزة الاستشعار لدى العدو توضح إلى أى حد يمكن للعدو التعرف على تشكيل قتال عناصر الدفاع الجوى التى تواجهه ونوعياتها ومن ذلك يمكن الاهتداء إلى أسلوب الخداع والإخفاء الواجب اتباعها لتضليل العدو عما يريد .

إن دراسة الأساليب التكتيكية للعدو لا تقل أهمية عن دراسة الأساليب والوسائل الإلكترونية ومن دراسة أساليب العدو في هجومه الجوى يمكن الاهتداء إلى الأساليب التى يمكنها أن تشل أسلوب العدو أو تقلل من كفاءته فأسلوب اقترابه يحدد شكل وفاعلية الحقل الرادارى وأسلوب مهاجمته للأغراض المختلفة يحدد طبيعة الدفاع عن الغرض وأوضاعه كما أن كثافة الهجوم الجوية تحدد حجم العناصر القائمة بالدفاع كما أن حجم الطلقات اليومية يحدد مدى الثقل على وحدات الرادار وشبكة الإنذار .

إن ما أمكن الوصول اليه بالنسبة إلى حائط الصواريخ في هذه الحرب كان وليد تصور لشكل القتال المتطور وهذا التصور السليم لا يمكن أن ينطلق إلا من قاعدة علمية واسعة وخبرة عملية تضىء لها الطريق - وإن لم يكن الأمر كذلك لكان النجاح من مصير البلهاء والنصر في المعارك من مصير محدودى الذكاء . وفي ضوء هذا التصور لكل ما يحيط بشكل القتال اتجه الإعداد والتدريب حتى وصلت الوحدات إلى السيادة التامة على المعدات فى الاستخدام والصيانة والإصلاح فكان لها التفوق الكمي، ثم النوعى وهناك كانت المفاجأة غير المتوقعة .

فشل الدفاع الخطى بالصواريخ

لقد أثبت الدفاع الخطى lined defence بالصواريخ الموجهة أرض - جو فشله تماماً إزاء الهجمات الجوية المنخفضة جداً والمنخفضة إذا تمكنت القوات الجوية الإسرائيلية من القضاء على هذا الشكل من الدفاع فى دقائق محدودة كما حدث فى الهجوم الذى تم على مواقع الصواريخ بجبهة القتال فى يوليو ٦٩ - إذ تم إسكات المعدات وإنزال أكبر

خسائر في الأفراد والمعدات - بينما حدث نفس الشيء في الهجوم الذي تم على جميع الصواريخ الذي أدخل الجبهة في ديسمبر ٦٩ بفارق واحد هو أن المواقع المنخفضة وفرت الوقاية للمعدات والأفراد . لقد أثبتت الدفاع الخطي فشله في حرب يونيو ٦٧ بل كان هو السبب في نجاح الضربة الجوية الإسرائيلية، لقد كانت الثغرات بين كتائب الصواريخ من الكبر بحيث يتيسر للمهاجم على ارتفاعات منخفضة جدًا ٥٠٠ متر فأقل الانفراد بالوحدات وأكلها واحدة بعد الأخرى . وهذا الضعف هو الذي فطن إليه العدو واستغله في حرب يونيو ٦٧ ومعارك الاستنزاف .

وعلى النقيض من ذلك أثبت دفاع المنطقة Lone delenee سلامته وقدرته على مواجهة الهجمات الجوية، والدليل على ذلك ما تم في حرب رمضان / أكتوبر، إذ لم تتمكن القوات الجوية الإسرائيلية من النيل من حائط الصواريخ رغم ما وجهته من هجمات عديدة إليه، فلقد ظل صامدًا كالطود الشامخ يكيل الضربات لها وينزل بها أفدح الخسائر، وفي ضوء هذا النجاح سيظل هذا الأسلوب الأمثل والواجب اتباعه لتوفير الوقاية للتشكيلات البرية ضد الهجمات الجوية المعادية إلا أن ما يعنيه هو كثرة الوحدات التي تلزم لتحقيقه، والتي يتوقف حجمها على عمق منطقة التدمير عند اشتباكها مع الأهداف المنخفضة والمنخفضة جدًا .

الدفاع عن القواعد الجوية

ظل الدفاع عن المطارات / القواعد الجوية مشكلة تعلو على السطح دائمًا وذلك راجع إلى ما حدث في حرب يونيو ٦٧ من جراء الضربة الجوية الإسرائيلية، وكانت المشكلة نابعة من تعدد الآراء حول عدد الوحدات اللازمة للدفاع عن المطار / القاعدة الجوية وحسمت حرب رمضان / أكتوبر ذلك الجدل، ويكفى أن نعلم أن المطار الوحيد الذي ركز عليه العدو هجومه الجوي خلال هذه الحرب كان مطار القطامية الذي شهد سبع هجمات جوية ولم يصب بأي شيء إطلاقًا رغم ما تقدمه الأرض المحيطة بالمطار من تسهيلات تزيد من احتمالات نجاح المهاجم بينما تقف قيدًا كبيرًا أمام عناصر الدفاع الجوي عن المطار .

لقد يسرت عدة كتائب صواريخ محدودة مع عدد من صواريخ سام ٧ وعناصر محدودة من المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة إمكان توفير الوقاية بنجاح أدى إلى تدمير العديد من طائرات العدو ومن منطلق النجاح الكامل يجب عدم المغالاة في الوحدات التي تخصص للدفاع عن أى مطار / قاعدة جوية وذلك في ضوء الاعتبارات الآتية :

- تقدم ملاجئ الطائرات وقاية تامة للطائرات وعلى ذلك تصبح الممرات والمنشآت الإدارية المهمة هي المعرضة فقط لتوجيه الهجوم إليها .

- في ضوء سرعة الطائرات الحديثة والرغبة في الإفلات من نيران الدفاع - الجوى غير أن الهجمة الجوية لا تستغرق زمنًا طويلا ولم يحاول العدو تكرارها بواسطة نفس المجموعات المهاجمة .

- أدت الوحدات المحدودة نفس الدور الذى أدته الوحدات الكثيرة المشابهة لها نوعًا من ناحية الوقاية، وكان الفرق بينهما هو كثرة الخسائر في الحالة الثانية لتعدد الوحدات .

- نظرًا لأن الممرات هي الأكثر تعرضاً ففي ضوء سرعة الطائرات المهاجمة والخوف من النيران تنعدم الدقة ويصبح احتمال الإصابة ضعيفًا .

- يؤدى الدفاع اليقظ عن المطار / القاعدة الجوية إلى إحباط هجوم العدو بمجرد اقترابه ففتح النيران يؤدى إلى تفريق التشكيل المهاجم وإلقاء الرعب في نفوس الطيارين وبتعدد مصادر النيران وتنوعها واختلاف جهات توجيهها يدب الذعر في الطيارين ويحاول الجميع الفرار قبل أن تلحقه إصابة قاتلة .

المناوره الدائمه

أوضحت حرب رمضان / أكتوبر ان المعركة الحديثة للدفاع الجوى تستلزم إتمام المناورة الدائمه بعناصر الدفاع الجوى فهى الأسلوب الأمثل لجعل العدو في شك عن أسلوب القتال المتبع معه ، والعرض الذى يهدف إليه كذا أوضاع الوحدات التى يعمل جاهداً للتعرف عليها وتأكيد هذه الأوضاع قبل مهاجمتها . إن الحاجة إلى المناورة الدائمه تتضح عند قيام العدو بالاستطلاع الجوى لتشكيل القتال فما هذا الاستطلاع

إلا بداية لمعرفة الأوضاع لإعداد خطط مهاجمة التشكيل وعلى ذلك فإتمام المناورة ليلاً ومقابلة العدو بتشكيل جديد يجعل الاستطلاع الذى يجرى لتأكيد الأوضاع قبل إتمام هجوم العدو مغايرًا فى الشكل لما تم التخطيط عليه والخيار الوحيد المتروك أمام العدو إما إرجاء الهجوم المخطط والبدء فى عمل خطة جديدة لليوم التالى أو تنفيذ هجوم غير ومخطط يكون مصيره كثرة الخسائر .

وفى ضوء المناورة الدائمة التى قام بها حائط الصواريخ، والتى أدت إلى فشل كثير من الهجمات الجوية الإسرائيلية لجأت القوات الجوية الإسرائيلية إلى القيام بعدة طلعات استطلاع فى اليوم الواحد بغرض التعرف أول بأول على أوضاع الصواريخ وكان الرد هو إقران المناورة النهارية بالمناورة الليلية . إن أخطر ما يجابه تجميعات - الصواريخ هو ثبات أوضاع تركزها أمام العدو ولمدة أكثر من ٤٨ ساعة فإن هى ثبتت فى الأرض فإن فرصة نجاح العدو فى مهاجمتها تزداد .

لقد استخدمت المناورة بالوحدات وبالنيران أيضًا بغرض دعم اتجاهات تعبوية فطن العدو إلى ضعف الوقاية عنها تعمل تركيز مجهوده الجوى عليها، مما أدى إلى توقف الهجوم عليها أو إتمامه بحذر كما استخدمت أيضًا المناورة بالنيران لإيقاف النجاح الذى يحرزه العدو فى هجومه الجوى وذلك بتوجيه الوحدات الموجودة فى عمق اتجاه الهجوم وتلك الموجودة على الأجناب بالاشتباك مع مجموعات العدو بديناميكية عالية وذلك باستغلال المدى الكبير للصواريخ أحسن استغلال وذلك فى ضوء الموقف واحتمالاته بغرض الوصول إلى ثبات سريع للموقف كى لا ينفجر ويتحول النجاح المبدئى إلى نجاح كامل .

الاحتياطى الاستراتيجى

يؤدى الاحتياطى الاستراتيجى بالنسبة إلى وحدات الدفاع الجوى نفس الدور الذى يؤديه هذا الاحتياط بالنسبة إلى القوات البرية ونظرًا لأن هذا الاحتياط يتكون من عدة كتائب من الصواريخ أرض - جو والرادار والمدفعية المضادة للطائرات بالإضافة إلى العديد من المعدات الفنية الأخرى؛ لذا يجب عند التخطيط له مراعاة جميع العوامل المؤثرة على استخدامه فحجمه يجب أن يتفق مع متطلبات المعركة سواء من ناحية استعواض

الخسائر أو الدعم بوحداث جديدة لتدعيم الوقاية القائمة أما مكانه أو أوضاع تمر كزه فى حالة فتحه فيجب أن يراعى فيها الزمن الذى يستغرقه دفعه إلى المعركة وتقدير الظروف والملايسات المحيطه بعملية دفعة ومدى تأثيرها على عامل الوقت، الناحية المعنوية، حركة النقل على الطرق والسكة الحديد ووقت الشحن والتفريغ ومدى تعرض محطات الشحن والتفريغ لهجمات العدو الجوية .

أما احتياطى المعدات الفنية فيجب الحفاظ عليها دائماً مخزنة وبحالة سليمة مع عدم العبث بمكوناتها وإجراء ما يلزم من تفتيش دورى عليها للتأكد من صلاحيتها للاستخدام . يجب أن تكون وحدات هذا الاحتياط مدرية تدريباً عالياً ومؤهلة فعلا لدخول المعركة فور دفعها، ويعنى ذلك أن تكون هذه الوحدات مماثلة فى كفاءتها القتالية للتشكيلات التي ستدعمها وأن تدفع دورياً إلى مسرح قتالها المنتظر لتلقى الجرعة التدريبية المناسبة على مهام عملياتها المقبلة بالإضافة لغرس الفكر الموحد وخلق التزاوج المطلوب للمعركة .

تأمين وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو

عادة تتواجد وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو فى عمق القوات ووفقاً لخفة حركتها ومداهما يتحدد أسلوب قتالها ومكان تمر كزها خلال القتال وتبعاً لذلك نرى أن الصواريخ الموجهة متوسطة المدى مثل ثلث التي تقاتل فى حرب رمضان تتواجد على أعماق تتراوح بين ٦-١٨ كم من الخط الأمامى لقواتنا، وقد يؤدى تقدم القوات أو دفع الأنساق الثانية للتشكيلات إلى ترك هذه الوحدات دون تأمين لها، جرياً وراء الاعتقاد بأن كل قوة مسئولة عن تأمين نفسها .

إن وحدات الصواريخ الموجهة أرض - جو لا تمتلك سوى الأسلحة الخفيفة التي تيسر لها وقاية نفسها ضد أعمال التسلل والتخريب، التي تقوم بها جماعات العدو خلف الخطوط، ولكن لا يمكنها أبداً بأي حال من الأحوال مقابلة دبابت العدو ومدفيعته كما حدث فى حرب رمضان / أكتوبر فى هذه الوحدات لا يوجد معها أي أسلحة مضادة للدبابات وحتى ولو كانت معها فستكون من النوعيات الخفيفة ذات المدى المحدود

ولو تم دعمها بوحدات ذات مدى أطول فإن مدفعية العدو قادرة على النيل منها من مسافة أكبر من مدى هذه الأسلحة. ومن ذلك أصبح من الضروري تأمين هذه الوحدات في جميع الأوقات واعتناق ذلك مبدأ لا يجب إغفاله بأي حال من الأحوال ويجب على معارضي هذا الرأي أن يضعوا نصب أعينهم بين توفير الوقاية لقواتهم ضد الهجمات الجوية المعادية وإطلاق حرية العمل لها في المعركة البرية وبين الاحتفاظ ببعض الوحدات البرية • كتوة تأمين لدفعها في الاتجاهات التي ينجح العدو في الاختراق فيها والوصول إلى وحدات الصواريخ الموجهة بقصد تدميرها.

إن ما حدث في حرب رمضان / أكتوبر كان أشبه بالمعجزة، فلقد تصدى حائط الصواريخ للقوات الإسرائيلية بعد عبورها للغرب ولم يمكنها من التقدم غرباً حتى بعد أن وصل مجموع القوات غرباً ما يقرب فرقة مدرعة وذلك بالمتابعة الواعية طولياً وعرضياً مضحياً ببعض هوائيات محطات رادار الصواريخ وإن كان هذا ما حدث في هذه الحرب فليس صحيحاً أنه يمكن حدوثه في أية حرب مقبلة.

١ - المقاتلات / الصواريخ

لقد كان الفكر السائد قبل حرب أكتوبر / رمضان هو أن المقاتلات هي العنصر الأساسي في الدفاع الجوي عن أية دولة. وكان مرد هذا الفكر راجعاً إلى التطور السريع الذي صاحب الطائرة وفشل المدفعية المضادة للطائرات في اللحاق به وفشل الصواريخ هي الأخرى في الخدمته، وكانت معارك الطيران ضد الصواريخ سواء في الجبهة المصرية أو فيتنام خير شاهد على ذلك وجاءت حرب رمضان / أكتوبر وانقلبت الموازين وإزاء الخسائر الجسيمة في السلاح الجوي الإسرائيلي وإزاء النجاح العظيم غير المتوقع الذي حققته الصواريخ ظهر السؤال التالي على السطح وهو أن عصر الصواريخ قد بدأ وانتهى عصر الطائرة المقاتلة • فما صحة هذا الرأي الواقع أن نجاح المقاتلات يتوقف على قدراتها وتسليحها ومدة بقائها في المعركة الجوية والأهم قدرة الطيار على تحقيق المهمة كما أن فشل الصواريخ في الماضي كان راجعاً في المقام الأول إلى عوامل عديدة أهمها :

❖ عدم سلامة الأسلوب المتبع للتخطيط في الدفاع بالصواريخ .

❖ التطور السريع الذي شهدته وسائل الإعاقة الإلكترونية لدرجة تمكنها من تعطيل معدات الصواريخ عن العمل .

❖ تعقد معدات الصواريخ والحاجة إلى مستوى تدريب عالٍ .

❖ تعرض معدات الصواريخ لأعمال العدو فالمعدات كبيرة الحجم، لا تخفى على أي طيار مهاجم مما يمكن في سهولة ويسر إصابتها وما ينجم عن ذلك من كثرة الخسائر .

❖ الحاجة إلى العديد من الفنيين للعمل عليها وعدم توفير هذه الفئة لدى كثير من الدول .

❖ كثرة عدد الفنيين الذين يعملون على المعدات مما يجعل استعواضهم أمراً صعباً .

❖ الجهود الموجودة في أسلوب الاستخدام، وعدم تطوره بما يلائم التطور الموجود في العدو أو إكسابه المروءة اللازمة لمقابلة المواقف المختلفة في القتال .

وجود بعض العيوب الفنية في صناعة الصواريخ مما يجعلها متأخرة تكنولوجيا عن المستوى الذي يجب أن تكون عليه وذلك راجع إلى قلة الخبرة المكتسبة عن قتال الصواريخ .

في ضوء كل هذه العوامل نجد أن نجاح الطائرة المقاتلة كان راجعاً إلى تفوقها وإن فشل الصواريخ كان راجعاً إلى تخلفها وأن ما حدث في حرب رمضان / أكتوبر كان راجعاً إلى التغلب على معظم عوامل التخلف، مما أدى بالصواريخ إلى تحقيق النتائج الحاسمة التي تحصلت عليها، ولا شك أن الاحتفاظ بكلتا النوعيتين الأولى تمتلك القدرة من البداية، والثانية توفرت لها القدرة في النهاية يجعل في البدء سلاحين مما يزيد من كفاءة الدفاع الجوي يعملان معاً في معركة الدفاع الجوي، لا يستغنى أحدهما عن الآخر، ولنا في التجمعات المنعزلة بالصواريخ مثلاً على ذلك، فالعدو قادر على أن ينفرد بها وينهيها، إلا أن وجود المقاتلات في المعركة يؤدي إلى درجة صمود أطول وإلى خسائر أكثر في العدو قد يشبه عن غرضه وبذا يحقق الدفاع الجوي الغرض مهمته .

٢- التعاون بين الصواريخ والمقاتلات

لاشك أن التعاون بين الصواريخ والمقاتلات يعتبر قمة استخدام العنصرين الأساسيين في الدفاع الجوي، وهناك من المواقف الكثيرة في القتال ما يستدعى استخدامها معاً، وهنا تبرز المشكلة وهي احتمال إصابة المقاتلات بواسطة عناصر الدفاع الجوي مما يؤدي إلى زيادة خسائرها عما هو متوقع بالنسبة إلى قتالها مع الطائرات المعادية. فما الحل هل الابتعاد عن إدماج العنصرين في المعركة. أو إدخالها معاً في المعركة. ولكل حل منهما مزاياه وعيوبه واحتمالاته وهل الصواريخ هي مصدر الخطر على المقاتلات عند عملها مع الصواريخ جنباً إلى جنب أم هناك عناصر أخرى من عناصر الدفاع الجوي كالمدفعية والصواريخ القصيرة لها نفس التأثير.

ذكر الكثير من الكتاب الأجانب فيما كتبوا عن حرب رمضان / أكتوبر أن التعاون بين القاذفات المقاتلة والصواريخ كان من الصعب تحقيقه، فلقد كانت وحدات الصواريخ تجبر على التوقف أثناء قيام القاذفات المقاتلة بعملها. ولم يذكر وأنواع التوقف وما طبيعة الموقف الجوي والأرضي الذي أملى ذلك الموقف، وهل كان الموقف منطبقاً على طول المواجهة أم على قطاعات محدودة منها إلى غير ذلك من التساؤلات التي تعنى للمحللين العسكريين.

الواقع أن هذه الحرب هي أول حرب قاتلت فيها القوات الجوية والصواريخ جنباً إلى جنب في مواقف سهلة وفي مواقف معقدة، في قطاع واحد وفي قطاعات متعددة في وقت واحد، ولذا فقد حفلت بالدروس والخبرات العملية وما يعينني في هذا المقام هو التعاون بين المقاتلات والصواريخ أرض - جو ذلك التعاون الذي يمكن أن يتم بنجاح لو أمكن التغلب على العوامل الآتية:

✳ الخوف من كثرة الخسائر المتوقعة في المقاتلات وعادة ما يكون هذا الخوف حسيلاً للعوامل النفسية المحيطة بالموقف أو الناجمة عن قصور الرؤيا.

✳ تبسيط أساليب تأمين عمل المقاتلات.

✳ سرعة الإنذار عن عمل المقاتلات وضمان وصول هذا الإنذار لكل العناصر التي يهملها الأمر.

* تزويد جميع عناصر الدفاع الجوي، بأجهزة التعارف دون مغالاة وذلك على مستوى وحدة النيران والوحدة التكتيكية.

* التدريب الجيد للوصول إلى إحكام التعاون بين الاثنين.

لقد تمكن حائط الصواريخ من جانبه على التغلب على ما يعنيه من هذه المشكلات، فلقد بدأ أول اشتباكاتة سعت ١٤٣٥ يوم ٦ أكتوبر وطائرات المظلة الجوية لا تزال في أوضاعها فوق القناة وذلك بفجر الدقائق لأهداف تم تمييزها معادية كما أنه لم يقابل بأية صعوبة عند قيام المقاتلات القاذفة بعملها شرق القناة، إذ أن السلاح الجوي الإسرائيلي في قطاعات عملها كان يهرع إلى الاشتباك معها ولم نجد صعوبة في تأمينها ذهاباً وعودته، كما أن قطاعات طيرانها كان يتم تأمينها بأسلوب حسابي يحقق تأمين خط سيرها، إلا أن الصعوبة ظهرت عند تواجد العدو في الثغرة فلقد تعقد الموقف البري والجوي تماماً ورغم ذلك أمكن الانتهاء خلال المعركة إلى أسلوب خاص ضمن تأمين القوات الجوية وأدى إلى تزايد الخسائر في العدو.

نخلص من هذا إلى أن عمل المقاتلات داخل مناطق الصواريخ ممكن على أن يلتزم كل من المقاتلات والصواريخ بالقيود التي تفرض عليها، وأن عمل القوات الجوية مع تجمعات الصواريخ أيضاً ممكن لو تم التغلب على العوامل السابقة تماماً وتم التخطيط لذلك التعاون بعناية .

٣ - صمود تجمعات الصواريخ

لقد برهنت حرب رمضان / أكتوبر على صعوبة مهاجمة تجمعات الصواريخ المهاجرة في شكلها لحائط الصواريخ المصري، لقد وجهت السلاح الجوي الإسرائيلي لحائط الصواريخ عدة هجمات بدأت أولها صباح يوم ١٠ / ٧ وانتهت الأخيرة صباح يوم ١٠ / ٢٢ وأخذت أشكالاً عدة ما بين هجمة مركزة أو عدة هجمات مركزة على قطاع معين أو هجمات مركزة على عدة قطاعات في وقت واحد أو على التوالي، أو هجمات مركزة على أحد الأجناب .. والحمد لله قد بادت كلها بالمشل ولم ينجح العدو إلا في أحداها وخسر فيها ما يقرب من ٣٠٪ من قوة الهجمة ولم تصاب المعدات ولا الأفراد

إلا بأقل الخسائر . لقد كان هذا الصمود من جانب حائط الصواريخ وهذا الفشل من جانب القوات الجوية الإسرائيلية هو السبب المباشر في عبور العدو للغرب للنيل منه ورغم ما حدث فلقد فشل في النيل منه أو إيقافه عن العمل . أن تجميعات الصواريخ الموجهة أرض - جو إذا تميزت بالتناسك والتنوع والتدريب الجيد، ووجدت الأسلوب الصحيح في استخدامها والمرونة في تطبيق الأسلوب بما يتفق مع احتياجات المعركة لصعب على المهاجم مهاجمتها، فمشكلة المهاجم أنه لا يعرف رد فعل المدافع عندما يقوم بالهجوم حتى لو توفرت لديه معلومات كافية عن اهدف الذي سيقوم بمهاجمته - وخاصة لو كان أحد تجميعات الصواريخ - ورغم ما يتوفر للعدو من معلومات سيظل غير واثق من رد الفعل أو الرد المضاد، الذي سيقوم به تجميع الصواريخ وخاصة إذا علمنا أن التكتيكات التي يستخدمها المهاجم تتم عادة بناء على معلومات غير كاملة عن إمكانات المدافع . فإذا كان تجميع الصواريخ يتصف في أسلوبه بالمرونة ويعنى ذلك أن الأسلوب التكتيكي الذي يستخدم يتم اختياره من عدة أساليب لأصبح اختيار المهاجم لأسلوبه التكتيكي في مهاجمة تجميع الصواريخ أمراً صعباً . ورغم ذلك ستظل أجناب هذه التجميعات ومتصفها طعماً يشد انتباه المهاجم ويمكن بالتخطيط السليم والتضحية بقدر محترم من الخسائر إمكان مهاجمة هذه التجميعات وذلك بتوجيه هجمات جوية مركزة إليها بموجات متتالية من الطائرات للوصول إلى نسبة التدمير والتوقف المطلوبة.

إن معركة القوات الجوية ضد تجميعات الصواريخ أشبه ما تكون بمعارك الدبابات فأما الاختراق في المتصف وتوسيع الثغرة أو طي أحد الأجناب أو كليهما وفي جميع الحالات العمل على توسيع الثغرة أو زيادة تآكل الجنب أو الأجناب .

٤ - صمود وحدات الصواريخ المنعزلة

يتم الدفاع عن الإغراض الحيوية المختلفة بوحدات من الصواريخ المحدودة العدد وتبعاً لقرب هذه الإغراض من بعضها البعض قد تتشابك أو تتداخل مناطق تدميرها معاً ومثل هذه التجميعات المحدودة القوة تصبح هدفاً للعدو إذا أراد أن ينال منها، بالتركيز عليها بأعداد كبيرة من الطائرات مع استخدام الهجمات المخادعة، يمكن

اقتحام مثل هذه التجميعات وتدميرها، كما حدث بالنسبة إلى تجميع بورسعيد إلا أن هذا النجاح لا يمكن أن يكون متظنعا للتسليم به إزاء كل التجميعات المنعزلة فعند دراسة درجة صمود أي تجميع يجب دراسة العوامل الآتية :

- أهمية الغرض للمدافع عنه بالنسبة إلى العدو وذلك من الناحية العسكرية - السياسية - النفسية - الإعلامية.
- دور الغرض بالنسبة إلى المدافع وحتى ينتهى دوره بالنسبة إلى المعركة القائمة.
- بعد الغرض عن قواعد العدو الجوية.
- حجم المجهود الجوى الذى يمكن للعدو حشده ضد الغرض.
- الفترة الزمنية التى يمكن فيها استمرار هذا المجهود وتأثير ذلك على المعركة أو المعارك الدائرة .
- إمكانية تدخل المقاتلات ضد العدو في المعارك الجوية وبأي حجم والفترة الزمنية التي يمكن فيها استمرار التدخل .
- إمكانية نيران وحدات الصواريخ منفردة وبالتعاون مع المقاتلات في أحسن وأسوأ الاحتمالات وأثر ذلك على درجة صمود الوحدات.
- حجم احتياطي المعدات المتيسر وإمكانية وكفاءة وقدرة عناصر الإصلاح .
- نوع التحصين ومدى ما يحققه من وقاية للأفراد والمعدات.
- مكان الاحتياطي الاستراتيجي القريب الذى يمكن دفعه للمعركة .

بدراسة هذه النواحي وتحليلها يمكن الوصول إلى درجة صمود التجميع المنعزل ويجب أن نضع في الاعتبار أنه لا توجد أي اعتبارات تطفئ على درجة الصمود وإلا فإننا نلقى بوجبة شهية في فم الأسد ولنا ما حدث في بورسعيد خير مثل على ذلك .

٥- نظرة على المستقبل

بعد أن أوضحت سجل حائط الصواريخ في حرب رمضان / أكتوبر يمكن للقارئ أن يخرج بانطباع سريع في أن حائط الصواريخ تمكن خلال ساعات من بدء القتال من

إفقاد العدو أترانه، ثم بعد قتال مضي لمدة أربعة أيام تمكن ثانية من تحييد هذا السلاح وإخراجه المعركة بالإضافة إلى إنزال خسائر جسيمة بهذا السلاح مما أدى إلى حدوث انهيار مادي ومعنوي فيه، ذلك الانهيار الذي لولا الدعم الأمريكي الذي تقاطر لما تمكن هذا السلاح من أن يستعيد نشاطه في القتال مرة أخرى.

لقد كان السلاح الجوي الإسرائيلي يحتل مركز الصدارة بالنسبة إلى جيش الدفاع الإسرائيلي فعلى هذا السلاح وضعت إسرائيل عقيدتها في الحرب الخاطفة والضربة الوقائية، ولقد أثبتت لها حرب الأيام الستة - يونيو ٦٧ - صحة تلك العقيدة - وجاءت معارك الاستنزاف لتؤكد لها ذلك - مما جعلها تولي هذا السلاح كل الاهتمام والجهد المادي والمعنوي والفني، وجاءت حرب رمضان / أكتوبر لتنتهي خرافة الذراع الطويلة والسلاح الذي لا يقهر وكان لحائط الصواريخ اليد الطولي في ذلك .

وإزاء هذا النجاح الباهر - والهزيمة الساحقة والخسائر الجسيمة التي لحقت بالسلاح الجوي الإسرائيلي بدأت الدوائر العسكرية في مختلف أنحاء العالم كله شرقه وغربه تفكر في مدى الدور الذي يمكن أن يؤديه الدفاع الجوي في المستقبل وخرجت جميعها في ضوء ما تيسر لها من معلومات إلى حقيقة واضحة تؤكد أهمية دور الدفاع الجوي في أية حرب مقبلة وإلى أهمية وجود دفاع جوي قادر على التصدي لأية قوات جوية معادية وإنزال هزيمة بها أو دحرها أن أمكن.

لقد أحييت حرب رمضان / أكتوبر الآمال أمام الكثيرين في إمكان توفير وقاية ضد الهجمات الجوية المعادية في أية حرب مقبلة بتكلفة أقل وفاعلية أكبر - فحتى حرب رمضان / أكتوبر كانت معظم الدول إذا استثنينا الدول الكبرى تعتمد في دفاعها الجوي على المقاتلات وبعض أنواع المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة التي تعمل بأجهزة الرادار أو بدونها وذلك جرياً وراء مبدأ الطائرة ضد الطائرة على أن تقوم المدفعية المضادة للطائرات بالوقاية المباشرة للأغراض الحيوية لقد نبغ هذا الاعتقاد وأصبح فكراً سائداً للآتي :

- عدم جدوى المدفعية المضادة للطائرات التي استخدمت في الحرب العالمية الثانية في إيقاف عمليات القصف الاستراتيجي الذي وجهه الحلفاء إلى ألمانيا، والتي

كان يستخدم فيها ما يقرب من ١٠٠٠ طلعة / طائرة توجه ضد مدينة واحدة أو منطقة فتحيلها إلى خراب كامل في ساعات قلائل .

- التطور السريع في صناعة الطائرات والذي شمل كل أجزاء الطائرة مما أدى إلى زيادة سرعة الطائرات وحولتها وقدرتها على المناورة والإفلات من النيران.

- ظهور الأسلحة الذرية والهيدروجينية أو جد فكرًا استراتيجيًا مؤداة أن أي صراع مسلح يمكن إنهاؤه في وقت قصير بضربة جوية شاملة بالأسلحة الذرية أو بدونها بغرض تدمير إمكانات وقدرات العدو والتأثير على معنوياته لإجبارة على التسليم .

- ظهور فكر عسكري آخر ينادى بأن القوة الجوية التكتيكية يمكنها إحراز السيادة الجوية على أرض المعركة وأنه في ظل هذه السيادة يمكن للقوات البرية إتمام عملياتها بنجاح . ولقد تمادى معتنقو هذا الفكر في إمكاناته حتى وصلوا إلى القول بأن القوة الجوية يمكنها أن تنهى الحرب - ولو أن هذا الفكر كان موضع التنفيذ في حرب كوريا إلا أنه لم يحقق الغرض وأثبتت حرب فيتنام فشل هذا الفكر .

وجاءت حرب رمضان / أكتوبر وتغيرت هذه المفاهيم تمامًا، إذ أمكن توفير دفاع جوى فعال وتكلفة أقل هذا من جانب الدفاع الجوى وخسائر جسيمة في الطائرات والطيارين لا يمكن لدولة كبرى أن تتحمله في ذلك العصر ومن هنا بدأ المنطلق نحو آفاق جديدة في الدفاع الجوى لتطويره أسلوبًا وتسليحًا . والواقع أن أية حرب ما هي إلا عمل اختبار كبير تختبر فيه الأسلحة والأساليب التكتيكية المستخدمة وأية حرب لا يمكن أن تسير على نفس الوتيرة التي سارت عليها سابقتها، وهذه سنة التطور والارتقاء وعلى ذلك تنبثق من كل حرب أسس ونظريات جديدة سواء فيما يختص بالأسلحة المستخدمة أو الأساليب التكتيكية، التي يجب اتباعها تهدف جميعًا إلى التغلب على النقص أو العيوب التي كانت في الحرب السابقة . وبالدراسة التحليلية المتأنية ينبع الفكر السليم اللازم لتطوير المعدات أو أسلوب الاستخدام التكتيكي وللوصول إلى شكل التطور المنتظر في الدفاع الجوى تسليحًا وأسلوبًا وقد سلف ذكر كثير من

الإيجابيات والسلبيات للأسلحة التي كانت في حرب / أكتوبر. فلقد انجلت الحرب بنجاح للصواريخ ضد الطائرات عكس ما توقع الجميع وهنا بدأ الفكر يتجه إلى إمكان تحقيق دفاع جوى فعال بتكلفة أقل.

ولمعرفة الشكل المنتظر الذى تكون عليه عناصر الدفاع الجوى في المستقبل يجب أن نلم بالشكل الذى ستكون عليه الطائرة كسلاح في المستقبل وشكل الحرب الإلكترونية التي تعاونها في مهمتها ومن خلال نتائج حرب رمضان / أكتوبر وما يجرى من دراسات وأبحاث للوصول إلى طائرة المستقبل نجد أن التصوير في صناعات الطائرات قد وصل أو قارب تمامًا من الوصول إلى القمة وأن أي تطوير يتم في صناعة الطائرات سيتجه إلى:

- تحسين السرعة لزيادة سرعة التسليق وسرعة الإفلات من النيران مع تقصير زمن الطيران.

- زيادة المدى للوصول إلى تهديد الأغراض البعيدة أو البقاء في المعركة أطول زمن ممكن.

- زيادة الحمولة لإنزال دمار أكبر.

- تحسين القدرة على المناورة لتلافي نيران الصواريخ الموجهة.

- تحسين وسائل الملاحة والتنشيق.

وما يهم الدفاع الجوى في هذه الناحية هو تطوير السرعة والمدى والقدرة على المناورة ووسائل الملاحة فهذه العوامل هي التي تؤثر على أسلوب قتال الدفاع الجوى تأثيراً مباشراً ورغم ما قد يصل إليه التطوير من نتائج فإن هناك حقائق ستظل ثابتة لا تتغير بتغير الوسائل ألا وهي :

- مهما زادت سرعة الطائرات فإن هناك سرعة لا يمكن للطائرات تجاوزها عند قيامها بمهاجمة أغراضها ويمكن القول إن السرعة ودقة الإصابة يتناسبان مع بعضهما تناسباً عكسياً.

- مهما زادت السرعة فإن إمكانية الطيران على إتمام المناورة يتوقف على قدرتين قدرة هيكل الطائرة وقدرة الطيران على تحمله عجلة الجاذبية التي يمكن تحملها أي أن

هناك قيودًا لا يمكن تعديها فإن أمكن صناعة هيكل قوى فإن الطيار له قدرة كبشر لا يمكن أن يتعداها.

- إن تحسين وسائل الملاحة سيمكن إتمام الهجمات المنخفضة جدًا دون التأثير بعوائق الأرض كما سيسر إتمامها ليلاً أو في ظروف الرؤية السيئة .

- إن زيادة المدى تستلزم توفير وقاية عن كل الأهداف الحيوية في ضوء مدى طائرات العدو والأهمية النسبية بين الأهداف الحيوية .

- إنه مهما أدخل من تحسين وتنوع على أجهزة التنشيط في الطائرات وارتفع مستوى تدريب الطيارين فسيستمر تميز الغرض وقصفه من مسئولية الطيار .

في ضوء ما سبق وفي ضوء ما انجلت عنه حرب رمضان / أكتوبر من نتائج يمكن لنا تصور التطور المنتظر في أسلحة الدفاع الجوي

الرادار والإنذار

- زيادة مسافة كشف الأهداف لتصل إلى ٥٠٠ كم مع زيادة الدقة .

- استخدام أجهزة لديها القدرة العالية على مقاومة التداخل .

- استمرار الحاجة إلى نوعيات متعددة من الأجهزة لمقاومة التداخل .

- قفل الثغرات الموجودة في نظام الكشف والتي تسببها طبيعة الأرض بأجهزة رادار خفيفة.

- استمرار العناية بكشف الأهداف المنخفضة جدًا وخاصة في مناطق الحدود والسواحل .

- إدخال التطوير اللازم على المراقبة الجوية بالنظر (الرادار البصري) أسلوبًا وتسليحًا .

- يجب أن يكون الاتجاه هو استخدام طائرات الإنذار الجوي لتوفير العديد من الأجهزة والكثير من النفقات .

بالإضافة إلى التغلب على مشكلة اكتشاف الطائرات التي تطير على ارتفاع منخفض جدًا .

المدفعية المضادة للطائرات

- الاعتماد على المدفعية المضادة للطائرات الخفيفة والرشاشات في الدفاع عن الأغراض الحيوية ويفضل متعددة المواسير منها .

- النظر في تزويدها بأجهزة رادار وأجهزة حاسبة في ضوء مداها، وقدرة الطيران المعادى على العمل ليلاً .

بالإضافة إلى تكامل عناصر الدفاع الجوي عن الغرض بالصواريخ من عدمه .

الصواريخ الموجهة أرض - جو

ستؤدى الصواريخ الموجهة أرض - جو دورًا كبيرًا في نظام للدفاع الجوى مستقبلاً وتبعًا لذلك ستلاحقها يد التطور بكل عناية وغالبًا ما يتجه ذلك التطور إلى :

الصواريخ قصيرة المدى

- الاستغناء عن الصواريخ الفردية وإحلالها بأخرى متعددة .

- زيادة مسافة تدميرها للطائرات إلى ٤ كم .

- ضرورة اشتباكها من أي اتجاه وعلى أي اتجاه وعلى أية زاوية .

- استخدام نوعيات مختلفة التوجيه أشعة دون الحمراء - الليزر .

الصواريخ متوسطة المدى

- زيادة لمساة تدميرها للطائرات إلى ٦٠ - ٧٠ كم وسيؤدى ذلك إلى خلق فرص

اشتباك أفضل مع الأهداف المناورة كذا إمكان الاشتباك أكثر من مرة مما يقلل عدد الوحدات المطلوبة للدفاع عن غرض ما .

- تواجد نوعيات مختلفة تعمل على نطاقات ترددية مختلفة للتغلب على مشكلة التداخل وأسلحة الخمد .

- الحاجة إلى صاروخ متوسط قادر على القيام بالمانورة حتى ٢٠-٢٥ عجلة جاذبية
ليمكنه تنفيذ المانورة المطلوبة مع الطائرات المانورة .
- ضرورة تواجد صاروخ ذى مدى متوسط نسبياً خفيف الحركة للعمل مع القوات
يتراوح مداه بين ١٢ - ١٥ كم .

المقاتلات

- الحاجة إلى مقاتلة صغيرة الحجم لها قدرة على المانورة ومسلحة تسليحاً جيداً .
- استخدام أنظمة التوجيه الآلية في توجيه المقاتلات وإدارة العمليات الجوية .
- أن يتيسر لها مدى كبير نسبياً حتى يمكنها البقاء في الجو أطول زمن ممكن أو تغطية
أكبر عدد من الأغراض .

القيادة والسيطرة

- استخدام نظام القيادة والسيطرة الآلي على أن يعمل بجواره النظام اليدوي الحالي
وذلك لتلافى ما يحدث من تعطل في النظام الأول .

منافذ بيع الهيئة المصرية العامة للكتاب

مكتبة المعرض الدائم	مكتبة المبتديان
١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق	١٣ ش المبتديان - السيدة زينب
مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب	أمام دار الهلال - القاهرة
القاهرة	
٢٥٧٧٥٠٠٠	مكتبة ١٥ مايو
ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلي ١٩٤	مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز
٢٥٧٧٥١٠٩	
مكتبة مركز الكتاب الدولي	مكتبة الجيزة
٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة	١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة
ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨	ت : ٣٥٧٢١٣١١
مكتبة ٢٦ يوليو	مكتبة جامعة القاهرة
١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة	خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى
ت : ٢٥٧٨٨٤٣١	بالجامعة - الجيزة
مكتبة شريف	مكتبة رادوييس
٣٦ ش شريف - القاهرة	ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة
ت : ٢٣٩٣٩٦١٢	مبنى سينما رادوييس
مكتبة عراقى	مكتبة أكاديمية الفنون
٥ ميدان عراقى - التوفيقية - القاهرة	ش جمال الدين الأفغانى من شارع
ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥	محطة المساحة - الهرم
مكتبة الحسين	مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة
مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة	
ت : ٢٥٩١٣٤٤٧	

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (١) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإداري - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١٤، ١١ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحي - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب - جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقاً - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلي - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومي - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢ - ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠

مكتبات ووكلاء

البيع بالدول العربية

لبنان

٢ - شركة كنوز المعرفة للمطبوعات

والأدوات الكتابية - جدة - الشرفية -

شارع الستين - ص.ب: ٣٠٧٤٦ جدة :

٢١٤٨٧ ت : المكتسب: ٦٥٧٠٧٢٢ -

٦٥١٠٤٢١ - ٦٥١٤٢٢٢ - ٦٥٧٠٦٢٨ .

٣ - مكتبة الرشد للنشر والتوزيع -

الرياض - المملكة العربية السعودية -

ص.ب: ١٧٥٢٢ الرياض: ١١٤٩٤ - ت:

٤٥٩٣٤٥١ .

٤ - مؤسسة عبدالرحمن

السديري الخيرية - الجوف -

المملكة العربية السعودية - دار الجوف

للعلوم ص.ب: ٤٥٨ الجوف - هاتف:

٠٠٩٦٦٤٦٢٤٧٧٨٠ فاكس: ٠٠٩٦٦٤٦٢٤٣٩٦٠

الأردن - عمان

١ - دار الشروق للنشر والتوزيع

ت: ٤٦١٨١٩١ - ٤٦١٨١٩٠

فاكس: ٠٠٩٦٢٦٤٦١٠٠٦٥

٢ - دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع

عمان - وسط البلد - شارع الملك حسين

ت: ٩٦٢٦٤٦٢٦٦٢٦ +

تلفاكس: ٩٦٢٦٤٦١٤١٨٥ +

ص.ب: ٥٢٠٦٤٦ - عمان: ١١١٥٢ الأردن.

١ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

شارع صيدنايا المصيطبة - بناية الدوحة -

بيروت - ت: ٩٦١/١/٧٠٢١٣٣

ص.ب: ٩١١٣ - ١١ بيروت - لبنان

٢ - مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب

بيروت - الفرع الجديد - شارع

الصيداني - الحمراء - رأس بيروت -

بناية سنتر مارييا

ص.ب: ١١٣/٥٧٥٢

فاكس: ٠٠٩٦١/١/٦٥٩١٥٠

سوريا

دار المدى للثقافة والنشر والتوزيع -

سوريا - دمشق - شارع كرجيه حداد -

المتفرع من شارع ٢٩ أيار - ص.ب: ٧٣٦٦

- الجمهورية العربية السورية

تونس

المكتبة الحديثة . ٤ شارع الطاهر صفر -

٤٠٠٠ سوسة - الجمهورية التونسية .

المملكة العربية السعودية

١ - مؤسسة العبيكان - الرياض

(ص.ب: ٦٢٨٠٧) رمز ١١٥٩٥ - تقاطع

طريق الملك فهد مع طريق العروبة -

هاتف: ٤٦٥٤٤٢٤ - ٤١٦٠٠١٨ .

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب